مختارات "الفكر المسيحي"/٤

إفتتاحيات

١٩٧١-١٩٩٤

٢٠١ افتتاحية بقلم رئيسي التحرير

بيوس عفاص وجرجس القس موسى

اعداد وتقديم

الأب بيوس عفاص

بيبليا للنشر

الموصل ٢٠٠٧

صدر عن بيبليا للنشر

ملفات الكتاب المقدس

	تعريب
•السنة الأولى . . . ٢	
١. الحديث عن القيامة	أ. بيوس عفاص
٢. الافخارستيا	أ. بيوس عفاص
•السنة الثانية ١ . . ٢	
٣. ايليا واليشاع	م. جرجس القس موسى
٤. أمثال يسوع	أ. بطرس موشي
٥. ما وراء الموت	أ. بيوس عفاص
٦. عجائب يسوع	أ. جبرائيل شمامي
•السنة الثالثة ٢ . . ٢	
٧. قراءة في إنجيل متى	أ. فرنسيس شير
٨. أعمال الرسل	أ. يوحنا عيسى
٩. قراءة في مؤلف لوقا	أ. بيوس عفاص
١٠. حزقيال النبي	م. جرجس القس موسى
•السنة الرابعة ٣ . . ٢	
١١. أناجيل الطفولة	أ . بيوس عفاص
١٢. القديس بولس	د. يوسف قوزي
١٣. سفر يونان	م. جرجس القس موسى
١٤. كنيسة البدايات	أ. جبرائيل شمامي
•السنة الخامسة ٤ . . ٢	
١٥. القديس مرقس	أ. فرنسيس شير
١٦. سفر المزامير	أ. بطرس موشي
١٧. النبي عاموس	أ. لويس الخوند
١٨. صلاة الأبانا	أ. بولس الفغالي
•السنة السادسة ٥ . . ٢	
١٩. إنجيل يوحنا	أ. بيوس عفاص
٢٠. الروح القدس	م. لويس ساكو
٢١. الأناجيل المنحولة	أ. انطوان نصر
٢٢. اشعيا النبي	م. جرجس القس موسى
•السنة السابعة ٦ . . ٢	
٢٣. سفر ايوب	أ. بولس الفغالي
٢٤. ارميا النبي	أ. بيوس عفاص
٢٥. سفر الرؤيا	أ. يوحنا عيسى
٢٦. الغفران في الكتاب المقدس	أ. بطرس موشي
•السنة الثامنة ٧ . . ٢	
٢٧. اشعيا الثاني وتلاميذه	م. جرجس القس موسى
٢٨. أوجه يسوع	أ. بيوس عفاص

مركز الدراسات الكتابية

سلسلة أبحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد
تأليف: الأب بيوس عفاص
بيبليا للنشر ١٩٩١ (٤٠٠٠د.)

٢. يسوع الذي من الناصرة بقلم مرقس الإنجيلي
تعريب: الأب بيوس عفاص
بيبليا للنشر ٢٠٠٢ (١٠٠٠د.)

٣. قراءة في العهد القديم/ج ١ –قبل الجلاء–
بيبليا للنشر ٢٠٠٣ (١٥٠٠د.)

٤. قراءة في العهد القديم/ج ٢ –من الجلاء الى يسوع–
بيبليا للنشر ٢٠٠٤ (٢٠٠٠د.)

٥. قراءة في العهد الجديد/ج ١ –الأناجيل الأربعة–
بيبليا للنشر ٢٠٠٤ (٢٠٠٠د.)

٦. قراءة في العهد الجديد/ج ٢ –أعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا–
بيبليا للنشر ٢٠٠٤ (٢٠٠٠د.)
الأجزاء الأربعة من تأليف عدد من الاختصاصيين
وتعريب الأب بيوس عفاص (٨٠٠٠ د.)

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل
تأليف: أ. ريموند براون تعريب: م. جرجس القس موسى
بيبليا للنشر ٢٠٠٥ (٢٠٠٠د.)

٨. لوقا–الأعمال / وعد التاريخ
تأليف: دونالد يوئيل تعريب: الأب ألبير أبونا
بيبليا للنشر ٢٠٠٦ (٢٠٠٠د.)

٩– ١. روايات الآلام والقيامة
تأليف: الأب بيير بنوا تعريب: الأب بيوس عفاص
بيبليا للنشر ٢٠٠٦ (٣٥٠٠د.)

١١. يسوع الذي هو المسيح
تأليف: الأب برنار راي تعريب: م. جرجس القس موسى
بيبليا للنشر ٢٠٠٧ (٢٥٠٠د.)

تطلب من مكتبة بيبليا/كنيسة مار توما–الموصل

اصدارات لرئيسي التحرير

المطران جرجس القس موسى

◆ **في سلسلة الفكر المسيحي**

الأعداد ٢، ٦، ١٢، ١٨، ٢٥، ٣٢، ٤٢، ٥٥، ٦٠

◆ **الكتب المؤلفة**

- ايدل كوين — الموصل ١٩٦٣
- شارل دي فوكو، رسول الأخوّة الشاملة — بيروت ١٩٦٨، ١٩٩٢
- رسالة الأخ شارل إلى بني جيلنا — بغداد-حلب ١٩٧٨
- همسات أبو فادي — بغداد ١٩٨٥

◆ **الكتب المعربة**

- نداء الأبطال — بيروت ١٩٦٧
- اخوتي جميع البشر — بيروت ١٩٧١، ط٢ ١٩٩٦
- طريق الصلاة مع الأخ شارل — لبنان ١٩٨٤، ط٢ ١٩٩٨
- بحثت ووجدت — بغداد ١٩٨٦
- روح الطفولة طريق الملكوت — لبنان ١٩٨٦
- على دروب الناصرة — بيروت ١٩٩٧
- لماذا يا رب؟ لغز الألم — بغداد ٢٠٠٣
- الكنيسة التي ورثناها عن الرسل/ابحاث كتابية-٧ — بغداد ٢٠٠٥
- يسوع الذي هو المسيح/ابحاث كتابية-١١ (تحت الطبع) — بغداد ٢٠٠٧

■■■

- المسألة الدينية في المجتمع العربي/اطروحة بالفرنسية، لوفان ١٩٧٩
- كتاب يوبيل دير مار بهنام/اعداد وتقديم — بغداد ١٩٨٤
- حياتي هي المسيح/رسالة راعوية — الموصل ٢٠٠٠
- الأسرة المسيحية/رسالة راعوية — الموصل ٢٠٠٢
- دليل ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك (مستنسخ) — الموصل ٢٠٠٢
- القداس السرياني/إعداد وتقديم — بغداد ٢٠٠٣
- افتتاحيات/مختارات الفكر المسيحي-٤ — الموصل ٢٠٠٧
- همسات ج٢/ مختارات الفكر المسيحي-٥ — الموصل ٢٠٠٧

◆ **من ملفات الكتاب المقدس**

الأعداد: ٣، ١٠، ١٣، ٢٢، ٢٧

الأب بيوس عفاص

◆ **في سلسلة الفكر المسيحي**

الأعداد ١، ٩، ١٥، ٢٠، ٢٣، ٣٠، ٤٥، ٤٩، ٥٦

◆ **في سلسلة "كلام الله"/الموصل**

- الكتاب المقدس والإنجيل/العدد ٥ — الموصل ١٩٦٢
- لوقا، إنجيلي المخلص/العدد ١١ — الموصل ١٩٦٤

◆ **في سلسلة "الحياة الروحية"/دار المشرق**

- صل لتحيا: الأب رنيه فوايوم — بيروت ١٩٨٠ (ط ٤ ١٩٩٩)

◆ **في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"/دار المشرق**

- ٣٢. الله أبونا: الأب جان بويي — بيروت ٢٠٠٠

◆ **في سلسلة "أبحاث كتابية"/بيبليا للنشر-م.د.ك.**

١. قراءة مجددة للعهد الجديد (تأليف) — الموصل ١٩٩٩
٢. يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الإنجيلي — الموصل ٢٠٠٢
٣. قراءة في العهد القديم/ج١-قبل الجلاء — الموصل ٢٠٠٣
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢-من الجلاء إلى يسوع — الموصل ٢٠٠٤
٥. قراءة في العهد الجديد/ج١-الأناجيل الأربعة — الموصل ٢٠٠٤
٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢-أعمال، رسائل، رؤيا — الموصل ٢٠٠٤
٩-١٠. روايات الآلام والقيامة — الموصل ٢٠٠٦

■■■

- الصحافة المسيحية (تحليل الفكر المسيحي)
  اطروحة بالفرنسية لوفان ١٩٧٦
- كنيسة مار توما، في ماضيها وحاضرها (مستنسخ)
  بيبليا للنشر-الموصل ٢٠٠١
- أسئلة وأجوبة/مختارات الفكر المسيحي-٣ (اعداد وتقديم)
  بيبليا للنشر-الموصل ٢٠٠٦
- افتتاحيات/مختارات الفكر المسيحي-٤ (اعداد وتقديم)
  بيبليا للنشر-الموصل ٢٠٠٧

◆ **من ملفات الكتاب المقدس**

الأعداد: ١، ٢، ٥، ٩، ١١، ١٩، ٢٤، ٢٨

سلسلة مختارات الفكر المسيحي/٤

افتتاحيات

١٩٧١-١٩٩٤

إفتتاحيات

واكبت مسيرة كنيسة العراق

في مرحلة دقيقة من تاريخها

١٩٧١-١٩٩٤

"ان نبلغ "الفكر المسيحي" عددها الـ ٣٠٠، فتلك نعمة كبرى في كنيسة قلما شهدت مشاريعها عمرا طويلا! ولسنا نقول ذلك مكابرة بقدر ما نكشف عما كان، في مسيرتها، ثمرة تخطيط وعزم وصمود..."

●

"... وها هي، في تمام اعوامها الثلاثين، تعلن مع بدء عام ١٩٩٥ عن ولادة جديدة ستسجل بدء شوط جديد نتمناه يكون، في توجهاته الرئيسة، تواصلا مع الشوط الذي قطعته، لا بل تجاوزا إياه باتجاه الأفضل، مضمونا وإخراجا..."

كانون الأول ١٩٩٤

من الاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة لعام ٢٠٠٧

المدالية الذهبية للفكر المسيحي

يطلب من مكتبة بيبليا-الموصل

سعر النسخة: ٣٥٠٠ دينار

مركز الدراسات الكتابية
كنيسة مار توما
الموصل-العراق

بيبليا للنشر ٢٠٠٧

افتتاحيات

رئيس

التحرير

سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" / ٤

افتتاحيات

رئيس التحرير

٢٠٢ افتتاحية تصدرت مجلة الفكر المسيحي
١٩٧١-١٩٩٤

(الأبوين بيوس عفاص وجرجس القس موسى)

إعداد وتقديم
الأب بيوس عفاص

منشورات
مركز الدراسات الكتابية
الموصل — العراق
٢٠٠٧

الفكر المسيحي
تنال المدالية الذهبية من
الاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة

فيما كانت "الافتتاحيات" تعدّ للنشر، نزل نبأ "المدالية الذهبية" بمثابة تقييم رائع للشوط الذي قطعته "الفكر المسيحي" وسط صعوبات جمة لم تنل من عزيمتها، وضغوط شتى لم تنحن أمامها ... وتمثل الافتتاحيات أحد أقوى الأدلة على صمودها في خدمة الكلمة الحرة الجريئة ...

وجاء النبأ في رسالة بعث بها إلى المطران جرجس القس موسى، في ١٢ آذار ٢٠٠٧، الزميل جوزيف شيتيلابيللي، أمين عام الاتحاد، ثبت فيها النقاط الرئيسة التي حملت لجنة التحكيم بالاجماع على منح هذه الجائزة التي تعطى، كل ثلاث سنوات، لشخص أو مجموعة أشخاص أو مؤسسة ممن يتصف العمل الصحافي لديهم بالريادة في خدمة حرية الرأي، عبر الكلمة المكتوبة.

ويتسلم الجائزة، في غضون المؤتمر العالمي الذي يعقد في شيربروك-كيوبك (كندا)، من ٣-١٠ حزيران، رئيسا التحرير السابقان اللذان أعلنا مسبقاً تخصيصها لمنفعة أطفال العراق. وهذا نص قرار التحكيم:

❖❖❖

١. الفكر المسيحي، المجلة الصادرة بالعربية، تجاوزت أقسى الأزمات في تاريخ العراق، وتمّ لها ذلك إذ أصبحت مرجعا للجميع، مسلمين ومسيحيين، ومن ديانات أخرى، ومن كافة القوميات والمجموعات اللغوية. فلقد بلغت إلى كل شرائح المجتمع، بغضّ النظر عن المدخول أو الوضع الاجتماعي أو العمر.

٢. هذه الصحيفة الناطقة باسم المسيحيين الذين يشكلون أقل من ٣٪ من مجموع السكان، كانت نموذجا مثاليا لحرية الصحافة وصوتا للسلام والوفاق بين المواطنين ولاشاعة القيم الانسانية

٣. الفكر المسيحي التي تأسست عام ١٩٦٤ تُعَدّ أطول صحيفة مسيحية عمرا في العراق. فلقد قامت بهدف بناء حرية أكبر للصحافة، وتطوير افضل لوسائل الاعلام في العراق والشرق الأوسط، وذلك في بيئة سياسية ومدنية وكنسية لم تكن دوما، وبشكل عام، تتيح حرية الرأي.

٤. لقد سعت الصحيفة إلى أهدافها، بنشرها بانتظام بحوثاً وتحليلات وافتتاحيات وأنباء وريبورتاجات من كافة أنحاء العالم وفي شتى سبل الحياة. كما ساندت المجلة واتخذت مواقف مثالية في أصعب سنوات الحرب عام ١٩٩١، ومنذ ٢٠٠٣.

كلمة الناشر

لبضعة أشهر خلت، أطلقت "بيبليا للنشر" كتاباً بعنوان "أسئلة وأجوبة" ضمَّ ١٢٠ إجابة نشرت في مجلة **الفكر المسيحي** ما بين الأعوام ١٩٧١-١٩٩٤. وظهر الكتاب (٢٨٨ص) باخراج أنيق، حاملاً الرقم ٣ من سلسلة "مختارات **الفكر المسيحي**" ليجيب عن العديد من التساؤلات التي ما زالت قائمة، وفي مجالات مختلفة...

وتزف اليوم هذا الكتاب الدسم الذي يضم ٢٠٢ افتتاحية بقلم الأبوين بيوس عفاص وجرجس القس موسى؛ افتتاحيات نسجت سنوات المجلة الأربع والعشرين (١٩٧١-١٩٩٤) في عهدة روّادها الأوائل، كهنة يسوع الملك / اخوّة الحياة المشتركة –وقد اتخذ الرقم ٤ في "مختارات **الفكر المسيحي**".

كان لا بدّ أن تبتسم لرئيسي التحرير فكرة نشر افتتاحيات تزامنت مع حقبة التحولات السياسية والثقافية والاجتماعية في عراق كان تحت حكم الحزب الواحد –وقد جددت وزارة الاعلام امتياز المجلة في ١٩٦٩/١١/٢٥– وفي كنيسة عرفت مرحلة شائكة من تاريخها بين خيار التجدد الذي أطلق عنانه المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في الستينات، أو التراوح في مكانها بين التقوقع والجمود...

وشاءت دار "بيبليا للنشر" أن تطرح للقراء افتتاحيات رائدَيها برمتها، منذ العدد الأول من عام ١٩٧١ وحتى العدد الأخير الذي حمل الرقم ٣٠٠ مع نهاية عام ١٩٩٤، من دون إسقاط أو إهمال أية افتتاحية، حتى تلك التي كانت رهن زمانها! وذلك أولاً، بهدف التوثيق، لأنها كانت شاهدة على فترة زمنية دقيقة من حياة الكنيسة والمجتمع، سجّلت فيها "**الفكر المسيحي**" مواقف رصينة وجريئة... وثانياً، بدافع إتاحة الفرصة لقراء لم يعاصروا المجلة ولا واكبوا سنواتها السمان –وستكون لهم بمثابة رسالة رجاء في معانياتهم وتطلعاتهم... أما لقراء "**الفكر المسيحي**" القدامى الذين سبق أن قرأوها شهراً بعد شهر، فستحمل إليهم ذكريات طيبة وعزيزة عن مشوار مجلة أحبوّها وتعلّقوا بها وواكبوا مسيرتها وتفاعلوا مع طروحاتها وتوجهاتها...

مع تحيات مركز الدراسات الكتابية

بيبليا للنشر

افتتاحية الافتتاحيات

لا أخفي بأن مشروع نشر "افتتاحيات الفكر المسيحي" كان قد راودني، اثر ظهور "همسات" أبي فادي عام ١٩٨٥، وحينذاك اكتفيت بتسجيلها أمنية في "وصيتي"!

وفي أوائل عام ٢٠٠٦، ابتسمت لي فكرة إصدار "الأسئلة والأجوبة" المنشورة في المجلة للأعوام ١٩٧١-١٩٩٤، وكان هو الآخر مشروعاً ابتسم لرواد الفكر المسيحي الأوائل، وقد أبصر النور عام ٢٠٠٦، جامعاً ١٢٠ إجابة مختارة، وحاملاً الرقم ٣ في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"...

وراودتني من جديد فكرة نشر "الافتتاحيات"، مستبقاً الوصية! وكان لهذا الاستباق سببان: أولهما أن أشرف بنفسي على عملية النشر، بما فيها من دقائق ومتاعب، فاطمئن على إخراجها بالشكل المناسب، وثانيهما أن أضيف رقماً رابعاً إلى سلسلة "مختارات" لفائدة القراء، ولاسيما الشباب الذين فاتتهم سنوات المجلة في السبعينات والثمانينات -وكم عبّر العديد منهم عن هذه الأمنية... عسى أن تتواصل هذه "السلسلة" لتغطي زوايا أخرى من المجلة...

هي، بالتالي، خدمة القراء دفعت إلى تحقيق هذه المشروع، وإن لم يكن هدف التوثيق غائباً! سيما وأن إضبارة "الافتتاحيات" المستلة كانت جاهزة في أرشيف المجلة، والمحفوظ في جناح خاص من متحف مار توما! وسرعان ما انبرت، وبهمة عالية، أنامل كثيرة في إعداده للطبع، فيما كنت أعد مسبقاً الفهرس، وبالأخص الفهرس الذي يصنّف الافتتاحيات إلى موضوعات... وكان الزميل ماهر حربي -وقد واكب مسيرة الفكر المسيحي الطويلة وأسهم في إخراجها- بعد تصميم الغلاف، على غرار سابقه!

اعزائي، قرّاء "الفكر المسيحي"!

حين عمدت إلى تحقيق هذا المشروع، استقرّ الرأي على الفور أن يشمل كل الافتتاحيات للأعوام ١٩٧١-١٩٩٤، وأن يضمّها كاملة، دون إسقاط

او استثناء، حتى وإن بدا بعضها رهن زمانه! ولعل الدافع الأكبر إلى هذا الخيار هو انها أصدرت لفترة اليقظة والتحولات السياسية والثقافية والاجتماعية التي كان العراق خلالها تحت امرة الحزب الواحد، وكانت الكنيسة ابانها تشق طريقها، بخطى متارجحة، بين الإنطواء على الذات والاحتماء في البرج، او الانفتاح والنزول إلى الساحة! وهكذا كان لا بدّ أن يرجّع هذا المشروع صدى سنوات ارتسم خلالها خط الفكر المسيحي الواضح باتجاه التزام جاد على المستويين الروحي والزمني، ووفق نهج صحافي متميز -وكان لها من المجمع الفاتيكاني الثاني الذي تزامن انعقاده مع انطلاقتها، خير دليل في توجهاتها، وافضل ضامن لمصداقيتها...

فباستثناء ٢٠ افتتاحية قصيرة تضمنتها الحلقتان الأخيرتان من "سلسلة الفكر المسيحي" [١٩٦٨-١٩٧٠]، يضم هذا الكتاب افتتاحيات نسجت لحمة المجلة وسداها، على مدى ٢٤ عاماً [١٩٧١-١٩٩٤]، تناولت خلالها قضايا هامة من حياة الكنيسة والمجتمع: فإذا كانت هناك افتتاحيات عالجت شؤون المجلة الصحافية والمادية بهدف توسيع رقعة انتشارها، فهناك افتتاحيات أخرى وضعت الاصبع على الكثير من الجروح في قضايا راعوية ومسكونية واجتماعية وروحية... وفيما حيّا بعضها اعياد الميلاد والقيامة، وبمضمون لاهوتي عميق، وحيّا بعضها الآخر مناسبات وطنية وعالمية -وليس من دون همسة او صرخة- استعرضت افتتاحيات اخرى معضلات هامة بشأن كرامة الإنسان وحقوقه وحرياته، كما بشأن قضايا الحرب والعدل والسلام والتنمية، وعلى الصعيدين الوطني والدولي. ولكم تناولت افتتاحيات شؤون الأسرة والتربية، والتثقيف المسيحي بنوع خاص، وعالجت شؤوناً إيمانية ومسلكية وراعوية على صعيد الكنيسة الجامعة والكنائس المحلية، بينما اكتفت اخرى بإطلاق النداءات، سواء بكلمات صريحة أم عبر الحلم والأمنية... ناهيك عن افتتاحيات الأعداد الخاصة، وكانت غالباً مقالات دسمة اكثر منها كلمات بالمناسبة، وليس من اقلها شأناً افتتاحيات "الكشاف"، وعلى ثلاث دفعات -وقد رصدت وصنّفت مضامين ٣٠ عاماً من المادة الصحافية الثرية! واخص بالذكر افتتاحية العدد الخاص بمناسبة اليوبيل الفضي [١٩٨٩] حين اكدت "الفكر المسيحي" مجدداً على اهدافها وخطها الملتزم ونهجها الاعلامي والثقافي في خدمة الكلمة الحرة الجريئة...

وإذا كانت عملية التوثيق مشروعة، ولأكثر من سبب، فان عملية التصنيف كانت هي الأخرى ضرورية جداً وملزمة حقاً، كونها التاحت للقارئ أن يطلع عن كثب على ما دبجه قلم رئيسي التحرير من افتتاحيات في شتى المناسبات وفي مختلف القضايا والمعضلات... وكان للكثير منها وقع كبير، ما زالت أصداؤه حية في ذاكرة المتتبعين، وهم كثرا وهكذا كان لا بد أن أصنف بعض الافتتاحيات في أكثر من زاوية ليتاح للقراء العثور عليها... وسرعان ما لاح كبيراً حجم الافتتاحيات التي تناولت القضايا الإيمانية والراعوية، وقد احتلت المرتبة الأولى، تلتها تلك التي أصدت لشؤون كنيسة العراق ومشاكلها وحاجاتها وتطلعاتها... ومن ثم تلك التي سجلت مواقف وطنية، ومن منطلق المواطنة والالتزام...

ويطيب لي أن أوضح أمراً بشأن المحورين المذكورين: ان الافتتاحيات التي اشارت إلى مواطن الضعف أو الجمود في كنيستنا العراقية -ولكم اعلنت المجلة انها لا تنطق بلسان الكنيسة الرسمي-، أو التي شخصت الكثير من الأزمات أو الأمراض التي عانت وتعاني منها الكنيسة في العراق والعالم، سواء بسبب ضيق الرؤية أو سوء التخطيط أو تعثر الهمة... لم تكن تهدف إلى الطعن أو الإساءة بقدر ما كانت تهدف إلى إيقاظ الوعي وشحن الهمم والدعوة إلى سياسة راعوية جادة، وعلى مختلف المستويات... ولمَ لا نقولها صريحة: ألم تكن "الفكر المسيحي" وراء الكثير من المبادرات والتجديدات والانجازات على صعيد القمة والقاعدة، وليس من اقلها شأناً التجديد الطقسي والنشاط الثقافي والتوجه الراعوي والمسكوني والعمل الرسولي وأساليب التربية والتثقيف المسيحي...

أما بصدد الافتتاحيات التي تناولت الشأن العراقي والقضايا العربية -وقد آثرت الابقاء عليها كما نشرت، لما فيها من ذكرى وموقف- فلا بد لي ان اضع بشأنها النقاط على الحروف، سيما وأن القراء، ازاء افتتاحيات ذات طابع وطني، سيخيل إليهم ولا شك أن المجلة انحازت للنظام أو اصطفت وراءه أو صفقت لتوجهاته أية كانت، ومن دون تمييزا والحال أن "الفكر المسيحي"، لم تغال البتة في الإشادة بالمنجزات، ولم تمنح ولاءها لكل توجهات النظام وممارساته، بالمقارنة مع ما نشرته آنذاك صحف ومجلات عراقية كانت تحت رقابة مشددة، لم تخضع لها الفكر المسيحي والحمد لله! -ولم تكن "الالتفاتة الكريمة" [١٩٧٨] سوى فرصة أسهمت في تثبيت اقدام المجلة وجعلها بمنأى عن الضغوط! فهي، في اصدائها لبعض المناسبات الوطنية، أو دعمها لبعض مبادرات الثورة، إنما انطلقت من إيمانها العميق بضرورة التحام

المسيحيين، مع إخوانهم المسلمين -ولكم دعت إلى الحوار المسيحي الاسلامي- في بناء العراق، والحرص على أمنه والذود عن سيادته والدفاع عن حقه في ثرواته الطبيعية... ومن هذا المنطلق ذاته، سلطت الضوء على القضايا القومية وفي مقدمتها فلسطين، داعية إلى سلام عادل وشامل تصان فيه حقوق الشعب الفلسطيني على أرضه ومقدساته. ولم تخش بعض الافتتاحيات، في سطورها وما بين سطورها، أن تلفت النظر إلى المخاطر المترتبة على بعض التوجّهات، وتشير بالاصبع إلى مغبة الحرب العراقية-الإيرانية حتى "ولو أُلصقت بها صفة القدسية"! فيما ذهب بعضها إلى التعبير عن الغبن الذي يطال المسيحيين العراقيين، في حقوقهم وحرياتهم، والمطالبة الصريحة أو الخفية، باسمهم ومن اجلهم، بالعدل والمساواة، وعلى أكثر من صعيد! ولعلّ أكثر ما تميزت به افتتاحيات أوائل التسعينات، هو توجهها الوطني الصريح والمعلن تجاه العدوان الأمريكي الغاشم على العراق وما خلّفه من زعزعة في البنى وما نتج عنه من مآسٍ وويلات ابان الحصار الجائر...

قرائي الأحباء

فيما أزف إليكم هذه المجموعة من الافتتاحيات -وهي تصدي لأربعة وعشرين عاماً من العمل الصحافي، الشاق والممتع معاً!- يطيب لي أن أقوم وإياكم، ولاسيما من منكم واكب الفكر المسيحي، سلسلة فمجلة، بجولة سريعة في زاوية كانت من أكثر زوايا المجلة استقطاباً واهتماماً.

كانت بداياتي مع "الافتتاحية"، عام ١٩٦٨ حين بلغت "السلسلة" حلقتها الخامسة، مستحدثة ثماني صفحات وسطية، وحين كان عليّ آنذاك أن أحسب كلماتي كي لا تتجاوز ١٨ سطراً من الحجم الصغير، وأن أقول شيئاً ضمن هذه الحدود! ومع تحولها إلى مجلة عام ١٩٧١، كان علي، وتحت عنوان "كلمة التحرير" أن أملأ صفحة بحجم كبير في حدود ٢٥ سطراً، فكانت افتتاحيات غطّت مناسبات أو أحداثاً لم يكن بوسعها أن تفي الموضوع المطروح حقه، تاركة القارئ على الطوى!

وقبيل نهاية عام ١٩٧٢ -لدى مغادرتي إلى بلجيكا للدراسة- تسلّم المهمة الأب [المطران] جرجس القس موسى، وعلى مدى أربع سنوات، فأبلى خلالها بلاءً حسناً، مضفياً على الطرح والمعالجة لمسات مميزة، عبر مواضيع تجاور فيها الحدث مع الدعوة، والفكرة الجادة مع اللمسة الأدبية، والمناسبة الكنسية أو الوطنية مع المناشدة أو الرسالة المفتوحة-

وكانت المجلة قد باشرت، مع عام ١٩٧١، ترقيماً جديداً، ريثما أعيد احتساب اعداد "السلسلة" السابق، وتواصل الترقيم، مع مطلع ١٩٧٦، بالعدد ١١١!

ومع بدء عام ١٩٧٧ -وفيه اتخذت "الفكر المسيحي" نهجاً اعلامياً واضحاً- أصبح قوام الافتتاحية صفحتين، وقد اضفى عليها التنضيد بالاينوتايب، ولاسيما التنضيد الالكتروني، في الثمانينات، مساحة تتسع لمادة تجاوزت بكثير حدود الصفحتين! وهكذا أصبحت الافتتاحية اشبه بمقالة رئيسة تصدرت العدد وأعطت له لونه وطابعه... وسيتاح للقارئ، على مدى ١٨ سنة، ان يحيط بشتى الموضوعات التي تناولتها الافتتاحية، ويطلع على القضايا التي عالجتها والأفكار التي طرحتها والمواقف التي اتخذتها والأولويات التي برزتها والأمنيات التي صاغتها، على صعيد الوطن والكنيسة، وكنيسة العراق بنوع خاص! فلا تكاد افتتاحية تخلو من "ناقوس" يلفت الانتباه، وغالباً من طرف خفي، إلى "علامات الأزمنة" وإلى المواقع التي تتطلب من المسيحيين -وهي الناطقة باسمهم- شهادة للرجاء الذي فيهم، وتحملهم على الالتزام الجاد بالمواقف الإنجيلية في قلب الصراعات والتوترات...

وسأترك للقراء أن يفيدوا ويستمتعوا -كما اترك لهم فرصة التقييم والحكم- بهذا العدد الكبير من الافتتاحيات التي ستعيد إلى ذاكرة القدامى افكاراً وتوجهات سبق لهم أن تفاعلوا معها، وكانت قد تركت أثرها في حياتهم... كما ستحمل إلى الجدد منهم ما عاشته كنيستهم، في تلك الحقبة الدقيقة من تاريخها، من معانيات وآمال، ومن معضلات وتطلعات، لم تتوقف دوماً إلى عيشها ومواجهتها بقدر عالٍ من المسؤولية... حقبة حرجة على المستويين السياسي والكنسي كانت "الفكر المسيحي" خلالها صوتاً لا ينفك ينادي: تارة، محركاً، داعياً، متفائلاً... وتارة أخرى، فاضحاً، معنفاً، متشائماً... وفي كل الأحوال صوتاً لا يني يناشد دوماً!

أيها القراء الأعزاء، قدامى وجدداً

انتم بازاء ٢٠٢ افتتاحية هي أشبه بقلادة رصّعت صدر "الفكر المسيحي" طيلة ٢٤ عاماً في عهدة كهنة يسوع الملك. وكانت سنة المجلة اولاً، عشرة اعداد، باستثناء الأعداد الخاصة -وهي تغطي شهرين، بافتتاحية دسمة- وباستثناء اعداد الثمانينات، حين اضطرت المجلة، عام ١٩٨١، إلى اختزال عدد ابان الحرب العراقية-الإيرانية،

وكما اضطرت، عام ١٩٩١، إلى تقليص اعدادها إلى اربعة، في أعقاب العدوان الثلاثيني على العراق. ومع ذلك تحلل السنوات الأربع عدد خاص اخير [١٩٩٤] بعنوان "المسيحي والمعاصرة"، تضمن ملزمة وسطية خاصة خلدت ذكرى الثلاثين عاماً من عمر "الفكر المسيحي" [١٩٦٤-١٩٩٤] واحتوت كلمة تحرير إضافية بعنوان "من اجل ديمومة الفكر المسيحي" وسجلت مبادرة كهنة يسوع الملك بتسليم المجلة إلى الآباء الدومينيكيين، ومن دون أية ضغوط أو أية ازمات، وإنما بدافع حرصهم على ديمومة هذا الصوت في كنيسة العراق، وبمشاعر عميقة من الكِبَر والتجرد والمجانية...

وجاءت افتتاحية العدد الأخير من الشوط الطويل [عدد تشرين الثاني-كانون الأول ١٩٩٤] بعنوان "مع العدد ٣٠٠: أي منعطف؟" لتسجّل موقفاً حضارياً متميزاً، شبّهت فيه عملية التسليم "بزفّة" ارتضى الرواد الأوائل، وبطيب الخاطر، ان يقولوا: "نموت وتحيا الفكر المسيحي"! بعد ان اتموا ثلاثين عاماً من العمل الاعلامي الدؤوب، وفي اية ظروف سياسية، واية مضايقات كنسية، واية معوقات فنية...؟! إلا أن أولى تعزياتهم كمنت في أن قراءها اختاروها لخطّها وتوجهاتها النبوية الجريئة... وكان عددهم يزداد باطراد حتى بلغ ٧٥٠٠ مشترك!! ولعل عنوان فخرهم الأكبر هو انهم أصرّوا على التشكيك في المقولة التي كانت المجلات بموجبها "تموت مع أصحابها!"، بعد أن تركوا بصماتهم المتميزة في صفحاتها المشرقة، ولصق اسمهم بسنواتها الثلاثين السمان!

إليكم، إذن، أيها القراء الكرام، هذا الكتاب الذي وثق باقة كثيفة من ٢٠٢ افتتاحية! وسيستمتع بها المخضرمون من قراء "الفكر المسيحي" الأوائل الذي ستعيد إليهم شبابهم، وتذكرهم بالكثير من الطموحات والتطلعات التي ما زال بعضها طيّ الأماني! فيما سيجد فيها القراء الجدد الذين لم يكونوا قد أبصروا النور بعدُ -حين كانت الفكر المسيحي قد خاضت غمار هذه المغامرة الرائعة- فائدة ومتعة معاً، وقد تحملهم على الثقة والرجاء بمستقبل مشرق، للعراق وكنيسته، نتمناه آتياً لا محالة، وبسرعة!

وإلى جميع الذين اسهموا في تنضيد الافتتاحيات مجدداً، وتصحيحها وتنسيقها وطباعتها وإخراجها بهذا الشكل الأنيق، أعمق الشكر وأصدق التمنيات.

الموصل في ١٤ شباط ٢٠٠٧ — الأب بيوس عفاص

1971

إليكم هذا العدد الجديد

من مجلتكم "الفكر المسيحي" وفيه تجدون الخطة التي ستنتهجها المجلة في مسيرتها الجديدة لتحمل إليكم ما يحق لكم أن تنتظروه منها، بصفتها المجلة المسيحية الوحيدة في العراق.

لقد انطلقت "الفكر المسيحي" عام ١٩٦٤ وظهرت بشكل سلسلة مقالات في مختلف الحقول، ومرت بمراحل صعبة، خلال سني وجودها الست، تمرست في خلالها بالعمل الصحفي الشاق، وها هي الآن تجتاز العقبات وتشق طريقها بإقدام لتأخذ مكانها بين المجلات.

وهذا العدد يفتح صفحة جديدة من تاريخها، فهو يعبر عن الجهود التي تبذلها، بحزم وصبر، وعن التطور الذي بلغت إليه. غير أنها لا تدعي بأنها بلغت المرحلة النهائية من تطورها المنشود، وتعلم بأن عليها أن تواصل سعيها، بعزم لا ينثني، نحو الأحسن والأفضل.

ان مهمة "الفكر المسيحي" هي إبلاغ كلمة الله إلى الناس عن طريق رسالة القلم التي أصبحت اليوم من أقوى وسائل الإعلام وابلغها.

وشاءت ان تكون مجلة مسيحية شاملة لا تحمل طابعاً طائفياً، لتتمكن من أن تتوجه إلى القراء على اختلاف طوائفهم ومللهم، فتقدم لهم ثقافة مسيحية أصيلة، بعيدة عن الفوارق والنعرات، وهكذا تساهم في بناء الوحدة المسيحية.

وهيئة التحرير لا تشاء أن تنفرد بالانشاء، فهي تستقطب ذوي الأقلام والكفاءات ليساهموا بكل طاقاتهم وامكاناتهم في تحقيق الهدف المنشود، ألا وهو خدمة الفكر المسيحي في هذا البلد.

وإذ ترفع أسرة التحرير شكرها العميق إلى السادة الأساقفة الذين أيدوها في مسيرتها، وإلى وكلائها والمشتركين فيها الذين ناصروها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم بها، والله ولي التوفيق.

كانون الثاني ١٩٧١

متى نتحد؟

في كل عام، في أسبوع الصلاة لوحدة المسيحيين، نسدل ستاراً على الماضي الأليم، ونضرب صفحة على انقساماتنا التي عبثت بوحدتنا والتي ما زلنا نجر ذيولها. وفي كل عام، نجهد النفس في محاولة لإذابة الثلوج وهدم الحواجز وإزالة العقبات التي تحول دون وحدتنا المتصدعة، ونمنّي النفس بالغد المشرق. وكم ابتسمت لنا آمال وأحلام سرعان ما تبددت، وعُدنا إلى مشاحناتنا البغيضة وكأننا لا نطيق حياة السلام.

ولكن، إذا كنا نتهم الماضي، فهل يكون الحاضر أقل مسؤولية بقبول واقع الانقسام؟ وإذا تورط بعض رجال الماضي في هدم الوحدة، فهل عملنا نحن رجال الحاضر لبناء هذه الوحدة؟ لا أظنني أغالي إذا قلت بأننا أكثر جرما من أولئك إذا بقينا على الصمت. وإذا كانت المحبة علامتنا الفارقة، وإذا كنا سنُدان على المحبة ولم نعمل شيئاً لمجيء المحبة، التي هي أساس الوحدة، فنحن أعداء المسيح وأعداء الوحدة.

فالوحدة يجب أن تكون هدف كل مسيحي ذي إرادة صالحة، وعليه أن يعمل بكل طاقاته، من أجل تعجيل اليوم الذي فيه تتم الوحدة المنشودة.

فمن تنزيه للنوايا، ومن نبذ للأنانية، ومن التطاحن والتنافس، إلى تواضع حقيقي وصفاء في النية وإلى الإخلاص والتعاون، علينا ان نسعى في علاقاتنا بعضنا مع بعض، على الصعيد الرسمي واللاهوتي والفردي.

فإذا كانت الكبرياء هي السبب في انقساماتنا، فعلى المحبة ان تكون الدعامة في وحدتنا.

شباط ١٩٧١

سلام ... سلام

ما زال كبار هذا العالم، من رجال دين ودولة، يطلقون النداء تلو النداء من اجل السلام، وما زالت وسائل الإعلام، على اختلاف أنواعها، تنادي بالسلام، وما زالت الشعوب التي تعيش في قلق الحرب تستصرخ الضمائر الحية، لتحظى بالسلام، وما زالت المؤتمرات العالمية تُعقد لاحلال، السلام ومع كل ذلك فلا سلام ولا أمل بالسلام...

فإلى متى يستيقظ العالم؟ إلى متى يستفيق الضمير الإنساني؟ وإلى متى يدرك أولئك الذين بيدهم مصائر الشعوب ان هذا التسويف وهذا التململ سيتمخض عنه فناء كامل للبشرية؟

فما دام هناك حروب ومنازعات، وما دام هناك شعوب تريد السيطرة على الشعوب الأخرى، ومادام هناك تصعيد دائم للتسلح، فذلك دليل على أن العالم قد اخذ بمبدأ: إن أردت السلم فاستعد للحرب!

هذا المنطق الذي يهزأ به جميع الأطراف المتنازعة في كل مكان، هو الذي يقود هذه الحروب الدامية، وليس من يسمع ولا من يستجيب!

ففي قلب هذه الحروب، يتصاعد صوت المسيح منادياً: "طوبى لصانعي السلام فانهم بني الله يدعون". وصانعو السلام هم الذين يعترفون بالله أباً للجميع، وبالناس إخوة فيما بينهم. فالسلام لا يُبنى على توازن القوى والتسابق في التسلح، ولا على سن القوانين والتخفيف من وطأة الحرب، إنما يبنى في داخل الإنسان: على المحبة، بحيث يرى الإنسان في كل إنسان أخاً؛ وعلى العدالة بحيث يعامل كل الناس على السواء، وعلى احترام الحقوق والحريات فيما بين الناس جميعا، وعلى التعاون والأخوة بحيث يشعر جميع الناس أنهم يؤلفون أسرة واحدة، بالرغم من اختلاف العرق والقومية واللغة والثقافة والطبقة والدين.

فمتى اجتاحت العالم موجة عارمة من المحبة، حينذاك يستقر السلام في العالم.

آذار ١٩٧١

"قام المسيح"

"قام المسيح... حقاً صحيح"! هكذا كان المسيحيون يهنئون بعضهم بعضاً بعيد القيامة، وكأنهم يحملون بعضهم إلى بعض البشرى بقيامة المسيح من بين الأموات، كما حملها الرسل إلى العالم، بدءاً من أورشليم وكل اليهودية والسامرة إلى أقاصي الأرض.

إن قيامة المسيح حدث فريد في تاريخ البشرية، ولهذا الحدث شهود جاهروا به على مسامع العالم، وختموا شهادتهم بشهادة دمهم على مرّ الأجيال. هؤلاء الشهود الشهداء لم يكونوا من المتهوسين الذين تبعوا ذلك الناصري المصلوب من غير هدى، فليس من يجود بدمه جزافاً! انهم أُسروا بحب المسيح وعلّقوا عليه رجاءهم، فسفكوا دماءهم لمن سبقهم في طريق الحب والتضحية.

قيامة المسيح هي أساس الإيمان المسيحي ومنطلق الكرازة وعربون الفداء. فالقديس بولس يقول: "إن كان المسيح لم يقم، فكرازتنا باطلة وإيمانكم باطل... وانتم بعد في خطاياكم". فالمسيح، ذلك الإله -الإنسان الذي مر بأرضنا يعلم الحق ويصنع الخير ويجري المعجزات، مات وقام، وقيامته هي الدليل على صدق رسالته وحقيقة الوهيته، وعلى قيمة موته الفدائية، وهي الأساس الذي يرسو عليه إيماننا، ونقطة الانطلاق للتبشير به.

نعم لقد قام المسيح، ونحن جميعاً شهود بذلك: شهود بالكلام والحياة. إذن يجب أن تقترن شهادة الكلام بشهادة الحياة، وشهادة الحياة تقتضي أن نعيش حدث القيامة في واقع حياتنا اليومية، "أي أن نخلع عنا الإنسان القديم الفاسد بشهوات الغرور ونتجدد في صميم أذهاننا ونلبس الإنسان الجديد". فقيامة المسيح يجب أن تجتاح كياننا كله، لتحرره وتجدده، كي تبلغ إلى كل إنسان.

نيسان ١٩٧١

يوم السلام العالمي

الأول من أيار يوم ترتفع فيه أصوات المنادين بأمجاد الطبقة العاملة وحقوقها ودورها في بناء الحضارة وتقدم المجتمع. ومع هذا فلا زال العامل، في كثير من البلدان، محروماً من أقدس حقوقه، يخضع في عمله لشروط لا إنسانية، تنتهك كرامته وتهضم حقوقه.

ليس العمل، في المفهوم المسيحي، أمراً حقيراً ووسيلة للعيش ليس إلا، أو أداة بيد رؤوس الأموال للكسب والجشع، إنما هو دعوة إلى الإنسان ليواصل عمل الله الخلاق في الطبيعة واستثمار خيراتها لخدمته وسعادته. وهو تعبير عن الطاقات الكامنة فيه، مما يتيح له أن يجسد مؤهلاته الفكرية والجسدية، فتنعكس في المادة شخصيته.

إن العمل حق وواجب لكل إنسان، على أن تُراعى فيه كرامته وتحترم شخصيته وتضمن حقوقه. فليس العامل، آلة للإنتاج ولا سلعة تباع وتشترى، إنما هو شخص يولي العمل قيمته الحقيقية. والعدالة تقضي بأن يحصل العامل ليس على أجرة لقاء عمله وحسب، بل على أجرة تمكنه من العيش الكريم هو وأسرته، مهما كان نوع العمل؛ ومن حقه، بما انه يسهم في الإنتاج، بما يبذله من طاقات، أن يسهم في فوائد الإنتاج.

لا زالت صرخة القديس يعقوب، منذ ألفي عام، تدوي في آذاننا: "ها إن أجرة العملة الذين حصدوا حقولكم، تلك التي بخستموهم إياها تصرخ! وصراخ أولئك الحصادين بلغ إلى أذني رب الصباؤوت". كما لا زال حياً نداء البابا لاون ١٣، وهي الذكرى الثمانون لرسالته "الشؤون الحديثة": "إن كان العقد بين العامل ورب العمل على مقدار الأجرة حراً، فلا بدَّ أن يدخل في هذا العقد عنصر العدل الذي يسبق العقد، وهو فوق إرادة المتعاقدين، إذ يلزم ألا تقل الأجرة عن الحد الضروري لإعالة العامل... فإذا اضطر العامل على قبول أجرة ناقصة عن ذلك الحد، خوفاً من الوقوع في شر أعظم، فهو يقاسي ظلماً، والعدالة تحتج صارخة".

أيار ١٩٧١

فلسطين الجريحة

في الخامس من حزيران، ومنذ علم ١٩٦٧، يتجدد جرح الأمة العربية الذي لم يلتئم انه ذكرى النكبة الكبرى التي حلت بفلسطين وقتلت رجالها ويتّمت أطفالها وشردتهم، وتركت في كل بيت ثكالى وأرامل، وخلفت في كل شبر من هذه الأرض المقدسة الخراب والبؤس...

إنها المجزرة الرهيبة التي اقترفتها يد الصهيونية الأثيمة، وهي وصمة عار في جبين الضمير العلمي، في أوج عصر من عصور التقدم والحضارة.

لقد جددت هذه المجزرة البشعة مجزرة أطفال بيت لحم، على عهد السيد المسيح، التي سبق ارميا فتنبأ عنها.

والقدس، أورشليم، مدينة السلام، التي طالما دوّى في أرجائها صوت المسيح المنادي بالمحبة والأخوة، والتي ارتوت "جلجلتها" بدم الفادي الذي أشاع في العالم الحق والعدل، تخيّم عليها اليوم العداوة والبغضاء، وتدوي في أرجائها أصوات المدافع والقنابل، ويتطاحن فيها الناس، وتتساوم عليها الدول الكبرى، ويا ليتها سمعت صوت النبي أشعيا من جديد: "استيقظي استيقظي، البسي ثياب فخرك يا أورشليم، يا مدينة القدس... هبّي من الغبار، انهضي اجلسي يا أورشليم، حلّي قيود عنقك أيتها المسبية... قومي استنيري فان نورك قد وافى، ومجد الرب أشرق عليك".

إن الضمير الإنساني لم يعد يستطيع الصمت إزاء هذه المظالم والتحديات، فلا بدّ لنداء السلام الذي أعلنه كبار رجال الدين في العالم، من مسلمين ومسيحيين، ولا بدّ لكلمة الحق والعدالة التي ينادي بها كبار المسؤولين المدنيين في العالم، أن يجدا أذنا صاغية لدى ضمير الإنسانية، فينتصر الحق وتسود العدالة ويرفرف السلام من جديد على الأرض المقدسة، وتقوم أورشليم بالمجد، فتخلع قيود سبيها، لتعود فتعلم البشر المحبة والإخاء.

حزيران ١٩٧١

ذلك القمر جارنا!

لما كنا أطفالاً، كنا نطيل النظر إلى القمر ونتفرس في وجهه ملياً، علّنا نحظى بابتسامة منه، أو يتسرب إلينا بعض من أسراره. وكان القمر يُطبق في صمته، ونبقى نحن نحلم؟ يا لسذاجتنا! أما اليوم فالرحلات إلى القمر أمست أكثر أماناً من رحلات عطلة نهاية الأسبوع، كما صرحت أحدى زوجات رواد أبولو ١٥.

أبولو ١٥، حملت ثلاثة مواطنين أرضيين آخرين، ديفيد سكوت والفرد وردن وجيمس ايرويث، وحلّقت بهم إلى القمر حيث وطئوه فجر السبت ٣١ تموز الماضي وتجولوا على سطحه بسيارة جيب لمدة ثلاثة أيام، واستكشفوا براكينه الخرساء وحفروا "أرضه" التي يعود تاريخها إلى ألف مليون سنة فقط، وعادوا إلينا، بعد مناورات بهلوانية، بمائة كيلوغرام من الحجارة. يا لها من ثروة!

ثروة أعظم هي تلك التي يحققها الإنسان عندما يتجول على سطح كرته، والمواطن في بلده، ليكافح الفقر والبؤس ويطفئ براكين الحرب والبغضاء، ويزرع محلها بذار الكرامة وحُبّ الإنسان لأخيه الإنسان، مهما كان لونه أو دينه.

ثروة أعظم هي تلك التي تجنيها أميركا وروسيا وسائر الدول المتهالكة على السيطرة، في تسخير علمائها وطاقاتها، ليس فقط لغزو الفضاء، بل لنشر العدل والمساواة وخدمة الدول النامية في نهضتها الإنسانية والاقتصادية والسياسية؛ لا بمنطق الاستعمار والمال، بل بروح التضامن الإنساني والمواطنة الأرضية على الكوكب الواحد. يا ليت البشر يتغلغلون في معرفة ذواتهم، كلما توغلوا في سبر مجاهل الكون.

أيلول ١٩٧١

الأب جرجس القس موسى

مجمع الأساقفة

يلتئم الآن في روما عدد يربو على المئة والخمسين من البطاركة والكرادلة والأساقفة، من مختلف أنحاء العالم، يمثلون السينودسات الطائفية والمجالس الأسقفية. انه مجمع الأساقفة الذي أبصر النور غداة المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، وهو بدوره "مجمع مسكوني مصغر"، إذ يواصل عمل المجمع المسكوني، وهو بمثابة امتداد له.

في الوقت الذي فيه تعاني الكنيسة هزات عنيفة في كل جنباتها، وتعصف بها رياح هوجاء من كل صوب، وفي الوقت الذي يعاني العالم أزمات قاسية من جرى الحرب والتخلف، وتجتاحه موجة عارمة من عدم الارتياح تُنبئ بالثورة... في الوقت عينه ينكبُّ مجمع الأساقفة لدراسة وضع الكهنة ومكانتهم في المجتمع البشري ورسالتهم في قلب الجماهير البشرية، ولمعالجة قضية العدالة التي أصبحت تهدد مستقبل العالم.

كان لا بدَّ للكنيسة أن تتنبه للأزمات التي ظهرت بين صفوف الاكليروس، وما تخلفه من نتائج لها آثارها الوخيمة على مستقبل الكنيسة؛ وكان لابدَّ لها أن تستجيب إلى آمال الكهنة وتطلعاتهم من أجل بناء كنيسة قريبة من البشر، تعرف أن تتفهم البشر وتتفاعل معهم وتجيب إلى ما يحق لهم أن ينتظروه منها.

وكان لا بدَّ للكنيسة أن تنهض من سباتها، وتستفيق على معضلات العالم، وتلتقي مع آمال الإنسانية في العدالة والأخوة والمساواة، فلا تكتفي بإعلان المبادئ وتقديم التوجيهات، بل تعرف أن تلمس عن كثب البؤس البشري الذي تخلّفه المظالم الاجتماعية ويسببه التخلف في كل أشكاله، فتجنّد طاقاتها لتناضل من أجل خير البشرية، وتساهم في بنيان عالم أفضل تسوده العدالة ويرفرف عليه السلام.

فإلى مجمع الأساقفة المنعقد في ٢٩ أيلول يتطلع المسيحيون والعالم أجمع بأمل ورجاء!

تشرين الأول ١٩٧١

ما أبشع الحرب!

قرأت، في أحدى المجلات، تصريحات وأرقاما عن الحرب الأهلية في باكستان الشرقية، فذهلت. واليكم بعضها:

- ٨ ملايين هاجروا إلى الهند والبنغال الغربية خلال ستة أشهر!
- ٨٠٠٠٠٠ طفل يعانون من سوء التغذية والمرض، وهم على فراش الموت!
- ٥٠٠ مخيم للاجئين يضم بعضها ثلاثين ألفا، بينما أعدّ لعشرة آلاف!
- قرى لا تتسع لأكثر من ٢٠٠٠ نسمة، أصبح سكانها يربو على الخمسين ألفا!

"لقد مزقوا حفيدي ووضعوا أعضاءه المتناثرة بين ذراعي"! (شيخ)!
"في أحد المستشفيات، قتلوا المرضى على أسرّتهم وأعدموا الممرضات" (راهبة)
"خمسون سريرا لآلاف المرضى... وفي كلكتا سرير واحد لثلاثة مرضى" (طبيب)

كلنا يعلم السبب: انتفاضة باكستان الشرقية المطالبة باستقلالها، هي التي حملت باكستان الغربية إلى الإرهاب والإعدام والتدمير والتشريد...

ليس في نيتنا أن نجعل من أنفسنا حكاما على الأحداث السياسية التي تمخضت عنها هذه الحرب البشعة. وإذا كان لنا أن نقول كلمة، فهي أن الضمير الإنساني لم يعد يحتمل حمامات الدم، ولم يعد بإمكانه أن يسكت عن البؤس الذي تحدثه الحروب.

إن ما جرى في باكستان يجرِي اليوم في فيتنام وفلسطين وايرلندا، وفي أماكن عديدة من العالم!

هو التنازع على البقاء، وكأن الأرض لم تعد تسع للناس!
هو انعدام الأخوة بين البشر، وكأنهم خلقوا ليفني بعضهم بعضا!
هذا ما حدا بقداسة البابا إلى إعلان يوم ١٠ تشرين الأول يوم صلاة وصوم من أجل ضحايا الحرب ولاسيما الأطفال، مناشدا العالم أن يهرع لإغاثة اللاجئين.

فإذا لم تعد قيم الحق والعدالة والمحبة والأخوة والسلام سوى كلمات جوفاء، فويل للعالم!

تشرين الثاني ١٩٧١

مولد النور

"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وسكن فيما بيننا". بهذه الكلمات الوجيزة والبليغة يستهل يوحنا الحبيب إنجيله ليكشف عن أصل يسوع الإلهي. فيسوع هو كلمة الله المتجسد، جاء إلى أرضنا لينير للجالسين في الظلمة وظلال الموت.

"... والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"!
"... والعالم به كوّن، والعالم لم يعرفه"!
"أتى إلى خاصته وخاصته لم تقبله"!

هي المحبة جاءت بالكلمة إلى الأرض. ألأن السماء لم تعد تسعه؟ أم لأن الأرض استهوته؟ قد يساورنا الشك في محبة مفرطة كهذه، وقد نجد فيها من الغرابة ما يحملنا على التنكر لها: أن يحب الله الإنسان، حسناً! أما أن يحبه إلى هذا الحد، فذلك ضرب من المبالغة والمغالاة!

"هكذا أحب الله العالم حتى انه أرسل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل من يؤمن به".

ونحن، هل ادركناه؟ هل عرفناه؟ هل قبلناه؟

رسالة الميلاد هي رسالة السماء إلى الأرض، وسيبقى الإنسان حرا في أن يقبلها أو يرفضها. ولكنها ستبقى رسالة مفتوحة موجهة إلى كل إنسان، وعلى الإجابة إليها يتوقف مصير الإنسان: "على هذا ستقوم الدينونة: أن النور قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلمة على النور لان أعمالهم كانت شريرة"؟

اما أن نقبل رسالة الميلاد، فتلك قضية حب! فكما ذهب الحب بالله بعيداً، كذلك يذهب الحب بنا بعيداً. فنقبل أن يخترق النور حياتنا ويبدد كل ما فينا من ظلمة: "أما جميع الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله".

كانون الأول ١٩٧١

١٩٧٢

يوم السلام العالمي

لأربع سنوات خلت، أعلن قداسة البابا بولس السادس اليوم الأول من كل عام يوماً عالمياً للسلام، فيه تقام الصلوات والأدعية إلى رب السلام، كي ينعم على العالم بالسلام والأمن والاستقرار.

لقد لبى العالم الكاثوليكي نداء الأب الأقدس، وتضافر في تلبيته رؤساء الطوائف المسيحية وغير المسيحية من الأديان الأخرى، إلى جانب رؤساء الدول في العالم أجمع. وهكذا اخذ كل ذوي الإرادة الصالحة، من جميع الأديان والمذاهب، يجتمعون في اليوم الأول من السنة في مظاهرة دينية رائعة، تلقى خلالها المحاضرات لمعالجة قضية السلام الذي أصبح بمثابة حلم يراود البشر، في عالم يتمرغ في الحرب وتتلاعب بمصيره النزاعات والخصومات. وتقام الصلوات التي من شأنها أن تساهم في تحرير الإنسان من عقدة الحرب، لتحمله على الاهتداء إلى الأسس الراسخة التي يقوم عليها السلام، الا وهي المحبة والعدالة والأخوة.

إن السلام يكمن في داخل الإنسان، ولا سلام ممكن إلا إذا نزع الإنسان عنه الكبرياء والأنانية، وتجرد عن الاستغلال والمصالح الشخصية. فمتى شعر الإنسان بأنه أخ لكل إنسان أيًا كان، وبأن البشر جميعا أبناء لأب واحد ومن ثم إخوة في ما بينهم، وبأن لكل إنسان الحق في الحياة والتمتع بحقوقه الإنسانية كاملة على كل صعيد، فحينذاك يكف التنازع على البقاء، وتبطل المشاحنات بين الشعوب، وتزول الحروب وما تخلفه من مآسٍ وويلات، ويعود الناس يعيشون في جو يسوده الحق والعدل، ويرفرف عليه الإخاء والتضامن، وتعود البشرية أسرة واحدة تنعم بالحرية والسلام.

كانون الثاني ١٩٧٢

كنيسة في أزمة!

تعصف بالكنيسة تيارات تتخذ في بعض الأحيان شكلاً من أشكال النقد والتهجم: فما كان بالأمس حقيقة لا ينالها شك، أصبح اليوم مسألة فيها نظر، وما كنا نعتبره في الأمس القريب قانوناً غير قابل للتغير أصبح اليوم موضوع تساؤل؛ وما كان بالأمس تقليداً مقدساً، أصبح اليوم خاضعا للنقاش!

ويرى المحافظون في هذه الظاهرة خروجا عن الطريق السوي: فأن يعاد النظر في قضايا لاهوتية، فتلك هرطقة جديدة! وأن يتساءل أبناء كنيسة القرن العشرين عن بعض القوانين التي لم يطرأ عليها أي تطوير خلال أجيال، فتلك ثورة! وأن تصبح بعض التقاليد موضوع نقاش، فذلك انحراف وتحد!

ولكن مهلاً، فإذا كانت الكنيسة حية، وإذا كان مؤسسها الإلهي لا يزال حياً وحاضراً فيها على مدى الأجيال، فلِمَ الخوف والتردد؟ هل يمكننا أن ننكر على الروح القدس عمله في الكنيسة اليوم كما في الأمس؟

أزمة؟ لا، إنما هي مرحلة النمو تجتاح الكنيسة في كل جنباتها، إنها مرحلة التكيف مع متطلبات العصر، تعيشها الكنيسة بنفحة من الروح. فالكنيسة لا يمكنها أن تبقى مغلقة على ذاتها، ولا أن تواصل مسيرتها، غير آبهة للتطور الذي يجتاح العالم والذي يعد عنصرا من عناصر الحياة. فإذا بقيت الكنيسة متحصنة في برجها العاجي، متجاهلة العالم وتطلعاته، تعرضت رسالتها للجمود والعقم، ويبدأ أبناؤها بالتخلي عنها، فتعزل عن العالم وتخسر دورها في أن تكون الخمير في العجين!

قد يحمِّل البعض المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني مسؤولية هذا التحول، غير أن من يزن الأمور بميزان العقل والحكمة، يرى في هذا التحول منطلقا كان لا بدَّ منه لكنيسة تعيش في عالم اليوم، ويتطلع بأمل إلى الفاتيكاني الثالث الذي سيكرِّس هذا التحول في كل أبعاده.

شباط ١٩٧٢

وإذا صمتم ...

في مطلع "الصوم الكبير" كان المسيحيون قديماً يتمنى بعضهم لبعض "صوماً مباركاً"! ذلك لان فترة الصيام كانت تحتل مكانة كبيرة في حياتهم المسيحية: انه زمن التوبة وفرصة للرجوع إلى الله ودعوة إلى ممارسة أعمال التوبة بكل أشكالها. أما اليوم فأول ما يتبادر إلى ذهنهم، أن يتساءلوا عمّا إذا بقي للصوم من معنى، بعدما خففت الكنيسة من صرامته وعدد أيامه!

إن الكنيسة هي أم المؤمنين، همها أن تحملهم، عن طريق تعاليمها وليتورجيتها وقوانينها، على التعرف إلى المسيح واكتشاف القيم التي تنطوي على تعاليمه، لتحببه إليهم وتدفعهم إلى الإصغاء إلى نداءاته والتجاوب مع متطلباتها في حياتهم اليومية، فتمكنهم من الاشتراك في مفاعيل الفداء الذي حققه بموته وقيامته. وما الصوم سوى فرصة تتيح لهم أن يعودوا إلى المسيح، وينكبوا على حياتهم يستأصلون منها ما عتق وشاخ، ويقتلعون منها ما فسد وانتن، ويزدادون وعيا بمسؤولياتهم المسيحية على كل صعيد: ها ان الفأس على أصل الشجرة، فكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار (متى ٣: ١٠).

فالصوم -بالرغم ما طرأ عليه من تقليص وتلطيف- لا زال زمنا للتوبة، ودعوة إلى الاهتداء، وفرصة إلى ممارسة أعمال التوبة: توبوا، فقد اقترب ملكوت الله! وإذا كانت الكنيسة -رحمة منها بأبنائها وتمشيا منها مع متطلبات العصر- قد خففت من صرامته السابقة، غير أنها لم تخفف من الدعوة إلى التوبة. لذا فمن الضروري
-بعد الالتزام بالقليل الذي فرضته- أن نضاعف جهودنا للبلوغ إلى التوبة الحقيقية التي عليها يقوم مفهوم الصوم في أعمق معانيه، وذلك بالقيام بكل ما يدفع إليها، كقراءة الإنجيل والتأمل فيه، وتبديل مواقفنا على ضوئه، وعمل الخير والإحسان إلى الفقراء، والالتزام بالمحبة والتسامح والانقطاع إلى الصلاة، والاشتراك في الافخارستيا...

هكذا يتخذ الصوم كل أبعاده في حياتنا المسيحية، فيشدنا إلى المسيح ويوثق صداقتنا به.

آذار ١٩٧٢

وتكونون لي شهوداً...

"كان ينبغي للمسيح أن يتألم، وان ينهض من بين الأموات في اليوم الثالث، وان يُكرز باسمه بالتوبة لمغفرة الخطايا، في جميع الأمم، ابتداء من أورشليم. وانتم شهود لذلك" (لوقا ٢٤: ٤٧). بهذه الكلمات أوجز السيد المسيح رسالته على الأرض التي ختمها بشهادة دمه، فكللتها قيامته بإكليل المجد والظفر، وقد وَكَلَ إلى رسله أن "يكونوا له شهودا في أورشليم وفي جميع اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض".

حمل الرسل -وهم شهود القيامة- هذه الرسالة إلى العالم أجمع، بدءا من أورشليم، المدينة الصالبة، وكان أول من أعلنها هو القديس بطرس يوم العنصرة، وبات من الضروري على المسيحيين كافة أن يكونوا شهودا لقيامة المسيح، إذ لا يمكن أن تبقى البشرية تجهل هذا الحدث الفريد الذي غيّرَ مجرى التاريخ.

فإذا كان العالم يجهل المسيح ويتنكر للقيم المسيحية، فلأنه يفتقر إلى رسل يبشرون بإنجيل الخلاص! وإذا كانت البشرية تتسكع في ظلمات الشر والظلال، فلأن المسيحيين ما عادوا حَمَلَة النور إليها! وإذا كانت الشعوب ما زالت تتطاحن وتتنازع، فلأن إنجيل السلام لم يشرق عليها بعد!

إن كنا نرغب في أن يشرق النور على البشرية وتنتشر المحبة بين الناس وتسود العدالة ويرفرف السلام، يجب أن يتغلغل إنجيل يسوع في قلب الجماهير البشرية. ولن يتغلغل، الا إذا أدركنا دعوتنا المسيحية بكل متطلباتها، ووعينا مسؤولياتنا الرسولية بكل أبعادها.

وبكلمة، علينا أن نكون شهود الإنجيل في العالم: نعيشه قبل أن ننادي به! فان هناك مناداة بالإنجيل أكثر قوة وأعمق مفعولا هي شهادة الحياة، أنها مناداة صامتة، ولكنها أكثر بلاغة من الكلام! فان نكون شهود الإنجيل بحياتنا ومواقفنا وتصرفاتنا، تلك هي دعوتنا، وتلك هي المهمة التي أناطها المسيح بعنقنا ولا يمكننا أن نتنصل منها: "فالتبشير بالإنجيل ضرورة موضوعة علي، والويل لي إن لم أبشر".

نيسان ١٩٧٢

يوم الدعوات العالمي

في كل عام، هناك يوم مخصص للدعوات الكهنوتية والرهبانية، تُرفع فيه الأدعية والصلوات، وتتخلله تظاهرات دينية ومعارض ولقاءات ومحاضرات تُبرز من خلالها حياة أولئك الفعلة، الذين، حباً بالمسيح، ساروا على طريق التضحية والتجرد، وأوقفوا كل طاقاتهم في خدمة قضية الإنجيل، بغيرة وسخاء.

تعاني الكنيسة اليوم أزمة حقيقية من جرى قلة الدعوات. ولهذه الأزمة أسباب كثيرة، أهمها قلة السخاء لدى الشباب والشابات، والمفهوم الخاطئ عن حياة الكهنة والرهبان والراهبات... ومن الأسباب ما يتعلق بمفهوم السلطة وعدم ملائمة القوانين والأنظمة مع متطلبات العصر، لاسيما بشأن البتولية؛ ومنها الشهادة المشوهة التي يعطيها البعض من خلال حياتهم التي لا تتسم بالفرح والسعادة، أو التي ينقصها روح التجرد والفقر، إلى غير ذلك...

غير ان مشكلة الدعوات هي مشكلة المكرسين، سواء في الكهنوت أم في الحياة الرهبانية، الذين عليهم يتوقف ازديادها أو تناقصها، إذ عليهم أن يقدموا شهادة ناطقة عن جمال دعوتهم وديناميكيتها في مختلف نشاطاتهم الروحية والرسولية والإنسانية، تدفع بالنفوس السخية إلى السير وراءهم في طريق التضحية. وانقل كلمة الأب بيريجير إلى كهنة جدد عشية رسامتهم:

"احترزوا من أن تكونوا رسلا يضافون إلى الرسل الذين يتكلمون عن المسيح! فكم من كهنة يعطون المسيح دون أن يتكلموا عنه؟ وكم من كهنة لا يعطونه لأنهم يتكلمون عنه دون أن يعيشوه؟ ان المسيح محاط برسل يتكلمون عنه، ولكنه بحاجة إلى رسل يعيشونه".

رأى المسيح حاجة العالم إلى حصادين يعملون فيه المنجل، لذا قال: "إن الحصاد كثير والفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد كي يرسل فعلة إلى حصاده". لعل هذه الصرخة التي أطلقها المسيح تجد آذانا صاغية في النفوس السخية إلى البذل والعطاء.

أيار ١٩٧٢

يوم وسائل الإعلام العالمي

تحتل وسائل الإعلام مكانة مرموقة في حياة المجتمع العصري، وأخذ دورها يتصاعد يوما بعد يوم. فالصحافة والراديو والتلفزيون والسينما والمسرح الخ... كلها وسائل ثمينة في خدمة الحضارة الإنسانية تسعى إلى إشاعة الثقافة بين الناس وتوجيه الرأي العام بما تحمله إليهم من أخبار في سرعة مذهلة، وهي وسائل فعالة في تبادل الخبرات بين الشعوب، كما انها عنصر وحدة بين البشر، وبفضلها زالت الحدود وضاعت المسافات وأصبحت البشرية كلها أسرة واحدة.

ولما كان لوسائل الأعلام الأثر العميق على أفكار البشر وعقلياتهم، والدور القيادي في توجيه نشاطاتهم وتحقيق تطلعاتهم، انبرت الكنيسة تثمن دورها في خدمة رسالتها؛ فخرج المجمع المسكوني بقرار في "وسائل الإبلاغ الاجتماعية"، وتكونت من وحيه "لجنة بابوية" أصدرت إرشاداً راعوياً في كيفية استخدامها لخدمة الإنجيل، ودعا البابا بولس السادس إلى تخصيص يوم عالمي لدعمها وإبراز مكانتها وتصعيد حركتها في نقل البشارة الإنجيلية، بلغة العصر، إلى عالم اليوم.

ونحن، رغبة منا في نشر "الكلمة"، وتجاوباً مع توجيهات المجمع المسكوني، وتلبية لحاجة المؤمنين إلى ثقافة مسيحية أصيلة، جنّدنا طاقاتنا في العمل الصحفي وهو إحدى وسائل الإعلام الأكثر أهمية وتأثيرا، سيما وان كنيستنا في العراق كانت مفتقرة إليه. هكذا صدرت "الفكر المسيحي" لتسد فراغا، ريثما تنافس مجلات أخرى في سد الثغرات الكثيرة في هذا المضمار.

ولما كانت "الفكر المسيحي" ولا زالت تشق طريقها نحو إعلام فعال ومثمر بخطى وئيدة ولكن ثابتة، رأينا أن نتوجه، بمناسبة اليوم العالمي السادس لوسائل الإعلام، إلى كافة قرائنا، وعلى رأسهم السادة الأساقفة والكهنة راجين إليهم أن يمدونا بآرائهم واقتراحاتهم، ويزودونا بنتاجاتهم وبحوثهم، واننا نعلق على مساهمتهم أجمل الآمال لخدمة الثقافة المسيحية في هذا البلد والسير بالمجلة نحو الأفضل، وإنّا لهم من الشاكرين.

حزيران ١٩٧٢

إلى أين يسير "التعليم المسيحي"؟

ما زال "التعليم المسيحي" عندنا يُشَكِّل معضلة من أشد المعضلات خطورة وأكثرها أهمية في خلق مسيحية متجددة تلتقي مع آمال بشرية اليوم. لقد بقي التعليم المسيحي في بلدنا أسير أساليب تقليدية، فلم يستطع أن يتكيف مع متطلبات العصر، ولم يتجاوب مع آمال وتطلعات كنيسة ما بعد المجمع...

فإلى بضع سنوات خلت، كانت مناهج التعليم المسيحي تتخبط في قوقعة من المبادئ التي لا صلة لها بواقع الإنسان المسيحي، وكثيراً ما، لم تكن تحمل في طياتها سوى تقوى عاطفية بعيدة كل البعد عن ينابيع الإيمان الصافية. وكان التعليم يقتصر على ملء أذهان الناشئة بمبادئ هي أشبه بأوامر ونواهٍ، لذا ما عتمت أن هجرتها مع أول هبة ريح! فالإنجيل لم يكن يوما مجموعة من الشرائع والوصايا، إنما هو كلام الحياة؛ فكان على "التعليم المسيحي" أن ينهج على منوال الإنجيل في تقديم بشرى الخلاص، بأسلوب متجدد متطور قريب إلى الأذهان والقلوب.

وفي السنوات الأربع الأخيرة، حين عمدت وزارة التربية إلى إقرار منهج موحد للتعليم المسيحي، لكافة الطوائف في المدارس الابتدائية، كان بوسع الكنيسة أن تغتنم هذه الفرصة الفريدة لوضع مناهج على أسس جديدة تتجاوب في مضمونها وأسلوبها، مع متطلبات التعليم الحديثة، غير أن المنهج جاء وللأسف ارتجالياً وناقصاً.

وإننا إذ نبارك خطوة الوزارة بتعميم منهج موحد، نهيب بأساقفتنا الأجلاء إلى اختيار لجنة تتمثل فيها جميع الطوائف، ممن تتوفر فيهم الكفاءة من كهنة وعلمانيين أخصائيين بأساليب التعليم المسيحي، لإعادة النظر في المنهج الحالي، فيُصار إلى وضع منهج معدل تتوفر فيه كل العناصر التي من شأنها أن تجعل التعليم المسيحي مفيداً وجذاباً.

أيلول ١٩٧٢

هل حقاً ذهبت الأخلاق؟

يتباكى الناس في مجتمعنا على الأخلاق، ونكاد نسمع صرخات هذا التباكي من كل صوب، ولكن قلما نجد من يحلل بموضوعية أسباب هذا التخلي الذي ينتاب بني جيلنا ولاسيما الشباب منهم.

إن ظاهرة التخلي عن كل ما كنا نعتبره رصيد المجتمع، أصبحت أمراً لا يشك فيه اثنان: فالبعض يرى في ظاهرة "التخنفس" خروجاً عن قواعد الآداب! والبعض الآخر يجد في الأزياء والموضات انحرافا عن التقاليد! ويرى البعض في الابتعاد عن الممارسات الدينية دليلا على الإلحاد! كما يرى البعض الآخر في تهافت الناس -ولاسيما الشباب- على دور اللهو ضربا من الإباحية والتخلف الخلقي! وينتهي الجميع إلى القول: أن قد "ذهب" الدين و"ذهبت" الأخلاق و"ذهب" الله وذهبت معه كل القيم والمثل الإنسانية...

غير أن من يراقب عن كثب هذه الظاهرات ويرصد أسبابها العميقة، يجد، في أصل هذه الثورة على كل قديم وفي هذا التحول عن كل التقاليد والنظم، نداء عميقا إلى تجاوز الذات وعطشا إلى الحرية وجوعا إلى الحقيقة. فلا الله "ذهب" ولا الدين "ذهب" ولا الأخلاق "ذهبت"! إن ما "ذهب" هو ذلك التقليد الذي باسمه نريد أن نُخضع شبابنا للدين والأخلاق.

إن شبابنا لم يعد يحتمل الإيمان بقيم ومثل من غير تساؤل أو نقاش، ولم يعد يرضى بأن تفرض عليه قواعد في السلوك إن لم يُعمل فيها أولا نظرة الناقد والباحث. فعوضا عن أن نتهمهم بالانحراف، علينا أن نتفهمهم ونساعدهم في بحثهم عن المثل الأصيلة المجردة عن الزيف الذي لصق بها، فشوهها وحملهم على الثورة عليها والتحول عنها.

إنها معاناة حقيقية يخضع لها مجتمعنا، ولا ننكر ما تحمله في طياتها من مخاطر، غير اننا نؤمن بأن المخاطر الناتجة عن اللامبالاة بها -والاكتفاء بالتباكي- هي أكثر وبالا من تلك.

تشرين الأول ١٩٧٢

ماذا ننتظر بعد؟

في الشهر الماضي أصدر مجلس قيادة الثورة القانون رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٢ لتنظيم العطل الرسمية في قطرنا، وبموجب هذا القانون حصلت الطوائف الدينية، ومنها لأول مرة، على حق التمتع بأعيادها ومواسمها عطلة رسمية، بالإضافة إلى العطل الرسمية القومية وعددها ١٧، منها عشرة أعياد دينية وسبعة مدنية، يضاف إليها يوم الجمعة من كل اسبوع. وهكذا أعترف القانون بثلاثة عشر يوماً في السنة لاخوتنا اليزيديين وبستة لاخوتنا الصابئة وبخمسة لاخوتنا الموسويين وبثلاثة أيام للمسيحيين: عيد الميلاد ويومي عيد القيامة. أما عيد رأس السنة الميلادية، وهذا حدث جديد وهام، فقد أصبح عيداً قومياً لكافة دوائر الدولة ومؤسساتها.

لقد عمت الفرحة أرجاء القطر عقب هذا القرار الذي أتى يجسد، مرة أخرى، أرادة حكومتنا الوطنية الجادة في ترسيخ الوحدة الوطنية على أسس إنسانية واجتماعية، مستوحاة من واقعنا العراقي وتاريخنا النضالي المشترك. إنها حريصة كل الحرص على أن ترفع كل عراقي، مهما كان دينه أو قوميته، إلى مستوى المواطن الحق الأصيل الذي يتمتع بحقوقه، كما يؤدي واجباته. فتحية اكبار وتقدير لهذه الإرادة الصامدة!

ماذا ننتظر بعد؟ إننا ننتظر مأثرة أخرى من مآثر الثورة وهي ان تعمم التعليم الديني لجميع طلابنا المسيحيين في القطر، ليس فقط في المدارس التي أكثرية طلابها مسيحيون، كما سبقت وفعلت مشكورة، وتُدخل هذه المادة في برامج الامتحانات الرسمية، وذلك أسوة بسائر زملائهم المسلمين، لئلا يصاب أحد في حقه، ولأننا نؤمن أن مواطناً دَيِّناً لا يمكن إلا أن يكون مواطناً صالحاً. ومن جهة أخرى نهيب بالسادة الأساقفة أن يتحركوا، كواحد، في هذا الاتجاه لضمان عمق المسيحية وأصالتها. وإننا لواثقون من أن القيادة الوطنية تؤيد كل خطوة من شأنها ترسيخ الوحدة والحرية واشتراك الجميع في خيرات البلد وبناء مستقبله الروحي والاجتماعي.

تشرين الثاني ١٩٧٢

ملاحظة: بدءاً من هذا الشهر وحتى كانون الأول ١٩٧٦ كتب الافتتاحيات الأب جرجس القس موسى

... إذ لم يكن لهما موضع

قد يكون إحصاء أوغسطس قيصر هو الأول من نوعه الذي يقدمه لنا التاريخ، بهذا النظام وهذا الشمول: على كل مواطن في أرجاء الإمبراطورية الرومانية أن يعود إلى مسقط رأس آبائه ليكتتب هناك: من الفرات إلى التايمز، ومن أعالي الأناضول وأواسط أوربا إلى ضفاف النيل وحوض المتوسط.

وتحركت "المسكونة"، "وأخذ الجميع ينطلقون، كل واحد إلى مدينته، وصعد يوسف أيضا من الجليل إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم -فإنه كان من بيت داود ومن عشيرته- لكي يكتتب مع مريم امرأته، وبينما كانت هناك تمت أيام وضعها، فولدت ابنها البكر، فقمطته وأضجعته في مذود، إذ لم يكن لهما موضع في النزل".

اننا على أبواب عيد الميلاد. وقبل أن يحل كانون، بدأنا نفكر أين سنقضي السهرة، وماذا سنأكل ونشرب، وأي موديل سنلبس، وأية بطاقة سنرسل، أو أي لون سنختار لستائرنا، وأي تصميم لشجرة الميلاد. في ذلك اليوم سيكون "اثنان" لا موضع لهما يبحثان عن "قبة"، في زحمة بغداد، تقيهما لفحات الشتاء ولا يجدان؛ آخرون سيأكلون خبز الكلاحين نفسه الذي أكلوه في الأيام السابقة ولن يلبسوا سوى ثياب البارحة. غيرهم سينامون "من وقت" لينسوا ان نهار الغد عيد!

لقد اعتدنا أن نقول بأن رسالة الميلاد هي رسالة محبة وأخوة، فهلا فهمنا ان هذه الرسالة تجسدت؟! ماذا لو استضافت أسرة مسيحية ميسورة أسرة أخرى فقيرة في العيد، كما كان يصنع المسيحيون في السابق؟ ماذا لو كسونا بعض الفقراء من ثيابنا ومالنا كهدية لهم في الميلاد؟ ماذا لو مارسنا هذه "الاخوة" وتركنا ترفهنا واكتفاءنا الذاتي، لنفكر في غيرنا وزرنا اخوتنا الفقراء في دورهم أو في المياتم ودور العجزة وحملنا إليهم فرح الميلاد... إذن لشعروا أن لهم موضعا في قلوبنا.. وفي المجتمع!

كانون الأول ١٩٧٢

١٩٧٣

مع إطلالة العام الجديد

مع إطلالة العام الجديد يحمل إليكم هذا العدد الجديد من "الفكر المسيحي" صورة لما تسعى إليه مجلتكم: أن تكون منبراً للفكر المسيحي المعاصر، وملتقى لرواد الكلمة وعشاق الحق والنور. لقد دأبت "الفكر المسيحي"، منذ ظهورها، على مواكبة مسيرة الكنيسة والعالم، وطرقت أبوابا عديدة بصراحة وموضوعية كانت السباقة في معالجتها، ولم تخل مسيرتها هذه من العراقيل والمشاكسات، شأن كل من يتحرك ويطمح؛ فقد قيل بأنها تسبق الموكب بفراسخ، وقيل بأنها متخلفة عن الركب بأميال، وقيل أيضاً بأنها تسير بخطى ثابتة وجدية وجريئة... اننا لم ندعُ الكمال بشيء... بل نحن إليه تائقون؛ فتلك الآراء تنير دربنا وتعيننا على اكتشاف "حجمنا" وتقييم "موقعنا"، والسعي، من ثم، نحو التقويم والتجديد والتعمق والأصالة في تقديم الفكر المسيحي.

ورغبة منا في السير في منطق هذه الأصالة والجدية في البحث، فتحنا باباً جديداً، هذا العام، هو باب الكتاب المقدس، يحرره اختصاصي متبحر في علم "الكتاب"، واستحدثنا باباً آخر هو باب "أفكار" خلفاً لباب "همسات"، يتطرق فيه محرره إلى قضايا الساعة كما يراه الراصد النزيه، وتوجهنا إلى شخصيات أخرى معروفة بجديتها وعمق ثقافتها لتحرير أبواب أخرى "كملف العدد" و "شخصيات" و"صفحة الآباء" والقضايا الفكرية والكنسية والاجتماعية و"صندوق الأسئلة" الذي ستخصص له صفحتان عوضاً عن واحدة، كما سنستجيب إلى رغبة العديدين ونزيد صفحات الأخبار، وسنطوّر باب "بين المجلة والقراء"، وسنعمل جاهدين على زيادة التحقيقات والمقابلات والأبحاث الدراسية التي من شأنها أن تشد اهتمام القارئ وتقدم له الغذاء المنتظر.

هذا وإننا إذ نستقبل كل نتاج جيد نرحب بكل اقتراح ونقد.

وكل عام وأنتم بخير...

كانون الثاني ١٩٧٣

استراحة المحارب

بغتة سكتت أجراس المدارس وعاد السكون يخيم على قاعات الصفوف، وخلت الساحات الصاخبة من الضجيج والدندنة، وانطلقت وسائل النقل المختلفة تسابق الريح ذهاباً وإياباً في أرجاء القطر حاملة ألوف الطلبة والأساتذة إلى ذويهم، لينفضوا عنهم تعب امتحانات نصف السنة، وليجددوا ما استنفذه السهر الطويل والجهد المتواصل: إنها استراحة المحارب الذي يخلو إلى نفسه بعد كل معركة، ويجدد قواه وخططه للمجابهة المقبلة.

أجل، مجابهة حقيقية هي الثقافة والعلم، وهذه المجابهة تتخذ طابعاً ثورياً في بلدنا الذي آلى على نفسه أن يودع التخلف والجهل إلى غير رجعة. فالعالم اليوم تسوسه الأفكار، ولا يمكن لأي أمة أن تحيا وتخلق وتساهم في حمل الإنسانية نحو الأفضل إلا بسلاح العلم والتخطيط، فالمعركة الحقيقية تكمن بين المعرفة والجهل. ولقد فطن العراق إلى هذا الواقع، فكانت انطلاقة "الثورة الثقافية" منذ الستينات، لاسيما في السنين الخمس الماضية، حيث تضاعف عدد المعاهد العالية على اختلاف اختصاصاتها، وصار للقطر خمس جامعات وطنية، ونبتت المدارس كالزرع الجيد، في كل مكان تقريباً، استعداداً للخطوة الكبرى في تعميم التعليم الإلزامي. وقد جاءت حملة مكافحة الأمية تجسيداً آخر لهذه الإرادة في ديمقراطية التعليم وقطع الطريق على التخلف والركود.

... والمطلوب الأكبر الآن، في تخطيطنا للمستقبل، هو الأخذ بكفي الميزان: السير حثيثاً في سياسة نشر التعليم والتوعية، وفتح المزيد من مجالات استثمار الطاقات الثقافية والعلمية والتقنية لدى شبابنا، لئلا نخلق طبقة جديدة من العاطلين المثقفين –وهذا يتطلب تخطيطاً علمياً شاملاً بعيد المدى، وسرعة في التنفيذ...

إننا لا زلنا في بدء الطريق!

المحرر — شباط ١٩٧٣

الحادي عشر منه

وكأن آذار كله أوجز في الحادي عشر منه.

... وأسم الحادي عشر من آذار، عندما تسمعه أو تراه مسطراً في موضع ما، أمسى يوحي إليك بجمهرة من الصور المتداخلة: عربي وكردي يرقصان سوية رقصة السلام والتآخي، جبال اسطورية صلدة هناك في الشمال البعيد، أناس طيبون شجعان، كلامهم غناء وحبهم دبكة وإيقاع، عيون رقراقة وجداول كالحيات تتلوى، وقمات شاهقة تشهد آخر أنفاس الشمس، وليالي ساحرة بنجومها المتلصصة وأقمارها الحالمة: إلهام للشعراء وهناء للعاشقين وعافية للأعلاء... وتتهافت أسماء دخلت في قاموس العراقيين تحمل أكثر من ذكرى وصورة: شقلاوة، سرسنك، صلاح الدين، كلالا، بيخال، أشاوا، دوكان، سرجنار... وأسماء مناطق أخرى لا تقل سحراً، إلا أنها لا زالت في سر أهاليها، لأن الطرق لا تصلها، والمخبرين الصحفيين لا يحسنون ركوب البغال ليكتبوا عنها ويصوروها: سناط، بردا، أحمد آوا، كاني ماسي وغيرها وغيرها... والحادي عشر منه ينقلك أيضاً إلى صورة أخرى من العلاقات تشبه تكسرات رسم تخطيطات القلب، في هبوط وارتفاع: هذه هي الحياة، ولعل تلك "التكسرات" من مقومات الحوار.

ولكن الحوار، إن كان أخذاً وعطاء وسماعاً وانفتاحاً، فهو ليس كذلك إلى ما لا نهاية! انه أيضا خطوة من هنا وخطوة من هناك ليلتقي الطرفان في نقطة واحدة، ومن ثم ينطلقان جنباً إلى جنب نحو هدف واحد هو رص هذه الوحدة العراقية التي لا تبلغ كمالها إلا إذا وجد كل عراقي، أياً كان عرقه ودينه وقوميته ولغته واتجاهه الفكري، محله الكامل باطمئنان في البناء الواحد. وهذه الوحدة الواعية التي تثمن كل مواطن وتحرص على كل شبر، ستجعل جنة الله في الشمال منطقة مفتوحة لكل طالب سلام، من دونها لن يعي أحد، لا في الشمال ولا في الجنوب، ما معنى الطرق المعبدة والمعامل والمنشآت السياحية والصحية واستغلال الثروات المائية والمعدنية والحيوانية والزراعية ورفع المستوى الإنساني والاجتماعي... في تلك الجبال!

آذار ١٩٧٣

الحياة الجديدة

فلنفرح ولنسبح، ولنرقص ولنبتهج ولنهتف ولندع كل البرايا لتفرح معنا وتمجد": المسيح قام من بين الأموات وأحيا الذين هم في القبور. إن هذه الأنشودة، بل هذا الهتاف الذي تضعه الكنيسة على أفواهنا في ليتورجيات القيامة لهو أبلغ تعبير عن الفرح العارم الذي يجتاح المؤمن بانبعاث "معلمه" حياً بعد ثلاثة أيام. ولهذا الانبعاث أكثر من مغزى وأكثر من نداء. مغزاه انتصار الحق الصامد على الحقد والمراوغة، مغزاه ان الموت من أجل العقيدة والأحبة ليس موتاً بل حياة وفداء، وهو نداء إلى تجاوز الحزن إلى الفرح، نداء إلى كسر طوق الأنانية، فنبشر كل خليقة "بالفرح العظيم" وتشترك "كل البرايا" معنا في تمجيد من بعث الحياة "في الذين هم في القبور"، انه نداء إلى الحياة الجديدة.

والحياة الجديدة في المسيح التي يدعو إليها في قيامته هي أن "نخلع عنا، كما يقول بولس (أفسس ٤: ٢٠)، ما هو من أمر حياتنا السالفة، الإنسان العتيق"، إنسان الشهوات والبغضاء، إنسان الخمول والانطوائية، إنسان اللامبالاة والتهرب من المسؤولية، إنسان الطمع والكبرياء والسطحية، "فنتجدد في صميم أذهاننا، ونلبس الإنسان الجديد"، إنسان البر وقداسة الحق، إنسان التضحية والحب، إنسان التسامح والإخاء، إنسان العطاء والمسؤولية، إنسان الكلمة النيرة والبناءة، إنسان الحوار والسماع والالتزام، إنسان الفرح والرجاء، لا إنسان البكاء واليأس.

هذه هي الحياة الجديدة التي يعرضها علينا "المعلم" في ذكرى قيامته المجيدة: انها بطاقة العيد التي يرسلها إلى كل مسيحي ومسيحية موقعة بدمه. أفَلَعلّكم تدعونها من دون جواب!

نيسان ١٩٧٣

لماذا ؟

قلّما اجتمعت كلمة شعب على إلقاء سؤال واحد يتكرر كل عام، وفي كل عام تسبق السؤال لوعة انتظار نحلم في ليالينا وفي يقظاتنا لو استجيب إليها! وتشتد لوعتنا عندما نعرف شرعية السؤال ونجهل تفسير الصمت الذي نجلبّه به أو فتاوى التعليلات التي تتركنا على ظمأنا... عيل صبرنا، وإلى متى، ولماذا؟

نصف مليون "لماذا" سئلت في العراق في غضون اسبوع واحد (من ٢٢–٣٠ من نيسان المنصرم): "لماذا لم نعيّد سوية؟". وإلى النصف مليون انضم تسعة ملايين جاراً يسألوننا: "لماذا أنتم المسيحيين لم تعيّدوا سوية؟". وليس شعبنا وحده يسأل. شعوب الأرض طراً تسأل: لماذا؟...

بماذا أجبنا وبماذا نجيب؟ –المسيحي العادي يجيب: لا أعلم. والكاهن يجيب: المسألة ليست بيدي. والأسقف يجيب: القضية قيد الدرس.

منذ متى والقضية تُدرس؟ –منذ عشرات السنين... وبالتخصيص منذ ١٩٦٥، أنشأ الفاتيكان لجنة من الخبراء لدراسة إمكانيات توحيد عيد الفصح بين جميع المسيحيين، وتمت اتصالات بين بطاركة الشرق، أرثوذكس وكاثوليك، ومع مجلس الكنائس العالمي، وعقدت مؤتمرات ودراسات في سويسرا وفي أديس أبابا وفي زوايا أخرى من الدنيا، وقيل بأن الجميع متفقون على المبدأ، ما خلا بعض التردد لدى كنيسة اليونان...

بعد ربع قرن من الحرب وثلاث سنين من المفاوضات الشائكة وُقّع على السلام في فيتنام، وهو الآن قيد التنفيذ –أفَلَمْ مسألة توحيد عيد الفصح أكثر تعقيداً!...

فصوتنا الذي هو وتر من صوت كنيسة العراق، نضمه إلى الرأي العام المسيحي والعالمي، إلى الذين يدرسون القضية، ونستحث همتهم وعلمهم وحرصهم على ان يكون هذا الفصح آخر فصح نأكله على وجبتين، فنقول من ثم كلنا سوية وفي فجر واحد: "قام المسيح حقاً وصحيح".

المسيحي أيار ١٩٧٣

مغتربون في ديارنا ؟!

منذ خمسة عشر عاماً، مرت على بلادنا أحداث خطيرة، وتفاعلت فيها أفكار وطموحات وايديولوجيات متباينة، وشهدت صراعات عنيفة خرجت منها أخيرا إلى نظرة أكثر وضوحاً وإرادة أصلب عوداً لبناء المجتمع الجديد المتطور في خط اشتراكي واضح. والتطور الذي يشهده قطرنا هو تحول جذري أكثر منه تصحيحاً "رتوشياً" بسيطاً لبعض الجوانب. ويشمل جميع مرافق حياة مجتمعنا الاقتصادية والسياسية والفكرية والفنية والوطنية والاجتماعية والتربوية؛ في الريف وفي المدينة، في الزراعة وفي الصناعة، وفي طبقات المجتمع كافة، على اختلاف قومياتها ولغاتها وأديانها، بحيث تنصهر كلها جميعاً في بوتقة وحدة وطنية متراصة...

ولكن إزاء هذا التحول الحتمي في العقليات والمفاهيم، بوسعنا أن نقول بأن الكنيسة عندنا، برجالها ومفكريها، تقف، إلى حد بعيد، وقفة المتفرج، او المغترب الذي لا يعي ما يدور حوله.

مغتربون في ديارنا! سنبقى كذلك، وستتحول مسيحيتنا إلى مومياء، إن لم تقرأ الكنيسة علامات الأزمنة وتتفاعل مع أبعاد هذا التحول. ليس لها، بصفتها مجتمعاً روحياً دينياً، أن تلتزم سياسياً أو اقتصادياً، أو تحدد لأبنائها ذلك، بل يتحتم عليها ان تعمل، بكل قواها الروحية والرسولية والفكرية، على إنارة درب أبنائها الذين يقفون أمام مفترق طرق، أو يشعرون بأنفسهم غرباء عن مجتمعهم.

إننا بحاجة ماسة جداً إلى دراسات جادة –على صعيد مؤتمرات وبحوث واجتماعات، كهنوتية علمانية، يدعو إليها ويترأسها آباؤنا الأساقفة– لمعطيات هذا "التحول" ووضع أسس منسجمة وأساليب جديدة لإعطاء الثقافة المسيحية المتكافئة والعمق الروحي لجيل اليوم والغد.

حزيران ١٩٧٣

سنة مقدسة للمصالحة

في التاسع من أيار الماضي، أعلن البابا بولس السادس نبأ الاحتفال بالسنة المقدسة عام ١٩٧٥. والسنة المقدسة تقليد كنسي أسسه البابا بونيفاس الثامن عام ١٣٠٠، كانت قمته في حج توبوي يقوم به المؤمنون من كل صوب إلى ضريحي الرسولين بطرس وبولس. وفي يوبيل عام ١٥٠٠ أضيفت إليه زيارة كنائس روما الكبرى للصلاة والاستغفار. والسنة المقدسة المسيحية تنبع من تقليد كتابي كانت تخصص بموجبه سنة يوبيلية للراحة وإعادة تقسيم الأراضي لكبح جشع المستغلين وإيفاء الديون وتحرير العبيد (الاويون ٢٥: ٨).

ففي خط هذا التقليد الروحي الاجتماعي تدعو الكنيسة أبناءها كل ٢٥ عاماً إلى رفع أبصارهم إلى الله وتجديد عزائمهم في نشدان البر والعدل، وقد جعل البابا بولس شعاراً/هدفاً لهذه السنة هو المصالحة، المصالحة مع الله والمصالحة مع البشر. والجديد في إعلان هذه السنة المقدسة هو ان البابا افتتحها منذ العاشر من حزيران الماضي (عيد العنصرة)، أي قبل موعدها بعامين، خلافاً للعادة، وذلك ليتسنى للكنائس المحلية العمل منذ الآن لتحقيق أهدافها، فتأتي احتفالات روما عام ١٩٧٥ خاتمة وتتويجاً لها. والجديد الآخر هو أن قداسته دعا إلى الاشتراك في هذا التجدد وهذه المصالحة، لا الكاثوليك فقط، بل جميع الاخوة المسيحيين وكل المؤمنين بالله، بحيث يكون عام تقارب مسكوني اكبر وتوثيق امتن لعرى الإخوة بين البشر. فقد قال قداسته في خطاب إعلانه النبأ:

"إننا بحاجة قبل كل شيء إلى تمكين علاقات أصيلة، حيوية وسعيدة مع الله، وان نتصالح معه في التواضع والحب لكيما، انطلاقاً من هذا الانسجام المبدئي، تفصح تجربتنا عن التزام حياتي، وتستمد قوة للمصالحة، في المحبة والعدالة، مع الناس الذين ندعوهم بهذا الاسم المتجدد: اخوة. وهكذا تتحقق المصالحة على صعيدات أخرى واسعة وواقعية: في الجماعة الكنسية نفسها، في المجتمع، في السياسة، في الحركة المسكونية، في السلام".

أيلول ١٩٧٣

أم البيت!

ما كدنا ننتهي من طبع عدد أيلول، وكنا لا زلنا في معمعة إطلاق العدد إلى الأصدقاء المشتركين، حتى حضر عامل المطبعة ومعه تعليمات باستلام المواد الجديدة لعدد تشرين الأول، هذا الذي بين يديك، فعلق زميلي مدير الإدارة: مثل أم البيت، ما تكاد تفرغ من تقديم وجبة طعام لأولادها حتى تفكر بالقادمة!...

وتخطى تفكيري عتبات "الفكر المسيحي" إلى العالم الأوسع، إلى الكنيسة "الأم" التي تعانق باهتمامها وحبها كل أمة وشعب، وتعمل ليل نهار لتوفر لبنيها وبناتها، وللبشرية جمعاء، ولاسيما للفقراء والضعفاء، غذاء ينعش، ونوراً يَهدي، وكلمة تُهذّب، وفكراً يتجدد أبداً. الكنيسة، وإن كان عمرها يتجاوز الأجيال، فهي أم شابة، قريبة من بنيها، تتطور مع تطورهم... ومنفتحة تتجاوب مع متطلبات إنسان كل عصر ومكان.

في تشرين الأول المقبل (١٩٧٤) ستنعقد في روما الجمعية العمومية القادمة لمجمع الأساقفة، وسيكون موضوع المناقشات في هذه الدورة "تبشير العالم المعاصر بالإنجيل". وسيبحث الأساقفة المنتدَبون أنجع الطرق الكفيلة بإيصال رسالة المسيح إلى جميع الناس عبر كلمة يفهمها الناس، وعقلية تنسجم مع طموحاتهم وحاجاتهم وهكذا تكون الكنيسة، كأم البيت، متحفزة دوماً، متهيئة، منصتة إلى نداءات بنيها...

ما يحرك الكنيسة الجامعة، نتوق أن يحرك كنائسنا المحلية بجميع قطاعاتها، فتتضافر جهودنا جميعاً، أساقفة وكهنة وشعباً، ونتبذ أخيراً هذا التخلف المزمن، قبل أن يستحيل سرطاناً مميتاً. سينبذنا أبناؤنا وأحفادنا أن نحن ما شعرنا بمسؤولياتنا تجاه كنيسة المسيح، هنا، وتركنا الشعلة تنطفئ، بتقاعسنا أو لا مبالاتنا، أو بقصر نظرتنا وخوفنا من مجابهة المشاكل. من لا يتجدد يهرم، والهرم موت بطيء!...

تشرين الأول ١٩٧٣

عيد سعيد وفطر مبارك

للعالم الإسلامي شهر مميز، في كل عام، يرفع فيه أبصاره وقلبه نحو العلاء مستغفراً الله، مستمطراً عفوه ورضاه ومستذكراً أسم الله جل جلاله، ليل نهار. ففي شهر رمضان الذي دعي، ونعم التسمية، شهر التوبة والغفران، يدعو المؤذن المؤمن إلى دعم صومه بالصلاة، عدة مرات آناء الليل وأثناء النهار. والصلاة هي آخر فعل يقوم به الصائم قبل إفطاره، ذلك لأن هذا الصيام، إنما لأجل تمجيده تعالى أقبل وفي سبيل استغفاره صيم.

جمال رمضان، وجمال كل صوم، هو أن يتم لوجه الله! أن يدعمه الإخلاص والعمل الصالح؛ أن يكون فرصة التقاء القلوب مع الله ومع الناس. أليس الإفطار الجماعي الذي يُحتفل به، أو التقاف ذوي القربى والأصحاب حول مائدة الإفطار، في أعشية رمضان، رمزاً للأخوة والمحبة بين المشتركين به.

سيطلق هذا العدد مع إطلالة عيد الفطر المبارك! فإلى جميع إخواننا المسلمين في كل مكان، ولاسيما إلى مواطنينا منهم، في كل قرية ومدينة، أسمى آي التهنئة والسعادة ودوام المحبة والاخوة.

المحبة والاخوة، أعز أمانينا، نستمدهما من إلهنا الواحد الأحد نعمة لهذا العيد السعيد، لنا نحن معشر المؤمنين جميعاً، مسلمين ومسيحيين، فنعيش سوية كأعضاء أسرة مؤمنة واحدة متراصة الكلمة، موحدة الإرادة، ونبذ عنا كل روح قبلية أو أنانية. بالمحبة والاحترام المتبادل والإخوة بيننا جميعاً، مهما اختلفت أدياننا أو قومياتنا أو نهجُنا الفكرية، يرتفع صرح مجتمعنا العراقي الأفضل، ونبني السلام.

تشرين الثاني ١٩٧٣

رسالة مفتوحة...

قراءنا الأعزاء، أصدقاءنا! إليكم أعطر تحية وأخلصها

إن التقاءنا كل شهر منذ تسع سنوات أقام بيننا وشائج صداقة خفية. ويسرنا في هذه الرسالة -ونود أن تعتبروها بمثابة رسالة شخصية لكل مشترك وقارئ- أن نحييكم ونسجل لكم تقديرنا وشكرنا، سواء واكبتمونا منذ الخطوة الأولى عام ١٩٦٤ أو رافقتمونا في عرض الطريق. "الفكر المسيحي" ولدت لأجلكم، وبواسطتكم نمت وشبّت، وبكم ستتمكن من السير إلى الأمام! لذا ندعوكم إلى موافاتنا بآرائكم واقتراحاتكم فيها، مبنى وإخراجا، وسنعمل بها ما استطعنا. كما وإننا نجدد دعوتنا المخلصة والجادة إلى جميع ذوي الأقلام والكفاءة لتزويدنا بالمقالات والأبحاث التي يرونها مناسبة ورسالة الفكر المسيحي.

لقد حمل إليكم العدد الماضي تحية ونداء لتجديد اشتراككم وتوسيع نطاق المشتركين. إننا نجدد هذا النداء، ونهيب بكم أن تنضموا إلينا في حملتنا للبلوغ إلى ٣٠٠٠ مشترك في العام ١٩٧٤. سيتم ذلك وأكثر إذا أهتم كل مشترك في تجديد اشتراكه وإشراك صديق جديد واحد فقط. كثير من المؤمنين والأصدقاء والأسر المسيحية والشباب، في النوادي والكليات والمعاهد والمؤسسات والمدارس والأخويات، لا يعرفون المجلة بعد، وهم مع ذلك يبحثون عن منشورات تعكس لهم الفكر المسيحي بلغة العصر وتفتح آفاقهم على العالم ودور الكنيسة فيه: قدموا لهم مجلة الفكر المسيحي.

واسمحوا لنا أخيراً ان نسترعي انتباهكم في هذه الرسالة إلى ثلاثة أشياء وهي:

أولاً: إعلامنا أو إعلام الوكلاء حين تتبدل عناوينكم، وإلا فكيف تصلكم المجلة بانتظام.

ثانياً: نرجو من المشتركين بالبريد ان يتلطفوا ويرسلوا لنا كلمة في شهر كانون الأول من كل سنة عن رغبتهم في تجديد اشتراكهم وطريقة إيصاله إليهم.

ثالثاً: نرجو من كل مشترك لم يسدد بعد اشتراكه لهذا العام أو للأعوام السابقة أن يتلطف بتسديده، إما بحوالة بريدية على عنواننا او بواسطة الوكلاء.

هذا ونعلمكم أن كل صديق يشرك ١٥ شخصاً ويتعهد بإيصال الأعداد إليهم يحظى بإشتراك مجاني.

ودمتم جميعاً أصدقاء ومناصرين لمجلة "الفكر المسيحي"، مجلتكم.

كانون الأول ١٩٧٣

١٩٧٤

الشمعة العاشرة

مع هذا العدد، نشعل الشمعة العاشرة في عمرنا الصحفي. ومنذ "الكنيسة عبر القارات"، أول عدد أطلقناه في كانون الثاني ١٩٦٤، و"الفكر المسيحي" تواكب كنيستنا في العراق في أدق مراحل وجودها؛ وقد ساهمت، في ما هو لها، في إيقاظ الوعي المسيحي، ولربما في إثارة هذا النقد الذاتي الذي يسبق كل إصلاح وبناء. لقد رسمت لها هدفاً منذ البداية وهو الانفتاح على قضايا الإيمان والحياة كافة برصانة وموضوعية، وان تعكس الوجه الجديد المتطور للكنيسة، وتقدم الإنجيل للناس بلغة الناس وبحسب عقلية اليوم ومتطلباته: هذه هي هويتها. إن الاهتداء وبناء ملكوت الله في القلوب، اللذين دعا إليهما يسوع المسيح، لا يتحققان إلا بتجاوز الذات هذا.

لقد أخذت كنيستنا حقاً، في العراق، تتحرك في اتجاه هذا التجاوز، وشهدت في السنوات الأخيرة وعياً متزايداً لدى علمانيين وكهنة، ولقد تُرجم هذا الوعي في أماكن عدة برغبة ملحة في التعمق الإيماني والروحي وفي التثقيف الديني والالتزام الفعال ببناء المسيحية الجديدة...

إنها علامات صحة تحتاج إلى كل التفهم والرعاية والدعم من قبل الجميع، رعاة ومؤمنين، لبناء مستقبل مشرق للمسيحية الملتزمة في بلادنا، ولجلي الإيمان ومزجه في الحياة.

و"الفكر المسيحي"، وهي في عامها العاشر، تجدد التزامها بالمساهمة بكل طاقتها في بناء هذا المستقبل، وترحب بكل كلمة أو رأي أو نقد أو بحث يدعم خطاها أو يوضح دربها في هذا المسعى.

وكل سنة وأنتم بخير.

كانون الثاني ١٩٧٤

أفرام وحنين

في الثالث من الشهر الحالي، يحتفل العراق بإحياء الذكرى المئوية السادسة عشرة لوفاة الملفان السرياني الألمع مار أفرام، والمئوية الحادية عشرة للطبيب السرياني حنين بن اسحق. وهكذا يلتقي في مهرجان واحد، وفي بغداد الفكر والإشعاع، علمان من أعلام الفكر الديني والعلمي وصنّاع الكلمة الشاعرة والصريحة. وقد بذل مجمع اللغة السريانية العراقي أقصى جهوده لإخراج هذا المهرجان قومياً أصيلاً. ويشترك مع العراق في إذكاء هذه الشعلة نخبة من الباحثين والمستشرقين، من عرب وسريان وأجانب، من مسيحيين ومسلمين.

إن هذا الالتحام الذي يشهده قطرنا، سنة بعد سنة، بين المواطنين على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، في شتى المناسبات القومية والوطنية والدينية، قد تخطى الأطر الرسمية وأمسى يتغلغل في ضمير المواطنين وينعش وعيهم المتزايد بأنهم شركاء جميعاً في البيت الواحد، على قدم المساواة، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين. ونحن في هذا الدرب نسير بخطى ثابتة نحو اليوم الذي تسقط فيه كل الحواجز المتبقية والمخلفات الرجعية والافضليات التقليدية، إرث عقليات الاقطاع والتخلف، فيأخذ كل مواطن موقعه الطبيعي في حياة أمته، وحجمه حجم عطائه وإخلاصه وكفاءته.

هذا ما كنا نطمح إليه دوماً. ولا شك ان الفضل الأكبر في الإصرار على تحرير الإنسان العراقي من تبعات التفرقات واللاتكافؤ يعود إلى السلطة الثورية الوطنية، وقد ساهمت وسائل الإعلام وتساهم إلى حد كبير في صياغة هذا المواطن العراقي الجديد، وعلى كل منا أن يكون رسول بناء وتلاحم، فينفتح إلى أخيه المواطن الآخر ويحترم معتقده وحرياته. فالوطن للجميع وكلنا لله.

شباط ١٩٧٤

السلام + الثقة = البناء

لغيرنا أن يعلق على الأبعاد السياسية لبيان ١١ آذار، إلا أننا نعلن جهراً بأن رجالاً إرادتهم من فولاذ وقلوبهم باتساع أرض العراق كلها، بجبالها وسهولها، من الجانبين، جانب السلطة الثورية وجانب الحركة الكردية، حطموا بوعي ومسؤولية حواجز الأحقاد وشقوا صفوف الرجعية والاصطياد في الماء العكر، إلى أجواء السلام والتآخي. وجاءت الخطوات تترى، تكرس مبدأ التكافؤ، ليس بين العرب والأكراد فحسب، بل بين جميع العراقيين على اختلاف قومياتهم.

والسلام ليس مجرد إيقاف الحرب، أو فتح الطرق للتنقل بأمان، إنما السلام فوق كل شيء فعل ثقة متبادلة؛ ومتى ما اجتمع السلام والثقة، أمكن البناء والعمل المطمئن الهادف لعراق موحد متطور قوي. العراق بلد نام، في جميع ميادينه الاقتصادية والسياسية، الصناعية والزراعية، السياحية والفكرية... وقد عانى كثيراً من عقم الاستعمار العثماني ومصلحية الاستعمار البريطاني؛ ورزح العراقي طويلاً، من جراء ذلك، تحت نير الجمود والتخلف واللامبادرة وعقدة العجز واللاثقة بالنفس. وقد بات لزاماً علينا اليوم، تحت طائلة الموت، أن نكثف جهودنا كلنا سوية لبناء هذا البلد وخدمة مصالحه وتأكيد سيادته الكاملة. إنه بحاجة إلى جميع أبنائه: فالاشتراكي والكردستاني والماركسي، العربي والكردي والسرياني والتركماني والأرمني، المسلم والمسيحي، كلهم مدعوون إلى أن يتكاتفوا باحترام وثقة لبناء العراق الحديث، بشماله وجنوبه. كل بناء يرتفع بالتخطيط، وكل خلاف يُحَلّ بالحوار والتفاهم والانفتاح. فلا ضير في وجود اختلافات في وجهات النظر والمنطلقات الفكرية وحتى العقائدية، إن كان الكل يجتمعون في وحدة العمل المخلص، لمصلحة الإنسان العراقي ومصلحة الوطن العليا.

الوطن فوق الجميع وللجميع.

آذار ١٩٧٤

يا أورشليم، يا أورشليم!

العالم المسيحي، في هذه الأيام –أيام الفصح والقيامة– في الشرق وفي الغرب، وعلى اختلاف كنائسه وقومياته ولغاته، متجه بالفكر والقلب إلى بقعة صغيرة تكاد لا ترى على الخارطة، هي فلسطين، وإلى نقطة محددة من هذه البقعة، هي مدينة القدس! ليس لأن هذه النقطة هي أجمل بقاع الدنيا... أبسط مدينة عصرية أجمل من القدس.

كل سحر هذه المدينة وقدسيتها كامنان في كونها كانت مسرحاً لرسالة عديد من أنبياء الله وأصدقائه، وقمة لأهم أحداث حياة المسيح. كل شبر من القدس يحمل تاريخاً مقدساً، وكل حجرة تنطق بأعجوبة أو كلمة فاه بها يسوع أو رسله، أو تعكس نظرة من نظراته، أو تثير عطراً من أنفاسه.

وإذا كانت القدس موطن المسيح، وفيها أبصرت المسيحية النور وتحوي أكثر الأماكن روحانية "كالقيامة" و"العلية" و"الصعود" و"البستان" و"مراحل درب الآلام"... فهي عبقة بالقدسية ومحملة بأسمى الذكريات الإنسانية والدينية لدى اخواننا المسلمين واليهود أيضاً. ففيها "المعراج" و"الحرم" و"الصخرة"؛ وفيها "الهيكل" و"مدافن الأنبياء" و"الحائط" وملتقى جميع الساجدين من آل يعقوب. وهكذا فإنها تكثف في بقعة واحدة، إيمان جميع أولاد إبراهيم بحسب الروح وبحسب الجسد. من أجل هذا كله "عيوننا إليها ترحل كل يوم" متطلعين إلى يوم تنفتح لنا أبوابها من جديد.

القدس مدينة مفتوحة، رمزاً للسلام والاخوة والإيمان: هذه هي رسالتها الأولى والكبرى، وعلى المجتمع الدولي كله، شرقاً وغرباً، أن يضم ثقله إلى جهود الأمم المتحدة وقداسة البابا في احترام "هوية" القدس الخاصة هذه، ورفع شبح الحرب والتطاحن والتدمير والمساومة والتهجير عنها.

نيسان ١٩٧٤

مع علبة البسكت !

في الشهر الماضي، دار أعضاء لجنة السنة المقدسة في الموصل على المياتم المسيحية والإسلامية والسجن ودار العجزة والمستشفيات، ووزعت على نزلائها بعض الهدايا العينية ومنها علبة البسكت لكل مريض.

قال بعضهم: علبة بسكت لكل مريض؟ وما عددهم؟ ألف؟ أكثر؟ لقد سبق وأن تلقى هذا المريض علباً كثيرة أخرى، وأكبر حجماً من علبة "اللجنة". ثم، علب بسكت بمئتي دينار؟ أما كان الأجدر بأن يعطى المبلغ هبة لجهة خيرية واحدة، او تشترى به هدية "ذات قيمة وفائدة دائمة" لميتم أو ملجأ؟

مثل هذا الاعتراض قيل، قبل ألفي سنة، عندما كسرت امرأة خاطئة اناء عطرها -الذي لو باعته في السوق السوداء لقبضت ثمنه مئتي دينار- وسكبته بأريحية التأبين على أقدام المخلص. أما المسيح فقد سُرَّ بالطيب "الضائع" الثمين، لأنه كان رمزاً لحب أكبر.

لفتة لجنة السنة المقدسة ليست إلا لفتة، ولكنها مُعَبِّرة. فصحيح ان اخوة يسوع الصغار هؤلاء، في المياتم والمستشفيات، لم يكونوا ينتظرون "سخاء اللجنة" ليأكلوا البسكت، ولا كانت "علبة البسكت" آخر ما كانوا يفتقرون إليه، بعد كل العناية التي يتلقونها في مؤسساتهم. ولكنهم بحاجة إلى أن يشعروا بأن الكنيسة تحملهم في آلامهم، وبأن المحبة المسيحية لا تقتصر على أهل البيت. عيادة الكهنة للمرضى في المستشفيات -أو زيارة السجون والملاجئ- وتقديم الخدم الروحية والمادية لهم بفرح هي حضور المسيح بينهم، هي نسمة إنسانية بأنهم لا زالوا أعضاء أحياء في مجتمع الأحياء:

"كل ما صنعتموه إلى واحد من اخوتي هؤلاء الصغار، فإليّ قد صنعتموه".

أيار ١٩٧٤

آفاق ...

"ان الأوساط التقدمية العربية والعالمية لم تشك يوماً في عدالة قضية الشعب الكردي. فالأكراد عندما يطالبون بحقوقهم القومية في إطار الحكم الذاتي وضمن الجمهورية العراقية، إنما يطالبون بحق مشروع ذي طبيعة ديمقراطية وتقدمية، وقد وقفت القوى التقدمية في العراق وفي الوطن العربي وفي العالم إلى جانب هذا الحق وساندته في جميع الظروف".

هذا ما جاء في افتتاحية جريدة "الثورة" (عدد ٢٨ نيسان ١٩٧٤) في مقال أول من سلسلة افتتاحيات نشرتها تحت عنوان "المسألة الكردية: الوضع الراهن وآفاق المستقبل".

ليس من اختصاصنا، نحن، أن نبحث مسألة سياسية متشعبة كهذه، إلا اننا لا نستطيع إلا أن نثمن الجانب الإنساني من هذا التفهم المبدئي، وما تبعه في قطرنا من انجازات متتالية لتحقيق مضمون بيان ١١ آذار. فبالرغم من المراقيل التي كانت تضرب العلاقات الأخوية أحياناً، قبل ١١ آذار ١٩٧٤، ظل الحوار مفتوحاً، وحرصت السلطة الثورية على المضي في تحقيق طموحات الشعب الكردي العراقي وتعزيز الوحدة الوطنية، فأصدرت، بعد الدراسات، قانون الحكم الذاتي الذي هو أضخم انجاز لنضال الأكراد والسلطة الثورية معاً.

كان يمكن التلاقي على نقاط الخلاف بالحوار، إلا أن القوى الغاشمة من خارج الحدود لعبت لعبتها الأبدية، مستخدمة "سذاجة" المتكلين عليها في الداخل، فكان الغدر والتنكيل والنهب واستشهاد زمرة أخرى من شبابنا العراقي.

إننا إذ نتألم لهذه الحالة الشاذة بين الاخوة، نشجب كل تمرد على الصف الوطني، ونستنكر كل محاولة للنيل من وحدة الأرض العراقية. وأملنا وطيد أن يستمر عراقنا في مسيرته البنائية شامخاً متجدداً، واحة أخوة لكل أبنائه من كل القوميات والأديان.

حزيران ١٩٧٤

ميزان واحد

لئلا يكون للمواطنين ميزانان أو أكثر، ولئلا تباع المعرفة لقسم منهم بالدرهم وتعطي للقسم الأخر مجاناً، ولكي تُقِرّ السلطة نهجاً تربوياً موحداً تحت توجيهها المباشر، اعتمدت تأميم المدارس الخاصة ونقل ملاكها ونفقاتها إلى وزارة التربية وتأمين مجانية التعليم لكافة المراحل الدراسية.

بعض هذه المدارس كان تجارياً بحتاً، وبعضها كانت تديره جهات دينية خيرية، ومن هذا الصنف بعض المدارس المسيحية الطائفية ورياض ومدارس الراهبات الابتدائية والمتوسطة والثانوية التي نالت شهرتها عن جدارة، وذلك بجوها التربوي العالي ونسب النجاح الممتازة فيها في معظم الأحيان. هذه المدارس المسيحية الخاصة كانت بالإضافة إلى دورها الثقافي، تنشّئ طلبتها، وهم من المسلمين والمسيحيين، تنشئة وطنية أصيلة، ومن الطبيعي أن يلقى التثقيف المسيحي فيها عناية خاصة لأنها أنشئت أساسا للطلبة المسيحيين.

وبانتقال هذه المدارس إلى الملاك الرسمي، ستسري عليها أحكام القوانين الرسمية في ما يخص مادة التعليم الديني وهي، ان التعليم المسيحي سيُدَرَّس في المدارس التي أكثرية طلابها مسيحيون. إلا ان لنا اقتراحين بهذه المناسبة:

الأول ان تضيف السلطة الثورية مأثرة أخرى إلى مآثرها، كما عودتنا، وهي أن تعمم التعليم الديني لجميع الطلاب المسيحيين في القطر، حتى إذا لم يشكلوا الأكثرية في المدارس التي يتواجدون فيها، وذلك انطلاقاً من مبدأ المساواة الذي تقره ثورة السابع عشر من تموز التقدمية، واسوة بزملائهم الطلبة المسلمين.

والثاني أن يبادر الرؤساء الكنسيون، بالاتفاق مع وزارة التربية، إلى فتح دورات تأهيلية جادة لاعداد معلمي التعليم المسيحي، بل إلى إنشاء مركز أو مراكز دائمة للدراسات اللاهوتية والكتابية للعلمانيين وتخريج مدرسين لمادة التعليم المسيحي.

أيلول ١٩٧٤

المسيحي في مجتمعه
لماذا هذا العدد؟

عدد خاص

ماذا هذا العدد الخاص؟

كان لا بدَّ لبرعم ١٩٦٤، وقد أصبح "فلّة" عَبِقة، أن يحتفل بذكرى ميلاده العاشر على طريقته الخاصة، ويتوجه إلى أصدقائه الكثر في أرجاء القطر الحبيب والبلاد العربية الشقيقة وبلاد المهجر السحيقة، بهدية تكون بمثابة العطر الذي يشد هذه الأسرة الكبيرة، أسرة "الفكر المسيحي"، إلى بعضها البعض.

تقضي التقاليد في مثل هذه المناسبات أن يطفئ المحتفى به شمعات السنين الغابرة، ويبقي على الشمعة الكبرى التي ترمز إلى المرحلة الجديدة، ترسل أنفاسها جذلى وتتمايل بلهيبها المتراقص على أوجه المحتفين بها كالقبلة الناعمة.

هذه الشمعة المتوهجة وتلك الهدية العطرة هما ما يريد أن يكونه هذا العدد الخاص لقرائنا الأعزاء وأصدقائنا ومناصرينا الذين نفخر بهم ونعتز بتشجيعاتهم ونعتمد على آرائهم لإذكاء شموع أخرى في سنين قادمة!

... ولماذا بهذا العنوان بالذات "المسيحي في مجتمعه"؟

منذ البداية، رسمت "الفكر المسيحي" لنفسها هدفاً إعلامياً مزدوجاً، هو تقديم الإنجيل للناس بلغة الناس وبحسب عقلية اليوم ومتطلباته وعكس الوجه الجديد المتطور للكنيسة. واتخذت لها اسلوباً لذلك: الانفتاح، الانفتاح على قضايا الإيمان والحياة؛ وقضايا الإيمان والحياة ليست سوى قضية واحدة هي قضية الإنسان، الإنسان الفرد الفريد ذي الكرامة والحرية والطموحات الواسعة؛ والإنسان الاجتماعي الذي

بانضمامه إلى غيره وباشتراكه معهم واحترامه لهم فقط تتحقق كرامته وحريته ويتاح لطموحاته أن تتجسد.

إنها دعوة إلى نبذ الأنانية وإلى تجاوز الذات، دعوة إلى الالتزام: دعوة عامة للجميع توجهها "الفكر المسيحي" في هذا العدد الممتاز، وبوسع المسيحي أن يجد فيها دعوة خاصة له لأنه، أكثر من غيره، ملتزم بحكم انتمائه إلى المسيح أن "يخرج" إلى العالم لقراءة علامات الأزمنة، ويكون أبداً "كالهوائي" متأهباً لسماع ذبذبات الآخرين والتقاط نداءاتهم لقد خلق تجسد المسيح علاقة جديدة، بل قرابة جديدة بين البشر والله وبين الناس في ما بينهم، وبتأنس المسيح أصبحنا اخوة لبعضنا البعض بدرجة من التضامن أعلى.

من هذا المنطلق، وبقدر ما يكون المسيحي مندمجاً بمسيحه ومبادئه الإنجيلية، بقدر ذلك يرى ذاته قريباً ومتضامناً مع مواطنيه في قضاياهم وأحاسيسهم. المسيحي، إن كان فرداً حراً، فهو عضو في جماعة: الجماعة المسيحية (الكنيسة) التي، عليه وعلى أصالة إيمانه الحي الواعي، يعتمد شبابها ومستقبلها وتَقبُّل الناس لها؛ والجماعة الوطنية (الأمة) التي هو عضو مشارك وعامل في بنائها وتطورها وازدهار مؤسساتها وتألقها في المجتمع الدولي، على قدم المساواة مع سائر أقرانه المواطنين، من أية قومية أو لغة أو دين كانوا. انه ملتزم بما يلتزمون، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ولا تضارب البتة بين انتمائه الديني وانتمائه الوطني. بل جاءت الساعة -وهي ساعة تاريخية نظراً إلى الانفتاح الذي يشهده قطرنا العراقي وسياسة تكافؤ الفرص التي تنتهجها الثورة، ونظراً إلى الأحداث والظروف الخطيرة والقضايا المصيرية التي تتمخض بها منطقتنا العربية- ولأجرمنا بحق مسيحنا ومسيحيتنا إن نحن تكورنا على أنفسنا، وسَجَنّا إيماننا في قواقع الصيغ الجامدة المتحجرة، وبقينا نجتر خوفاً ورثناه عن عهود "الذمة" و"الوصاية"... جاءت الساعة لننبذ عنا تجربة يونان النبي الذي آثر أن تنزل النازلة بأهل نينوى على أن يحمل مسؤوليته ويمضي برسالة الخلاص إليهم! الخوف من المجازفة كاد يقعده عن تأدية دوره في مخطط الله. كفانا من الاتكالية واللامسؤولية. "لا ننتظر من سوانا أن يبني بيتنا أو يسقي ازهارنا إلا بقدر ما نحرك سواعدنا"... فيا لحماقة مثل العبارات التالية للضمير المسيحي: لا يعنيني امر غيري، كل وشأنه، والله للجميع!

في هذا العدد الخاص نهدف، إذن، إلى المساهمة في استكشاف آفاق هذا المسيحي المعاصر الذي يريد أن يعي ويحيا إيمانه المتطور بكل أبعاده، ويبقى في الوقت نفسه ابن عصره ومجتمعه، ابن تراثه ووطنه، يتحسس قضاياه وطموحاته ويساهم في تطويره وفي بنائه. والمجتمع الذي يتجسد فيه إيمان هذا المسيحي، والذي نقصده في هذا العدد، هو المجتمع العراقي بنوع خاص، ومن خلاله المجتمع العربي، بمعاناته وتطلعاته الروحية والمادية، الوجودية والحضارية، الاقتصادية والسياسية...

إذا ساهم هذا العدد في توضيح موقع المسيحي في مجتمعه لأخذ دوره الطبيعي في الحياة العامة، وساعده على اكتشاف هويته في كنيسته، سيكون قد حقق بعضاً من مطامحه. أوَلَيست مثل هذه الرؤية خطوة أولى في اكتشاف أصالة الإيمان المسيحي وجوهر إنجيل يسوع من جديد؟ وهل يعني التجدد الذي دعا إليه يوحنا الثالث والعشرون والمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني سوى الالتزام بشخص يسوع المسيح وإنجيله التزاماً حيوياً، أعني الالتزام بأن نكون أمناء له ولنداءاته التي لا تني تناشدنا وسط حياتنا كل يوم، وذلك بإيمان أكثر وعياً وواقعية وأوسع عطاء وفاعلية، ونحن أكثر التصاقاً بأخوتنا ومواطنينا على اختلاف قومياتهم وأديانهم!

من أجل هذا كله كتب هذا العدد الخاص الذي يصدر بمناسبة بلوغ "الفكر المسيحي" عامها العاشر.

المشروع أوسع من أن يحيط به مثل هذا العدد، وان كان مزدوجاً، ولكنها خطوة جديدة تخطوها "الفكر المسيحي"، وتأمل أن تُعتَبَر لبنة وضيعة في بناء كنيسة العراق وعكس وجه مشرق للمسيحي الملتزم.

تقسم أبحاث هذا العدد الذي ساهم في تحريره كهنة وعلمانيون من القطر وخارجه، خبيرون وملتزمون، تقسم إلى قسمين: قسم يتناول الأبحاث التي تعالج الالتزام المسيحي في وجهيه الديني والرسولي في نطاق الحياة الشخصية والجماعة المسيحية؛ وقسم يتناول الأبحاث التي تعالج الالتزام المسيحي الزمني في نطاق حياة الأمة والوطن، ولا شك أن في المعالجتين تداخلاً وتمازجاً، لأن الالتزام واحد في الواقع، وان كان ذا وجهين.

كلمة أخيرة... حبذا لو وردتنا أصداء وملاحظات من أصدقائنا القراء حول هذا العدد. اننا نرحب بكل فكرة أو نقد بناء أو اقتراح، وسنرى من واجبنا عكس آراء القراء، فيه وعليه، على صفحات المجلة. هذا وسنضطر، لغزارة ما ورد إلينا لهذا العدد، أن نرجئ بعض المقالات إلى الأعداد القادمة.

وللجميع شكر وتحيات هيئة التحرير...

تقويم المحبة ومؤشرات المستقبل

يدخل البيوت في هذه الأيام، في أبرشيات الموصل الكلدانية والسريانية الأرثوذكسية والكاثوليكية، تقويم مصور أنيق يحمل أسم "تقويم المحبة" لسنة ١٩٧٥. ويحمل "تقويم المحبة" معه إلى الأسر المسيحية ابتسامة تفاؤل وأمل وشعور بالارتياح؛ ارتياح من تاق طويلاً إلى ولوج باب ظنه موصداً ثم انفتح فجأة أمامه. وكان ذلك حصيلة تضافر ارادات الأخوة القائمين على خدمة الجمعيات الخيرية للطوائف الثلاث واستجابة أساقفتها. وهذا التضافر نفسه هو حصيلة تتاد يدفع القلوب إلى التلاقي والسير معاً. والسير معاً! في كل ما يمكننا أن نسير فيه معاً، ولست أدري هل هناك حقاً ما لا نستطيع أن نسير فيه معاً!

إننا إذ نحيّي هذه المبادرة الوحدوية الرائدة في العراق، لا نريد أن نضخمها أكثر من حجمها، ولا أن نقلل من أهميتها: انها مؤشرة أخرى من مؤشرات المستقبل الذي نريد بناءه لكنيستنا الواحدة.

فطموحنا، طموح شعبنا المسيحي بكل طوائفه، يتطلع إلى أكثر من تقويم موحد، بالرغم من أهميته كما أسلفنا، يتطلع بشوق، بل بكثير من نفاد الصبر إلى توحيد كل الأصوام والأعياد وإنجاح الجهود المبذولة لتوحيد عيد القيامة بنوع خاص. يتطلع إلى تضافر جهود المسؤولين، في المتابعة والمثابرة، لتأمين التثقيف المسيحي وبمختلف وسائل التعليم، للأحداث والشباب والكبار. يتطلع لو يتفق دوماً الرؤساء الكنسيون، من مختلف الطوائف، في كل خطوة يخطونها باسم شعبهم أو مما يهم شعبهم، ولا يقدموا عليها إلا بعد التداول والتدارس معاً، وإذا اقتضى الأمر مع كهنتهم وشعبهم أيضاً.

كانون الأول ١٩٧٤

1975

١٩٧٥ سنة المرأة

ما خلا أسماء نسائية نادرة برزت في التاريخ البشري، تبقى الحضارة الإنسانية حضارة "رجالية" بالدرجة الأولى! فقد كانت المرأة، بالرغم من احتلالها نصف البشرية عدداً، لا بل أكثر، تابعة للرجل، تسير في ظله وتأتمر بأمره. هو السيد الأعظم والحاكم بأمره! أكثر من ذلك: لقد ظهرت دوماً وكأنّ لا محل لها في الوجود سوى لمتعة الرجل وتخفيف آلامه وإضفاء الرقة على خشونته. ولم تكن الأديان غريبة عن تكريس هذه النظرة "الذكرية". معظم الشرائع سنَّت، ليس فقط بعقلية الرجل، بل من أجل حماية حقوقه وحده. حقوق المرأة؟ لا تسل عنها، بل لم يخطر ببال "الفقهاء" ان لها حقوقاً! أولَم تسُقْ النباهة بعضهم إلى عقد مجمع لتحديد ما إذا كان للمرأة نفسٌ كالرجل؟!

أجل، لم نعد نشك ان للمرأة نفساً "عاقلة" كالرجل، ولكن هل نالت المرأة في الواقع حقوقها وكرامتها على قدم المساواة مع الرجل؟ هل يُعترف لها بكامل دورها في البناء الحضاري والاجتماعي؟ هل كفت عن ان تكون مادة استهلاكية لمطامع الرجل وأطماعه وماركة مسجلة تغري زبائن العطور والسكاير والثياب الداخلية؟ والكنيسة؟ -هي الأخرى- كما صرح أحد الأساقفة "تظهر في واقع بُناها، كنيسة تكاد تكون "رجالية" صرف بكافة مسؤوليها، وذلك ازاء عالم أكثر من نصفه نساء"!

فالمرأة، إذن، وان كانت قد قطعت شوطاً في إثبات وجودها كامرأة وكطرف حضاري إلى جانب الرجل، فنضالها من اجل تحررها الحقيقي وكرامتها وممارسة حقوقها الطبيعية في المجتمع لا زالت في بداياته.

أما نحن، فنأمل أن نقدم في كل عدد من هذا العلم بحثاً عن قضايا المرأة بمناسبة "سنة المرأة" التي أعلنتها الأمم المتحدة، مساهمة منا في تكريم المرأة وتعزيز دورها في حياة بلادنا.

كانون الثاني ١٩٧٥

الصوم والتحنيط والأقراص المنومة

الصوم، قبل أن يكون انقطاعاً عن طعام، هو انقطاع عن زور واغتياب وحقد وتشكيل وتململ في الواجب. الصوم زمن اهتداء وانفتاح، زمن تحرر من الزيف وتنقية إيماننا من شوائب المراءاة والجمود.

فإذا كان يسوع قد تحامل أكثر من مرة على الفريسيين، فلأن هؤلاء القوم، وهم رعاة الشريعة ومفسرو التوراة، قد حنّطوا الديانة وجمدوها في قوالب مادية صدئة، فجعلوا من قشور تقاليدهم واجتهاداتهم الضيقة ديانة جديدة، ديانة الحرف والكلمة، فآل بهم منطقهم المرائي إلى تصفية البعوضة وابتلاع الجمل! أجل لقد كان المسيح قاسياً تجاه ذوي الوجهين: "كالقبور المكلسة أنتم أيها الفريسيون. خارجكم يوهم الناس أنكم صديقون، وأما الداخل فمفعم رياء وإثماً".

بر الفريسيين أن يتظاهروا بالصلاح وصدقتهم يسبقها البوق؛ أما الصدقة بحسب المسيح، فأن لا تعرف الشمال ما صنعت اليمين. صلاة أولئك للتفاخر أمام الناس، أما بحسب المسيح فهي همسة تائب وقبلة طفل على خد أبيه. صوم أولئك عبوس وتسجيل فضلٍ على الله، أما بحسب المسيح فهو تطييب رأس وفرح.

الفريسيون حللوا وحرموا، أما يسوع فيقول بأن كل شيء طاهر للأطهار، وليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل الأفكار والمآرب الشريرة هي التي تنجس الإنسان.

كم من مواقع للفريسية في ممارساتنا وحتى في مفاهيمنا الجامدة عن الإيمان المسيحي ومتطلباته. كثير من الغبار يعلو كنائسنا وكتبنا الطقسية وتماثيل قديسينا. حتى المسيح ضاع في خضم النظريات اللاهوتية والتقليد الأعمى والعبادات الثانوية!

نحن بحاجة إلى إيمان يسقي الحياة، إيمان يكون حافزاً للتجدد باستمرار، لا ضربا من الأقراص المنومة.

شباط ١٩٧٥

كفانا انقساماً ...

لكلمة التحرير في هذا الشهر
الذي سيحتفل قسم من المسيحيين،
في نهايته، بذكرى قيامة الرب،
لم نجد أفضل من أن نرفع
إلى أصحاب القداسة والغبطة والسيادة
بطاركة وأساقفة الشرق المسيحي،
الكاثوليك والأرثوذكس،
نص شعار رفعه لافتة تصفع الضمائر،
فريق من شباب الموصل،
أمام الرؤساء الروحيين، عقب اجتماع الطوائف المسيحية في المدينة
للصلاة من أجل وحدة المسيحيين
بمناسبة "أسبوع الوحدة"
يوم الجمعة ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٥:

كفانا انقساماً
نريد عيداً واحداً منذ هذا العام...
كنيسة واحدة مسيحاً واحداً إنجيلاً واحداً
وليكن عيداً واحداً

آذار ١٩٧٥

الديانة المسيحية في خطر (!)

بهذا العنوان بعث إلينا قارئ أدعوه "نمر" عن ركود مريع في التثقيف المسيحي عندنا يعرّض المسيحية إلى موت بطيء أو إلى أن تصبح "آثاراً يزورونها لمجرد الاطلاع".

على من اللوم؟ يتساءل "نمر". ثم يسرع فيلقيه أولا على الشباب الذين "لا يستقبلون إلا الأشياء التافهة والمغرية والمزيفة". إلا أن الحجرة الكبرى من حصة من يُعتَبَرون مصدر الإشعاع "الكهنة الذين بأفكارهم المحدودة تجاه الدين أوقعوا الكنيسة". هذا "انشغل بكتابة مقالات عن تحرير المرأة" ("نمر" يدعو المرأة أن تطالب بحقوقها بنفسها إذا سلبها منها احد!)، وذاك "يقارن بين شباب تيزيه وشبابنا"، والآخر "انشغل ببيع وشراء السيارات"، وآخر... وآخر... ثم يذكر بقول مار بولس: "الويل لي إن لم ابشر" ويسأل: "أين هذا التبشير، أتخافون من الموت. لماذا لا تكتبون عن واجبات الشاب المسيحي، لماذا لا تشرحون تعاليم المسيح. أين ندوات التوعية المسيحية" ويختم: "أسرعوا إلى تحرير الكنيسة لا المرأة".

لا نظن أن الأخ "نمر" يرى كثيراً على المرأة أن يتحدث في قضيتها كاهن أو عالم ديني، فتلك قضية إنسانية، وكل ما هو إنساني يمس حياة المؤمن. وليس خارجاً عن رسالة مجلة "مسيحية" ان تنقل إلى قرائها خبرة مسيحيين آخرين يبحثون في أقطار أخرى عن تجسدات جديدة لإيمانهم... لاستحثاث بحثنا نحن أيضاً.

أما ناقوس الخطر الذي يدقه "نمر"، فالفكر المسيحي تريد أن تكون رنة قوية من رناته: فالتثقيف المسيحي في العراق أمسى كالمريض النازف الذي إذا لم يوقف نزيفه أو يُمَدّ بدماء جديدة، تعرض لفقدان الحياة. قد ينجد احتياطي الكبار لحفظ إيمان طفولتهم ردحاً آخر، إلا أن لتغذية إيمان الناشئة والشبيبة وبعث الحيوية فيه، تستوجب هبّة ثورية حقيقية تتضافر فيها القمة والقاعدة، بتصميم وشجاعة وتنسيق ووعي وزخم، و "بشتى أساليب التعليم". ولنا إلى ذلك عودة.

نيسان ١٩٧٥

يوم الدعوات

صادف يوم الأحد، ٢٠ نيسان الماضي، يوم الدعوات العالمي. ويوم الدعوات نهار يخصص سنوياً لرفع الصلوات من اجل زيادة وثبات الدعوات الكهنوتية والرهبانية وتقديم دراسات ونشاطات لصالح الدعوات. وبهذه المناسبة وجه قداسة البابا بولس السادس رسالة إلى "أبناء وبنات الكنيسة" ذكرهم فيها بالحاجة الملحة إلى النفوس المكرسة. هذا ولم يعد خافياً على أحد أننا نشهد "هبوطاً مقلقاً في الدعوات يؤثر بصورة جدية على مستقبل الكنيسة"، على حد قول البابا.

إن أزمة الدعوات ذات وجهين: الأول هو النقص المريع في عدد الشبان والفتيات المتقدمين من الكهنوت أو الحياة الرهبانية، لأسباب عدة منها الروح الاستقلالية في المجتمع المعاصر وجاذبية المادية وسحر النضالات الايدولوجية الحديثة وضعف الإيمان بالقيم الروحية؛ ومنها أيضا الركود وقلة الحماس والتنظيم في حياة "المكرسين"، لا سيما في صفوف الكهنة. والوجه الثاني، وهو لا يقل خطورة، هو ترك عدد كبير من الكهنة والرهبان والراهبات الخدمة (لاسيما في الغرب). ففي السنين العشرة الأخيرة، ترك الكهنوت بين ٢٠ و ٣٠ الف كاهن وراهب، ناهيك عن الراهبات. ففي البرازيل وحدها، ترك زهاء ألفي كاهن وتزوجوا، وبذلك أفقروا الكنيسة بهجرانهم الرسالة، سيما وأن القوانين الكنسية لا زالت تمنعهم من مزاولة كهنوتهم لأنهم تزوجوا، مما حدا بأحد الأساقفة أن يقترح على مجلس أساقفة البرازيل استعادة هؤلاء الكهنة إلى وضع طبيعي وكنسي وقانوني وأعادتهم إلى الخدمة الكنسية الكاملة.

ان المشكلة أوسع من أن نحيط بها في افتتاحية ذات أسطر معدودة، ولكننا نتبنى، بكل زخمه وأبعاده، قول البابا بولس في رسالته الآنفة الذكر: "إذا أردنا أن تثبت الدعوات وتترسخ علينا إذن ان نجدد الجو بأكمله، وهذا عمل المدعوين وعمل الجماعة المسيحية كلها معهم".

أيار ١٩٧٥

رسالة مفتوحة
إلى حجاج السنة المقدسة

تحية بالرب يسوع! ستكونون كثيرين وكثيرات ممن سيحالفكم الحظ في امتطاء صهوات الطائرات العملاقة في الصيف المقبل حجاجاً إلى روما.

بعض منكم اذخروا أو اذخرن، مع التضييق على الذات، لهذا الحج المبرور، فطوبى لهؤلاء! والبعض، من فضلات الكسر هيأوا بطاقة السفر، فسعداً لهم! كنتم ستحجون "كمسيحيين" لتصلوا بقلب واحد ولسان واحد على قبر القديس بطرس، صخرة الكنيسة الواحدة، ولكنكم ستذهبون، مرة أخرى، كطوائف من كنيسة أفسس وتسالونيقي وقورنتس!

عندما ستنتصب أمامكم قبة القديس بطرس بهيبتها وشموخها، وتستندون إلى أعمدة برنيني، وأنتم ترصدون الصليب البرونزي الضائع في قمة المسلة المصرية التي تتحدى الغيوم وسط الساحة الكبرى، لا تستسلموا لنشوة العظمة، بل أسرعوا وادخلوا الكاتدرائية وانعطفوا نحو اليمين وأطيلوا التأمل ،بصمت وبصلاة من الأعماق، بمريم الحزينة محتضنة يسوعها تحت الصليب في تمثال ميكل انجلو الخالد: من هذا الحب الفادي ومن هذا الحنان الغامر ولدت المسيحية.

إذا رأيتم خليفة بطرس في أبهة الاحتفالات، محمولاً على الأعناق، لا تنسوا أن بطرس الصياد قاد صلاة الكنيسة الناشئة في دهليز الدياميس المجاورة، أمام مدافن الشهداء الأولين. لا تنسوا أن الإيمان المسيحي بالتضحية والعطاء والدم بينع!

سيقولون لكم بأنكم ذاهبون إلى المدينة الخالدة، المدينة المقدسة، عاصمة الروح، وستجدون فعلاً، بين كل كنيسة وكنيسة، كنيسة، انما لا تتوقعوا انكم عثرتم على "المدينة الفاضلة". ستواجهكم مدينة كسائر مدن العصر: يتشابك فيها الإيمان مع الإلحاد، ويتجابه الجوع مع التخمة، وتتجاور الفضيلة والمجون، وعلى رصيف واحد يسير الصدق والاستغلال.

صلوا وعودوا إلينا بإيمان نشط -على غرار ما سترون وتسمعون- طعموه بالفرح والعطاء وحب المشاركة، وما خلا ذلك كله بضاعة ممنوع استيرادها.

والسلام.

حزيران ١٩٧٥

المساواة، التقدم، السلام...

تحت هذا الشعار، عقد، في ١٩ من حزيران الماضي في مكسيكو، المؤتمر العالمي للمرأة. وفي هذه المناسبة وجه قداسة البابا بولس السادس رسالة إلى السيدة هيلفي سيبيلا سكرتيرة المؤتمر قرئت في جلسة الافتتاح.

قال قداسته إنه "ينبغي تطبيق العدالة لصالح المرأة التي كانت عبر التاريخ، ولا زالت في أيامنا أيضاً، في حالة تخلف عن الرجل، وضحية أكثر منه لويلات سوء التنمية والحروب". ودعا إلى "انضمام النساء الكلي" إلى الجهد العالمي للتنمية وترسيخ دعائم السلام. وذكر قداسته قول يوحنا الثالث والعشرين في رسالته "السلام على الأرض": "أن المرأة، في وعيها المتزايد لكرامتها الإنسانية، لن تقبل بعد أن تعتبر أداة؛ إنها تطالب بأن تُعتبَر شخصاً، سواء في الأسرة أم في الحياة العامة". وأشار البابا أيضاً إلى مطالبة المجمع الفاتيكاني الثاني في أن تشترك المرأة "اشتراكاً مسؤولاً وكاملاً في كل مرافق حياة المجتمع".

وهنا تتبادر إلى الذهن بضعة أسئلة: في أي مجتمع يدعو البابا إلى إتاحة الحرية للمرأة كي تمارس حقوقها والتزاماتها؟ أوَلا تكون الكنيسة جزءاً كيانياً من هذا المجتمع الذي سلب المرأة كرامتها وحقوقها؟ وإذا كان المجتمع المدني لا زال "يظلم" المرأة في كثير من قراراته وشرائعه وممارساته، أوَيكون "المجتمع الكنسي" بريئاً من هذا "الظلم"؟ بكلمة أخرى صريحة: هل أعطت الكنيسة المرأة كل مكانتها وحقوقها كإنسان مساوٍ للرجل، في المؤسسات الكنسية والرهبانية وفي الرسالة وفي المسؤولية وفي القوانين، أم لا زالت تُعتَبَر بحكم القاصرة وغير جديرة بالثقة، بل عثرة حتى كان الاقتراب من المذبح محظوراً عليها؟!

ولكن البابا أشعل الضوء الأخضر في رسالته المذكورة إذ أضاف: "لقد عرضنا على الكنائس المحلية المنتشرة في العالم أجمع أن تنتهز فرصة عام المرأة لتتساءل عن مدى مشاركة النساء الفعلية في حياة الكنيسة، ومساهمة الكاثوليك في كل نشاط يهدف إلى إقامة تعاون وتناغم بين الرجال والنساء في مهمات المجتمع الإنساني الكبرى".

"كنائسنا المحلية" هل تساءلت، أم لم يصلها السؤال بعد؟ أم ان لا صوت يوحنا ولا صوت بولس ولا أي نداء من المجمع وصل إليها بعد؟

أيلول ١٩٧٥

لماذا لا نقرأ... ؟

سؤال مشروع طالما سمعناه من القراء والأصدقاء، أو قرأناه في بريد القراء أكثر من مرة: لماذا لا نقرأ على صفحات "الفكر المسيحي" مقالات لأساقفة كنيسة العراق ونسمع آراءهم في مواضيع دينية أو اجتماعية. أليسوا هم رعاة إيماننا ومعلمونا في أمور الدين والحياة؟

ولقد جاءنا آخر سؤال مكتوب بهذا الشأن من ن. ي.ع. موظف في دائرة زراعية، خريج كلية الزراعة، يقرأ "الفكر المسيحي" من ألفها إلى يائها.

جوابنا إلى هذه التساؤلات الصائبة أن "الفكر المسيحي" أرادت منذ البدء أن تكون لسان حال كنيسة العراق، في واقعها وآمالها ومعاناتها وطموحاتها، وأن تكون أداة للتعبير مفتوحة لكل رأي بناء وتوجيه كنسي مسؤول، فتساهم مساهمة فعالة ومباشرة في ترسيخ الإيمان الواعي الملتزم ودعم الوحدة المسيحية. وهكذا تصبح أداة إعلام وتعليم وتوعية، ومنبراً للكلمة الحرة الهادفة.

لا شك أن هذا البرنامج ينطبق مع ما يصبو إليه الشعب المسيحي من ثقافة مسيحية أصيلة وعمق إيمان لا يشوبه الضعف أو الخوف أو الغموض. هذا الإيمان وتلك الثقافة اللتان يسعى إلى ترسيخهما، في نفوس المؤمنين، آباؤنا السادة الأساقفة بكل أمانيهم، في أحاديثهم ومواعظهم وصلواتهم، فلِمَ لا يسعون إلى ذلك عبر الكلمة المكتوبة، و"القلم" اليوم من أقوى وسائل الإعلام والتوعية والتعليم؟

إن "الفكر المسيحي" مجلة مسيحية، فهي إذن مجلة السادة الأساقفة أيضاً، وتفتخر بأن يكون لها أكثر من نصير وصديق بين صفوفهم، وفي مقدمتهم صاحب امتيازها، وتعتز بجميع الذين منهم أيدوها جهراً وعضدوها بآرائهم وتوجيهاتهم أو مقالاتهم.

إننا نتمنى، مع ن. ي.ع. وسائر القراء، بأن يحمل كل عدد مقالاً أو بحثاً أو توجيهاً أو خاطرة لأحد الأساقفة الأجلاء، ونعتبر ذلك تشجيعاً ومحفزاً لأسرة "الفكر المسيحي" للعمل، واستجابة إلى أماني الشعب المسيحي في أن يسمع رعاته الروحيين حول مختلف شؤون الإيمان والحياة وقضايا الساعة.

تشرين الأول ١٩٧٥

نحو سنة الألفين في دروب الإنجيل

تحت هذا الشعار عقدت في روما من ٧-١٥ تشرين الأول الماضي حلقة استشارية عالمية حول رسالة العلمانيين، نظمها مجلس العلمانيين التابع للكرسي الرسولي. وقد دعي إلى هذه الدراسة الاستشارية زهاء ٢٥٠ شخصاً من كافة أنحاء العالم يهتمون أو يلتزمون فعلياً بالنشاطات الرسولية واشتراك العلمانيين في حياة الكنيسة والمجتمع، وينتمون إلى حالات اجتماعية مختلفة. وكان معظم المشاركين من العلمانيين، شباباً وفتيات وبالغين، وبينهم بعض الكهنة والرهبان والأساقفة. اما الهدف من عقد هذه الحلقة، فقد تلخص كما حددته نشرة رسمية صادرة عن مجلس العلمانيين في:

- "رصد" المشاركة الفعلية للعلمانيين في حياة ورسالة الكنيسة خلال السنوات العشر الماضية منذ المجمع الفاتيكاني الثاني.
- إعطاء زخم جديد لحركة التجديد التي أطلقها المجمع.
- وعيش فترة من التعمق والمصالحة بمناسبة السنة المقدسة.

وقد كانت معالجات لجان العمل خير دليل على جدية الحلقة: وسائل الاتصال والهوية الإنسانية، الرجل والمرأة في الأسرة والمجتمع، التفرقة العنصرية والعرقية، التبشير بالإنجيل في البيئات المسيحية التقليدية أو غير المسيحية، ركائز الحوار والمسؤولية المشتركة، المنظمات العلمانية والتجديد المجمعي، تعددية الالتزامات ووحدة الجماعة المسيحية...

عن هذه الدراسات خرجت توصيات إلى الكرسي الرسولي والكنائس المحلية والهيئات العلمانية، نؤمل أن نتحدث عنها لاحقاً.

هذه مرحلة مهمة أخرى من إرادة الكنيسة الجامعة في اعتماد مبدأ المصارحة والحوار طريقاً إلى التجديد والمشاركة وإشعاع دروب الإنجيل. ففي هذا التضامن بين كافة أعضاء الكنيسة قال المجمع في وثيقة "نور الأمم": "بمساعدة العلمانيين وخبرتهم يتوصل الرعاة إلى ان يحكموا بتمييز أقوى، وبصعوبات أشد في الأمور الروحية والدنيوية على السواء، فتتوصل الكنيسة جمعاء، مدعومة بكل أعضائها، أن تتم، بأكثر فعالية، رسالتها لأجل حياة العالم" (٢٧).

تشرين الثاني ١٩٧٥

بحثاً عن الأصالة!

لأول مرة تكتب "كلمة التحرير" خارج البلاد، وقد شاءت الظروف، أن تكون الجزائر البلد المضيف لافتتاحية "ديسمبر"، كما يحلو لاخواننا الجزائريين ان يدعوا كانوننا الأول. فمنذ ثلاثة أيام وأنا أحاول العودة إلى الوطن، بعد زيارة قصيرة للقطر الشقيق، عن طريق مطار بيروت ولا أفلح بسبب الأحداث الدامية التي تجري في لبنان الملتهب، تلك الأحداث التي وصفتها الصحف الجزائرية "بمأساة كاملة" ودعتها "بمشهد انتحاري حزين"!

بانتظار الطائرة التي ستقلني غداً إلى القاهرة فبغداد، أعود إذن إلى شقة أصدقاء عراقيين يساهمون هنا في برنامج التعريب الذي أطلقته الحكومة الجزائرية في شتى الميادين، وقد استعانت لذلك بخبراء ومدرسين من كافة الأقطار العربية، وللعراق دور بارز في هذه العملية الجبارة. جبارة هي هذه العملية، سيما إذا عرفنا عمق تأثير الاستعمار الفرنسي على حياة الشعب الجزائري الثقافية حتى كادت لغته العربية نفسها تحتضر وتضيع... ولكن النهضة الجديدة أخذت تعطي ثمارها وحركة التعريب تتقدم في خطى حثيثة، والجزائر ماضية في اكتشاف أصالتها العريقة في الأدب والقصة والفن المعماري واللغة... وإلى جوانب روافدها العربية، لا تنسى جذورها القبيلية والصحراوية، فتولي اهتماماً كبيراً بالتراث الشعبي وتشجع المصنوعات اليدوية المحلية، لا لتكون نماذج تملأ حقائب السواح فحسب، بل لتصبح زينة البيوت الجزائرية وجزءاً منها.

هذا البحث الجاد عن الأصالة والذي يسعى بتصميم إلى خلق جزائر جزائرية، دعوة لنا إلى المضي قدماً في بناء عراق حديث يعتمد على جميع قيمه الإنسانية الأصيلة، الفكرية والروحية، القومية والدينية، دعوة لنا للاعتزاز بتراثنا العراقي الشعبي العريق. وهذا التراث يتجسد في الحكمة الشعبية، وفي الأقصوصة الأدبية المعبرة، وفي الصناعة اليدوية، وفي التصميم المعماري، وفي الأواني المنزلية، وفي الزي الشعبي الخ...

إن اكتشاف هذا التراث اكتشاف لأصالتنا ولهويتنا العراقية الخاصة، وطاقة تخرجنا من الإتكالية...

كانون الأول ١٩٧٥

١٩٧٦

سلاح السلام غصن زيتون فقط!

أشد ما يتحاشاه المرء أن تعكر صفو أعياده نبرة نلشزة، وكم يود أن يحتفل بأفراحه بقلب طافح بالسعادة والطمأنينة محاطاً بمن يحبهم! ولكن...

كم كنا نتوق لو استقبلنا العام الجديد، عام ١٩٧٦، وطريقنا إلى بيت لحم والقدس سالكة... وطريقنا إلى بيروت وطرابلس آمنة وخالية من المتاريس... وطريقنا إلى الصحراء الغربية غير حذرة... وطريقنا إلى...

ولكن التهديدات ضد السلام قائمة في مناطق عدة من العالم، وسببها بدرجة عالية صراع القوى بين المعسكرات الكبرى. غير ان البشرية ذاهبة نحو "حضارة تتقدم على خطى سلام، لا سلاح له سوى غصن زيتون".

هاتان هما الفكرتان الرئيستان لرسالة بولس السادس الوجيزة بمناسبة يوم السلام، ١ كانون الثاني ١٩٧٦، لرجالات الدول وسكان العالم والمؤمنين. فبينما تتأصل فكرة السلام في ضمائر الناس، يقول قداسته، تظهر "مؤشرات فاضحة لمجابهة آنية أو قابلة للانفجار غداً"، ونسب البابا ذلك إلى النظرات القومية وإلى سباق التسلح وتجارة الأسلحة والايدولوجيات التي تولد الحقد والنزاع.

ما هو سلاح السلام إزاء كل ذلك؟ ليس هو الخوف، ولا الرضوخ لسيطرة عاتية، كالاستعمار أو العنف أو التسلح أو الرأسمالية الأنانية. إن سلاح السلام يقوم على احترام الاتفاقيات والمفاوضات السلمية للحصول على العدل ونزع السلاح؛ ولكن نزع السلاح، في فكرة البابا، يجب أن يكون "عاماً وشاملاً" وإلا لكان خطأ واستقلالاً.

وختم البابا رسالته بمثال غاندي في اللاعنف، وذكّر بأقوال المسيح التي تبشر بميلاد إنسانية جديدة على أسس "الشريعة الجديدة للإنسانية التي تتقدم وتسلح السلام بقاعدة لم يسبق لها مثيل: "كلكم إخوة".

كانون الثاني ١٩٧٦

الوقوف على التل أم النزول إلى المعمعة؟

المسيحيون في كل مكان يزدادون وعياً بوجوب الحركة والثورة لتجديد البنى الفكرية والاجتماعية والسياسية المتصدعة، وينضمون إلى كل إنسان يناضل من أجل الإنسان وكرامته. فالإنجيل لم يكن يوماً دستوراً جامداً، إنما هو حياة تتحرك وخلق وإبداع، ودعوة مستمرة إلى التجديد والتغيير وتجاوز الذات، على الصعيدين الفردي والجماهيري. ألم يكسر المسيح طوق الشرائع القديمة ويخرج الإنسان من انطوائيته إلى رحاب الشمولية؟

بلادنا تشهد اليوم طفرة نوعية كبيرة في كافة الميادين: في السياسة والاقتصاد، في الفكر والتربية، في الفن والزراعة... العلائق كلها تتبدل: بين الرجل والمرأة، بين العامل والإنتاج، بين التلميذ والأستاذ، بين المواطن والدولة، بين المسلم وأخيه المسيحي... وهذه التحولات السريعة التي لم نكن معَدّين لها تماماً، لا بدّ من أن تهزهز الأطر التقليدية، وتخرج البعض من بورجوازية تفكيرهم إلى التساؤل. البعض تجاوزوا التساؤل إلى العمل والالتزام، والبعض الآخر لا زالوا على التل يراقبون، بحذر، ولربما بخوف. ولكن الخوف من المستقبل ليس من شيمة المسيحية البتة، ألم يحطم المسيح الخوف بشجاعته... شجاعة قادته إلى شهادة الدم؟

أفنبقى على التل، هامشيين، وكأننا بحيادنا نحافظ على كياننا – وهل من محايد في الحياة؟ – أم ننزل إلى المعمعة لنساهم في بناء العراق الجديد، بوعي وإصرار وبوحي من قيمنا المسيحية؟ بذلك نُعِدّ الحياة الفضلى لمسيحيتنا ونرسم تقدمها "والتقدم يعني التمرد، كما يقول جوليوس نيريري رئيس جمهورية تانزانيا القائل أيضاً: "إذا لم تشترك الكنيسة فعلياً في التمرد على البنى الاجتماعية والمؤسسات الاقتصادية التي تحكم على الناس بالبؤس والذل والحرمان، لغدت غير نافعة، للإنسان ولتحولت الديانة المسيحية إلى مجموعة من المعتقدات لا يقبلها إلا الخوافون"!

شباط ١٩٧٦

هذا ما نتمناه!

كنا في مجلس أسقف سُجلت له مواقف مشرفة ونُظر إليه كمنقذ، وحاول مراراً أن يلعب هذا الدور ويجيب بإخلاص إلى بعض الانتظارات، قبل أن يصطدم بواقع جَمَّدَ إقدامه ومحاولاته؛ كنا في مجلس هذا الأسقف، إذن، نتبادل الآراء في بعض قضايا تخص الرسالة الكهنوتية، ونستعرض الوضع الراهن للكنيسة ولشؤون التثقيف المسيحي على المدى القريب والمتوسط والبعيد. والاستنتاج الذي خرجنا به هو أننا في حالة لا نُحسَد عليها! وقد أوجز ذلك الأسقف الحديث بكلمة اعتبرتها ذهبية والتقطتها كنداء آت من قعر صمت يجب ان يُكسر، وهي: "إننا نعترف بأن ليس هناك تخطيط شامل تسير عليه الكنيسة في العراق، ولو وُجد مثل هذا التخطيط لاطمأنينا للمستقبل، ولما سرنا كل في طريقه"!

لا فُضَّ فوك يا صاحب السيادة! فهذا ما نتمناه وما تمنيناه دوماً، وما دعونا إليه مراراً، وأشرنا إلى بعض سبل تحقيقه في دراستنا عن التثقيف المسيحي في العراق (انظر عددي حزيران وتشرين الأول ١٩٧٥) وأبدينا طموحنا إلى ان تَشرع كنيستنا، برؤسائها وأبنائها الواعين من كهنة وعلمانيين، في رسم هذا التخطيط وتنسيق الجهود لضمان مستقبل المسيحية في بلادنا، لا ككيان اجتماعي فحسب، بل بالدرجة الأولى وفوق كل شيء، كطاقة خلاقة متجددة لفهم جوهر الإيمان المسيحي وتجسيد عقيدة الإنجيل ومتطلباته في صلب ومنطق الزمان والمكان، وفي إطار الحقبة التاريخية التي نمر بها في قطرنا وتمر بها البشرية. ونقطة البداية أن نخرج من التقوقع على الذات دينياً وطائفياً وفكرياً، ونقبل مبدأ التجدد والانفتاح والحوار والنقد الذاتي.

لعمري أية هيئة تحترم ذاتها وتريد الحياة، سياسية كانت أم فكرية أم اجتماعية أم تجارية أم حتى رياضية، تسير اليوم مِن دون تخطيط وبرمجة؟ إن لم تفعل ذلك، تاهت وماتت من العطش ونضوب الوقود! فلِمَ تشذ كنيسة العراق عن هذه القاعدة الحياتية!

طالما قيل لنا في هذا الصدد: "أنكم كمن يدق الماء في الهاون"، ونقول نحن: إنما ندق الباب نقراً، وسنستمر، فلا بدَّ من أن يُفتح يوماً، ونتجاوز الأقوال والأمنيات إلى الأعمال!

آذار ١٩٧٦

أعياد الربيع في أم الربيعين

لو سألت تلال مار كوركيس ومار ميخائيل ومار إيليا وثنايا تل قوينجق الأثري، لَحَكَتْ لك ألف قصة وقصة، وأنشدت بحنجرة الأجيال ألف بيت شعر وبيت، نظمها شاعر سكران أو أمير مسحور، عن الأسر الموصلية وحلقات الشباب والصبايا التي كانت تزينها بألف لون وضحكة في الأزمنة الغوابر، محتفلة بمواسم الربيع ودفء شمسه الحالمة...

ذهب زمان وجاء زمان، ولا زالت الموصل أم الربيعين تزهو، في آذار ونيسان، بحقولها الخضراء الشاسعة، وتلالها الناهدة المزهرة، وشلالاتها النوّرانية، وأديرتها العامرة التي ما برحت مقصد العابد والزائر ونشد الهواء والحرية، وجبالها القريبة التي تحمل، في صمودها وصمتها، أسرار الثلوج والعيون الرقراقة وأماني شعب، أثمن ما فيه إباؤه والتصاقه بصخوره، وله تحت كل صنوبرة حكاية، وتحت كل جوزة أغنية ودبكة.

الموصل لا تنسى ذلك! ذاكرتها تخزن -تماماً كما تخزن سراديبها وكواها مؤن الأيام- لذا كان تراثها زاخراً غنياً. من هذا التراث، وكامتداد لأعراس الربيع التقليدية، خرجت مهرجانات الربيع الموصلية مواكب تلو المواكب، تحكي كل سنة فصلاً من قصة الحضارة في نينوى وآشور، وكالح وخورسباد، وبابل والحضر، وسامراء وبغداد الرشيد، لتصل بنا إلى كركوك التأميم وآذار السلام وعناق الشمال والجنوب في حركة البناء وخلق المجتمع الجديد. مواكب الربيع، مسيرات الحياة والأمل في شوارعنا، معارض الخط العربي والكتاب الموصلي، سهرات الحب والمرح، توافد الزوار ولون الضحكات في طرقاتنا وحقولنا... هي قصة الإنسان العراقي الذي يعيش فجراً من الإخاء والطموحات.

مهرجانات الربيع التي نحتفل بها هذا العام في ١٥ من نيسان، ولثلاثة أيام، تنضم إلى شمس ٧ نيسان لتعانق أنوار الفصح المجيد بعيد القيامة في ١٨ و ٢٥ من نيسان، في سمفونية من المحبة والسلام والفرح... فاهنأي يا بلادي!

نيسان ١٩٧٦

الحياة بمنطق عقيدتنا

الحياة بمنطق عقيدتنا! تظهر في الواقع في مدى إدخالنا مفاهيم مسيحية ومواقف إنجيلية في أحكامنا، وفي مدى التزامنا الكامل بالحياة وكل جوانبها، الزمنية والروحية، في مدى معرفتنا قراءة علامات الأزمنة. وهذا يعني أن نكون منتبهين إلى حاجات مجتمعنا وبلادنا، لنكتشف دورنا الحقيقي والطبيعي فيها كمواطنين؛ نلتزم، عن وعي واقتناع، بقضاياها، ونساهم كأفراد وكجماعة مسيحية، وبكل قدراتنا الفكرية والعلمية، في مرحلة البناء والمسؤولية المشتركة التي يعيشها عراقنا. ويجب ان ينبع ذلك من مفهومنا لإيماننا المسيحي.

الإيمان المسيحي دينامية وإيمان ومشاركة وشهادة... ولا نستطيع سبر جميع متطلباته إلا جماعياً. ألسنا نكوّن "كنيسة"، والكنيسة معناها "الجماعة"؟ لذلك تنطلق شهادتنا المسيحية من محيط الأسرة المتماسكة التي يجب ان تكون كنيسة مصغرة، إلى استنباط وتبني وتشجيع طرائق متجددة ومتطورة لإعطاء التثقيف المسيحي والوعي الإيماني في كل مراحل الحياة، ولكل فئات المؤمنين، وبمختلف أساليب التعليم. هناك من يحسب ان الدين مجرد ممارسات تُقضى، ويريد للإيمان أن يبقى سجين الدار أو جدران الكنيسة، بناء الحجر. ما هكذا تسلّمنا الإيمان نحن، ولا هكذا نُسلّم شعلته إلى الأجيال القادمة. كل الحياة المسيحية تتصل بالإنجيل، وليس هناك: الكنيسة من جانب والحياة العامة من جانب آخر.

كل العالم يتقدم، والشبيبة متعطشة إلى أصالة الإيمان، وتتساءل عن مبرر لكل ما تراه وتسمعه وتقرأه: فالإجابة إلى انتظاراتها واعطاؤها ثقافة مسيحية متكافئة، مع تطلعاتها في الحياة وعقليتها العلمية المنفتحة، هي من أولى واجباتنا وأبسط حقوقها.

أيار ١٩٧٦

اطلب العلم ولو في الليل!

تظاهرة حضارية أخرى احتضنتها بغداد في ٨ أيار الماضي، ألا وهي "مؤتمر بغداد لمحو الأمية الإلزامي" الذي تفاعلت فيه التجربة العراقية في محو الأمية مع تجارب العالم والمنظمات الدولية والأجهزة الإقليمية المختصة التي تعمل في هذا القطاع، ليخرج قطرنا بخطة وطنية شاملة ومبرمجة للقضاء على الأمية خلال فترة زمنية محددة.

لماذا هذا الإصرار الذي تبديه قيادة البلاد للقضاء على الأمية؟ وما معنى هذه الكثافة من الشعارات والملصقات التي تندد بالأمية وتصفها "بالداء الوبيل" و"الشر الكبير" و"العدو رقم واحد"...؟

أُقصد المدارس في القرى والأرياف، لاسيما في المناطق التي يُطبَّق فيها محو الأمية الإلزامي، ترى نور الفوانيس يضيء، متأخراً في الليل، وجوهاً كادحة منحنية على حروف وكلمات لم تكن قبل البارحة أكثر من ظلال سوداء و "خرطشات" جميلة ليس إلا! اليد الخشنة التي عالجت المعول او الزناد -أو الذراع التي لا زالت تحتضن الوليد الأخير- تمسك القلم بشغف وتكتب "حسن فلاح"، "حسنة أم حسن"!...

إلى وقت قريب كان يعتبر محو الأمية مجرد مشروع لتعليم شيء من القراءة والكتابة. ولكنه في الواقع مشروع توعية إنسانية ضخم يهدف إلى اللحاق بالزمن، والقضاء على الجهل والتخلف والفردية، وفتح الإنسان العراقي الجديد إلى توسيع مداركه، وتَتَبُّع الأحداث بروح نقدية، وتقوية الشخصية، وحب المسؤولية... وكل هذه ركائز ثقافية أساسية تضاف إلى كل الجهود الأخرى لإطلاق المشاركة الواعية لدى كل مواطن في بناء العراق الجديد.

فتحية اعتزاز إلى كل عراقي وعراقية تعلّموا حرفاً، وسطروا رقماً في كبرهم، وجلسوا يتذاكرون دروسهم مساء مع أطفالهم...

حزيران ١٩٧٦

كان إنسان ... بين حيّ وميت !

"كان إنسان منحدراً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين لصوص، فعروه وأوسعوه ضرباً، ومضوا وقد تركوه بين حي وميت". (لوقا ١٠: ٣٠).

لا يسعنا ونحن نفتح عيوننا وآذاننا كل صباح، وفي كل نشرة أنباء ومن كل إذاعات الدنيا، منذ سبعة عشر شهراً، بأخبار نزيف مروع يتدفق من جسم إنسان صغير اسمه لبنان، أثخنته الجروح وهشمته الهراوات، وقد تُرك على قارعة الطريق يحتضر ولا يموت، كما قالت إحدى إذاعاته! لا يسعنا ونحن نشهد فصول هذه المأساة إلا أن نذكر ذلك الإنسان الآخر الذي ساقه سوء طالعه إلى طريق أريحا! ولولا شفقة السامري وتفانيه، لقضي على المسكين! أفلا يكون من سمرة يشفقون حقاً اليوم على هذا الأخ الصغير الذي اسمه لبنان والذي طالما تفيأنا بجباله وتنسمنا أغانيه، وينقذونه من فتنة كَبُرَ حجمها بمقاييس بشعة حتى صارت حريقاً هائلاً، فكارثة قومية تكاد تقوض جذورنا المصيرية؟

فبحق الخمسين ألف شهيد ومئات الآلاف من الجرحى والنازحين والمشردين... بحق دموع الثكالى واليتامى والأطفال الجائعين... باسم الشباب العربي، اللبناني والفلسطيني خاصة، الذي يساق طوابير طوابير كالأغنام إلى المجزرة كل صباح ومساء... باسم الأجراس والمآذن الباكية، باسم الدامور والكرنتينة وتل الزعتر وجسر الباشا، باسم "جسر المحبة" الذي تصدع بين اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، ومن أجل إبقاء الثورة الفلسطينية على عنفوانها بوجه العدو المشترك ولاسترداد الأرض السليبة... نناشد الضمير العالمي، والضمير العربي بصورة خاصة، أن يبذل المستحيل لإيقاف هذه الحرب القذرة المجنونة.

إنه لم يعد وقت لكيل التهم من الخارج، ولا للصراعات العقائدية، ولا حتى للتساؤل عن الوسائل الكفيلة لإنجاح "قضية عادلة" بالقوة او بغير القوة: إنه لم يعد الوقت الآن سوى لنصرخ بملء حناجرنا، ولنناضل من أجل وقف المجازر والقتل الجماعي والتجويع... ومن ثم الجلوس بإخلاص حول الطاولة المستديرة التي من دونها لا خلاص للبنان!

أيلول ١٩٧٦

المسيحي في مجتمعه
لماذا هذا العدد؟

عدد خاص

قبل سنتين أطلقنا عددنا الخاص الأول، وكان بعنوان "المسيحي في مجتمعه"، وقد حاولنا فيه خوض موضوع خطير هو من مواضيع الساعة، ألا وهو موضوع "التزام المسيحي في الحياة"، في شقيه الديني والمدني. والتشجيع الذي لقيناه آنذاك ولهفة القراء والأصدقاء وحثهم إيانا على مثل هذه "الأعداد الخاصة" المركزة، زاد قناعتنا من ان "الأعداد الخاصة" ليست مجرد تقليد صحفي مطروق، وإنما هي صيغة مكثفة لأداء الرسالة الإعلامية بموضوعية وشمول، مما حدانا إلى إطلاق هذا العدد الخاص الثاني بموضوع "قضايا الجيل الجديد".

لو رسمنا هدف "الفكر المسيحي" بالكلمات لقلنا -كما سبقنا وأشرنا- بأنه "تقديم الإنجيل للناس بلغة الناس وبحسب عقلية اليوم ومتطلباته وعكس الوجه الجديد المتطور للكنيسة".

هذا الهدف، أملنا اننا نسير في هديه، ولو بوتيرة قد لا نرضى ببطئها وزخمها دوماً، ولكن ان القينا نظرة على البدايات، لرأينا اننا قد قطعنا شوطاً من الطريق لا يقبل سوى كلمة: "إلى أمام"... يهمسها، ويقولها، ويهتف بها كل ملتزم بالحياة... وكل مسيحي يريد لإيمانه العطاء ولكنيسته الشباب!

"المسيحي في مجتمعه" حاول ان يجيب إلى بعض طموحات هذا البرنامج. وفي خطه وكتتمة له، يمد هذا العدد، "قضايا الجيل الجديد"، مسامعه ليلتقط ملذا يقول "الجيل الجديد" في "أصالة" هذا البرنامج، وهل له دور في تحقيقه، وكيف يتصور هذا الدور في الواقع الحياتي المعاش.

فهذا العدد "منبر حر" يعبر فيه الجيل الجديد عن بعض آرائه وتصوراته وطموحاته في المجتمع الجديد إزاء الجيل القديم والمجتمع التقليدي.

ولكن من نقصد بالجيل الجديد والمجتمع التقليدي؟

الجيل الجديد الذي نقصده هنا هو الجيل الذي يعيش في داخله ثورة فكرية وثقافية ويطمح إلى مجتمع متطور يحاور ذاته -والعالم- باستمرار ليبلغ إلى

الأفضل، وهو الجيل الذي يذهب به هذا الطموح وتلك الثورة الداخلية إلى نفض نير الخمول والحذر وبناء حياة جديدة وعلائق جديدة متحررة من الاستلاب والكبوتات، حتى إذا تضمن هذا المشروع عناصر المجازفة واحتمالات الزلل - مما لا يقره بسهولة مجتمع الكبار التقليديين "العقلاء".

فليس الجيل الجديد- والقديم- حقبة زمنية معينة، ولا هو جيل "الصغار" وجيل "الكبار" سناً بالضرورة؛ فثمة "كبار" يزخرون بدماء وأفكار الجيل الجديد، و"شباب" متخلفون ومتخلقون بنظريات الجيل القديم.

"قضايا الجيل الجديد"، إذن، مرآة لبعض القضايا الرئيسة التي تعتمل في ضمائر ونظرات الجيل الجديد... في الكنيسة... في المجتمع... وفي الالتزام الحياتي، ونداء معبر وحثيث لسماع صوت هذا الجيل الذي عليه سيبنى غدنا، القومي والمسيحي؛ نداء للثقة بهذا الجيل الذي لو لم يملك سوى الجرأة والطموح والنظرة الناقدة وثورة الحياة المتجددة، لكفاه ثروة للحياة... فكيف به إذا ملك إرادة وطاقات العطاء!

تتصدر العدد لمحة تاريخية اجتماعية ثقافية -هي بمثابة المدخل- عن "علاقة الجيلين" ومؤشرات البناء المستقبلي لو تفاعلاً. بعدها نرسم خطوطاً عريضة من "آفاق" الجيل الجديد الفكرية في الإيمان وبناء الذات والحب والأخلاق... تلي ذلك "ومضات على الطريق" نحصد منها بعض السنبلات الساقطة من "أيلم" عادية... فيها الإيماءة الخافرة والبسمة الساخرة والملاحظة المرة. من هذه الاستراحة "الخفيفة"، نستأنف دربنا مع معالجات جادة أخرى تدور حول وجهين من أوجه "الالتزام بالحياة" هما الالتزام السياسي وقضية المرأة. وكخلاصة لكل ما سبق، نورد "شهادات" شخصية واقعية في التربية والعلاقات والحب والمال... لنكلل رحلتنا بنداء ختامي "نحو الكنيسة المتجددة" التي ترهف السمع إلى العالم ولا تخاف من إعادة النظر في أطرها المرحلية واسلوب تعاملها مع هذا الجيل الجديد الذي "ينشد الحقيقة والأصالة والبساطة الإنجيلية، ويتقبل بسخاء جميع متطلبات هذه القيم" (كونغار).

"قضايا الجيل الجديد" صدى لبعض ما يفكر به ويطمح إليه الجيل الجديد، كما قلنا. فطبيعي ان يساهم في تحريره "شهود" من هذا الجيل -ومنهم من يمسك القلم "للنشر" لأول مرة! صراحتهم وأصالتهم تشفعان في ما قد يشوب تعبيرهم أو حدة رأيهم...

أخيرا نرحب بكل صدى ناقد أو باقتراح يأتينا حول هذا العدد، وسننشره وفق إمكاناتنا...

وإليكم جميعاً شكر وتحيات هيئة التحرير...

تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٧٦

السبت ويسوع والإنسان!

قال الفريسيون بأن السبت أعظم من الإنسان، بينما يسوع يريد تحرير الضمير المستعبَد، ويتمرد على الشريعة التي تستعبد الإنسان، لأن السبت والشريعة والدين نفسه، كلها في خدمة الإنسان، لتحرره لا لتجمده.

إيماننا المسيحي مبني على شخص يسوع المسيح الذي ولد وعاش في فلسطين قبل ألفي سنة، ولا يزال حياً بيننا، يعمل ويتكلم بواسطة إنجيله وروحه العامل في كنيسته المنتشرة في كل مكان، وفي كل إنسان يختبره في حياته عبر أحداث كل يوم. وجوهر هذا الإيمان هو أن نكتشف مع المسيح اننا أبناء الله، وان نعيش بمنطق هذه البنوة بحرية واطمئنان. واذا كان الإيمان يستند إلى حقائق وعقائد ثابتة، فالتعبير عنها يمكن أن يتخذ أشكالاً مختلفة باختلاف العقليات والحضارات. فالطقوس والمظاهر والعبادات التي ترافق الإيمان هي من وضع الإنسان؛ هي تعابير، والتعبير مهما كان ضرورياً فهو نسبي، ومن ثم مرحلي، يمكن، لا بل يجب تجاوزه إلى صيغ جديدة، حتى في أمور الدين، لا بل في أمور الدين خاصة، ليبقى الجوهر ناصعاً. فإذا أخذ القداس أو سر التوبة أو غير ذلك من الممارسات الدينية شكلاً جديداً في بعض الحالات، فما ذلك إلا علامة الحياة المتدفقة، ولا ينبغي أن ننظر إلى التطور في "التعبير" عن الإيمان نظرة شك أو ارتياب، كما يفعل المونسنيور لفيفر وأنصاره. إن انغلاقنا في أطر تقليدية، جامدة، للعبادة، مهما سمت، واستهجاننا لكل تجديد لم نتعود عليه في طفولتنا، أليس في ذلك من التحجر الفريسي؟ فلا خوف على الإيمان المسيحي اذا سقطت بعض الأقنعة وصرنا ننظر إلى أمور الدين والقوانين الكنسية نظرة أكثر نضوجاً. هذا يعني اننا لم نعد أطفالا وأن إيماننا لم يعد يكفيه الحليب ليتغذى.

ان الحياة في ظل الشريعة والتمسك في حرفيتها، في الواقع، أسهل من شريعة الحب التي تجعلنا في حالة بحث مستمر لاكتشاف التصرف الصحيح، الحر، الواعي، في كل ظرف من ظروف الحياة. فرباطات وصية الحب هي أقوى من كل رباط آخر.

كانون الأول ١٩٧٦

ملاحظة: مع بدء عام ١٩٧٧ تولى الأب بيوس عفاص كتابة الافتتاحيات

1977

وهذه سنة أخرى

مع هذا العدد توقد مجلتكم الشمعة الثالثة عشرة من عمرها، وهي عازمة على المضي قدماً، في حركة تطورية دائمة، في استجابة رغباتكم والالتقاء مع آمالكم، أنتم الذين واكبتم مسيرتها أو لحقتم بها هذا العام.

نظرة سريعة إلى الوراء تكفي لتكشف عن الشوط الذي قطعته الفكر المسيحي من مسيرتها الصحافية خلال اثنتي عشرة سنة، سعيا وراء تحقيق أهدافها. ويكفيها فخرا أنها صمدت تجاه العقبات التي اعترضتها، فلم تصح فيها تقولات أنبياء الشؤم الذين تنبأوا لها بعمر قصير، والأعمار بيد الله!!

من دواعي الفرح أن مجلتكم قفزت صفحاتها بنسبة ٥٠٠٪ عما كانت عليه عام ١٩٦٤حين كانت" سلسلة". وإذا كان عدد المشتركين لم يواكب هذه القفزة، فلأن هناك من يضع الحواجز دون انتشارها، وهم أولئك الذين لا يطيب لهم أن تتكلم المجلة بحرية وجرأة، ويستكثرون عليها رغبتها في مواكبة حركة التاريخ الديالكتيكية، ويجهلون أو يتجاهلون ان رسالة الفكر المسيحي -وهي المجلة المسيحية الوحيدة في العراق- هي إيقاظ الوعي واستنفار الطاقات واستحثاث الهمم، للسير بكنيسة العراق إلى أمام، بوحي من الوعي المسيحي في العالم ومن اليقظة الفكرية التي تجتاح قطرنا في آن واحد.

ونحن إذ نجدد الإيمان بدور الفكر المسيحي في نهضة كنيستنا، يطيب لنا أن نحدد من جديد أهدافها لتكون لنا ولقرائنا محكا نعود إليه كلما شططنا عنها وكلما أُسيء فهمنا. فالفكر المسيحي:

- مجلة إعلامية تقدم لقرائها إعلاما مسيحيا موضوعيا عن أحداث الكنيسة في العراق والعالم.
- مجلة ثقافية تسعى إلى تطعيم القراء بروحانية الإنجيل في بحث عن الأصالة والتجدد في الإيمان.
- مجلة لا تَدّعي أنها لسان الكنيسة الرسمي بل تعكس آراء المسيحيين وتتفاعل مع آمالهم وطموحاتهم.

- مجلة تؤمن بالوحدة المسيحية فوق الفوارق المذهبية والطائفية وتسعى إلى بعث الحوار المسيحي-الإسلامي

ولكي تحقق المجلة هذه الأهداف -ضمن النهج الصحفي مضموناً وأسلوباً- عمدت مع مطلع هذا العام إلى انتهاج خطة في العمل تقوم في تَبَنّي أبواباً ثابتة يكون للقارئ معها موعد في كل شهر. فمن الأبواب التي يجدر التوقف عندها:

- ملف العدد: ويهدف إلى عرض أوضاع كنيسة ما في العالم أو يعالج معضلة من المعضلات الراهنة أو يُدلي بنتائج استفتاء حول قضية حيوية دينية أو اجتماعية.
- أنباء العالم المسيحي: وتهدف إلى عرض الأحداث في إطارها الواقعي وإبراز أبعادها وردود فعلها. ويشمل هذا الباب زاوية بعنوان "حدث الشهر" يتناول أبرز المنجزات في عراق الثورة...
- قضايا الساعة: ويقدم هذا الباب حدثاً هاماً من حياة الكنيسة في العالم، يتناوله من كل جوانبه.
- المنبر الحر: وهو زاوية يمارس من خلالها الكاتب حرية في التعبير، ويتناول موضوعاً يعكس فيه وجهة نظره الشخصية، ويتحمل مسؤوليتها كاملة.
- منبر القراء: باب يمارس فيه القراء حقهم في أبلاغ أصواتهم والإدلاء بنقدهم، بحرية تامة، حول المقالات المنشورة، دونما تعليق من قبل التحرير. في حين يعكس باب "من رسائل القراء" اقتراحاتهم وآمالهم في جو الحوار بينهم وبين المجلة.
- وإلى جانب هذه الأبواب، هنالك أبواب مألوفة "كالهمسات" و"صندوق الأسئلة"، وهنالك أبواب مستحدثة "كهوية بلد" و"شخصيات". فضلاً عن المقابلات والتحقيقات والشهادات... ومقالات في التربية وعلم النفس والأدب والسينما الخ...

وإذا لنا الثقة بأن هذه الخطة الجديدة ستلاقي لديكم استحساناً وتجاوباً نأمل ألا تترددوا بالكتابة إلينا عن ما يجول في خاطركم من آراء واقتراحات ونقد بنّاء. وإنّا لكم من الشاكرين.

وليسمح لنا أن نطلق النداء إلى هممكم لموازرتنا في حملة الاشتراكات التي أطلقناها لجعل عدد المشتركين في المجلة يبلغ ٥٠٠٠، لتعم فائدتها وتَقوَى على مجابهة نفقاتها المتزايدة، فيتاح لها بالتالي أن تُطوّر ذاتها مضموناً واخراجاً.

وفي الختام، إذ نهنئكم بالعام الجديد، نزف إليكم البشرى بأننا سنصدر في غضونه عدداً إضافياً ممتازاً نزفه هدية إلى جميع المشتركين.

مع تحيات هيئة التحرير.

كانون الثاني ١٩٧٧

"زمرنا لكم فلم ترقصوا"!

في معرض النزاع بين رسالة يوحنا المعمذان ورسالة المسيح، يشبه المسيح جيل اليهود الرافضين بصبيان جالسين في الساحات يصيحون بآخرين قائلين: زمرنا لكم فلم ترقصوا، ونُحْنا فلم تلطموا! ويضيف قائلاً: "جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فقالوا: إن به شيطاناً! وجاء ابن البشر يأكل ويشرب فقالوا: هوذا إنسان أكول، شروب للخمر، يحب العشارين والخطاة".

هذا الجيل من الناس، له أتباعه وورثته في عصرنا وعلى كافة الأصعدة، ويتمثل بأولئك الذين يرفضون الجديد لمجرد الرغبة في الرفض، دون أن تكون لهم القدرة على تقديم البديل. ان قابليتهم على الرفض تفوق قدرتهم على النقد، لا بل إن عدم قدرتهم على النقد تدفع بهم إلى الرفض على غير هدى، وبديهي ان الرفض لا يتطلب ما يتطلبه النقد من حكمة وبعد نظر.

فعلى مستوى الإيمان المسيحي، هناك جيل الرافضين من المسيحيين لكل ما يستجد من بحوث واجتهادات ومفاهيم، على الصعيد اللاهوتي والكتابي والروحي والرسولي والراعوي والطقسي... هذا الجيل من المسيحيين يرفض الجديد لأنه جديد، ويأبى أن يري ما في الجديد من أصالة القديم، في الوقت الذي لا يقوى أن يقدم بديلاً، بل يبقى متشبثاً بتقاليد وعادات لا تمت إلى الإيمان بصلة. لهذا الجيل من المسيحيين يقول المسيح: زمرنا لكم فلم ترقصوا، ونُحْنا فلم تلطموا!

ولا عجب أن يقف بعض هؤلاء المسيحيين "الرافضين" -وبعضهم من رجال الكنيسة- موقف الحذر من كل حركة تجددية في الكنيسة، سواء على صعيد المفاهيم الإيمانية المتجددة، أم على صعيد السلوكية المسيحية في سعيها إلى الالتزام بواقع الإنسان الاجتماعي والسياسي، أم على صعيد صيغ التثقيف المسيحي والشهادة للإيمان وعيشه ضمن أنماط

مختلفة الخ... ويتهمون رواد هذه الحركة التجددية بالانحراف عن الإيمان والتنكر لقيم الإنجيل والتحرر من كل القيود الأخلاقية... ذلك لأنهم ما عرفوا أن يواكبوا مسيرة الكنيسة في سعيها للّحاق بعجلة التاريخ، وبقوا يتباكون على ما تصدّع من القديم -ولم يعد بالإمكان ترميمه- وينظرون إلى الأطلال بحزن وأسف؛ وفي تباكيهم هذا، تعاموا عن رؤية الصرح الجديد يقوم على أنقاض القديم.

إن جيل "المجددين" من المسيحيين ليسوا ثواراً على القديم لأنه قديم، بل على القديم الذي أُفرغ من أصالته وابتعد عن روح الإنجيل ليتمسك بالحرف. إن هذا الجيل من المسيحيين يرفض مسيحية تُقيّد الإنسان وتستعبده، ويرفض إيماناً لا يكون التزاماً بقضايا الإنسان المعاصر، كما يرفض سلوكية مسيحية تقوم على مجموعة من الأوامر والنواهي، ولا تلتقي مع تطلعات الإنسان في واقعه الفكري والعاطفي والنفسي. فهو بالتالي لا يرفض ما في القديم من جوهري، بل يعيشه بالتزام اكبر وسخاء وأكثر.

فاتهامات الرافضين -الذين في ظنهم أنهم يحرصون على الإيمان والأخلاق- لجيل المجددين بالانحراف والابتعاد عن الإيمان... ما هي سوى سوء فهم لهذا الجيل الذي يبحث عن هوية مسيحية تتصل بالإنجيل اتصالاً وثيقاً، وينشد الأصالة في الإيمان، ويريد أن يلتقي مع دعوة الإنجيل في الحرية والتحرر.

فعوضاً عن تراشق التهم بين الجيلين، ألا يجدر بجيل الرافضين من المسيحيين -ومعلوم أن هذا الجيل لا يتحدد بعمر معين- أن يقوموا بمحاولة نزيهة ومخلصة، تدعمها إرادة صالحة، لإعادة النظر في المفاهيم التي توارثوها من دون تساؤل أو نقد، فيكتشفوا أن ما يتهدم مما كانوا يظنونه "مكتسبات" لا غنى لهم عنها، وما كانوا يعتبرونه "شرائع أزلية" لا ينالها تغيير أو تبديل، ما هي إلا قشور يتراءى من ورائها صفاء الإيمان، وتبرز من خلالها أصالة الإنجيل في أبهى حلة.

شباط ١٩٧٧

يبدأ بيد في بناء الثورة

تطالعنا الأنباء الواردة من كل جنبات العالم المسيحي أن الكنيسة، رئاسة وشعبا، حاضرة في الحياة الوطنية بمختلف مظاهرها، وأنها لا تكتفي بهذا الحضور بل تتعداه إلى المشاركة الفعلية في حياة البلد التي هي جزء لا يتجزأ منه: في إيمانه بالحرية وسعيه نحو العدالة، في إرادته الصامدة من اجل الاستقلال السياسي-الاقتصادي، في كفاحه في سبيل التحرر من كل أشكال الاستعمار والامبريالية، في نضاله المستمر من أجل نمو متكامل على كافة المستويات، وبكلمة في طموحاته نحو مستقبل أفضل.

وحيث كانت هناك، في بلد ما، مشاكل تعاني منها الأمة، بكافة شرائحها، أو معضلات تتطلب حلولا، كان للكنيسة في ذلك البلد دور الريادة في الإنصات إلى آلام تلك الأمة والتفاعل مع آمالها والمساهمة الفعالة في حل مشاكلها. وكثيراً ما يكون لها دور المحرك، ليس في تلمس مطاليب المواطنين وحسب، بل في إبلاغ أصواتهم إلى السلطة -وقد يصبح صوتها أحياناً صوت من لا صوت لهم، كما في شيلي والبرازيل...- وتجسيد مطاليبهم المشروعة، عن طريق الدفاع عن حقوقهم الأساسية الذي يتخذ أحيانا صيغة الاحتجاج، كل مرة مُسَّت هذه الحقوق بأذى أو غبن -كما في روديسيا وجنوب إفريقيا على سبيل المثال. وتفعل ذلك بنظرة نقدية ونبوية، بوحي من ضميرها الإنساني والمسيحي، وانطلاقا من مبادئ الإنجيل في الحرية والعدالة والأخوة.

فإذا كانت الكنيسة، في كثير من بلدان العالم، ولاسيما في بلدان العالم الثالث، تؤدي رسالتها، ليس بمعزل عن آمال الأمة وتطلعاتها نحو الحرية والعدالة والاستقلال والنمو، بل بانسجام وتناغم مع هذه الآمال وهذه التطلعات، فما ذلك إلا لأن الكنيسة تعي دورها ومسؤوليتها، بصفتها الخميرة في عجين المجتمع البشري، ولأن المسيح دعاها إلى أن تقول

كلمة حق بوجه الظالمين والمستغلين، وتكون دليلاً لكل من ينشد الحرية والانعتاق، ونوراً لكل من تقع عليهم مسؤولية السهر على مصير الشعوب ومستقبل البشرية.

لكنيستنا في العراق دور تؤديه ومهمة تضطلع بها، سيما وان الظروف الراهنة تتطلب أن يساهم جميع ذوي الإرادة الصالحة، من أبناء هذا الوطن، مسلمين ومسيحيين، في بناء الثورة، وان يعملوا يدا بيد من أجل نهضة البلد على كافة المستويات. فعلى المسيحيين بنوع خاص أن يدركوا أن مستقبل الأمة ومستقبل المسيحية في هذا البلد رهن بما يقدمونه من مساهمة مخلصة يكون لها دور الخميرة في العجين.

وإذا كانت سلبيات العهود الماضية -سيما إذا توغلنا بعيدا في تاريخ العراق في العهد العثماني- وما تخللها من تفرقة دينية سافرة، قد حدت بالمسيحيين، إن لم نقل إلى الانطواء على الذات، اقله إلى الحياد تجاه الحياة الوطنية، فاليوم -وبعد أن نبذت ثورة ١٧ من تموز كل تفرقة بين المواطنين على أساس الدين أو القومية، وأكدت إرادتها في إعطاء الفرصة لكل العاملين الطيبين للمساهمة في بناء عراق تقدمي وثوري- لا يمكن للمسيحيين أن يبقوا على هامش الحياة السياسية، أو يرضوا بالحياد أسلوبا في المواطنة، فالحياد هو اليوم اسم آخر لسياسة ذي إيديولوجية تأبى أن تعلن عن اسمها، وغالباً ما تكون ستاراً لسياسة محافظة ورجعية. عليهم أن يتحسسوا اليوم أكثر من أي يوم مضى، مشاكل البلد ومعضلاته، ويتلمسوا المعوقات التي تعرقل أو تضعف مسيرته التقدمية، فيعملوا على تذليلها، ويضعوا كل إمكانياتهم وخبراتهم في خدمة نموه على كافة الأصعدة.

آذار ١٩٧٧

ما أطيب أن "يعيد" الإخوة معاً!

منذ أن طلّ علينا عام ١٩٧٧، واخذ التقويم السنوي -سواء كان تقويماً مشتركاً بين الطوائف كما في الموصل، أم تقويماً خاصاً بكل طائفة أو أبرشية كما في بقية أنحاء العراق- مكانه في دورنا، استبشر العراقيون خيرا أن "العيد" سيكون هذا العام عيدا واحدا لكافة الطوائف، وسرعان ما انطلقت الأفواه تردد: ما أجمل أن نعيد معا عيد قيامة الرب! وذهب الفرح ببعضهم إلى القول: حمدا لله إننا لن نكون هذا العام "معلكة" في فم الغير!

ولكن سرعان ما تساءل القوم، وهم في أوج الفرحة: هل سيسري هذا "التوحيد" على الأعوام المقبلة؟ فجاءهم الجواب هزيلا متخاذلا: لقاء بين التقويمين الشرقي والغربي يصادف كل أربعة أو خمسة أعوام، حين تتطابق الدورة القمرية في كلا التقويمين مع القاعدة التي سنها مجمع نيقية عام ٣٢٥!

لم يقنعهم الجواب، فراحوا يتساءلون: هل تحديد يوم العيد قضية عقائدية عويصة إلى هذا الحد؟ إلى متى نبقى تابعين للقمر في تحديد عيد ليس للقمر فيه شان؟! الا يكفي أن نحمل عبء انقساماتنا واختلافاتنا التي يجسدها اختلاف العيد ويبرزها؟ ويأتي الجواب على هذه التساؤلات أكثر تخاذلا واقل إقناعاً! يقول بعضهم: ليست القضية عقائدية، إنما هي قضية حسابية يتعنت البعض في الإبقاء عليها، بينما يتردد البعض الآخر في تخطيها. ويقول آخرون، في محاولة لإقناع هذا الشعب "المسكين": القضية تتخطى كونها من اختصاص أساقفة القطر، إنما هي قضية تستنفر مساعي كل الكنائس في العالم المسيحي. ويذهب آخرون بشيء من التفاؤل ليقولوا: هناك محاولات تُبذل على صعيد المجامع بين مختلف الكنائس كي يُصار إلى الاتفاق على تعيين يوم ثابت للعيد... وإلى ذلك الحين لا بدَّ من الانتظار!

هذا الجواب الأخير ينطوي على عناصر تحمل المسيحيين على الإلمام بتشعبات القضية وتحمل إليهم بريقاً من الأمل، ولكنه لا يقنع بالكفاية هذا الشعب الذي يأبى أن يبقى أضحوكة للغير، ويصرّ على مطالبة رؤسائه الروحيين باتخاذ المبادرات لتوحيد العيد على صعيد القطر، في انتظار ذاك الاتفاق الشامل.

لقد سئم الشعب المسيحي، بكافة طوائفه، من كثرة التصريحات بشأن الوحدة المسيحية وهو لا يلمس منها شيئاً، وقد طال انتظاره وفرغ صبره! ليس انه يعتبر قضية العيد قضية جوهرية -فهو يعلم أن الوحدة
لا تقوم على توحيد العيد وحسب- إنما يرى فيها سبيلاً إلى الوحدة المسيحية، ويعتبرها الخطوة الأولى في طريقها، كما انه يعتبرها شهادة، عليه أن يقدمها للمحيطين به، وتقوم هذه الشهادة في أن المسيح واحد وأن قيامته من بين الأموات هي الولادة الجديدة ودعوة إلى الإنسان للتجدد على شبه صورة المسيح.

فإذا الشعب المسيحي أراد أن يحيي ذكرى قيامة المسيح في يوم واحد، فلا بدّ أن يستجيب رؤساؤه لإرادته! فليكن هذا العيد فاتحة أعياد يحتفل بها كل المسيحيين معاً.

وإلى قرائنا، بعيد القيامة، أجمل التهنئات.

نيسان ١٩٧٧

على هامش يوم العمال

ما أن نفتح الكتاب المقدس ونقرا صفحاته الأولى، نجد أن العمل فرض على الإنسان نتيجة للخطيئة: "بعرق جبينك تأكل خبزك"، وكأن لولا الخطيئة لبقي الإنسان يسرح ويمرح في "جنة عدن"، لا صلة له بهذه الجنة سوى أن يمتع ناظريه بأشجارها ويأكل من ثمارها "المحللة"!

صحيح أن الإنسان يكد ويتعب ويجاهد، لا بل يناضل لكسب لقمة العيش، غير أن هذا التعب وهذا الجهد ينسجمان مع مقاصد ذاك الإله الذي، إذ شاء ان يشرك الإنسان في الوجود، دعاه في الوقت ذاته إلى أن يشاركه حركته الدائمة في عملية الخلق والبناء. وإذا قال الكتاب، في معرض الحديث عن الخلقة، أن الله رأى أن كل ما فعله هو حسن، لكنه لم يقل أن ما فعله هو كامل ولا يحتاج إلى مساهمة الإنسان لإكمال الخلقة وجعلها أكثر حسناً وجمالاً. فلقد خلق الله الإنسان وعهد إليه بهذا الكون ليستكشف أسراره ويسبر أعماقه، ويضع كل ما فيه من قدرة وذكاء على استثمار ما في هذا الكون من إمكانات وطاقات مخفية واستخدامها لسعادته وسعادة إخوته البشر.

ليس العمل، إذن، عنصراً دخيلاً على الإنسان، وليس فيه ما يكبل الإنسان أو يستعبده، إنما هو دعوة إلى المساهمة في عملية الخلق، من اجل بناء عالم أفضل يأبى فيه الإنسان أن يأكل خبزه بعرق جبين الغير، ويرفض أن يأكل هو بينما يجوع الآخرون!

فإذا كان العمل، في العهد القديم، قد التصق بمفهوم الخطيئة، فهو في نظر الإنجيل قيمة لها مقوماتها الذاتية ومدلولاتها، ولها مردوداتها الايجابية على حياة الإنسان، كفرد، وكفرد في جماعة بشرية:

فالعمل يمكن الإنسان من إبراز مواهبه وقدراته على جعل المادة في خدمة نموه واكتماله، كما انه يمكن البشر جميعاً، إذا ما وضعوا كل إمكاناتهم في عمل مشترك، من ان يخلقوا عالماً أكثر إنسانية ينال فيه كل إنسان حقه الكامل في عيش حر كريم.

فمجتمع يتسم بالكسل وتسيطر عليه روح الأنانية، بحيث لا يهم أعضاءه خير المجموع، وحيث يسعى كل عضو فيه إلى أن يحصل على اكبر قسط من الرخاء بأقل جهد ممكن: مجتمع كهذا، اقل ما يقال فيه، انه مريض وان أعضاءه عليلة. عن هذا المجتمع يقول القديس بولس: "إن كان احد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل... فنوصي امثال هؤلاء... أن يشتغلوا ويأكلوا من خبزهم الخاص" (٢ تسالونيقي ٣: ١٠-١٢) . في مثل هذا المجتمع يبدو العمل وزرا، وتضيع فيه كل فرص التقدم، فيبقى متخلفا إلى ما شاء الله! أما المجتمع الذي يشعر فيه كل عضو بمسؤولياته ويضطلع بها ويوقن أن سعادته الشخصية رهن بسعادة المجموع... مجتمع كهذا يحقق لذاته كل فرص التقدم والنمو على كافة الأصعدة، ويساهم في بناء مجتمع عالمي تسوده العدالة.

أيار ١٩٧٧

الخامس من حزيران

تتجدد في الخامس من حزيران من كل عام ذكرى المأساة التي حلت بفلسطين، يوم كانت البلدان العربية في غفوة من الزمن، ويتجدد معها جرح الأمة العربية الذي لم يلتئم بعد وما زالت آثاره قائمة.

بين الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ وبين الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧، يوم وعد آرثر بلفور بإعطاء أرض لليهود يقيمون عليها "وطناً قومياً"، خمسون عاماً من المؤامرات المتتالية، كشفت عن المطامع الصهيونية في الوطن العربي "من الفرات إلى النيل"! ولعل أبشع مؤامرة حيكت خلال الخمسين عاما هي مؤامرة تقسيم فلسطين بقرار متخاذل من قبل هيئة الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧، حين كانت الأنظمة العربية الرجعية آنذاك متواطئة مع الامبريالية العالمية ومصالحها، فكان ما كان!!

لقد كرس الخامس من حزيران هذا التقسيم وزاده توسعا لصالح "الدولة" المكتسحة، وقمت كل الضفة الغربية من فلسطين العربية، ما فيها القدس وبيت لحم ونابلس والخليل وحتى سيناء ومرتفعات الجولان، بيد الصهاينة الذين ما أن وطئت أقدامهم هذه الأرض المقدسة، أعلنوا أنهم لن يخرجوا منها أبدا ولن يتراجعوا قيد شعرة عما اكتسبوه بحرب هي أشبه بحرب العصابات.

وسكت العالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة، بينما أدان إسرائيل ولمرات متوالية، مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارات بقيت حبراً على ورق! وراحت الدول العربية تصرخ ولا من مجيب، وقامت منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمات الفدائية تلفت أنظار العالم إلى مأساة الشعب الفلسطيني الذي يسعى الصهاينة إلى طمس هويته واستلاب حقوقه بشتى أشكال العنف والقمع... واستفاق العرب ووحدوا الصف، فكانت حرب تشرين١٩٧٣ أشبه بصرخة الحق إزاء الظلم، أيقظت ضمير العالم. وزاده يقظة "سلاح البترول" الذي

شهرته الأنظمة التقدمية في الوطن العربي، وعلى رأسها عراق الثورة الذي اعتبر دوما القضية الفلسطينية قضيته الأولى، كونها قضية الأمة العربية.

إن القضية الفلسطينية أكبر من وأنْ تلمّ هذه الأسطر بكل جوانبها وملابساتها، سيما وان الأشهر الأخيرة شهدت تحركات على الصعيد العربي والدولي، في اتجاه حلول تقوم على عدد من المساومات والتنازلات بغية تهيئة الجو لمؤتمر جنيف وحمل الدول العربية على الاعتراف بالأمر الواقع، وما ينطوي على هذا "الاعتراف" من تكريس للوجود الصهيوني في المنطقة العربية.

إن حكومتنا الوطنية تقف بالمرصاد بوجه كل المحاولات التي تقوم بها الدول الكبرى للضغط على الدول العربية وإقناعها بما يسمى "بالحل السلمي"، وتقاوم بعزم وإصرار كل الحلول الاستسلامية التي تهدف إلى تصفية القضية العربية. فلا حلول تقوم على المساومة، ولا سلام يقوم على الظلم، ولا حقوق تُمنح في جو من التنازلات. إنما الحل هو في استعادة الأرض المغتصبة وإعادتها للشعب العربي الفلسطيني المشرد؛ والسلام يقوم على الحق ويقتضي النوايا الحسنة من كل أطراف النزاع، والحق يفرض ذاته ويُنتزع وإن بالقوة.

حزيران ١٩٧٧

هذا العدد
كنيسة العراق

عدد خاص

كان لا بدّ للفكر المسيحي أن تخصص لكنيسة العراق عدداً كاملاً يتناول ماضي هذه الكنيسة العريق، ويكشف عن حاضرها وما يحتويه من قدرات، ليتطلع من ثم إلى مستقبلها، فيرسم ملامح كنيسة عراقية متجددة تواكب حركة التطور والانبعاث التي تجري في هذا البلد على كافة الأصعدة وفي كافة الميادين.

إزاء مشروع كبير كهذا، تبدو كل المحاولات لرسم صورة كاملة عن كنيسة العراق ناقصة لا تفي بالغرض، فالموضوع اكبر من أن يلم بكل جوانبه عدد خاص كالذي بين أيديكم. لذا فنحن نعتبر محاولتنا هذه مساهمة متواضعة لعرض وتحليل ومعالجة واقع كنيستنا في العراق، بما فيها من جوانب مشرقة إزاء جوانب أخرى اقل إشراقا! كما نعتبرها مساهمة منا في توضيح الرؤى أمام كل الذين يهمهم مستقبل المسيحية في هذا القطر الحبيب، وتكون لهم بمثابة دعوة للعمل على جعل هذا المستقبل يصبح أكثر إشراقاً.

من يراقب عن كثب مسيرة الكنيسة في العراق، في ماضيها وحاضرها، ومن يتأمل وجه هذه الكنيسة العريقة، يكتشف للحال فجوة بين ذاك الماضي وهذا الحاضر، فيضيع في التكهنات عما سيؤول بها الأمر في المستقبل القريب والبعيد معاً. هذه الفجوة تبدو للبعض عميقة لا سبيل إلى ملئها، فينال منه التشاؤم والشك في مستقبلها، بينما يحدو الأمل البعض الآخر فيرى في الطاقات الكامنة ما يبعث على الثقة بهذا المستقبل.

بين ذاك الماضي وهذا الحاضر يبدو للمراقب النزيه أن هناك حلقة مفقودة من تاريخ كنيسة العراق: فهو يقلّب صفحات التاريخ ويقرا

فيها أيام كانت هذه الكنيسة تتسم بالبذل والعطاء، تفاخر بكونها كنيسة رسولية تمتد جذورها إلى يوم العنصرة، حين كانت دماء شهدائها تنبت أجيالاً من المسيحيين الملتزمين بقضية الإنجيل؛ وحين ينظر إلى واقع المسيحيين العراقيين اليوم، قلما يجد فيهم ذاك السخاء وذاك الالتزام وتلك الشهادة! ويعود يتصفح التاريخ، فتقع أنظاره على مراكز الروحانية في بانوهدرا وحدياب ومركا... أيام كانت الأديرة تغص بالرهبان الذين كان لهم إشعاع روحي وفكري كبير؛ وحين يلتفت حواليه لا يرى سوى بقايا أديرة مبعثرة هنا وهناك لا زال رهبانها القلائل يتغنون ببطولات الرهبان الأولين! وينتقل إلى حقبات أخرى من التاريخ، بعضها مظلم، كحقبة النزاعات العقائدية وحقبة الاضطهادات، وبعضها الآخر مشرق كالحقبة التي برز خلالها آباء عظام من أمثال مار شمعون برصباعي ومار افرام السرياني ومار نرساي وفيلوكسينس المنبجي... وكحقبة العصر العباسي حيث برز رجال في الفكر والفلسفة والدين والتاريخ والأدب وسائر العلوم من أمثال ابن الصليبي وسليمان البصري وابن العبري وعبد يشوع الصوباوي... إلى جانب العديد من المترجمين وأبرزهم حنين بن اسحق الذين بفضلهم نُقلت الثقافة اليونانية عن طريق اللغتين السريانية والعربية إلى الغرب... ويعود ليرى ما آلت إليه حركة التأليف والنشر في الأزمنة الأخيرة حيث انتكست حركة الفكر وتضاءلت الأقلام ودب الخمول في الكنيسة!

قد يرى البعض في الخمول والجمود اللذين ينخران في كنيستنا العراقية، سواء على الصعيد الروحي أم الفكري أم الرسولي، سُنّة طبيعية تتعرض لها كل المؤسسات، دينية كانت أم سياسية: فمن فترات صعود وارتقاء إلى فترات من الضعف والهبوط. وقد يرى البعض الآخر في هذا الجمود الذي تعاني منه الكنيسة في حاضرها، حافزاً إلى التجدد والانطلاق، فكل ثورة انما هي ردة فعل إزاء الوضع المتردي وانقلاب جذري في البنى السائدة...

نحن ننظر إلى التاريخ بصفته حركة دائمة. فكل امة إنما هي تصنع تاريخها بنفسها وبحركتها الذاتية؛ وهكذا الكنيسة: فليس التاريخ هو الذي يصنعها، إنما هي تصنع التاريخ شريطة أن تكون على بينة من أمرها وعلى معرفة بقدراتها وإمكاناتها دون أن تتجاهل مواطن الضعف فيها. كنيستنا في العراق ذات تاريخ مجيد لأنها عرفت

في الماضي أن تصنع تاريخها بفضل سخاء مؤمنيها والتزامهم، وبفضل حكمة مدبريها ووعيهم لمسؤولياتهم؛ وهي اليوم ذات قدرات وطاقات واسعة من شأنها أن تجعلها تعود لتَتَبَوّأ مكانتها، فتمارس رسالتها في هذا البلد الذي كان لها في الماضي دور كبير في بناء حضارته وتثبيت دعائمه. فلا بدّ لكنيستنا العراقية اليوم أن تستعيد دورها التاريخي، فتبدأ بعملية المسح الشامل لواقعها وتخطط للمستقبل، وذلك في الأمانة على تراثها وأصالته، مع التصميم على مواكبة حركة الحياة.

من هذا المنطلق، وبثقة كبيرة بطاقات مسيحيي العراق، وبدافع من التفاؤل بقدرة كنيستنا على المضي قدماً إلى الأمام وبقوة الأمل الذي لنا بالمسيح

- نتطلع إلى كنيسة تكون حقا ملتقى لكل شعب الله –علمانيين وكهنة وأساقفة– شعب يؤمن بأنه يؤلف جسد المسيح ويعي أن لكل عضو فيه دوره ومسؤولياته في بناء هذا الجسد ونموه.
- نتطلع إلى كنيسة تتخطى الجمود الفكري في تقاليدها وشرائعها، فتعود إلى ينبوع الإنجيل الصافي تستلهم منه مواقفها وتستوحي منه معالجاتها لقضايا الإنسان المسيحي.
- نتطلع إلى كنيسة تتغلب على تقوقعها على ذاتها من جراء انقساماتها الداخلية، وتعرف كيف تتخطى الانقسامات العقائدية أو الطائفية، فتوحد كلمتها وتنسق نشاطاتها فتصبح شاهدة لإنجيل المحبة.
- نطمح في كنيسة عراقية أصيلة تكون ملتصقة بآمال شعبها وتطلعاته وطموحاته، فتلتزم قضاياه وتتبنى أفراحه وتنصهر بآلامه وتعالج مشاكله.
- نطمح في كنيسة تعايش إنسان العصر وتكون قريبة إلى كل الناس، بحيث يجد فيها كل إنسان ما يروي عطشه إلى المطلق. كما نريدها كنيسة نبوية تتكلم باسم الفقراء وتكون إلى جانبهم.
- نطمح في كنيسة يهمها مستقبل الإنسانية بأسرها، فلا تتردد من قول كلمة الحق بوجه الباطل، فتستنكر كل ظلم وتجاوز

على حقوق الإنسان وتساهم في عملية تحرير الشعوب وتعمل على بناء عالم تسوده العدالة ويستتب فيه السلام.

فمن أجل كل هذه الأهداف كان هذا العدد الممتاز من مجلتكم "الفكر المسيحي".

قراءنا الأعزاء،

إننا لا نهدف، من وراء هذا العدد، إلى تشخيص كل الأمراض التي تعاني منها كنيستنا. وفما محاولاتنا سوى مساهمة منا في إلقاء بعض الأضواء على الواقع، من شانها أن تدفع بمن تقع عليهم المسؤولية -وكلنا مسؤولون- إلى التحرك في خط تجديد الكنيسة. كما إننا لا ندّعي أن لنا حلولاً جاهزة لكل المعضلات التي تتعرض لها كنيستنا، فتلك مهمة تقع على عاتق كل شعب الله من علمانيين وكهنة وأساقفة؛ فمهمتنا الصحافية تقوم في أن نعكس كل ما يعتلج في نفوس قرائنا من أفكار وآمال واقتراحات، ونعمل على خلق الوعي وتقوية الشعور لديهم بالالتزام بمستقبل الكنيسة في هذا البلد.

- فإذا ساهم هذا العدد في توضيح الرؤيا أمام مسيحيي العراق، فكشف لهم عن الطاقات الكامنة فيهم ودفعهم إلى أن يعوا إيمانهم ومتطلباته ويعيشوه بالتزام وسخاء، سيكون قد حقق احد أعمق أهدافه.
- وإذا ساهم هذا العدد في الكشف عن مواطن الضعف والجمود في كنيسة العراق وكان بمثابة دعوة لكل الذين يهمهم خير الكنيسة إلى العمل على تجديدها ومدها بالنشاط والحيوية، سيكون قد حقق احد اعز أمنياته.
- وإذا ساهم هذا العدد في الكشف عن هوية المسيحي في هذا البلد وتوضيح موقعه في الحياة الوطنية، ودفعه إلى حمل مسؤولياته في بناء وطنه والعمل على تقدمه، سيكون قد حقق احد ابرز مطامحه.

وإذ نشكر جميع الذين ساهموا في هذا العدد، عن قريب أو بعيد، نأمل أن يروق لكم. وإننا نرحب بملاحظاتكم ونقدكم حوله.

عدد ممتاز

أيلول ١٩٧٧

كنيستي أحبها...

كنيستي أحبها، لأني قرأت تاريخها في بطون الكتب فسحرني وجهها الذي توسمتُ فيه ملامح أولئك الرسل الأوائل.

كنيستي أحبها، لأنها استمدت نشاطها وحيويتها، عبر تاريخها، من سخاء أولئك الشهداء الذين سفكوا دمائهم رخيصة شهادة لإيمانهم.

كنيستي أحبها، لأني توسمت فيها اقداماً في المغامرة وصموداً بوجه الشدة وثباتا إبان المحن، فلم تتوانَ من أداء الشهادة للإنجيل.

كنيستي أحبها، لأنها كانت مفعمة ثقة بنفسها، فعرفت أن تتكيف مع الظروف التي واجهتها دون أن تتنازل برهة عن إعلان كلمة الله.

انظر إلى وجهها اليوم، فلا أكاد أرى فيه ملامح ذاك الجمال المشرق الذي كانت تتسم به في سالف الأيام! ومع ذلك أحبها.

وانظر إليها ملياً، ولكني لا أشاهد ذاك النشاط الذي كان قوّتها إزاء المعاثر والعقبات! ومع ذلك أحبها.

وأتفحصها من جديد، فأرى أنها سئمت الحركة ولم تعد تستهويها قمم الجبال، وكأنها فقدت الثقة بنفسها! ومع ذلك أحبها.

وأحدق فيها، فأراها تخاف المغامرة وتحسب لها ألف حساب، وتتوجس شرا في كل من يمد لها يدا! ومع ذلك أحبها.

وتساءلت في نفسي عن مبعث هذا الحب؟ وعن معنى هذه الأمانة؟ وإذا بكلمات المسيح تتراقص في فكري، ويدّوي صوته في أعماق أذني: "ها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر".

هذه الكلمات من شأنها أن تحمل كنيستي على الاستفاقة من غفوتها، فتتخطى الحواجز وتسخر بالعقبات وتنطلق قدماً إلى الأمام، تشق طريقها نحو القمم. لذا سأبقى أحب كنيستي طالما أراها ترغب في الإصغاء إلى صوت الروح وإلى نداءاته.

وسأبقى أحبها ما دام فيها رعاة غيارى على خيرها، وما دام هناك طاقات يزخر بها المؤمنون ولاسيما الشباب منهم.

سأبقى أحب كنيستي طالما أجد فيها رغبة جادة إلى جمع قواها وتنسيق طاقاتها، لوضعها في خدمة الإنجيل.

وسأبقى أحبها ما دام فيها رجال يهمهم مستقبل المسيحية في هذا البلد ويسعون إلى بعث الحياة والنشاط فيها.

سأبقى أحب كنيستي طالما أرى فيها نفوسا سخية تطمح في كنيسة متجددة تعرف كيف تتبنى قضايا الجيل الصاعد.

سأبقى أحبها ما دام فيها رجال يهمهم واقع بلادهم ويسعون، بكل ما أوتوا من قوة، إلى المساهمة في بنائه وتقدمه.

هذه الخواطر هي من "وحي العدد الممتاز" (أيلول-١٢٧) الذي زفته إليكم الفكر المسيحي قبل أيام، أسوقها إلى كل مخلص في هذه الكنيسة علّه يجد فيها ما يحرك فيه الثقة ويدعم فيه الأمل، فيحفزه على الالتزام بمصير المسيحية ومستقبلها في هذا البلد.

تشرين الأول ١٩٧٧

للحصول على ٣٠٠ مشترك جديد

لم يعد خافياً على احد اليوم أن التكاليف المادية "لصناعة" الصحيفة أو المجلة لا تتناسب ومدخولاتها من بدلات الاشتراك، ذلك لان القارئ لا يدفع الثمن الحقيقي لمجلته أو صحيفته!

لا نكشف سرا إذا قلنا أن "الفكر المسيحي" شقت طريقها عبر ظروف مادية صعبة. فإذا استطاعت أن تستمر في الصدور حتى اليوم، فما ذلك إلا بفضل مجانية الخدمات، على صعيد التحرير والتوزيع، وقد سعت جاهدة ألا تحمّل القراء إلا جزءاً صغيراً من نفقاتها المتزايدة، من جراء ارتفاع أسعار الورق وتكاليف الطباعة. ويكفي أن يعرف القارئ أن كل عدد يكلف المجلة ١٥٠ فلساً! ولو أدرجنا في هذا الحساب نفقات التحرير والتوزيع الخ... لكان كل عدد يكلفها ٢٥٠ فلساً على أقل تقدير!

ولسنا نريد من وراء هذا الحديث، أن نتباكى من جراء وضع اقل ما يقال فيه انه غير طبيعي، إنما هدفنا أن نطلع القراء على الوضع المادي للمجلة -فذلك من حقهم- لنهيب بهم إلى تحمل قسطهم من المسؤولية إن هم شاءوا لمجلتهم أن تستمر، ولا يكفي أن تستمر، بل أن تسير نحو الأفضل من حيث المضمون والإخراج والطباعة.

أصدقاء "الفكر المسيحي"...

لقد قطعت مجلتكم شوطا لا باس به من وجودها، وهي مصممة على مواصلة السير بعزم وإقدام، بالرغم من العقبات التي تعترضها -والعقبات المادية من أخطرها!- ذلك لأنها اعتمدت، خلال الثلاث عشرة سنة، على تجرد محرريها وغيرة وكلائها -الذين لولا تفانيهم لما استطاعت أن تواصل مسيرتها- فضلاً عن أمانة قرائها لها التي نعتز بها أيما اعتزاز... فعلى هذه الأمانة نعلق اكبر الآمال.

ولما كانت الفكر المسيحي قد أبت وتأبى أن تسد نفقاتها المتزايدة عن طريق الإعلان التجاري، حفاظا على مستواها، فهي تعوّل، لتغطية هذه النفقات، على المشتركين أنفسهم، الذين، ببقائهم أمناء لها وبسعيهم إلى تعريفها وتوسيع رقعة انتشارها، يمكنونها من تأدية رسالتها الإعلامية والثقافية في كنيسة العراق.

قراءنا الأعزاء

إن الحملة التي طلبنا إليكم أن تقوموا بها بين أصدقائكم لحملهم على الاشتراك بالمجلة، لا تهدف إلى الكسب بل إلى أن تعم فائدتها اكبر عدد ممكن من القراء. وقد بعثنا لكم، مع عدد تشرين الأول، بثلاث نسخ من "قسيمة الاشتراك" كي تقدموها لثلاثة من أصدقائكم ممن يجهلون المجلة، ولنا الثقة بأنكم ستساهمون في إنجاح هذه "العملية" التي نتوخى أن تسفر عن مضاعفة عدد المشتركين، إذا ما سعى كل واحد منكم إلى "كسب" مشترك واحد على الأقل!

فإذا تمكن هذا النداء من الحصول على ٢٠٠٠ مشترك جديد فقط، فسيصبح عدد المشتركين ٥٠٠٠ -ولا ضير في أن يصبح ٩٠٠٠ إذا ما تمكن كل مشترك من كسب ثلاثة مشتركين جدد!- تلك هي خير خدمة تقدمونها لمجلتكم.

ولكم منا بالغ الشكر والامتنان.

من وحي سينودس الأساقفة

في افتتاح الدورة الخامسة لسينودس الأساقفة يوم ٣٠ من أيلول -وموضوعها "تعليم مسيحي لعصرنا"-، عبر قداسة البابا في كلمته عن قلقه العميق إزاء ظاهرة تحول البشر عن الدين بحيث "لم يعودوا يصغون إلى ندائنا، كونهم مقتنعين، على خطأ، من أن تقدم الحضارة يزيل الحاجة إلى الدين"...

.وفي ختام الدورة، في ٢٩ تشرين الأول، وجه آباء السينودس "نداء إلى شعب الله" اتسم بالتفاؤل والأمل، إزاء "ميل الشبيبة إلى الروح الخلاقة وإلى العدالة والحرية والحقيقة"، وذلك لان الآمال التي وضعتها في التقنية والأيديولوجيات لم تعد تسد فراغها. ودعا "النداء" إلى تخطي التعديلات السطحية التي تجرى على صيغ التعليم المسيحي، وجعله ملتصقاً بحياة عصرنا بقدر التصاقه بالإنجيل، شريطة أن يكون تعبيرا أمينا لكلام الله و"التزاماً حياتياً واعياً وفعالاً".

لقد سئمت الشبيبة من كل تعليم يأتيها من علُ، ولم تعد ترضى بان تبقى علاقتها بعالم الكبار علاقة التلميذ بالمعلم سيما إذا ادعى هذا المعلم، بأنه يعرف الحقيقة كلها ويرشد إلى كل الحقائق ويرفض أن يناقَش حول ما يعلّم من حقيقة! ويبدو موقف الشبيبة هذا في السياسة كما في القضايا السلوكية، في أساليب التربية أو التعليم كما إزاء الحقائق الدينية. فلا مندوحة في التباكي على أيام مضت، حين كانت الشبيبة طائعة منقادة، تتلقى دون أن يكون لها كلمة في ما تتلقاه.

ولا مغبة تُخشى من الروح النقدية التي تتسم بها شبيبة عصرنا، إنما يخشى فيها أن تفقد روحها الخلاقة وميلها إلى المشاركة المسؤولة، إلى جانب سخائها في العطاء وفاعليتها في الالتزام.

فإذا تساءل آباء السينودس، ومعهم كل رعاة الكنائس المسيحية في العالم، -وذلك من واجبهم- عن مضمون "تعليم مسيحي لعصرنا"، وعن الأساليب والسبل لإبلاغ كلمة الله إلى شباب اليوم بلغة يفهمونها، وإذا تساءلوا عن كيفية "عصرنة" هذا المضمون وهذه الأساليب وهذه السبل -وتلك ضرورة ملحة-، فسوف ينتهون إلى هذه النتيجة وهي: إن معاصرينا، ولا سيما الشباب، لا يصغون إلى تعليم إلا إذا كانت له جذور في تجربة حياتية، وان تثقيفا مسيحيا لا يلتصق بالحياة الواقعية، في معاناتها وتطلعاتها، يبقى يتقوقع في مجموعة من الحقائق النظرية التي لم تعد تستهوي أبناء العصر.

إن التساؤل العميق الذي تطرحه الشبيبة المسيحية -وعلى الرعاة وكل شعب الله أن يتحسسوه قبل فوات الأوان- هو تساؤل يكشف عن رغبتها الصادقة في البحث لإيجاد الصلة الوثيقة بين الإيمان والأحداث الراهنة، بين الإنجيل وقضايا العالم المعاصر، بما فيها من معضلات ملحة. فعصرنة التعليم المسيحي تكمن في أن يصبح "التزاما حياتيا" يجد في إنجيل يسوع نورا يهدي خطوات المؤمنين إلى حيث يتحقق خلاص الإنسان وتحرره، وقوة تدفعهم للسعي من اجل عالم تشيع فيه العدالة ويسوده السلام.

وإلى قرائنا، بمناسبة ميلاد رسول العدل والسلام أجمل التهنئات وأطيب التمنيات.

كانون الأول ١٩٧٧

١٩٧٨

معاً على الطريق !!

نضع بين أيديكم هذا العدد الجديد الذي هو مفتتح العام الرابع عشر لميلاد "الفكر المسيحي"، وقد عملنا جاهدين كي يظهر بثوب قشيب وإخراج أنيق. وإذ لنا الأمل انه سيروق لكم، بحلته الجديدة وأبوابه المتنوعة، نعلم بان أمامنا بعدُ طريقاً طويلاً، قبل أن تصبح جميع آمالنا واقعا وكل أحلامنا حقيقة، سواء على صعيد التحرير أم على صعيد الطباعة والإخراج... وان ثقتنا بأمانتكم للمجلة ستمكننا من أن نشق الطريق معا، ويدا بيد، من أجل أن تلتصق بالأكثر جهودنا بآمالكم، وتلتقي أهدافنا بتطلعاتكم بشكل أكثر عمقاً، وتلتحم مؤازرتكم مع طموحاتنا بنوع أكثر جدوى.

قراءنا الأعزاء،

لقد سعت وتسعى الفكر المسيحي إلى أن تصبح مجلتكم ولسان حالكم، مستجيبة لرغباتكم ومتجاوبة مع ما يحق لكم أن تنتظروه منها. وهذا يعني، بالنسبة لنا، مسؤولية نتحملها تجاهكم في كل ما نكتبه، كما إنها مسؤولية تتحملونها انتم في الادلاء بآرائكم حول كل ما نقدمه لكم، إذ ان لتعقيباتكم -ثناء كانت أم نقدا- أثرها الكبير في السير بالمجلة نحو الأفضل. فنحن لا نكتب إرضاء لنزوة فينا أو "مسايرة" لوضع ما، إنما منطلقنا فيما نكتبه هو أن نرجّع الصدى العميق لما يعتمل في نفوس قرائنا من تساؤلات أو آمال، ونشبع رغبتهم في الاطلاع على ما يجري في الكنيسة من أحداث، دون أن نهمل واجبنا في أن نقدم لهم ما يبدو لنا ضروريا لتوسيع ثقافتهم الإنسانية والمسيحية.

من هذا المنطلق يسرنا أن نستعرض وإياكم المخطط الجديد الذي انتهجته المجلة لهذا العام، والذي جاء تلبية لرغبة العديد من قرائنا

الذين تلطفوا بالكتابة إلينا لاسيما عبر الاستفتاء الذي نشرت المجلة نتائجه في عدد تشرين الثاني الماضي.

فمن الأبواب الثابتة التي أبقينا عليها، وسيكون للقارئ معها موعد في كل شهر: "الملف"، ويتناول عرضا شاملا لوضع كنيسة في احد بلدان العالم، أو دراسة لموضوع ديني أو اجتماعي. وفيما تعرض "الأنباء" ابرز الأحداث في العالم المسيحي، تتناول "قضايا راهنة" حدثا هاما في حياة الكنيسة في محاولة للكشف عن أبعاده؛ بينما يطرح "المنبر الحر" آراء ومحاولات في قضايا من صميم الحياة تعالَج بحرية وجرأة. فضلا عن الزوايا المألوفة: "همسات"، "تساؤلات القراء"، "آراء وردود"... ومن الأبواب المستحدثة: "من وحي الإنجيل" حيث تسلط أضواء الإنجيل على حياة الإنسان المعاصر وقضاياه، إلى جانب "وثائق" التي تقدم ابرز ما يصدر عن الهيئة الأسقفية في العالم من رسائل راعوية أو نداءات، فضلاً عن "مجرد فكرة" تلقى من خلالها تساؤلات تحمل على التفكير. وإلى جانب هذه الأبواب الثابتة هناك مقابلات أو تقديم مسهب لشخصية ما أو تحقيق في كتاب صدر حديثاً، إلى غير ذلك من المقالات الأدبية والتربوية والقصائد الخ...

ونغتنمها فرصة للتوجه إلى كل ذوي الأقلام، من كهنة وعلمانيين، كي يساهموا معنا في التحرير من خلال نتاجاتهم الفكرية، وإنّا لهم من الشاكرين.

واليكم أخلص التمنيات بالعام الجديد. وليكن عام سلام وفرح للعالم أجمع.

كانون الثاني ١٩٧٨

علامات الأزمنة

تطالعنا الأنباء، ليل نهار، وعلى كافة الموجات وبكافة وسائل الإعلام، بأحداث تجري هنا وهناك في بلدان، بعضها قريبة إلينا وبعضها بعيدة عنا جغرافيا ولا نكاد نعرف شيئا عن شعوبها وحضاراتها. وبينما نرهف السمع للأنباء الواردة من الوطن العربي، ونقف مشدوهين إزاء لقاء القدس ومحادثات القاهرة والإسماعيلية؛ وبينما تثير اهتمامنا أحداث لبنان وزلازل إيران وجولة بومدين... نجدنا بُعْدَ الشمس عن الأرض من أنباء زامبيا وناميبيا وزيمبابوي ولاوس وتايلاند الخ... ولا نكاد نصغي إلى أحداث سلفادور الدامية وأخبار القمع والتعذيب في شيلي والبرازيل، والتجاوزات على حقوق الإنسان في بيرو والأرجنتين، وفي عدد كبير من دول العالم...

إن تعاملنا مع وسائل الإعلام العصرية لا يقاس بكمية المعلومات التي نتلقاها، بل بكيفية تلقينا لهذه المعلومات، ونوعية تفاعلنا معها، وبمدى رغبتنا في أن تصبح هذه المعلومات نداءات ملحة إلى العمل ودعوة جادة إلى الالتزام. ذلك لان عطش الإنسان إلى الاطلاع والإحاطة بكل ما يجري في العالم من أحداث لا يتخذ بُعده الحقيقي إذا لم يخلق فيه هذا العطش وعياً عميقاً بمسؤولياته تجاه أحداث العالم ومعضلاته، وإذا لم يحرك فيه الهمم للمساهمة -كل من موقعه- في بنيان عالم يسوده العدل ويشيع فيه الإخاء وترفرف عليه الحرية والسلام.

من هذا المنطلق لا يمكن للمسيحي أن يعتبر نفسه غريباً أو نزيلاً على هذا العالم بحجة كونه "مُواطن السماء"! فليس في الإنجيل أي اثر للدعوة إلى الخروج من العالم أو الهروب منه أو التنصل من مسؤولياته فيه، وليس في توجيهات الكنيسة وتعاليمها ما يدعو إلى التنازل عن حقه في التفاعل مع أحداث العالم ومعضلاته أيا كان

نوعها، أو إلى التهرب من واجبه في الالتزام بمصير أخوته البشر والتضامن معهم في سعيهم نحو مستقبل أفضل.

فإذا ساورت المسيحي أفكار تحمله على الهرب من واقعه، وإذا تسرب إلى نفسه الشعور بأنه غريب ونزيل في وطنه وشعبه، وإذا تغلغلت في ذهنه تجربة التنكر للعالم وعدم الاكتراث بما يجري فيه، فإنما يكتب بنفسه على الإنجيل أن يأخذ مكانه في الرفوف العالية، ويُحشَر بين كتب التاريخ، ويُحكَم على الكنيسة بأنها لم تعد تجسيداً لملكوت الله في العالم!

إن على المسيحي أن يدرك جيدا بأنه، وإن كان "مواطن السماء"، إلا انه مواطن الأرض أيضاً، يحمل رسالة الإنجيل في العالم. فلا ينبغي أن يلهيه تطلعه إلى السماء عن مصير إخوته البشر! فانه بمقدار ما يصبح أخا لإخوته ويندمج بكفاحهم ويشاركهم مساعيهم وتطلعاتهم وطموحاتهم، بمقدار ذلك يصبح ابنا لله و "وارثا للملكوت". كما أن عليه أن يرى في الإنجيل نورا يهتدي به في مواقفه تجاه أحداث ومعضلات العالم الراهنة، ويدرك بان الإحداث التي تجري في العالم والمعضلات التي يعاني منها البشر، من أقاصي الأرض إلى أقاصيها، لا يمكن أن تغيب عن نظر المسيح، وان عليه من ثم أن يسلط أضواء الإنجيل عليها.

لقد بات البشر اليوم، وبفضل وسائل الإعلام، أسرة واحدة، بالرغم من كل الحدود وبُعد المسافات والفوارق الدينية والحضارية والفكرية. فعلى المسيحي أن يرى في الأنباء والمعلومات التي تحملها إليه وسائل الإعلام -والفكر المسيحي احداها- "علامات الأزمنة"، ونعني بذلك علامات حضور الله في العالم، وان يكتشف، من خلال الأحداث، مقاصد الله في حياة البشر ويرهف سمعه لاكتناه ما ينطوي عليها من نداءات إلى الالتزام بمصير البشرية، هذا الالتزام الذي يفرضه عليه إيمانه بالمسيح وأمانته للإنجيل. فالإنسان -والمسيحي بشكل خاص- الذي لا يرى في الإعلام سوى ملهاة يملأ بها فراغه، ولا يستشف فيه دعوة ملحة إلى العمل، يضحي مستهلكا لسلعة من نوع جديد!

شباط ١٩٧٨

التفاتة كريمة

يطيب للفكر المسيحي، وهي تتلقى ببالغ السرور الدعم المادي المعنوي الذي خصها به الرفيق المناضل صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة الموقر، أن تتقدم من سيادته بأسمى آيات الشكر والامتنان، معبرة عن تثمينها الكبير لهذه الالتفاتة الكريمة التي كان لها الأثر العميق في نفوس القائمين على المجلة ونفوس قرائها.

إن بادرة السيد النائب بدعم الفكر المسيحي، إن دلت على شيء، فإنما تدل على العناية الكبيرة التي يشمل بها سيادته كل المبادرات الخيرة التي من شأنها أن تساهم في نهضة هذا البلد العظيم ورقيه على كافة الأصعدة، ولاسيما في ميدان العلم والثقافة. وما التفاتة سيادته تجاه الفكر المسيحي سوى واحدة من مآثره العديدة التي ستمكّنها من مواصلة رسالتها الإعلامية والثقافية في خدمة هذا الوطن الحبيب.

لقد برهنت قيادتنا السياسية، وعلى رأسها الأب القائد احمد حسن البكر والرفيق المناضل صدام حسين، على اهتمامها البالغ بكل روافد المعرفة من علم وفن وأدب وثقافة، وكان لوسائل الإعلام، بكافة أشكالها، من هذا الاهتمام، نصيب كبير، حيث أن صحافتنا العراقية -يومية كانت أم أسبوعية أم شهرية- قطعت أشواطاً مدهشة من التقدم، في السنوات الأخيرة، سواء على صعيد الإخراج الصحفي أم على صعيد المادة الصحافية، وهي تتبوأ اليوم مكانة مرموقة بين صحافة البلدان العربية تُحسَد عليها.

ليس بغريب أن تُعنى حكومة الثورة بتنشيط الحركة الفكرية والأدبية في القطر، وهي الثورة التي قامت لتقطع الصلة بعهود الجهل والتخلف، حين كانت الحكومات السابقة تؤثر أن يبقى الجهل ملازما

للشعب لأنها كانت ترى في الجهل وسيلة للحكم والتحكم بالشعب؛ ولقد بات واضحا اليوم أن الشعب بقدر ما يصبح متعلماً ومثقفاً، بقدر ذلك يصبح سيد مستقبله، مدركاً مسؤولياته في بناء وطنه وتقدمه وازدهاره. فنحن نقف وقفة إجلال وإكبار تجاه كل المبادرات التي تقوم بها حكومتنا الوطنية لإشاعة المعرفة والثقافة بين كافة الطبقات، ونخص بالذكر الحملة الوطنية للقضاء على الأمية ومجانية التعليم والزاميته...

إن رعاية السيد نائب رئيس مجلس قيادة الثورة للفكر المسيحي، بما تحمله هذه الرعاية من دعم معنوي له مغزاه العميق، لهي دليل ساطع على تأييده للرسالة التي تضطلع بها والتي تهدف -فضلاً عن مهماتها الإعلامية الثقافية الخاصة في خدمة قرائها- إلى تعزيز القيم الإنسانية والوطنية التي تخدم مصلحة هذا الوطن العزيز في قضاياه وطموحاته وتطلعاته، وتساهم في إشاعة العدل والحرية والسلام في العالم.

قراءَنا الكرام،

في الوقت الذي تتلقى فيه مجلتكم مؤازرة السيد النائب، تعاهدكم أنها ستحافظ على الخط الذي سارت عليه، متجاوبة مع رغباتكم ومع ما يحق لكم أن تنتظروه منها. وإنها ستواصل المسيرة بمزيد من الالتزام لتحقيق أهدافها، ساعية دوماً نحو الأفضل من حيث المضمون والإخراج، وكلها ثقة أنها ستكون عند حسن ظنكم بها، وهي تعلق عليكم أكبر الآمال لتوسيع رقعة انتشارها لتعم فائدتها.

آذار ١٩٧٨

متى يستفيق لبنان ؟

لم يكن الاعتداء الصهيوني، في ١٤ آذار، على جنوب لبنان، أمرا غريبا في الظروف الراهنة، حيث تجندت القوى الرجعية في بعض الأقطار العربية لتصفية القضية الفلسطينية! وما هذا الهجوم الذي اعد له الكيان الصهيوني، منذ أمد بعيد، سوى مطر هيأت له غيوم تلبدت في سماء بيروت والقاهرة ودمشق. فقد رأى العدو -وهو يراقب عن كثب تخاذل بعض الزعماء العرب تجاه القضية العربية- أن الفرصة مؤاتية لشن هجومه الوحشي على الجنوب اللبناني، وقد أصبح آخر معقل للمقاومة الفلسطينية، بغية التمهيد لتسوية "سلمية" يخرج منها، وقد صفا له الجو وحقق ذاك "الحزام الأمني" الذي يضمن له "حدودا آمنة" يكون فيها بمأمن من عمليات الفدائيين الذين اقلقوا طمأنينته طيلة أعوام، وآخرها العملية البطولية التي قامت بها الوحدات الفدائية العاملة داخل فلسطين المحتلة يوم ١١ من آذار الماضي.

إن العدو الصهيوني يؤمن إيمانا أعمى بمبدأ: "إذا أردت السلام فاستعد للحرب"! من هذا المنطلق نسجت "إسرائيل" لحمة كيانها وسداه، طيلة ثلاثين عاماً من وجودها غير الشرعي في قلب الوطن العربي. فأي سلام تريد؟ وبأي ثمن تريد السلام؟

تريد سلاما يضمن لها وجودا شرعيا، على حساب الأرض العربية في غزة وسيناء والجولان وجنوب لبنان...! تريد سلاما يجعلها في علاقة (حسن الجوار) مع الدول العربية فتطالبها بتضييق الخناق على الفدائيين وتجريدهم من السلاح! تريد سلاما يدفع ثمنه الفلسطينيون بالتنازل عن حقهم في أرضهم ووطنهم فلا يعودون يقلقون أمنها!

لقد نشر الرسام الكاريكاتوري كنوك في جريدة ليموند الفرنسية -على اثر ما يسمى "بمفاوضات السلام" بين بيغين ونظام

السادات- كاريكاتيرا عبّر فيه خير تعبير عن مطامع الكيان الصهيوني، جاء فيه على فم بيغن:

نريد:

١- غزة
٢- الجولان
٣- القدس
٤- الضفة الغربية
٥- سيناء
٦- السلام

فلو درى كنوك بمخطط بيغن في الاستيلاء على "الجنوب اللبناني" لاضافه إلى سلسلة مطالباته قبل المطالبة بالسلام!!

فلئن كانت سلسلة الاعتداءات على جنوب لبنان، منذ عام ١٩٤٨، لم تحمل لبنان على الاستفاقة من غفوته، ولئن كانت الحرب الأهلية التي أضرم نيرانها العدو الصهيوني، عن طريق تصعيد المواجهة بين القوى اليمينية والقوى التقدمية بغية إثارة السخط ضد المقاومة الفلسطينية، لم تعط للبنان إدراكا يحمله على إصلاح بنيته السياسية والاقتصادية المتخلفة، فيجب أن يدفعه الاعتداء الأخير -وقبل فوات الأوان- إلى تجنيد كافة القوى الوطنية فيه لمواجهة الخطر المحدق بأمنه وسيادته، فلا يستسلم للمتاهات التي تزجه فيها القوى الانعزالية التي لا يهمها من لبنان ومن القضية العربية سوى مصالحها الضيقة.

نيسان ١٩٧٨

أصحيح أن هناك أزمة؟

نسمع هذا الوالد يشكو من تصرفات ابنه، وهو في الخامسة عشرة من عمره، وهذا الولد الذي لم يعد ذاك "المطيع" الذي كان سبيله الوحيد "من البيت إلى المدرسة، ومن المدرسة إلى البيت"! واليوم لم يعد يَسعُه البيت، على رحابته، وإذا سُئل عن صداقاته و"طلعاته" يجيب بشَزَر: هذا أمر يخصني وليس لأحد فيّ شأن!

ونصغي إلى تلك الأم، وقد شغلت ابنتها الصغرى، في السابعة عشرة من العمر، فكرها، ليل نهار، حتى إنها لم تعد تعرف طعم النوم! فابنتها -خلافا لأخواتها الكبار- تثير قلقها بمكالماتها التلفونية التي تطول وتكثر، وتلاحظ الأم آثارها في تصرفات ابنتها التي تشاكس وترفع صوتها إذا ما رُفض لها مطلب!

تلك عيّنة من تشكيات الآباء والأمهات إزاء تصرفات أبنائهم وبناتهم، ويعترف بعضهم بعدم مقدرتهم على معالجتها، فيما يذهب الغضب ببعضهم إلى التهديد بطرد ذاك الابن "العقوق" وقتل تلك الابنة "الشاذة"!

وهذه عينة أخرى من تشكيات الفتيان والفتيات الذين لا تقل "مأساتهم" التي يعيشونها عن "المأساة" التي يعيشها والدوهم!

نسمع هذا الفتى، وقد أنهى السادسة عشرة من عمره يقول: لقد مللت من الوصاية التي يمارسها عليّ والدي والتي شملت كل جوانب حياتي، حتى الهوايات التي يطيب لي أن أمارسها. إني لم اعد أجد فرصة للتعبير عن شخصيتي: فلم اسمعهم يوما يثنون على نجاح أحرزته، أو يبدون اهتماما بمعانياتي الشخصية، وقلما لَقيَتْ آرائي ومشاريعي المستقبلية صدى في نفسهم. لقد تعبتْ أذناي من سماع كلمة "لا"، يرددونها كل مرة طلبت إليهم أن اذهب إلى السينما أو استأذنتهم

للمشاركة في مباراة لكرة القدم أو أبديت رغبة في الدخول إلى كلية التربية الرياضية...

وتشكو تلك الفتاة، في عامها الثامن عشر، قائلة: كيف يطيب لي العيش في جو دائم من التوتر حيث لا يزال أبي يمنعني من الذهاب إلى سفرة مع صديقاتي، وحين تريدني أمي أرافقها في زياراتها للجارات لأسمع طيلة ساعات أحاديث فارغة! والويل لي إذا علم أخي الكبير اني اتردد أحياناً إلى الندوة الدينية... كنت أود أن أبوح بأسراري ومشاكلي، غير اني لا أجد مناخا يحمل على الثقة، وأخاف أن تؤدي صراحتي إلى تشديد الرقابة عليّ.

أنها ولا شك أزمة الثقة بين الوالدين والأولاد، وهذه الأزمة ترافق التحولات التي اجتاحت عالمنا المعاصر، وعلى كافة الأصعدة والمستويات. فما "المشاكسة" و"العصيان" سوى رد فعل على سلطة أضحت تسلطا، كما إن "الوصاية" التي تتخذ شكل "رقابة"، ينتج عنها رد فعل معاكس يقوم في التحدي الذي هو شكل من أشكال التعبير عن الذات. فعوضاً عن التباكي على عهود كان يُظن إنها خالية من الأزمات، علينا أن نرى في أزمة الثقة التي اتخذت أبعادا لم تعرفها الأجيال الماضية، مؤشرا على اكتشاف أسبابها العميقة بكثير من صفاء الرؤيا ودون التوقف عند بعض جوانبها السلبية، والعمل على تقليص الهوة وخلق مناخات جديدة من الحرية يعيش فيها الآباء والأبناء معا.

فمن أجل قيام علاقات تتسم بالثقة والصراحة، كان هذا الاستفتاء الذي نطلقه مع هذا العدد، وكلنا أمل أن تعكس إجاباتكم -آباء وأمهات وأولاداً- الواقع الحقيقي لمعانياتكم، كما نرجو أن تكونوا كثرا في الإجابة، في فترة أمدها شهران، إلى أسئلة الاستفتاء والتي سيرجّع صداها ملف عدد أيلول القادم. ولكم منا عميق الشكر والامتنان.

أيار ١٩٧٨

من أجل مناقشة جادة ...

واستبشر الكهنة والمؤمنين خيراً... ولمع في نفوسهم بريق من الأمل... وتطلع بعضهم إلى اشراقة فجر جديد، وذهب بعضهم في رحاب التوقعات إلى ابعد مما حمله النبأ (لقاء أساقفة الكلدان مع ممثلين من الكهنة/ عدد آيار) . وفيما لم يُعِرْ بعضهم للنبأ انتباهاً، كونهم سئموا اجتماعات الأساقفة التي قلما تمخضت عن قرارات -فيما إذا كانت هناك قرارات- تحمل على الأمل، نظر البعض الآخر إليه بعيون فاحصة متسائلين: إلى مَ يهدف هذا الاجتماع الذي جاء على حين غرة؟

وتلقاه الكهنة وهم غير مصدقين أعينهم، كونها المرة الأولى يتمثل -في اجتماع أساقفة- كهنة يختارهم زملاؤهم ليحملوا آمالهم ومعانياتهم؛ وتلقاه آخرون بابتسامة ساخرة وقناعتهم أن الأوان قد فات، وان الوضع بلغ حداً لم تعد معه هذه المبادرة تبشر بخير! بينما تساءل آخرون -وبحق- لماذا لم تشمل هذه الدراسة كافة الكهنة في كافة الأبرشيات، وعلى صعيد كافة الكنائس في القطر؟ ألَيس لجميع الكهنة عين الآمال وعين التطلعات وعين المعانيات؟

وقرأ النبأ علمانيون وتفاءلوا: عسى تكون هذه الخطوة مؤشراً إلى هبوب ريح جديدة في الكنيسة ومنطلقا للتجدد؛ وذهب بعضهم في التطلع إلى ذاك اليوم الذي يتاح لهم فيه أن يشاركوا الأساقفة والكهنة اجتماعاتهم، إذ ان لهم، هم أيضاً، كلمة يقولونها في كنيستهم وآراء يدلون بها. وقرأه آخرون، وقف منه بعضهم موقف اللامبالاة كون الموضوع المطروح لا صلة لهم به، ووقف منه بعضهم الآخر متشائماً لا ينتظر خيراً من هذه المبادرة ويقينه أن البنية الكنسية كلها في تصدع ولم تعد تجدي الحلول الجزئية نفعا؛ فيما نظر آخرون إلى هذه (التقليعة) بعين الحذر، متسائلين باهتمام بالغ: ماذا سيحدث إذا ما بدأ الكهنة يناقشون ويطالبون ويحتجون!

ليس بغريب أن يثير هذا النبأ الصغير هذه المجموعة من ردود الفعل المختلفة، بما فيها من تساؤلات ولا مبالاة وتفاؤل وحذر... وليس بكثير على الفكر المسيحي إن هي عكست صدى آراء قرائها وتوقعاتهم وآمالهم ومطاليبهم وتطلعاتهم في كنيستهم، فتلك هي إحدى ابرز مهماتها الصحافية. وليس بكثير عليها إن هي أعطت لهذه المبادرة حقها من الاهتمام وعلقت عليها الآمال، وهي تدرك إلى أين تتجه تطلعات المؤمنين الذين طال انتظارهم وفرغ صبرهم من الانتظار! والموضوع المطروح ذو حجم له أثره البالغ على مستقبل المسيحية في هذا البلد.

ولسنا نكشف سرا إذا قلنا بان استفاقة كنيستنا، ونزولها إلى الساحة، وتصميمها على كسر طوق الجمود الذي لفها لأعوام خلت، وانطلاقها في رحاب التجدد... يتعلق إلى حد كبير بعمق الوعي لدى أساقفتها وكهنتها ومؤمنيها بضرورة إعادة النظر في بنيتها الحالية التي ورثتها من أجيال كانت فيها العقلية التسلطية هي السائدة، وكانت الروح التشريعية هي السبيل الوحيد لفرض التماسك بين أعضائها، فابتعدت عن الروح الإنجيلية التي تأبى أن يكون الإيمان (انتماء اجتماعيا)، والسلطة مراتب ومناصب، والشريعة حرفا ميتا لا روح فيه...

فإذا كانت لنا أمنية نعبر عنها في هذا الصدد، فهي أن يُصار إلى عقد جلسة عامة، على صعيد كافة الكنائس في القطر، لمناقشة جادة في (ورقة عمل) الكنيسة، على كافة الأصعدة وفي مختلف الميادين. عسى تلقى هذه الأمنية، لدى أساقفتنا الأجلاء، أذنا صاغية.

حزيران ١٩٧٨

مات البابا !

عدد خاص

في الثاني عشر من آب ودَّع العالم المسيحي البابا بولس السادس الذي انطفأ في مساء السادس من آب، في مقره الصيفي بكاستل كوندولفو، واهتز العالم اجمع لهذا النبأ الذي جاء على حين غرة، بالرغم من أن قداسة البابا كان قد أوشك أن يحتفل بالذكرى الحادية والثمانين على ميلاده.

بولس السادس الذي قاد سفينة بطرس، مدة خمسة عشر سنة، في إحدى أصعب الفترات من مسيرتها الطويلة، وسار في مقدمة كنيسة متحولة وسط عالم متحول يبحث لها فيه عن هوية تمكنها من أن تعلن بشرى الإنجيل لبني جيلنا... سيخلد التاريخ اسمه، كما خلد، من قبل، سلفه يوحنا ٢٣، ذاك "البابا الشيخ" الذي لم ينس احد طيبته وسماحته ومواهبه النبوية، هو الذي كان قد فتح نوافذ الكنيسة وشرّع أبوابها... فكان على البابا بولس أن يواصل المسيرة بذكاء ودهاء وشجاعة مقرونة بالحزم والفطنة معاً. لقد عرف بولس السادس كيف يقود الكنيسة في طريق التجدد، بحزم لا يعرف التراجع، إزاء أولئك الذين خرجوا بعد المجمع في شبه وحشة على الماضي، وانقلبت مخاوفهم من التجدد إلى حرب ضده، وبفطنة عرفت أن تحد من اندفاع أولئك الذين شاءوا للكنيسة قفزات سريعة لم تكن مهيأة لها...

واليوم يعترف له العالم اجمع انه أنجز العمل الذي كان البابا يوحنا قد بدأه -المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني- فرعى، بشجاعة منقطعة النظير، البذرة التي زرعها سلفه، وأنماها وحصد ثمارها، وسيبقى اسم بولس مقترنا بالمجمع وما نتج عنه من تغييرات في حياة الكنيسة. كما سيبقى البابا الراحل نموذجا للرسول الذي دفعته غيرته على إنجيل المسيح -وكان لاختياره اسم بولس مدلول واضح- إلى

الالتقاء بالجماهير في مختلف القارات، ليحمل إليها بشرى الخلاص والتحرير، ويخلق فيها الأمل والرجاء بعالم أفضل تسوده العدالة ويرفرف عليه السلام.

وإذا كان يوحنا ٢٣ بابا الوحدة المسيحية، فبولس السادس هو بحق بابا الحوار المسكوني الذي ستبقى يداه الممتدتان أبداً إلى رؤساء الكنائس المسيحية في العالم وإلى ممثلي الديانات المختلفة وإلى قادة الشعوب، علامة للحوار، هذا الحوار الذي افتتحه منذ بدء حبريته، حين ذهب حاجاً إلى الأرض المقدسة وتبادل قبلة السلام التاريخية مع قداسة البطريرك المسكوني أثيناغوراس على جبل الزيتون.

وبولس السادس هو أيضا بابا الوفاق والسلام بين الشعوب، هو الذي استطاع أن يرفع صوته على مسمع ممثلي الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة ليدافع عن الحياة والسلام؛ ولا زالت كلمته "لا حرب أبداً بعد اليوم" ترن في آذان قادة الشعوب، موقظة ضمائرهم للعمل على نزع السلاح وفض النزاعات والسعي لبناء عالم تسود فيه العدالة والحرية. كما ستبقى رسالته الشهيرة "في تقدم الشعوب" دليلا على فهمه العميق لآمال العالم الثالث في الاستقلال السياسي-الاقتصادي، ومحفزا للدول النامية للسير في طريق التحرر...

من الصعب جدا أن تفي هذه الأسطر حق هذا الرجل الكبير الذي كان -على حد تعبير احد الصحافيين-" أكثر بابا رآه الناس، وأكثر بابا لم يعرفه الناس"! وستكشف الأيام ما كان عليه هذا البابا العظيم الذي جمع في شخصيته الفريدة، إلى جانب عمق التفكير واستقامته، غيرة الرسول وفطنة المدبر وحزم الرئيس وإنسانية الراعي.

فمن أجل التعريف بهذا الوجه الكبير الذي أرخى الموت ذراعيه الممتدتين أبدا كان هذا العدد الخاص.

أيلول ١٩٧٨

البابا "الراعي"

"سامحكم الله على ما صنعتم بي"! بهذه العبارة التي استعارها من القديس برنردس، عبّر الكردينال لوتشياني، اثر انتخابه حبراً أعظم، عن دهشته وقلقه معا تجاه المهمة الشاقة التي وضعها الكرادلة الناخبون على كاهله، هم الذين دخلوا في اليوم السابق إلى معبد سكستين ولم تكن لهم رؤية واضحة عن من سيكون خلفا للبابا الراحل!

وإذا كان انتخاب يوحنا بولس الأول مفاجأة للمراقبين والصحافيين، فلقد كان مفاجأة للكردينال البينو لوتشياني ذاته، هو الذي لم يكن يدور في ذهنه انه سيخلف البابا يوحنا ٢٣ على كرسي روما، وان كان قد خلفه بطريركا على كرسي البندقية! كما انه لم يحلم يوما انه سيكون خلفا للبابا بولس السادس وان كان بولس السادس، إبان زيارته للبندقية عام ١٩٧٢، قد نزع اراره ووشحه إياه وجعله "يحمرّ خجلاً على مشهد أكثر من ٢٠ ألف شخص تجمعوا في ساحة القديس مرقس!

لم يتردد البابا الجديد، غداة انتخابه، من أن يقول ذلك أمام الجماهير التي احتشدت في ساحة القديس بطرس، ظهيرة يوم الأحد ٢٧ آب، قائلا في مفتتح حديثه: "صباح البارحة ذهبت إلى معبد سكستين للانتخاب براحة بال، ولم أكن أفكر بما كان سيحدث. وما أن قرع جرس الخطر بالنسبة لي، شجعني جاري عن اليمين وعن اليسار، فقال احدهم: تشجع! الرب الذي وضع على كاهلك هذا الثقل سيمنحك القوة على حمله، وقال الآخر: لا تخف! ففي العالم اجمع هناك أناس كثيرون يصلون من اجل البابا الجديد"!

وذهل الـ٢٠٠ ألف شخص المحتشدون في ساحة القديس بطرس، في ٣ أيلول، حين أبى البابا يوحنا بولس الأول أن يحمل على رأسه التاج البابوي المثلث، كما رفض أن يُحَمل على العرش، مستبدلا حفلة التتويج بقداس يفتتح به حبريته التي يريدها تتسم بالتواضع والبساطة والفقر. ألم يقل سائق سيارة أجرة حين اطل البابا من الشرفة مساء ٢٦ آب: "انه صديق الفقراء، ومع مشكلة الغلاء سيستطيع أن يفهمنا"! وقال آخر:

"ما دام ابناً لعامل، فلا بأس"!

ومع ذلك يبقى انتخاب الكردينال لوتشياني لغزاً! غير إن هذا السر لم يعف المراقبين من التساؤل والبحث: كيف تم انتخاب لوتشياني حبرا أعظم؟ وكان لا بدّ أن تظهر هذه التساؤلات، إذ لم يكن اسمه في عداد الكرادلة الذين كان من المتوقع أن ترجح كفتهم، وهو الذي بقي طيلة حياته "راعي أبرشية"، بعيدا عن الدبلوماسية الفاتيكانية وعن الدوائر الرومانية! ولم يتردد هو نفسه، عقب انتخابه، من الاعتراف بقلة خبرته بشؤون الكرسي الرسولي! ألم يعترف، بتواضع فريد، أمام الألوف من المؤمنين، في ظهيرة اليوم التالي على انتخابه: "ليس لي حكمة البابا يوحنا ولا ثقافة البابا بولس، ومع ذلك فأنا اليوم في مكانهما. عليّ أن أحاول كي أساعد الكنيسة، وآمل انكم ستعضدونني بصلواتكم"!

كتب مراسل مجلة التايمس (١١ أيلول): "من الواضح أن لوتشياني لم يأت إلى الحكم عن طريق الصدفة، بل نتيجة اتفاق عفوي". وينسب ذلك إلى أسباب ثلاثة، أولها ان اغلب الكرادلة اقتنعوا من ضرورة انتخاب بابا ايطالي، وثانيها أن الكنيسة كانت بحاجة إلى بابا "راع"، وثالثها انهم تمنوا بابا معتدلا. ويقول إن من بين الكرادلة "الرعاة"، تغلب لوتشياني على زميليه الكردينال سيري (جينوا) والكاردينال اورسي (نابولي)، هو الذي -على حد تعبير المراسل- "لم يكن أحد يبغضه، وكل من عرفه أحبه"!

بينما كتب الأب فرنسيس ميري في لمجلة نيوزويك (١١ أيلول) مقالاً مطولا حلل فيه الظروف التي تم فيها الانتخاب، مخلصاً إلى تبيان الدور الذي لعبه كرادلة الدوائر الرومانية (الكوريا)، وعلى رأسهم الكردينال فيليشي، الذين -تلافياً لبابا "تقدمي" يخلف بابا عرّض

الكنيسة للفوضى(!) في اعتقادهم- اتجهت أنظارهم إلى بابا يحمل لاهوتاً تقليدياً ومواقف واضحة من معضلات الكنيسة والمجتمع، ويكون في الوقت ذاته ذا اهتمامات بالفقراء، فكان لوتشياني بطريرك البندقية الرجل الأكثر توازنا، بين المحافظين والمجددين!

ومهما يكن من تحليلات المراقبين التي لا تخلو من صحة، فالبابا الجديد تم انتخابه بسرعة منقطعة النظير، بحيث إن الكرادلة أنفسهم أحسوا وكأنهم يعيشون في شبه "عنصرة"! ويعتقد بعض المراقبين ان الاقتراع الرابع أسفر عن إجماع مذهل، ولا يُستَبعَد انه تم بالصوت الحي!

إن البابا يوحنا بولس الأول راع بكل معنى الكلمة، وقد دلت خطواته الأولى -اتخاذه اسما مركبا جمع فيه اسمي سلفيه، رفضه حفلة "التتويج" التقليدية، ابتعاده عن مظاهر الرفعة والغنى، ابتسامته وبساطته...- على انه يريد أن ينزع عن البابوية ما علق بها طيلة أجيال من رغبة في المجد الزمني وطموح إلى العظمة والجاه، ويستبدل صورة "الحاكم المطلق" بصورة بابا هو قبل كل شي، "أسقف روما" و "راعي الكنيسة الجامعة" و "خادم خدام الله". أما خطابه الأول أمام الكرادلة (اقرأ هذا الخطاب في باب "وثائق") الذي ضمّنه برنامج حبريته، ولاسيما تصميمه على مواصلة عمل المجمع المسكوني والسعي لدفع عجلة الوحدة المسيحية، فهو دليل على رغبته الصادقة في أن يدفع الكنيسة إلى البحث عن أصالة الإنجيل في عالم بحاجة إلى بشرى الفرح والحرية والسلام والعدالة...

فإلى قداسة البابا يوحنا بولس الأول الذي طلب إلينا أن نساهم في نشر هذه البشرى السارة، نتقدم، باسمنا وباسم قرائنا، بأسمى آيات الاحترام والإخلاص متمنين له حبرية مثمرة تحمل إلى الكنيسة جمعاء نفحة من نفحات الروح في عصر هو أحوج ما يكون إلى عنصرة جديدة.

تشرين الأول ١٩٧٨

في أعقاب "كامب ديفيد"

سميت اتفاقيات "كامب ديفيد" بين السادات وبيغن وكارتر بـ "اتفاقية السلام"! ولكن أي سلام هذا؟ وعلى حساب من؟ ولصالح من؟

وإذا كانت الاتفاقية الأولى قد منحت، بكثير من الغموض، الضفة الغربية وقطاع غزة شكلا من أشكال "الاستقلال الذاتي"، لكنها لم تكشف عن مَ ستؤول إليه الأمور بعد خمس سنوات! وخيم حول مصير القدس المحتلة صمت رهيب ينبئ بمؤامرة تحاك في كواليس البيت الأبيض! وجاءت الاتفاقية الثانية بشأن "معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل" لتنص على انسحاب القوات "الإسرائيلية" التدريجي في ثلاثة أعوام، يتم خلالها إيقاف إنشاء "المستوطنات" في الأراضي المحتلة، شريطه أن توافق الكنيست على ذلك! ولكن ماذا عن الجولان؟ وماذا عن مصير الفلسطينيين؟ وأين أضحى مشروع "وطن فلسطيني"؟ هنا أيضا خيم صمت يفصح عن مؤامرة امبريالية تهدف إلى تمزيق الصف العربي.

وإذا كان رئيس وزراء العدو الصهيوني قد بدا وكأنه يقدم تنازلات، فما ذلك إلا لقاء صمت السادات عن حقوق الشعب الفلسطيني وتنكره لمصير ومستقبل الأمة العربية كلها. فماذا كانت حصيلة مؤتمر "كامب ديفيد" إذن؟ كان الرابح الأكبر في لعبة التسوية هو كارتر الذي كان بحاجة إلى "رد اعتبار" الرأي العام الأمريكي له في اقتراب انتخابات الرئاسة، وكان الخاسر الأكبر هو الشعب الفلسطيني الذي أبى بيغن أن يعترف بوجوده وحقه في أرضه. وانحنى السادات أمام رفض بيغن، وسجلت "إسرائيل" بالتالي اكبر نصر! إنها حكاية "أعطني كي أعطيك"، وكانت نتيجة هذه المساومة "عطاء" من جهة واحدة!!

حين طلب البابا الراحل أن يصلي المؤمنون من اجل "سلام عادل وكامل" في الشرق الأوسط، كان قداسته قد شرح ماذا يعني هذا السلام الذي يجب أن يتم "دون أن يترك قضية دون حل"، وفي مقدمتها "القضية الفلسطينية". ذلك لان كل حل لا ينفذ إلى قلب المعضلة هو حل جزئي ومنحاز، تحركه أصابع الامبريالية والصهيونية لصالحها: سلام كهذا مكتوب له الفشل، إذ لا سلام بدون عدالة؛ ومن ثم فلا سلام، إذا لم يُعترف بشرعية الحق العربي في الأرض المحتلة وبعدالة القضية الفلسطينية. ألم يقل المطران كبوشي: "إن القضية الفلسطينية لم تعد قضية إنسانية وحسب، بل أصبحت قضية حق وعدل"؟ (راجع حديثه إلى الفكر المسيحي في عدد شباط ١٩٧٨) . فنحن نعتقد أن السادات يلعب بالنار، لا سيما إذا تمخضت الأحداث المقبلة عن توقيع معاهدة سلام بين مصر والعدو الإسرائيلي.

فلكي يتوقف هذا "اللعب بالنار"، جاء بيان مجلس قيادة الثورة التاريخي، في الأول من تشرين الأول، ردا حازما وجريئا على "المؤامرة الإجرامية والخيانة" التي "تمس مصير الأمة وحقوقها وكرامتها" في الصميم، مجسدا "كل معاني المسؤولية التاريخية" التي انطوت على ثورة ١٧ تموز المجيدة. ففي مثل هذه الظروف، يقول البيان، "تُمتحن المبادئ والعزائم، ويُمتحن شرف المواطنة والانتماء إلى الأمة".

إن بيان مجلس قيادة الثورة باعتبار العراق "جزءا من الجبهة العسكرية"، ودعوته إلى "عقد مؤتمر قمة عربي،"وإنشاء "صندوق قومي"، لهو مفخرة في سلسلة المفاخر التي كتبتها قيادتنا السياسية في سجل الأمة العربية. وجاء البيان التاريخي الذي أصدرته القيادة القومية للحزب ليؤكد من جديد: "إن قضية تحرير الأرض السليبة في فلسطين محور قضية التحرر العربي كله" وان "الساحة العربية كلها هي ساحة صراع واحدة"...

فإلى الثاني من تشرين الثاني، ونحو بغداد العروبة، تتجه أنظار كل المؤمنين في العالم بعدالة الحق العربي. فالتحرر لا يتم إلا بثمن تضحيات، والسلام لا يقوم إلا على الحق والعدالة.

الموصل في ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٨

رسالة الميلاد

كان المسيحيون، وإلى زمن غير بعيد، يعبرون بعضهم لبعض عن فرحهم بالميلاد بهذه العبارة: ولد المسيح... حقاً صحيح! وكان لهذه العبارة -على بساطتها- مدلول كبير، كونها فعل إيمان ورجاء بالمسيح الذي انتظرته البشرية وعلقت عليه آمالها ورأت فيه ذاك "الآتي" ليبني ملكوت العدل والحرية والسلام.

مجي هذا "الملكوت"، أعلنه يوحنا المعمدان، آخر أنبياء العهد القديم: "توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات". وجاء يسوع يرسم ملامحه وعلاماته: "روح الرب عليّ، انه مسحني لأبشر المساكين، وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، وأطلق المرهقين أحرارا" (لوقا ٤ : ١٧).

فالملكوت الذي افتتحه المسيح كان دعوة شاملة لكل ذوي الإرادة الصالحة، من أية امة وأي شعب على وجه الأرض: "لا يزول صولجان عن يهوذا حتى يأتي ذلك الذي مَعَدٌ له الصولجان فتطيعه الشعوب" (تكوين ٤٩ :١٠). وسيد هذا الملكوت أتى ليحكم بالعدل: "يجري الحكم والعدل في الأرض" (ارميا ٢٣: ٥)، ويأخذ جانب الفقراء والمقهورين: "يقضي للمسكين بعدل ويحكم لبائسي الأرض بانصاف، ويكون العدل منطقته والحق حزام كشحيه" (اشعيا ١١: ٢-٥)، ويحرر المساكين والمستعبَدين: "يخرج الأسرى من السجن والجالسين في الظلمة من بيت الحبس" (اشعيا ٤٢ : ٧). انه ذاك الراعي الوديع: "اخلص غنمي... وأقيم عليها راعياً واحداً يذهب بها إلى المراعي" (حزقيال ٣٤: ٢٢)، والمسالم: "لا يماري ولا يصيح، ولا يُسمع صوته في الشوارع. قصبة

مرضوضة لا يكسر، وكتّانا مدخنا لا يطفئ" (اشعيا ٤٢ :٢). وهو الذي يسعى إلى إحلال السلام في الأرض: "ويعلن السلام لجميع الأمم" (زكريا ٩: ١٠)، وينشر الفرح والبهجة بين البشر: "يزداد البائسون سروراً بالرب ويبتهج المساكين" (أشعيا ٢٩: ١٩)، ويشرق نوره على المسكونة: "جعلتك نوراً للأمم لتبلّغ خلاصي إلى أقاصي الأرض" (اشعيا ٤٩: ٦)...

ميلاد المسيح هو ميلاد ملكوت الفرح والحرية والعدالة والسلام، في عالم يشكو من العزلة والفراغ، ويعاني فيه الإنسان من الاستلاب والمظالم أشكالا... عالم طغت فيه المطامع على حساب الأخوة، وتفشت فيه الأحقاد والنزاعات على اختلافها، عالم يهدد العنفُ أمنَه وتهدد الحروبُ سلامَه... في هذا العالم يبقى ميلاد المسيح نورا "يضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت"، ونداء إلى كل ذوي الإرادة الصالحة، -أولئك المساكين والودعاء والجياع إلى البر والرحماء وأنقياء القلوب وفاعلي السلام والمضطهَدين من أجل البر (انظر متى ٥: ٣-١٠)- كي يصبحوا بني الملكوت ويعملوا بكل طاقاتهم من أجل بناء عالم أفضل يشيع الفرح والحب، وتُحترم فيه كرامة الإنسان وحريته، عالم يؤمن بالأخوة والمساواة فوق كل الفوارق الطبقية والعرقية والثقافية والقومية والدينية، عالم تسوده العدالة ويرفرف عليه السلام.

ولد المسيح! وإلى ولادة جديدة يدعونا المسيح. ولادة تتم في أعماق كل إنسان، ليجري مفعولها في الإنسانية كلها: فلا ميلاد طالما هناك اخوة لنا في البشرية يفتقرون إلى لقمة العيش وإلى ظروف عيش كريم، أو يرزحون تحت وطأة الجهل والتخلف والبؤس بكافة أشكاله! ولا ميلاد طالما هناك أناس يعانون من القمع واستلاب حرياتهم، ويهانون في كرامتهم وإنسانيتهم! ولا ميلاد طالما هناك شعوب تخضع لشعوب أخرى في سياستها واقتصادها وثقافتها، وطالما هناك شعوب أُغتُصِبَتْ أراضيها وامتُهِنَتْ حقوقها وطُمِسَت معالم حضارتها! ولا ميلاد طالما

أرض الميلاد قد وطأتها ودنستها أقدام الصهاينة، وطالما هناك شعب لا يعيش على أرضه وفي وطنه...

ليكن عيد الميلاد دعوة إلى البشرية لمراجعة حياة... وليكن عيد الميلاد لنا نحن المسيحيين، بنوع خاص، فرصة للمساهمة الجادة في بناء عالم أكثر إخاء وأكثر عدالة وأكثر فرحاً...

وإلى كافة قرائنا، بعيد الميلاد والعام الجديد، أجمل التهنئات وأطيب التمنيات.

كانون الأول ١٩٧٨

١٩٧٩

السنة الخامسة عشرة

تضع مجلتكم قدماً راسخة على أعتاب العام الجديد. وإذا كانت السنة الخامسة عشرة في حياة الإنسان سنة تحول عميق في شخصيته وملامحه، فالخامسة عشرة في عالم الصحافة هي سنة النضوج والطموح، بعد سنوات من تلمس الطريق والتمرس بالعمل الصحافي الشاق والممتع معاً.

قراءنا الأعزاء

إن مجلتكم "الفكر المسيحي"، وهي تطوي عامها الرابع عشر، لا تتوقف إلا برهة عند هذا المنعطف لتلقي نظرة فاحصة على السنوات التي قطعتها، فيما تشخص عيونها بأمل نحو المستقبل. إنها تعلم بأن "الاستدارة إلى الوراء" تدغدغ فيها مشاعر "نرجسية" قد تذهب بها إلى التغني بالماضي والانطواء على الذات، فتتناسى أنها سائرة في طريق يطول كلما خيل إليها أنها اقتربت من نهايته! إنها تدرك بأن لا جدوى في النظر إلى الوراء، إلا بمقدار ما يحملها على التطلع إلى أمام؛ فهي إنما تستلهم الماضي ولا تتوقف عنده، بل تتخطاه بتصميم عنيد نحو الأفضل: تلك كانت خطتها منذ أن أبصرت النور في مطلع عام ١٩٦٤، وأنتم -قراءنا الأعزاء- شهود لها بذلك، سواء واكبتم مسيرتها منذ البدء، أم لحقتم بها في منتصف الطريق. وتلك ستكون خطتها في السنوات المقبلة، إيماناً منها بحركة الحياة وديناميكيتها، وقناعة منها بان كل توقف عن تحقيق طموحاتها وتطلعات قرائها، يجرها لا محالة إلى الجمود، فالموت!

أيها القراء الكرام

لقد حققت مجلتكم في العام الماضي قفزة نوعية من حيث المضمون، وبدت هذه القفزة بنوع خاص في أبوابها الثابتة، سواء كان في "الملف" أم "قضايا راهنة" أم "المنبر الحر"... وانتم تشهدون -من خلال متابعاتكم وتعليقاتكم التي تدلون بها- بأن قراءتها أصبحت أكثر متعة؛ ويعود الفضل في ذلك إلى تبني الخط الإعلامي في مقالاتها التي تميزت بعمق فحواها وبُعد مراميها إلى جانب تنوع موضوعاتها... غير أن هذه القفزة على صعيد المضمون اقترنت بطفرة في الإخراج، منذ أن تبنت الطباعة بالاوفسيت، ولا سيما حين أخذت الصورة تحتل مكانها الطبيعي في التعبير والنطق إلى جانب الكلمة المكتوبة. وقد تحملت النفقات المضاعفة التي تمخضت عن هذا التطور الملموس، وكان جل غايتها أن يزداد عدد القراء لتعم فائدتها: ذلك نداء نوجهه إلى كافة المشتركين!

وإذ نضع بين أيديكم هذا العدد الذي نفتتح به السنة الخامسة عشرة، يحلو لنا أن نلفت انتباهكم إلى أننا قد أبقينا على الأبواب الثابتة التي حظيت برضاكم، وعمدنا إلى استحداث بابين جديدين: "أيقونة العدد"، ويتناول الكشف عن ملامح أيقونة فنية وما تتضمنه من رسالة، وباب "من جعبتي"، ويتضمن "مجرد فكرة" إلى جانب امثولات وصلاة وحكم وأقوال عظماء وزاوية للتسلية والكاريكاتير... أما "المنبر الحر" و "المقابلة" و "هذا الكتاب" و "شخصيات"، فسيكون للقراء معها موعد بين الحين والآخر، فضلا عن أبحاث ودراسات في اللاهوت والكتاب المقدس والتربية والأدب والفن والموسيقى والسينما الخ...

وختاماً، إذ يطيب لنا أن نوجه النداء إلى كافة ذوي الأقلام الشابة للمساهمة في التحرير ومد المجلة بنتاجاتهم الدينية أو الأدبية -وذلك واجب تمليه عليهم محبتهم للمجلة، وحق لها عليهم!- يسرنا أن نعلن بأننا عازمون على إصدار "عدد خاص" في غضون العام الحالي، يتناول مسيرة الفكر المسيحي خلال الخمس عشرة سنة من عمرها.

مع أطيب التمنيات بالعام الجديد.

كانون الثاني ١٩٧٩

من أجل أطفال سعداء!

ملايين من الأطفال في العالم لا يرتادون المدرسة، بحكم فقر ذويهم، وملايين منهم يعانون من نقص في التغذية، إلى جانب ملايين آخرين يموتون جوعا أو بسبب نقص في العناية الصحية! هناك ٥٢ مليون ممن هم دون الخامسة عشرة من العمر يشتغلون في المعامل والحقول: ٤٢ مليون منهم لا يتقاضون مرتبات، إلى جانب ١٠ ملايين يتقاضون أجرة هي دون المستوى المطلوب! وهناك ملايين من الأطفال المشردين والمهملين، سواء كانوا ضحايا تربية متخلفة أم ضحايا الحروب والكوارث، إلى جانب ملايين يعانون من العزلة، بعيدا عن حنان الأم ورعاية الأب الخ...

واقع أليم لم تستطع شرعة الطفولة التي أعلنتها هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٩ أن تخفف من وطأته، بالرغم من كل الجهود والمساعي المبذولة لصيانة حقوق الطفل، هذا الكائن الضعيف الذي يتجرع ما يفرزه المجتمع الصناعي من سموم، ويخضع لأشكال الاستلاب والمظالم والاوصاب التي تتمخض عنها السياسة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في كثير من بلدان العالم، فأضحى في عداد أولئك الذين "لا صوت لهم"، سواء في العالم الرأسمالي أم في العالم الثالث!

نظرة سريعة إلى بنود هذه الشرعة تكفي لاكتشاف المآسي التي تعيشها الطفولة في عالم اليوم: ماذا من حق الطفل في الحب والرعاية والتفهم؟ ماذا من حقه في تغذية متكافئة وعناية صحية؟ هل ينال الطفل في كثير من بلدان العالم حقه في اسم وجنسية؟ وحقه في أن يكون في طليعة المستفيدين من العون ابان الكوارث؟ ماذا من حق الأطفال في العيش في عالم تسوده روح الأخوة والسلام؟ وماذا من حقهم

في هذه الحقوق -على حد تعبير البند العاشر من الشرعة- دون الالتفات إلى أصلهم ولونهم وجنسهم ودينهم ومنشئهم القومي أو الاجتماعي؟...

هذه الحقوق توقظ ضمير الإنسانية في هذا العام المخصص للطفل وتدعو قادة الشعوب وأرباب الأسر والمرشدين الاجتماعيين والأطباء وعلماء النفس الخ... إلى مضاعفة الجهود من أجل صيانة حقوق الطفل وتمكينه من أن يعيش حياة إنسانية كريمة تتسم بالرعاية، بكافة أشكالها، بحيث تتكون من خلالها شخصيته، وتنمو في جوها قابلياته الفكرية والعملية، فيتأهب للدخول في معترك الحياة.

فإذا كنا نريد لعالمنا، غداً، رجالاً سعداء، علينا أن نعمل اليوم لضمان طفولة سعيدة لكل أطفال العالم. وإذا كنا نحلم بعالم أفضل تسوده العدالة، فعلينا اليوم أن نحقق العدالة بين أطفال العالم، فلا يكون بعدُ أطفال يعانون من التخمة بينما هناك أقران لهم في مناطق أخرى من العالم يعانون من الفاقة أو الجهل أو المرض. وإذا كنا نتمنى أن تصبح البشرية جمعاء أسرة واحدة، فعلينا أن نربي أطفال اليوم على روح الأخوة والتضامن، بحيث لن يعود أطفال الأغنياء يرضون أن يناموا مطمئني البال، بينما ينام أطفال الفقراء لدى الشعوب المقهورة على الطوى، في حالة من القلق والخوف والفراغ...

عام الطفل دعوة لنا جميعا إلى مراجعة حياة جادة، كل من موقعه وعلى مستوى مسؤولياته، من اجل التوصل إلى خلق جيل من الأطفال يشعر بالحب والفرح والسعادة. إن وراء كل صرخة طفل مطاليب يجب أن نتعلم الإصغاء إليها، ووراء كل ابتسامة طفل طموحات يجب أن نبحث عن سبل لتحقيقها، ووراء كل صمت طفل مشاكل ينبغي أن نعمل على إيجاد حلول لها...

فمن أجل أطفال سعداء كان هذا العام!

شباط ١٩٧٩

رجال ونساء!

لم يعد الرجال والحمد لله، -عدا قلة ضئيلة- يصنفون المرأة في عداد الممتلكات والأمتعة! ولم يعودوا -ومن حسن حظهم- يأنفون من اصطحاب زوجاتهم إلى مناطق الاصطياف أو إلى البلدان السياحية... فيما لا يزال بعضهم يتردد من اصطحابهن إلى الأماكن العامة، كالنوادي والمتنزهات، سواء بدافع الحرص عليهن من أنظار الفضوليين، أم بدوافع أخرى تستر وراءها رغبتهم في أن يكونوا بعيدين عن أنظارهن وبمنأى عن ثرثرتهن وفضولهن!

وإذا كنا نرى رجالاً اخذوا ينظرون اليوم إلى المرأة بمنظار جديد يسدل ستاراً كثيفاً على مفاهيم عفا عليها الزمن، كالمفهوم الذي بموجبه ليست المرأة سوى مخلوقة وجدت لمتعة الرجل والعناية به وتربية أطفاله... وإذا كنا نرى اليوم رجالا يقيمون للمرأة وزنها الحقيقي ويعترفون بدورها في الأسرة، ويقرون بأنهم، لولاها، لكانوا أنصاف رجال، ولكانت حياتهم بدونها، قاحلة جرداء، لا رقة فيها ولا عذوبة...

غير إننا لا زلنا نرى، في مجتمعنا هذا، رجالا ما انفكوا يحملون عن المرأة مفاهيم خاطئة لا تتفق والمكانة التي تحتلها في الأسرة والمجتمع، وبعض هذه المفاهيم هي على طرفي نقيض والتصريحات التي يدلون بها بشان حرية المرأة وحقوقها ودورها. ولا يندر أن نجد رجالا يسخرون بمطالب المرأة في المساواة مع الرجل بالحقوق والواجبات، ويهزأون بالحركات التي تعمل على تحرير المرأة من الاستلابات التي تخضع لها، وقلما يفطنون إلى أن هناك استلابات حقيقية تنال من حرية المرأة، وان هناك تجاوزات فاضحة على حقوقها... وقد تذهب الدهشة ببعضهم حين يرون نساء يسعين بإصرار إلى ممارسة دورهن في المجتمع والمشاركة الفعالة في المسؤوليات العامة، عن طريق الانضمام إلى الحركات والاتحادات النسوية... ويختفي وراء هذه الدهشة مفهوم مفاده أن المرأة خلقت للإنجاب وتربية الأطفال والقيام بالأعباء المنزلية، ولا شأن لها في القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية!!

ولكي ننصف في حكمنا على الرجال، لا بدَّ لنا من القول بأن المرأة ساهمت هي الأخرى في ترسيخ بعض هذه المفاهيم الخاطئة التي يحملها الرجال، سيما وإنها رضيت، طيلة أجيال، عن مضض أم بطيب الخاطر، الخضوع للوصاية التي أقامها عليها مجتمع الرجال، وما زالت هذه الوصاية قائمة في العديد من الأعراف والتقاليد وحتى في التشريعات، ويسوءنا أن المرأة لم توفق حتى الآن إلى وضع حد لها، سواء بدافع الخوف أم الخجل! ويؤسفنا ألا نرى المرأة تبادر إلى تحررها وانتزاع حقوقها بنفسها، دون أن تنتظر أن يبادر الرجال إلى تحريرها وإقرار حقوقها!

لقد شهد قطرنا، في السنوات العشرة الأخيرة، تحولات كان لها الأثر الكبير في تحرير المرأة، ولعل قانون الأحوال الشخصية الذي أصدره مجلس قيادة الثورة في العام المنصرم كان من أبرز الانجازات في هذا المضمار. غير أن هذا التشريع لا يأخذ كل أبعاده، إن لم يرافقه تبدل عميق في الذهنية –ذهنية الرجال وذهنية النساء معاً. هناك رجال لا يفكرون بالمرأة إلا من زاويتهم الخاصة ومن منطلق الشعور بالرفعة، ولا يعترفون للمرأة بحقها في الحرية إلا إذا كان لهم منها نصيب كبير! كما أن هناك نساء يسكتن على الضيم ويرضين أن تُمتَهن كرامتُهن، سواء ابتغاء مرضاة أزواجهن أم خوفاً على مصيرهن الذي هو رهن بإرادة الرجال، ويترددن في القرارات التي تتعلق بهن، وقد تأصلت فيهن ذهنية الشعور بالنقص!

من الرجال في مجتمعنا من يتصرفون بمنطق: أعط المرأة بقدر ما يمكنك من السيطرة عليها، ولا تمد لها الخيط لئلا تستكبر وتتمادى! ومن النساء من يتصرفن بمنطق: أعطي الرجل ما يريد، فيتسنى لك أن تلعبي بعقله وعواطفه معاً! ويحق لنا أن نتساءل: أين يضحي، في هذا المنطق، الحب الصادق المنزه عن الأنانية والمساومة؟ وأين يمسي ذلك العطاء المتبادل الذي لا يمكن أن يكون فيه حساب؟ وماذا عن تلك الشركة التي تحمل الرجل والمرأة على التضامن التام في وحدة الروح والقلب؟

لنا كلمة نقولها للرجال في يوم المرأة: كفاكم ثرثرة عن المرأة وحقوقها! دعوها –أنتم الذين تتهمونها بالثرثرة– تتكلم! واقبلوا، اقله مرة، أن تصغوا إليها! ولكن اعلموا أن صمتها هو أحياناً كثيرة، أكثر بلاغة من كلامها!

بمناسبة يوم المرأة ٨ آذار — آذار ١٩٧٩

سلام أم استسلام؟

يطل علينا هذا العام عيد قيامة المسيح في ظروف قاسية تمر بها امتنا العربية، في أعقاب التوقيع على معاهدة "الصلح" الانفرادية بين النظام المصري والكيان الصهيوني، تحت ظل الدبلوماسية الأمريكية التي سعت بكل طاقاتها إلى استحثاث الخطى لتوقيعها، تنفيذا لمؤامرة حاكتها، طيلة أعوام، أنامل الصهيونية والامبريالية... والغريب في هذه المعاهدة أنها سميت "معاهدة السلام"! فمتى كان السلام مرادفا للاستسلام؟ وماذا يعني سلام يضرب صفحا عن طرف أساس في النزاع -الشعب الفلسطيني- ويتجاهل حقه الشرعي والعادل في أرضه ووطنه؟ وظن كارتر انه قد أراح ضميره حين دعا الفلسطينيين إلى المشاركة في "مفاوضات السلام"! ووقع السادات براحة بال على هذه المعاهدة التي لم تضمن له حتى سيادته على سيناء!

في المؤامرة على المسيح ومحاكمته أوجه شبه بمؤامرة التسوية الاستسلامية التي تجري اليوم على الساحة العربية: جاء رؤساء اليهود بيسوع إلى بيلاطس الوالي الروماني، وهم يقولون: لو لم يكن فاعل سوء لما أسلمناه إليك! تهمة سائغة يوجهونها إلى ذاك الذي اقلق راحتهم، ولم يكف ينادي بتحرير المساكين والمقهورين والمستعبَدين... حاكمه بيلاطس ولم يجد عليه علة، فجاءه اليهود من طرف آخر: إن أنت أطلقته، فلست مواليا لقيصر! واستسلم بيلاطس لإرادتهم واسلم يسوع إليهم، وهو يتساءل: ما هو الحق؟ وتحقق ما قاله داؤد النبي: لماذا ارتجت الأمم والشعوب هذت بالباطل؟ قامت ملوك الأرض، والرؤساء اجتمعوا على الرب وعلى مسيحه (مزمور ٢: ١-٢) .

هوذا المسيح يصلب من جديد!

يصلب المسيح اليوم في شخص الشعب الفلسطيني الذي تجري محاكمته، منذ ثلاثين عاما، في أروقة البيت الأبيض والكنيست، وزادها ثقلا تواطؤ القاهرة! قبل ألفي عام اجتمع على يسوع يهوذا وهيرودس وبيلاطس، كل بدافع في نفسه: بيلاطس بدافع الموالاة

لقيصر، وهيرودس بدافع من اللامبالاة واللامسؤولية، ويهوذا بدافع الفضة... واليوم اجتمع على الشعب الفلسطيني السادات وبيغن وكارتر، وفي هذه المؤامرة اختلطت الدوافع وتداخلت المصالح، مستهدفة ليس القضية الفلسطينية وحسب، بل النضال القومي الذي تمارسه الأمة العربية، ولكن هيهات لنضال الأمة العربية أن يتخاذل أمام هذه المؤامرة.

"جئت إلى العالم لأشهد للحق"! قالها يسوع بوجه بيلاطس. وستبقى الأمة العربية تدافع عن حقها في السيادة على أراضيها، طالما لا تزال ضمائر حية في العالم تؤمن بحق الشعوب في الكرامة والسيادة... وإذا كان أعداء الحق يتنكرون للحق ويغمضون أعينهم عنه -كما فعل بيلاطس- غير أن النصر في التالي سيكون حليف الحق الذي لا يُقهَر، مهما كان حجم المؤامرة عليه.

هوذا المسيح يبعث من جديد!

قال يسوع لليهود: "إذا ما رفعتم ابن البشر فعندئذ تعرفون أني أنا هو... وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يوحنا ٨: ٢٨، ٣٢). انبعاث المسيح من بين الأموات شهادة للحق، والحق هو دوما بحاجة إلى شهداء يجسدونه بثمن حياتهم: طوبى للمضطهدين من اجل الحق! من هذا المنطلق يجد النضال مكانه من السر الذي عاشه المسيح، بموته وقيامته؛ وفي هذا السر يتخذ ألم النضال من أجل الحق كل أبعاده، إذ لا قيامة من دون صليب!

فنضال الشعب الفلسطيني من اجل قضيته -هي قضية الأمة العربية- نضال من أجل الحق والعدل، ولن يستطيع أعداء الحق، مهما تمادوا في التآمر، الحيلولة دون صمود الأمة في الدفاع عن حقوقها المغتصبة، كما لن تفلح المساعي الاستسلامية في فرض سياسة "الأمر الواقع" على الأمة العربية، طالما أن الأمة تؤمن بأن القضية الفلسطينية هي في المركز من النضال القومي...

من قمة بغداد انطلقت شرارة الصمود والمجابهة، ومن بغداد العروبة -غداة التوقيع على المعاهدة- قرع الناقوس الذي حذر الأمة من مغبّات "معاهدة الاستسلام"، فرجعت صداه كافة الأقطار العربية... فإلى قيادتنا السياسية نبعث، باسم قراء الفكر المسيحي، تحية إجلال وإكبار للدور القومي الذي لعبته وللمسؤولية التاريخية التي اتخذتها، حفاظاً على سيادة الأمة العربية وكرامتها، وذوداً عن حقوقها في هذا المنعطف الحاسم من تاريخها.

الموصل ٢٧ آذار ١٩٧٩

نيسان ١٩٧٩

العامل مستحق أجرته!

في ساعة مبكرة من احد أيام الصيف، مررت بساحة "الساعة" حيث يتجمع كل يوم، مع إطلالة الفجر، مئات من عمال البناء، بينهم الفتى الذي نزل مبكراً إلى ساحة العمل ليساهم في النفقات التي لم تعد أجرة رب الأسرة قادرة على تغطيتها! وبينهم الشاب الذي ترك مقاعد الدراسة في سن مبكرة، ولم تكن كفاءته للدراسة بأقل من كفاءته للعمل! وبينهم المسن الذي تمرست ذراعاه واخشوشنت يداه بعمل شاق مارسه طيلة أعوام!

وتطلعت إلى هؤلاء العمال متفحصا... ولمحت في أعين أولئك الذين تهيأوا للسير وراء "الاوسطة"، بعد مساومة طويلة على الأجرة، بريقاً من الأمل والانشراح، وقد ضمنوا خبزهم ليوم! وشاهدت على محيا البعض الآخر مسحة من الحزن، وخيبة أمل، إذ لم يُجْدِ قدومهم إلى الساحة نفعاً، وها هم يعودون بخفي حنين، في انتظار يوم آخر أكثر حظاً.

منظر هؤلاء العمال أعاد إلى ذاكرتي مثل الإنجيل، حين شبه يسوع ملكوت السماوات برب بيت خرج مع الفجر ليستأجر عملة لكرمه، واتفق معهم على دينار في اليوم. وخرج نحو الساعة الثالثة، فالسادسة، فالتاسعة، فالحادية عشرة، وفي كل مرة، لقي عملة جالسين في الساحة، بطالين، فقال لهم: اذهبوا إلى الكرم... وفي المساء أعطى رب الكرم دينارا لكل واحد، بدءاً بعملة الساعة الحادية عشرة! وتذمر الأولون قائلين: إن هؤلاء الآخرين ما عملوا إلا ساعة واحدة وأنت تساويهم بنا، وقد حملنا نحن ثقل النهار والحر؟! فأجاب رب الكرم وقال لواحد منهم: يا صاح، ما ظلمتك، أليس على دينار وافقتني؟ فخذ مالك وانصرف، فاني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك... (متى٢٠: ١-١٦) .

هذا المثل ضربه يسوع ليبين بان ملكوت الله دعوة موجهة إلى كل إنسان ذي إرادة صالحة، أينما كان، وفي أية ظروف كان، وأية كانت المسافة التي قطعها... إنما المهم هو تلبية هذه الدعوة والاستجابة إلى متطلباتها... غير اننا نستشف من المثل رؤية واضحة لدى يسوع، في

ما يتعلق بالحق في العمل والحق في أجرة عادلة: هوذا يسوع يحارب الكسل حين يقول على لسان رب الكرم لعملة الساعة الحادية عشرة: ما بالكم تقيمون ههنا النهار كله بغير عمل؟ ويتضح مفهومه للحق حين قال للعملة الذين أرسلهم في ساعة متأخرة من النهار: اذهبوا... وأنا أعطيكم ما يحق لكم! وتبرز رؤيته الإنسانية للعدالة حين شاء أن يساوي في الأجرة عملة الساعة الحادية عشرة بعملة الساعة الأولى من النهار!

العامل مستحق أجرته... وهذه الأجرة غالبا ما ترتبط بنوعية العمل وكفاءة العامل وكمية العمل والساعات المبذولة فيه... غير أن الأجرة العادلة، يجب أن ترتبط، أولا، بمقياس إنساني يضمن للعامل أجرة تمكنه -وأفراد أسرته- من عيش كريم، بكل ما في هذه الكلمة من أبعاد... وتتيح له -ولإفراد أسرته- أن يتمتع بقسط وافر من الرخاء يتقاسمه مع أبناء مجتمعه، فلا يعود أناس يعيشون في تخمة بينما هناك أناس يكافحون، ليل نهار، لكسب خبزهم اليومي ولا طاقة لهم على إشباع حاجاتهم من الخيرات الأساسية! وغني عن القول ان الخيرات لا تقوم في المأكل والملبس والمسكن وحسب، بل في كل ما يغني الإنسان فكريا وروحيا، ويمكنه من الارتقاء نحو ملء قامته الإنسانية... فكل أجرة لا تمكن العامل من عيش كريم هو ظلم صارخ فضحه القديس يعقوب قائلا: "إن أجرة العَمَلة الذين حصدوا حقولكم، تلك التي بخستموهم إياها، تصرخ! وصراخ أولئك الحصادين قد بلغ إلى أذني رب الصبؤوت" (رسالة يعقوب ٥ : ٤)!

عيد العمال! دعوة لنا جميعا إلى مراجعة حياة نزيهة ومخلصة يكون بمقدورها أن تحملنا في إعادة النظر، على ضوء إنجيل العدالة، في مواقفنا وطرق تعاملنا مع أولئك الذين "نؤدي لهم أجرة"، ولكننا لا نعطيهم "ما يحق لهم"، وما يمكنهم من العيش بكرامة!

وفي الأول من أيار، يحق لعمالنا أن يفخروا بالمنجزات الثورية التي حققتها لهم قيادتنا السياسية الرشيدة، وقد سعت، بكل طاقاتها، إلى تقييم العامل، بما وفرته له من سبل العيش الكريم... ويحق لحكومة الثورة أن تفاخر بعمالها في مختلف القطاعات، إذ على أكتافهم يرسو الاقتصاد الوطني، وبمساهمتهم الفعالة يسير العراق على طريق التقدم والازدهار...

فإلى عمل جاد ومخلص يزيد الإنتاج الوطني ويحسنه ويساهم في التنمية القومية، ندعو العمال في عيدهم.

بمناسبة يوم العمال العالمي

الموصل ٢٥ نيسان ١٩٧٩

فكرة ... عساها تلقى صدى!

حين كنت ارصد إجابات القراء عن أسئلة الاستفتاء الذي أطلقته المجلة حول "الإيمان بيسوع المسيح" -وكان بعضها معزيا، فيما كان بعضها الآخر مخيبا للآمال- تساءلت في نفسي: إذا كان هذا هو مستوى الثقافة المسيحية لدى عيّنة من مسيحيينا اليوم، فماذا سيكون المستوى لدى الناشئة، وكنيستنا لا تقدم لهم رؤية ناضجة عن الإيمان ومتطلباته في الواقع الحياتي؟ إلى متى سنبقى نتجاهل واقع الإيمان في كنيستنا العراقية، ونأبى الكشف عن عمق أثره وبُعد مداه لدى المؤمنين، سواء بدافع الخوف مما سيكشفه لنا هذا الواقع، أو بدافع التهرب من المسؤوليات التي ستترتب علينا من ثم؟

لقد طاب لنا المكوث بمنجى من القلق الذي بوسع هذا الكشف أن يحدثه فينا، محتمين وراء "مظاهر تقوية" للإيمان، حملتنا، ولفترة طويلة، على الاعتقاد بأننا والإيمان بخير، طالما كنائسنا تغص بالمؤمنين في الأعياد والمناسبات، وطالما أغلبية أطفالنا معمّذون و"يؤدون" المناولة الأولى!... متناسين أن هذه "المظاهر" قلما توحي بإيمان شخصي، وقد لا تكون سوى علامات انتماء اجتماعي إلى المسيحية!

هذه بعض التساؤلات التي تطرحها علينا قراءة سريعة للإجابات التي حملها إليكم، قراءنا الأعزاء، ملف العدد الماضي. وهذه التساؤلات تلقي مهمات جسيمة على كل الذين يهمهم مستقبل الإيمان في كنيستنا، لاسيما أولئك الذين تقع عليهم، بالدرجة الأولى، مسؤولية غرس الإيمان وترسيخ دعائمه، ليصبح أكثر نضجاً، ومن ثم أكثر فاعلية وأكثر إشعاعاً.

نحن لا نجهل أن الإيمان لا يقاس! وليس بوسع الاستفتاءات ووسائل رصد الرأي أن تكشف من الإيمان طوله وعرضه وبُعده وعمقه! غير أن بوسعها أن تعطي مؤشرات واضحة للرؤية التي يحملها المؤمنون، والتي كثيرا ما تفصح عنها الكلمات التي يستعملونها في التعبير عن الإيمان والصيغ التي تتخذها ممارساتهم... فبوسع هذه المؤشرات أن

تحمل على إعادة النظر في طبيعة التثقيف المسيحي المعطى، ومدى ملاءمته لمتطلبات العصر، والكشف عن عمق أثره ومدى قدرته على خلق جيل مسيحي ناضج وملتزم...

مهمة كهذه تتجاوز إطار الأماني التي يتحصن بها أولئك الذين لا تذهب بهم أمانيهم إلى التخطيط العملي! كما تتجاوز صرخات اليأس التي يطلقها أولئك الذين لا يؤمنون بقوة الروح! مهمة كهذه تتخطى التفاؤل المفرط الذي يحتمي وراءه أولئك الذين تدغدغهم التقوى الشعبية، فيتوهمون أن الإيمان مجموعة "عبادات"، ولا يضيرهم إذا لم يتجسد هذا الإيمان في أفعال تشهد لأثره في الواقع اليومي! كما انها تتخطى المبادرات الخيرة، هنا وهناك، والتي يبقى أثرها محدودا بحدود اجتهادات روادها، والتي ما تعتم أن تغيب مع غيابهم!

فالمطلوب هو أن يعمد المسؤولون الكنسيون، في قطرنا، إلى القيام، ولو لمرة، بمسح ميداني لواقع الإيمان في كل إبعاده. وقد آن الأوان أن تتمخض عبارة "مسح" -التي طالما استعملناها- عن مسح فعلي! ونقصد بالمسح الميداني رصدا جادا لظاهرة الإيمان في مختلف أوجهها، على أن يتصف هذا المسح بصفة العلمية، وذلك بالاستعانة بالمؤسسات المختصة لرصد الرأي وقياسه.

ونقولها بتواضع: إن استفتاء تجريه المجلة، ليس بوسعه أن يعطي فكرة صادقة وموضوعية عن مستوى الإيمان في قطرنا، كونه موجها إلى قرائها فقط، ويستثني بالفعل ذاته شريحة كبيرة من المؤمنين. لذا كان من الضروري جدا أن تسعى الكنائس ذاتها إلى رصد ظاهرة الإيمان وفقا للمقومات والأسس العلمية. فليس بقليل اذا كشفت الاستقصاءات عن أن هناك نسبة كذا من المؤمنين لا يتوفر لديهم الكتاب المقدس، وان كذا بالمائة منهم لم يتلقوا ثقافة مسيحية ما بعد الدراسة الابتدائية، وان الذين لا يشاركون في القداس أو لا "يمارسون" الصلاة يسجلون نسبة كذا، وان كذا بالمائة يعتقدون أن ليس للإيمان علاقة بالالتزام الخ...

مسح كهذا بوسعه أن يتحول إلى برنامج عمل لمعالجة الوضع الراهن، وإيجاد الحلول الملائمة، والسعي إلى تخطيط عملي يمتد على فترات زمنية، على غرار خطة التنمية الخمسية!

تلك هي مجرد فكرة! ولكنها فكرة يجب أن تشق طريقها، وبسرعة، إلى كنيستنا العراقية، وقبل فوات الأوان!

حزيران ١٩٧٩

كهنة ... لمن ؟ ولماذا ؟

عدد خاص

الكاهن؟ هذا الإنسان الذي يختلف الناس في نظرتهم إليه، وفي مفهومهم لرسالته (اقرأ: قالوا في الكاهن)، ويحارون في تحديد موقعه في الكنيسة والعالم: بعضهم ينظر إليه وكأنه "مرتزق" -استسمح عفو الكهنة- لا عمل له، إنما يعيش من هبات -كي لا أقول من صدقات- المؤمنين! وبعضهم يضعه في مصف القديسين وأولياء الله، يتبركون منه، ويقصدونه في كل صغيرة وكبيرة، ويلتزمون "وصفاته" وكأنها العلاج لكل أمراضهم ومشاكلهم! بعضهم يرى فيه "موزعاً" للأسرار الكنسية، عبر تمتمات يؤديها بلغة لا تُفهم، وعبر حركات ورموز ورتب تكاد تكون "سحرية"! وبعضهم ينظر إليه وكأنه "درويش" يعيش في عالم غير عالمنا، ولا يهمه أمر هذه "الفانية" -وقد زهد فيها وأدار ظهره لها!

هذه النظرات المختلفة -على سذاجتها-، وكثير غيرها، مردها صورة مشوهة للكاهن، ملامحها ناقصة، تستند إلى مفهوم لم يقطع بعد كل صلاته مع ديانة العهد القديم، وقد فقد، عبر الأجيال، أصالة المفهوم الإنجيلي للكهنوت (اقرأ: مفهوم الكهنوت في الكنيسة الأولى) ولا يزال يبدو غير قادر على التكيف مع نظرة لاهوتية عصرية.

مثل هذه النظرات القاصرة -وبعضها ليس غريبا على مجتمعنا المسيحي- تكشف عن رؤية ضيقة للدور الذي يقوم به الكاهن، وهو ذاك الإنسان الذي ينقل بشرى الإنجيل إلى بني عصره، وبلغة بني عصره، ويساعدهم على تكوين حكم واتخاذ موقف، بوحي الإنجيل، تجاه قضايا الإنسان المعاصر ومعضلاته الراهنة... ومثل هذه النظرات ذات المدى القصير تعكس مفهوما يسدل ستارا كثيفا على الرسالة الملقاة على كاهن اليوم (اقرأ: رسالة الكاهن اليوم)، وهو ذاك الإنسان الذي يؤمّن في العالم حضورا فاعلا وديناميكيا للمسيح، ويشهد لقيم الروح في مجتمع الاستهلاك والنفعية، ويلتزم قضية الإنسان، مستعيرا نبرة الأنبياء في دفاعه عن حقوق الإنسان، وفي فضحه لكل أشكال الاستلاب التي يخضع لها، مبديا "انحيازه" إلى جانب الفقراء والمظلومين، حاملا إليهم بشرى التحرير والأمل.

ففي ضوء التحولات الفكرية والحضارية والاجتماعية التي اجتاحت عصرنا، لا بدّ أن نلقي نظرة فاحصة على دور الكاهن لنرى اثر تلك التحولات في تحديد هويته، وفي رؤيته لذاته ورؤية المؤمنين له: فكل "دور تقابله" توقعات" من جانب الذين يمتد إليهم هذا الدور، ومتى ما تغيرت "التوقعات"، لا بدّ للدور أن يتغير أيضا. وتنشأ الأزمة ويبدأ الصراع حين لا يعود ذاك الدور يجيب إلى التوقعات الجديدة التي خلقتها التحولات الاجتماعية! لقد كان للكاهن، حتى عهد قريب، دور "اجتماعي" لعبه في عصر كانت الديانة ذاتها بنوع عام، والكنيسة بنوع خاص، تلعب فيه دورا اجتماعيا -حضاريا معيناً في ظل الإيديولوجية السائدة. وما "أزمة" الكهنوت، في جذورها العميقة، سوى نتيجة للتحولات التي طرأت على توقعات المؤمنين إزاء دور للكاهن لم يعرف أن يواكب هذه التحولات؛ كما إنها نتيجة صراع نشب بين الصورة التقليدية لدور الكاهن والتي تريد الكنيسة- المؤسسة، مهما كلف الأمر، الحفاظ عليها، وبين الصورة الجديدة التي يريد كاهن اليوم أن يتسم بها دوره ليصبح أكثر تجاوبا مع الحاجات الجديدة التي تفرضها حضارة اليوم (اقرأ: الكاهن كما يراه عالم الاجتماع).

فلا عجب إذا بتنا نشهد لدى العديد من الكهنة شعوراً "بفقدان هويتهم"، وإذا اتسمت علاقات الكاهن بالمؤمنين بـ "أزمة ثقة"، وتعرضت السلطة في الكنيسة لصراع عنيف... وليس بغريب أن نكون الشهود على تناقص في الدعوات الكهنوتية (اقرأ: مستقبل الدعوات الكهنوتية في العراق)، وأصبحنا أمام ظاهرة "هروب" وهجر العديد من الكهنة... كما لا ينبغي أن يأخذنا العجب حين نرى كهنة يبحثون، بنزاهة وإخلاص، عن "هوية جديدة" وعن "موقع" جديد في الكنيسة والمجتمع، ويسعون بجد وإقدام، إلى إيجاد نمط جديد في أداء الرسالة الإنجيلية (اقرأ: كاهن الغد)، ويذهبون في استحداث أساليب جديدة للخدمة الراعوية أكثر وقعا وأكثر فاعلية (اقرأ: الكاهن... موزع أسرار؟) وينطلقون في البحث عن أسس قويمة لعلاقات جديدة أكثر إنسانية وأكثر إنجيلية مع المسؤولين الكنسيين (اقرأ: العلاقة بين الأساقفة والكهنة) ويجاهدون كي يتخذ تفاعلهم بقضايا الإنسانية شكل التزام جاد وفاعل.

قراءنا الأعزاء،

إليكم هذا العدد الخاص الذي لا يدّعي انه يبحث قضية الكاهن في كل أبعادها وتشعباتها، أو يعالج أزمة الكهنوت في كل جوانبها وملابساتها. فكل ما توخيناه هو إلقاء بعض الأضواء على جوانب من حياة الكاهن ورسالته (اقرأ: كهنة يتحدثون عن أنفسهم-طاولة مستديرة) في كنيسة تعيش منعطفا حاسما من تاريخها، وهي بحاجة إلى تنوع "الخدم" لبنيان جسد المسيح، وفي عالم بحاجة إلى "أنبياء" يعرفون أن يتفحصوا "علامات الأزمنة"، فيساهموا في بناء حضارة جديرة بالإنسان.

أيلول ١٩٧٩

مجلتكم... كيف تريدونها ؟

تحت هذا العنوان أطلقت الفكر المسيحي استفتاء، مع عدد حزيران، رغبة منها في استمزاج آراء قرائها، وقناعة منها بأن لاقتراحاتهم أثراً كبيراً على مسيرتها، سيما وإنها لا تبغي الانفراد في الحكم ولا التكهن بشأن أذواقهم ورغباتهم، إنما تتوخى أن تكون أكثر التصاقا بآمالهم وتطلعاتهم.

ويؤسفنا أن نقول بأن الإجابات كانت قليلة، نسبة إلى عدد المشتركين، ويحق لنا من ثم أن نتساءل: أليس للقراء رغبة في أن يروا مجلتهم تتطور وتتقدم نحو الأفضل، مضموناً وإخراجاً، فتودي رسالتها الإعلامية والثقافية على الوجه الأحسن؟ ونستسمح عفوهم فنقول: أهو الكسل يحول دون الإجابة، أم حرارة الصيف بددت ما يجول في خاطرهم من آراء ومقترحات؟ أم صناديق البريد التي لا تتوفر في كافة الاحياء والمناطق؟! أم ماذا؟

نحن نأبى أن نرى في قلة الإجابات الدليل على أن المجلة لا نقص فيها -ونحن أدرى بعوزها- كما نأبى أن نرى في صمت البعض لا أبالية تجاه المجلة، ونحن على يقين من أنها تثير فيهم تساؤلات، يعبرون عنها شفهيا أكثر مما يعبرون عنها كتابة. ونعود فنتساءل: متى يتوقف "كسل الكتابة"، هذه الظاهرة المقيتة في مجتمعنا والتي تكاد كل الصحف والمجلات تعاني منها؟.

لقد عكست الإجابات، على قلتها، تفاعل القراء مع الخط الإعلامي الذي انتهجته المجلة من خلال أبوابها الثابتة وفي مقدمتها: أنباء العالم المسيحي (٨٧٪) والملف (٨٠٪) وشؤون راهنة (٥٠٪)؛ وقد تمنى (١٠٠٪) الإبقاء على الأنباء، وبنسب أقل في ما يتعلق بالأبواب الأخرى؛ واثبت بعضهم عناوين مقالات لفتت انتباههم: المكسيك، بوييلا، كنيسة العرب... كما عكست الإجابات رغبة عدد لا بأس به من

القراء في تعميق وتوسيع ثقافتهم المسيحية، بحكم الأولوية التي منحوها لباب "من وحي الإنجيل" -وقد تمنى (٨٠٪) منهم أن نحافظ عليه- والاهتمام الذي حظيت به البحوث والمحاولات اللاهوتية والوثائق.

وفيما عبر العديد من القراء عن خط المجلة "التقدمي" (ن. س. ي. -قره قوش، قيس ثمين-الموصل، ل.ش. -القوش، يعقوب افرام- بغداد، ا. ن. ي. -تلكيف...)، معترفين بدورها في "خلق الوعي المسيحي"، ومشددين على مسؤوليتها في دفع كنيستنا العراقية نحو التجدد و"الاستمرار في تحليل الواقع" (غ.ق. -بغداد، رمزي عزو- بطنايا، نزار قيصر-زاخو، خالد شمعون-الموصل...)، عبّر نفر آخر عن نفوره من "الخط اليساري الذي التزمته" (فاضل كرومي-بغداد)، وضجره من "المواضيع التي تغلب عليها الغيبيات" (رمزي أدور-البصرة)، أو تلك التي تتناول الحوار المسيحي-الإسلامي (ل.ش. -القوش) أو التي "تنتقد الحبر الأعظم" (نزار قيصر-زاخو). كما أبدى بعضهم عدم ارتياحه من بعض الأبواب، وفي مقدمتها: أيقونة العدد والوثائق والافتتاحية والهمسات...

قراءنا الأعزاء

بعد هذا الاستعراض السريع -وقد اضطرتنا إليه قلة الإجابات- يطيب لنا أن نلقي وإياكم نظرة إلى مستقبل المجلة، وهي على عتبة عامها السادس عشر، وكلنا أمل وتصميم للسير بالمجلة إلى الأمام، من حيث المضمون والإخراج، اخذين بعين الاهتمام آراءكم ومقترحاتكم، وساهرين على تحقيق الآمال التي يحق لكم أن تنتظروها من مجلتكم، مع الحرص على خدمة الأهداف التي قامت من أجلها.

لقد قطعت مجلتكم شوطا لا بأس به، عبر ظروف قاسية وصعوبات جمة، على صعيد التحرير والشؤون الطباعية والمالية... وإذا شهدت، في السنوات الأخيرة، تزايداً في عدد قرائها -وقد بلغ عدد المشتركين ٢٥٠٠- وتصاعداً في اهتمامهم بها، غير انها تعاني من عجز مالي خطير يهدد مستقبلها، وذلك بحكم تضخم نفقاتها نتيجة لارتفاع أسعار الورق وتكاليف الطباعة (نسبة أربعة أضعاف عن عام ١٩٧٧) بحيث بلغ عجزها لهذا العام ٢٠٠٠ دينار! علما بأن هناك خدمات كثيرة على مستوى التحرير والتوزيع لا تدخل في الحساب! وقد يعجب البعض

إذا قلنا بأن العدد الواحد يكلف المجلة ٢٥٠ فلساً! لذا عمدنا، مضطرين، إلى رفع بدل الاشتراك إلى دينارين للعام المقبل، وأملنا أن يساهم أصدقاء المجلة ومناصروها في تغطية النفقات المتزايدة، عن طريق تسجيل "اشتراك مناصرة" من خمسة دنانير فما فوق...

إن جل غايتنا، من وراء هذا الحديث، هو أن يطلع القراء - وذلك من حقهم- على الوضع المالي، فيسعوا، إن هم شاءوا لمجلتهم البقاء والاستمرار، إلى مضاعفة الجهود لتوسيع رقعة انتشارها، علما بأنها بحاجة إلى ٢٠٠٠ مشترك جديد لتتمكن من مواصلة المسيرة. تلك هي خير خدمة يقدمها القراء.

هذا النداء نوجهه إليكم، قراءنا الأعزاء، مع هذا العدد الذي يحمل إليكم ثلاث نسخ من "قسيمة اشتراك"، آملين أن يسعى كل منكم إلى إيجاد مشترك جديد واحد على الأقل! ولكم منا عميق الشكر والامتنان.

تشرين الأول ١٩٧٩

لو عاد المسيح يوماً...

كاد الليل يبلغ أقصاه حين انتبه احدنا إلى البناء الذي شيدناه سوية، بعد حديث طويل لم يكن يدور ببال صاحبي إني سأنقله يوماً إلى قراء الفكر المسيحي! وقال: انحن في يقظة أم في حلم؟ بناء كهذا يجعل من عالمنا أرضا جديدة وسماء جديدة يسكن فيها الحب والخير والحق والعدل... أفترى الإنسانية قادرة على العيش في جنة كهذه لا توازيها سوى جنة عدن؟! وخيم علينا صمت... ورحت أتساءل في نفسي: هل يأتي يوم يجد فيه الإنسان نفسه قريبا من أخيه الإنسان، يوم تزول فيه كل أشكال التفرقة بين البشر، سواء كانت على أساس العرق أو القومية أو الجنس أو الثقافة أو الدين أو الإيديولوجية أو المذهب الخ...؟ وهل يأتي ذاك اليوم الذي تشعر فيه البشرية كلها انها أسرة واحدة، يوم يحطم فيه البشر كافة الحواجز والمسافات التي تفصل بينهم، فيسعون جميعاً، يداً بيد، إلى بناء عالم يقوم على الأخوة والمحبة والعدالة؟...

واستغرقنا في الصمت إلى أن قطعه احدنا قائلا: ما هو دورنا، نحن المسيحيين في بناء هذا العالم الذي نريده يكون ملكوت الله على الأرض؟ وهل نحن مهيّأوون لان يكون لنا دور "حجر الزاوية" في هذا البناء؟ ورحنا نطرح على أنفسنا التساؤلات عما فعلناه بإنجيل المسيح، وكيف سخرناه أحيانا كثيرة بمماحكات كلامية، لتبرير انهزاميتنا عن المواقع التي يتم فيها خلاص البشرية وتحريرها، وتقديم الحجج الواهية لاستقالتنا من المسؤوليات الجسيمة المنوطة بعنقنا، معللين النفس بأننا مدعوون إلى بناء "المدينة السماوية"، وأننا على هذه الأرض "مسافرون"، ننشد الطريق إلى المدينة الباقية ليس إلا!

وكان في الحديث شجون... وانتقلت بنا الذاكرة، وفي آن واحد (وكنا كأننا على طول موجة واحدة، بالرغم من اختلاف وضعنا

على خارطة العالم: أفريقي من تنزانيا، وأمريكي- لاتيني من شيلي، وعربي من العراق) إلى عبارة في الإنجيل: "وإذا جاء ابن الإنسان، أفترى يجد إيمانا على الأرض؟" إزاء هذا التساؤل توقفنا ثلاثتنا، وغصنا من جديد في صمت يشبه صمت العشاق، وهو ينتظر جوابا على سؤال طرحه في غمرة حبه، ولم يأته الجواب!

وقطع التنزاني صمتنا حين أخذ يقرأ مقطعاً من إنجيل متى حول نبوءة المسيح بخراب هيكل أورشليم: "... فيرتد عن الإيمان أناس كثيرون، ويسلّم بعضهم بعضاً ويتباغضون... وتفتر المحبة في قلوب الكثيرين. والذي يثبت إلى النهاية فذاك يخلص" (متى ٢٤: ١٠-١٤). وانبعث الأمل في نفوسنا من جديد -وكان اليأس قد أخذ طريقه إلينا- ونحن نصغي إلى هذا النص الذي ينتهي بنبرة من الرجاء: "... وبشارة الملكوت هذه ستُعلَن في المعمورة كلها، شهادة لدى الأمم أجمعين، وحينئذ يأتي المنتهى".

كانت خيوط الفجر قد امتدت -وكأنه هو الآخر كان معنا على طول موجة واحدة!- حين خرجنا ونحن على اقتناع بأن علينا أن نكون شهود الرجاء في عالم يعيش في الأمل وبالأمل. وقبل أن ننفصل، أطلق الشيلي زفرة عميقة وهو يقول: لو عاد المسيح يوما إلى عالمنا -وهو آت- فسيعيد إلى أذهاننا خطبته على الجبل: "طوبى للمساكين، فإن لهم ملكوت السماوات، طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض...".

السؤال الذي طرحه الإنجيل "إذا جاء ابن الإنسان -أفترى يجد إيمانا على الأرض؟" سيجد له جواباً، متى ما عرفنا بان الإيمان الذي يريده المسيح هو الإيمان المتجسد في الحياة اليومية، ذاك الإيمان بالإنسان الذي هو الطريق إلى الله، الإيمان الذي يتفاعل بقضايا الإنسان، وأولاها قضية حقوقه وحرياته، ذاك الإيمان الذي بوسعه أن يبني على الأرض ملكوت الله، ملكوت الحب والخير والحق والعدل... وبوسع كل البشر أن يكونوا أبناء هذا الملكوت.

تشرين الثاني ١٩٧٩

حقوق الإنسان في ضوء الميلاد

يطل علينا عيد ميلاد المسيح وسط عالم تكتنفه، من كل صوب، انقسامات حادة ونزاعات محمومة، وتلوح في سمائه حروب وويلات تهدد الإنسانية بالدمار والفناء. ويجد الإنسان نفسه في عالم كهذا، وكأنه ألعوبة تحركها أصابع خفية تسعى إلى تجريده من ابسط حقوقه وأقدسها، ويخيل إليه انه دمية تلعب به المصالح وتحوله الإيديولوجيات المعتمة إلى رقم، لا شكل له ولا صوت...

ويصاب المرء بخيبة أمل مريرة، وتنقطع كل صلة له بالرجاء، وهو يلمس بأن حقوقه مغتصبة وحرياته مخنوقة وكرامته مداسه، في العديد من البلدان التي تقودها سياسات خرقاء تمارس عليه كل أشكال الاستلابات، وقد لا يكون التمييز العنصري -سواء كان على أساس الجنس أو اللون أو الأصل أو القومية أو الدين...- من أكثرها وبالاً، مقابل الممارسات البائسة التي تتخذ القمع أسلوبا في فرض السيطرة، والتعذيب لغة في التعامل، والإبادة طريقا إلى تصفية الأجواء وتعبيد المسالك الملتوية! والانكى من ذلك كله، هو حين تتلبس هذه الاستلابات والتجاوزات، في حق الإنسان وكرامته، بلباس الحفاظ على وحدة الشعب وصيانة أمنه والحرص على سلامته من أعداء "مفتعلين" ومن اخطار لا وجود لها.

نظرة سريعة، قارئي العزيز، إلى العدد الذي بين يديك -وهو يحمل في آخره خلاصة لأحداث العام الذي نطويه- تكفي لتلم بالآلام على اختلاف أشكالها، من أقصى الأرض إلى أقصاها: من جنوب القارة الأفريقية حيث لا يزال الصراع عنيفا بين الأقلية البيضاء والأغلبية السوداء... إلى القارة اللاتينية، وقد تأصلت فيها أساليب القمع والتعذيب، وأصبحت الإيديولوجية السائدة تحت ستار الأمن القومي!... إلى أوربا، بشطريها الشرقي والغربي، حيث السلام والحرية الدينية في

خطر، وحيث القوانين تسخر بالحياة وبالإنسان، وحيث الأخلاق والمثل في انحدار... إلى أمريكا الشمالية حيث الامبريالية لا زالت تحرك العديد من بلدان العالم وتحوك المؤامرات في العالم الثالث لتوقف مسيرته نحو التحرر -وقد كان لنا منها نصيب في كامب ديفيد! ... إلى آسيا، وإلى جنوب شرقيها بالذات، حيث لم تعد الكلمات قادرة أن تصف مأساة شعب كمبوديا المهدد برمته بالفناء! ... إلى الشرق الأوسط حيث لا تزال قضية فلسطين جرحا أليما في قلب الأمة العربية، زاده عمقا تواطؤ نظام مصر مع العدو الصهيوني... ويطول بنا الحديث ان كنا نريد أن نلم بكل الصراعات التي تجري على الساحة العالمية والتي أصبحت الأمم المتحدة مسرحاً لها...

وإزاء هذه الآلام التي تعاني منها البشرية في كل مكان، وإزاء المظالم على اختلافها، التي يخضع لها البشر، لا عجب إذا ما مُنِيَ الإنسان بشعور العجز، ودب التشاؤم في نفسه، واستسلم إلى القنوط، وهو يتساءل: أَإلى عالم كهذا دُعي حين اكتحلت عيناه بنور الشمس، لأول مرة؟ أ إلى مثل هذا العالم ندعو الأطفال -في عامهم هذا، وقد بلغ نهايته- إلى الحياة لنورّثهم، على حد تعبير يوحنا بولس الثاني، تركة سباق التسلح والتهديد بالفناء الشامل؟ هل يبقى، يا ترى، معنى لعالم لم يعد فيه الإنسان أخا للإنسان، ولم تعد الشعوب والأمم تؤمن بشرعة حقوق الإنسان التي أعلنتها الأمم المتحدة والتي أمست شرعة كتب فوقها: "ليست للتطبيق"!!

هذه الشرعة، سبقتها، قبل ألفي عام، "خطبة الجبل" التي أعلنها يسوع، طفل بيت لحم، ابن الإنسان، وأرادها شرعة لتحرير الإنسان وسعادته... فإلى هذا العالم المضطرب -وقد كاد يفقد الأمل- جاء يسوع "ليبشر المساكين، وينادي للمأسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، ويطلق المرهقين أحراراً". وقد سبقه المعمذان ليعد الطريق أمامه، وهو يصرخ في البرية: "اعدوا طريق الرب، مهدوا سبله. كل وادٍ فليمتلئ، وكل جبل أو تل فلينخفض، والسبل الملتوية فلتصر قويمة، ومتوعر الطرق سهلا، فيعاين كل إنسان خلاص الله".

إن ذكرى ميلاد المسيح تتخذ في هذا العام بالذات -عام الطفل- بُعداً جديداً. فهناك أطفال، في العالم اجمع، ولدوا وسيولدون وهم يحملون تركة ثقيلة من المظالم التي يفرزها الأبكار من بني

جنسهم، من جراء تجاهلهم وتجاوزهم حقوق الإنسان الأساسية -وأولها حقه في الحياة، وفي حياة سعيدة، تزول فيها كافة الاستلابات التي تمس كرامته في الصميم وتمسخ صورته... وعسى أن ينتبه هؤلاء الأبكار إلى المأساة التي خلفتها وتخلفها تجاوزاتهم التي تمليها الأنانيات والمصالح والأحقاد... ويسعوا -ولم يفت الأوان- إلى جعل الأرض جديرة بسكنى الإنسان، ارض يسكن فيها الخير والعدل.

إلى هذا الإنسان، وقد أرهقته المظالم بكافة إشكالها، وأعيته المطالبة بحقوقه وحرياته، وأفقدته الاستلابات لذة العيش على هذه الأرض، يعيد يسوع الأمل بالحياة ويبعث فيه الرجاء بأرض جديدة، وقد قال: "جئت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة"، شريطة أن يقبل الإنسان، بطيب الخاطر، أن يسلك في النور ليصبح من أبناء النور.

فإلى جميع الذين يسعون، في العالم اجمع، إلى أن يكونوا من أبناء النور، ارفع، بمناسبة عيد ميلاد سيد النور، أجمل التهنئات وأطيب التمنيات.

بمناسبة اعلان شرعة حقوق الإنسان
١٠ كانون الأول ١٩٤٨

كانون الأول ١٩٧٩

١٩٨٠

من عام... إلى عام

مع مطلع هذا العام دخلت "الفكر المسيحي" عامها السادس عشر! وهذا شوط لا بأس به قطعته مجلتكم متلمسة طريقها عبر صعوبات جمة، سواء على صعيد التحرير أم على صعيد الطباعة أم على صعيد الميزانية المالية... ويشهد لها قراؤها الذين واكبوا مسيرتها منذ أن انطلقت، عام ١٩٦٤، على شكل "سلسلة" مقالات بحجم كراسة صغيرة بـ ١٦ صفحة، وحتى اليوم. وقد حققت خلال سنواتها العشر الأخيرة زيادة ملحوظة في حجمها وعدد صفحاتها بنسبة ٦٠٠٪! ولا يكاد تصاعد ثمنها (١٠٠٠٪) يوازي تصاعد نفقاتها، إذا علمنا فقط بأن ارتفاع أسعار الورق بلغ خمسة أضعاف، وان ارتفاع أجور الطباعة قفز بنسبة ٢٠٠٠٪ عن ما كانت عليه عام ١٩٦٤! ويعود هذا التصاعد في النفقات، بالدرجة الأولى، إلى انتقالها عام ١٩٧٨ من طباعة التنضيد اليدوي إلى اللينوتيب والاوفسيت، والذي حقق قفزة نوعية من حيث الاخراج، سيما وقد أتيح للصورة أن تأخذ مكانها الطبيعي في التعبير. وها نحن، مع بدء هذا العام، نضيف لوناً على الملزمة الأولى، غير أن طموحاتنا لا زالت مقيدة بحكم الامكانات المحدودة.

وبالرغم من كل التقدم الذي حققته المجلة يسوءنا الا يكون عدد المشتركين قد ارتفع الا بنسبة ضئيلة، ويؤسفنا أن يبقى أناس يجهلونها وهم أحوج ما يكون إلى الاستفادة منها. ولا نخفي بأن استمرارها في اداء رسالتها الاعلامية والثقافية رهن بأمانة قرائها عليها وغيرتهم على انتشارها، علماً بأن ٥٠٠٠ مشترك (أي بزيادة ١٥٠٠ على

عدد المشتركين الحالي) هو الحد الأدنى لموازنة نفقاتها المتصاعدة[١]، وبدونه ستبقى تعاني من عجز مالي يحول دون تقدمها.

ويسوغ بنا، في مطلع العام الجديد، أن نتوقف برهة لنلقي سوية نظرة فاحصة إلى ما حققته المجلة في مسيرتها، وقد رافقتها ظلال وأضواء إلى جانب قفزات وتعثرات... وفي "مراجعة الحياة" هذه، يطيب لنا أن نبدأ بالقول بأن الأماني والأحلام التي نعقدها للسير بالمجلة نحو الأفضل تتجاوز حدود الامكانات المتاحة، سيما ونحن نعاني من قلة الأقلام. وطالما رددنا أننا لا ندعي الكمال، إنما نسعى دوماً، بكل ما فينا من طاقات، إلى أن نكون على مستوى مسؤوليتنا الصحافية في كنيستنا العراقية، والتي محبة بها وغيرة عليها قامت الفكر المسيحي، متحملة ما تجلبها هذه المحبة وهذه الغيرة من انتقادات لاذعة قد تتخذ أحياناً شكل محاربة يائسة يستشف منها حقد محموم لا مبرر له!

فلأولئك الذين لا يطيب لهم أن تحمل المجلة لقرائها رؤية ديناميّة للإيمان مُطعَمّة بأصالة الإنجيل، وترسم لهم لوحة صادقة -وان قاتمة أحياناً!- عن واقع الكنيسة في العراق والعالم... والذين يأبون أن تضع المجلة أصبعها على الجرح وتشير إلى المواقع التي يتم فيها تحرير الإنسان، والمسيحي بنوع خاص، من استلابات يخضع لها في فكره وروحه ومن قيود يرضخ لها في حياته الإيمانية -وهي قلما تمتّ إلى الإيمان الأصيل بصلة... والذين لا يحلو لهم أن تخلق المجلة الوعي لدى قرائها بضرورة الالتزام بالقضايا الوطنية والقومية والمساهمة في بناء المجتمع العراقي الجديد... فلأولئك جميعاً -وهم قلة والحمد لله- نقول بصراحة أن عليهم أن يلموا بطبيعة العمل الصحافي ويدركوا بأن مهمة الصحافة الأولى -حتى وإن كانت "مسيحية"- لا تقوم في تسخير

(١) كي يكون القراء على بينة مما نقول، نثبت خلاصة لميزانية المجلة لعام ١٩٧٩، علما بأننا لم ندخل في الحساب تكاليف التحرير والتوزيع وعددا من الخدمات المجانية...

المصروفات	دينار	الواردات	دينار
تكاليف الطباعة	٤٥٠٠	الاشتراكات	٤٥٠٠
تكاليف الورق والغلاف	٣٠٠٠	الاعلانات الثقافية	١٢٦٠
اجور البريد والنقل الخ	٦٠٠	العجز	٣١٤٠
مصاريف متنوعة	٨٠٠		
	٨٩٠٠		٨٩٠٠

الأحداث "لخدمة" الكنيسة، وللحفاظ على صورة لها هي غير صورتها الحقيقية، إنما في نقلها، بأكثر ما يمكن من الموضوعية، وإتاحة الفرصة للقراء لصياغة حكمهم عليها وتحديد موقعهم منها.

أما لهؤلاء -وهم كثر والحمد لله- الذين تلتقي الفكر المسيحي مع توقعاتهم، وتعبر عن أمانيهم وطموحاتهم في كنيسة متجددة أبداً تعرف أن تكتنه علامات الأزمنة من خلال الأحداث، والذين يهمهم أن تعبر المجلة عن الإيمان بلغة جديدة، حتى وإن اقترن العرض الموضوعي بالنقد البناء والجريء... والذين لا يطيب لهم أن تعمد المجلة، بدافع الاحتواء، إلى تمييع الأزمات التي تظهر في سماء الكنيسة وعلى أكثر من صعيد، أو أن تلتزم الصمت، على حساب النزاهة الصحافية، عن الأحداث السلبية في حياة الكنيسة، أو أن تغلف الوقائع "لخدمة" قضية مهما كانت مقدسة... والذين يتوقعون منها أن تتعهد خطواتهم في البحث عن ملامح كنيسة عراقية تكون أكثر التصاقاً بالإنجيل وأكثر تحسساً لقضايا الإنسان ومعانياته... فلهؤلاء جميعاً نقول بأننا نحرص أن نكون وإياهم على طول موجة واحدة، بالرغم من الضغوط التي نواجهها، والتي مهما كثرت وثقلت وطأتها فلن تُثنينا عن ما نعتبره ضرورة لمستقبل كنيستنا في هذا البلد.

نحن على يقين من أن لكل مجلة قراءها -ويصح ذلك في الفكر المسيحي- الذين يختارونها لما لها من صدى في نفوسهم، لذا يطيب لنا أن نلفت انتباه هؤلاء القراء إلى حقيقة واحدة: أوَليس توسيع رقعة انتشارها مسؤولية جسيمة يتحملونها، بدافع من محبتهم لها وغيرتهم عليها، كي تقوى على مجابهة نفقاتها، فيتسنى لها بالتالي أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل في خدمة الأهداف التي قامت من أجلها؟

هذا النداء نوجهه إليكم، قراءنا الأعزاء، مع ها العدد الجديد الذي يحمل إليكم تقويماً أنيقاً، آملين أن تساهموا معنا في حملة الاشتراكات عن طريق التعريف بها وحمل أصدقائكم ومعارفكم على الانضمام إلى قائمة المشتركين.

وفيما نرفع إليكم أعمق الشكر نجدد تمنياتنا الخالصة بالعام الجديد.

كانون الثاني ١٩٨٠

أهي استدارة إلى اليمين ؟

عاش العالم المسيحي، في أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني -وتصادف هذا العام الذكرى الخامسة عشرة على اختتامه- فترة تميزت بالانفتاح على ما في الديانات والحضارات الإنسانية من مثل وقيم، والسعي، مع كل ذوي الإرادة الصالحة، إلى بناء عالم أكثر محبة وأكثر عدالة. وخرجت الكنيسة الكاثوليكية، غداة المجمع، من انعزالها القديم، وتخلت عن ادعائها بأنها تمتلك الحقيقة لوحدها، وراحت تشرّع نوافذها على العالم المسيحي بشطريه الكبيرين، الأرثوذكسي والبروتستنتي، في محاولة للبحث عن أسس قويمة لاستعادة الوحدة المسيحية المنشودة. وذهبت الكنيسة، بعد المجمع، في البحث عن صورة لها في المجتمع، غير تلك التي رسمت ملامحها الحقبة القسطنطينية والتي زادتها العصور الوسطى رسوخا، وأضفت عليها العصور الحديثة لمسات من الجاه والعظمة والقوة أفقدتها صفات النبوة والشهادة التي تميزت بهما في القرون الثلاثة الأولى... ذهبت في البحث عن موقع لها في عالم اليوم، ليس كقوة بين القوى المتنافسة، أو إيديولوجية بين الإيديولوجيات المتناحرة، أو مؤسسة بين المؤسسات التي تنظم حياة المجتمع عبر وسائل الانضباط والقمع...

وفي غمرة هذا البحث، وجدت الكنيسة موقعها بصفتها "شعب الله"، في مسيرة دائمة على طريق البشر -وليس بمعزل عنهم- في أفراحهم ومعانياتهم، في تطلعاتهم وإخفاقاتهم، في طموحاتهم وتعثراتهم... تندمج بها وتتبناها وتلتزمها، وتضفي عليها، على ضوء الإنجيل، أبعاداً قد تكون غائبة؛ وتسعى، بروح نبوية، إلى أن تنفح البشرية بنفحة إنجيل الفرح والرجاء، إلى أن تبلغ بها إلى ملء قامة المسيح، بكر الإنسانية ومحررها ودليلها إلى منابع الخير والحق.

وكأني بكنيسة ما بعد المجمع قد استفاقت على تركة ثقيلة شوهت صورتها واخفت أصالتها عبر الأجيال، حتى أن البشر لم يعودوا يستشفون فيها تلك البساطة الإنجيلية التي كانت تتميز بها وذاك الفقر الذي كان يحملها على الاعتماد على قوة المسيح وغناه وثراء إنجيله لا غير... وشعرت انها لم تعد شاهدة لإنجيل الخدمة، بعد أن كبّلها طابع القوة والجاه الذي أورثته إياها العصور السالفة، سواء في بنيتها الهرمية أم في نشاطاتها وممارساتها؛ وأدركت، بفضل الرواد من لاهوتييّها الجدد، بأن المنازعات العقائدية -ولم تكن المصالح السياسية غائبة كلياً عنها- أثقلت كاهلها، بما أفرزته من نتاج هو أشبه ببناء إيديولوجي منه ببناء عقائدي ضاعت معه أصالة الإنجيل!

وانكبت كنيسة ما بعد المجمع على مراجعة حياة، تناولت فيها، بادئ ذي بدء، ليتورجيتها وطقوسها وممارساتها، وامتدت إلى رسالتها التعليمية والراعوية، ومهمة أساقفتها وكهنتها وعلمانييها، وشملت من ثم مفاهيمها اللاهوتية، العقائدية والمسلكية... وكان للعلوم الإنسانية في هذه المراجعة دور كبير في تسليط الأضواء واستكشاف مواطن الضعف، سعياً نحو إصلاح جذري يتخطى الأشكال والصيغ. ولقد فهم أولئك الذين قيّموا المجمع تقييما موضوعيا ورأوا فيه نفحة من نفحات الروح أن "الإصلاح" الذي دعا إليه لن يقف عند شكل من أشكال التكيف والتجديدات الطفيفة، إنما سيمتد إلى "تحول" جاد يشمل بنية الكنيسة برمتها.

كانت هذه الانطلاقة الخيرة حبلى بالآمال الكبار، وكان لا بدّ أن ترافق هذه الولادة العسيرة آلام ومتاعب سبق أن أشار إليها أبو المجمع وملهمه، يوحنا ٢٣ -وقد آثر أن تصاب الكنيسة برجفة مما أن تختنق! غير أن هذه الآلام والمتاعب لم تطب لأولئك الذين- سواء كانوا في القمة أم في القاعدة -فقدوا الثقة بالروح، وشككوا في وعد المسيح بأنه سيبقى مع كنيسته حتى منتهى الدهر، فراحوا يحمّلون المجمع مسؤولية ما أسموه "بالفوضى" التي تمخض عنها، ويتحاملون على رواد التجدد، ويسعون إلى السير بالكنيسة على أعقابها، ولم يفطنوا ان حركة الحياة لا تتوقف عن طريق "إشارات الوقوف" التي غرسوها في كل منعطف، أو عن طريق إعلان "حالة الخطر" تجاه كل مبادرة تخرج عن المألوف.

لسنا نخفي قلقنا إزاء هذه الاستدارة إلى اليمين التي تشهدها الكنيسة في السنوات الأخيرة، والتي تقابلها استدارة مماثلة مالت إليها الأنظمة والأحزاب والحركات في الغرب. ويحق لنا أن نتساءل عن ما تهدف إليه هذه الاستدارة وماذا ستكون نتائجها على كنيسة علّمها التاريخ أنها تفقد أصالتها، كل مرة انحازت إلى الإيديولوجية السائدة: ألا يُخمد هذا التراجع تلك الشرارة التي أطلقها المجمع وحملت إلى الكنيسة دفءاً كان بوسعه أن يكون له مفعول قطرة زيت؟ أليست هذه الاستدارة إلى اليمين، ومن ثم إلى الوراء، دليلا على انعدام الثقة بقوة الروح الذي يَهُبّ حيث يشاء، وسبيلاً للعودة إلى كنيسة تخشى الموقف النبوي؟ ألا يفطن رواد تيار التراجع إلى أن العودة إلى كنيسة تدّعي الشموخ على حساب البساطة الإنجيلية، وتتخذ السيطرة أسلوباً في القيادة على حساب روح التواضع والخدمة، وتعمد إلى خنق المبادرات أو إلى احتوائها، قد تؤدي إلى انشقاق سيكون أكثر حدة من كل الانشقاقات والانقسامات الماضية؟

أسئلة نطرحها في أعقاب "الردة" التي شهدناها في الآونة الأخيرة والتي تجسدت اثر استدعاء وإدانة بعض كبار اللاهوتيين، ونأمل أن يوافينا القراء بردود يضمنونها رؤيتهم حول هذا المنعطف من حياة الكنيسة.

شباط ١٩٨٠

ومع ذلك أحبها!

صدق من قال: إن في التاريخ عبرة ودرسا، وان إعادة قراءته، على ضوء الحاضر، من شأنها أن تقي أبناء اليوم الكثير من المعاثر والأخطاء...

من هذا المنطلق تصفحت تاريخ كنيستي التي أحببتها ولا زلت أحبها، بالرغم من الصفحات القاتمة من تاريخها الطويل. وكثيرا ما تساءلت عن سبب حبي لها وتعلقي بها -ولست وحيدا في تساؤلي هذا- في الوقت الذي تتنصب في ذاكرتي أحداث تحمل على النفور والقرف: حين كانت المنازعات العقائدية في القرون الأولى -وبعضها يعود إلى مفهومين مختلفين للاهوت بين الشرق والغرب- تضع الحد الفاصل بين "الأرثوذكسية" و "الهرطقة"؛ وحين كان التناحر على الكراسي والمناصب، في عهد الدولة البيزنطية، يقود إلى تبادل الحرومات التي يتحمل أعباءها الشعب البسيط الذي لا تهمه المظاهر بقدر ما تهمه أمانته للمسيح؛ وحين كانت المهاترات السياسية التي مال إليها رجال الكنيسة، بقصد أم بغير قصد، تخنق أصوات أنبياء ذلك العصر الذين حذروا من التحالف مع "الدولة المسيحية" ومع الطبقات الغنية، كان على حساب الفقر الذي يميزها والبساطة الإنجيلية التي كانت تطبعها! وحين كانت مجامع التفتيش تقود إلى المحرقة رجالاً ونساء "خرجوا عن المألوف"، وسبقوا عصرهم في مقولاتهم وممارساتهم، بينهم قديسون كبار وعلماء بارزون! وحين كانت القسوة قد احتلت مكان الرحمة والمحبة، وقادت حروبا دينية لا محل لها في إنجيل يسوع...

ويطول بنا الحديث إن كنا نريد أن نستعرض تاريخ الكنيسة الطويل وما تخللته من عثرات ومعاثر لا زالت عالقة في أذهان أولئك الذين يقرأون التاريخ بأعين جديدة.

وإذا كان تاريخ الكنيسة يعيد ذاته اليوم بصيغ جديدة، لا تختلف في جوهرها عن الصيغ القديمة، إلا أن الصيغ الجديدة هي اليوم، أكثر مما مضى، مبعث قلق. انه قلق المصير بشأن كنيسة علمها التاريخ بأنها، كل مرة أرادت، بقصد أم بغير قصد، إيقاف أو عرقلة الروح النبوية المتمثلة في الرواد من أبنائها، انخفضت الثقة بها وتعرضت لانقسامات أليمة. كما علّمها التاريخ بأنها كل مرة اتخذت أسلوب القوة، فقدت في الوقت ذاته قوتها الحقيقية التي تكمن في كلمة الإنجيل النبوية. وان ما يدعو إلى الدهشة حقاً هو أن الكنيسة-المؤسسة، سواء بدافع من الفطنة المبالغ بها، أم بدافع من تشديدات يخيل إليها أنها ضرورية، تبدو وكأنها لا تريد أن تسبق الزمن، وترضى، بطيب الخاطر، أن تتبع ببطء التحولات التي تطرأ على المجتمع البشري، ولا تلحق بها إلا بعد أن تكون قد أصبحت أو كادت تصبح في عداد البديهيات! ولنا من الأمثلة بهذا الصدد الشيء الكثير: ألَم تنتظر الكنيسة-المؤسسة ظهور حركة "الإصلاح" قبل أن تنكب على إصلاح ذاتها؟ أما تريثت كثيراً قبل أن تعلن "الضوء الأخضر" أمام الدراسات الكتابية التي تعتمد العلوم الحديثة في قراءة وتفسير الكتاب المقدس؟ أَلَم تلاقِ رسالة العلمانيين مقاومات شديدة، أقلة في بدء انطلاقتها -ولازالت هذه المقاومة قائمة في بعض كنائس الله!- إلى أن حظيت بوثيقة من المجمع المسكوني؟ أما كان من الضروري أن تحظى محاولة الكهنة العمال في الخمسينات بالدعم الذي تستحقه، في زمن كانت الكنيسة قد فقدت رصيدها بين الطبقة العاملة؟

وتطول قائمة التساؤلات، إذا كنا نريد أن نلم بالمواقف التي اتخذتها وتتخذها الكنيسة الرسمية تجاه المبادرات التي تنشأ هنا وهناك، على مختلف الأصعدة والمستويات. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو:أليس من الأفضل أن تترك الكنيسة المجال مفتوحاً أمام المبادرات والمحاولات والخبرات، على اختلافها، ولا تعمد إلى إصدار "الكلمة الفصل"، تجنباً من خنق أو عرقلة الروح النبوية التي كثيراً ما تتسم بها هذه المبادرات و المحاولات والخبرات؟ وهذا السؤال يقود إلى سؤال آخر: أهي سياسة ناجحة في الكنيسة أن تبدأ برفض كل بادرة تخرج عن المألوف، وإسكات كل صوت يبدو "ناشزا"، وتضطر في التالي إلى القبول؟ ألا يوحي هذا السلوك بقلة ثقة بالروح الذي يهبّ حيث

يشاء؟ ألَم يكن يوحنا ٢٣ ملهماً حين أعلن العزم على عقد مجمع مسكوني كان مفاجأة حقيقية؟ أليست المبادرات التي انطلقت في أعقابه بمثابة "علامات الأزمنة" التي دعا المجمع إلى اكتشافها؟

وأعود إلى تساؤلي الأول عن سبب حبي لكنيستي: أحبها حين ألمس ثقتها بالروح، وأجدها تصغي إلى إلهاماته، وتتركه يهب حيث يشاء! ... ويلهم من يشاء! أحبها حين أراها ترضى القيام بمراجعة حياة -كتلك التي قامت بها إبان المجمع وبعده- وتقبل أن تعيد النظر في بنيتها ومقوماتها وممارساتها، على ضوء التاريخ وخبرة الحاضر... أحبها حين أشهدها تحذر من فرض صيغة واحدة للإيمان، وتقبل بمبدأ التعددية في فهم الأيمان والتعبير عنه... أحبها حين أراها تتخلى عن امتيازاتها القديمة، فتأخذ مكانها إلى جانب الفقراء ولا تخشى أن ترفع صوتها دفاعا عنهم، مهما كلفها ذلك من ثمن... أحبها حين اسمع في صوتها نبرة التطويبات، وألمس في ممارساتها رغبة ملحة إلى تجسيد مواقف الإنجيل في قضايا الإنسان ومعانياته، بعيداً عن روح الإدعاء والفريسية. وأحبها بالأكثر حين أجدها ترفض الانتماء إلى الأيديولوجية السائدة، لتقوى على امتلاك رؤية ناقدة تجاه المجتمع، فتقول فيه كلمتها النبوية.

آذار ١٩٨٠

مع الرسل في اكتشاف يسوع القيامة

كان لا بدّ أن يخيّم الشك والقلق على الرسل الاثني عشر، وقد أصبحوا وجها لوجه أمام المأساة التي انتابت معلمهم، وقد أحبوه ولازموه وعلقوا عليه آمالهم... وكانت قد لاحت لهم من قبل بوادر هذه المأساة حين سمعوا المعلم يعلن يوما انه مزمع " أن يتعذب ويقتل ويقوم في اليوم الثالث" -ولم يكن بوسعهم آنذاك أن يقيسوا أبعاد تلك المأساة- ويرجّع الإنجيل صدى أنفة بطرس واحتجاجه: معاذ الله، يا رب، لا، لن يكون ذلك البتة... أنفة رد عليها يسوع بقسوة...

وحين دنت الساعة التي "سيتمجد فيها ابن البشر"، تراقصت في أذهان الرسل أحداث حياة السيد برمتها، المليئة بالتعاليم والأفعال: تذكروا ولا شك يوم دعاهم هذا الناصري -ولم يكونوا يدركون تماماً ما كان ينطوي على هذه الدعوة من متطلبات- وكيف استجابوا له للحال وتركوا كل شيء وتبعوه. ولا بدّ أنهم تذكروا خطبته على الجبل، وقد ضمنها شرعة جديدة للدخول في ملكوت الله. وانتقلت بهم الذاكرة إلى قانا الجليل حيث صنع يسوع أولى عجائبه، وإلى أورشليم حين اصطنع سوطا وطرد باعة الهيكل وتصرف "كمن له سلطان"؛ وإلى سيخار حيث التقى بالسامرية على بئر يعقوب ليقول لها بأن العبادة لن تكون، لا في السامرة ولا في أورشليم، بل "بالروح والحق". وانتصبت في ذاكرتهم معجزة تكثير الأرغفة بالقرب من بحيرة طبرية، حين أراد الشعب أن يقيمه ملكا، وكيف دغدغتهم آنذاك أحلام خيبها المعلم، وساورتهم رغبة خفية في الارتداد عنه...

في تلك الساعة الحرجة، في بستان الزيتون، حين رأى الرسل يهوذا يسلم ذاك الذي غسل بالأمس أقدامهم، ذكر تلميذا يوحنا المعمدان -اندراوس ويوحنا- حين أشار إلى يسوع قائلا: هوذا حمل الله! وذكر ابنا زبدى -يعقوب ويوحنا- ما قاله لهما يسوع: أتستطيعان أن

تشربا الكأس التي أنا مزمع أن اشربها؟ وذكر بعض الرسل تجلي الرب على جبل طابور حين سمعوا صوتا يقول: هوذا ابني الحبيب الذي به سررت! كما ذكر جميعهم يوم طرح يسوع عليهم هذا السؤال: من أكون أنا في اعتقادكم ؟ -أنت المسيح ابن الله الحي!

كل هذه الأحداث تراقصت، في تلك الساعة، في مخيلة الرسل وانتابتهم خيبة أمل مريرة وتساءلوا في أنفسهم: أيمكن أن تكون هذه نهاية المعلم الذي لم يتكلم احد مثله قط، بحد شهادة أعدائه أنفسهم ؟

لقد عاش الرسل ثلاثة أيام قاسية، خيم فيها عليهم حزن عميق اقترن بالشك والقلق وخيبة الأمل والتردد... ولكنهم، في الوقت ذاته، كانوا يحاولون أن يستعيدوا في ذاكرتهم حديث يسوع معهم، عشية موته، (الفصل ١٣ إلى ١٧ من إنجيل يوحنا) وقد محضهم فيه حبه وأودعهم توصياته الأخيرة: لا تضطرب قلوبكم... لن أدعكم يتامى... لن يراني العالم فيما بعد، أما انتم فترونني لأني حي... انتم أصدقائي... السلام استودعكم... ومتى جاء المحامي، الروح القدس، فهو يذكركم بجميع ما قلت لكم ويرشدكم إلى الحقيقة كلها... لتطب نفوسكم! إني غلبت العالم...

وحين نهض من بين الأموات، تذكر التلاميذ ما قاله وصنعه يسوع ورأوا مجده، وعلموا يقينا أن الموت لم يكن قادرا أن يضبطه! ولقد قالها بطرس بعد حلول الروح القدس: إن يسوع الناصري، الإنسان الذي أيده الله... قد أقامه ساحقا قيود الموت... ونحن جميعا شهود بذلك! وعن مجده وغلبته، تحدث يسوع الناهض إلى التلميذين اللذين كانا ذاهبين إلى عماوس، مساء القيامة، وهما يتحدثان عن كل ما جرى، وفي نفسهما ألم -وكنا نؤمل انه هو الذي يفتدي إسرائيل- وفي عينيهما أمل بكلام النسوة اللواتي بكرن إلى القبر ولم يجدن جسده واخبرن بأن ملائكة ظهروا لهن وقالوا انه حي... فقال لهما يسوع: ما أقصر أبصاركما... أما كان ينبغي للمسيح أن يكابد هذه الآلام ويدخل إلى مجده؟

إن اكتشاف الرسل قيامة يسوع كان رهن خبرة عاشوها طيلة مسيرة تخللتها شكوك وترددات وعثرات، وتكللت بخبرتهم بالروح القدس الذي أفاضه يسوع فيهم بعد قيامته. فإلى هذه الخبرة عينها نحن

مدعوون اليوم، ولنا في الإنجيل دليل يهدي خطواتنا إلى اكتشاف ذاك الناصري الذي اجتاز في أرضنا يصنع الخير ويبشر بملكوت المحبة والعدالة ويدعو المساكين والمرهقين إلى التحرر وينادي كل ذوي الإرادة الصالحة إلى قبول هذه البشرى والتجاوب مع متطلباتها... وهذا الاكتشاف وهذه الخبرة لن يتما إلا عبر معرفة عميقة لسر يسوع تتطلب نزاهة في البحث وشفافية في النظر وثقة وطيدة... وفوق كل شيء حباً صادقاً.

قيامة المسيح تطرح علينا من جديد مسألة انتمائنا إلى ذاك الذي كان مروره بأرضنا منعطفا هاما غيّر مجرى التاريخ، وبوسعه أن يغير مجرى حياتنا...

قيامة المسيح هي لنا اليوم بمثابة ولادة حقيقية لا تنتهي بالموت، تكون قادرة أن تحطم كل ما فينا من خوف وتردد، وتضفي قيمة جديدة على آلامنا ومعاناياتنا الداخلية، وتطبع كفاحنا ونضالنا بطابع القوة والصمود، وتسم طموحاتنا بسمَة الأمل والرجاء.

قيامة المسيح تلقي علينا نحن المؤمنين بيسوع الناهض من بين الأموات مسؤوليات جسيمة في الشهادة والممارسة: فما إن آمنا، وجب علينا أن نكون شهود الرجاء في عالم اليأس والقنوط، وأصبح لزاماً علينا أن نساهم، مع كل ذوي الإرادة الصالحة، في بناء عالم أكثر عدالة وأكثر أخوة، ونسعى للسير بالإنسانية إلى ملء اكتمالها، فنبلغ بها إلى ملء قامة المسيح.

وفيما نرفع إلى قرائنا الأعزاء اصدق التهنئات بقيامة المسيح، نأمل أن تكون هذه القيامة نوراً يسطع فينا، فيجدد منا الإيمان ويعمق فينا الحب ويحمل إلينا الفرح لنحمله إلى من حولنا.

نيسان ١٩٨٠

... وكان للإعلان صدى!

شهد العراق في الأشهر الأخيرة تحركا منقطع النظير، على الصعيد العالمي، انطلق من إدراكه العميق بمسؤولياته القومية تجاه التحديات التي تواجهها الأمة العربية في الظروف الراهنة. وان هذه التحديات ليست بغريبة على مطامع الامبريالية العالمية التي سعت وتسعى دوما إلى تمزيق الوطن العربي واخفات دوره الطبيعي في مسار العالم وإضعاف نفوذه بصفته قوة لها وزنها وحجمها في موازين القوى الدولية.

لقد أضحت المنطقة العربية، وبنوع خاص منذ السبعينات، موضوع اهتمام القوى الكبرى التي ضاعفت تحركاتها المشبوهة في استمالة عدد من الأقطار العربية وحملها على الانضواء تحت نفوذها، مستنفذة كل الوسائل التي من شأنها ان تهدد امن الأمة العربية وسيادتها القومية على أراضيها وثرواتها الطبيعية... وهدفها الأول الحيلولة دون قيام كيان عربي موحد قادر على الوقوف بوجه المطامع الامبريالية، ليقينها بان هذه الوحدة تشكل تحديا واضحاً لمخططاتها ومؤامراتها.

وكان للعراق في هذا التحدي دور الريادة، بفضل تشخيصه العميق للواقع العربي وتحليله العلمي لمتطلبات المرحلة الراهنة. ولقد اعترف له الأشقاء بهذا الدور الطليعي -ولا سيما في أعقاب "اتفاقيات" كامب ديفيد المشؤومة وابان انعقاد مؤتمر القمة في بغداد الثورة- في توجيه خط النضال الوطني والقومي إلى ما من شأنه ان يعزز وحدة الصف العربي، كي يقوى على مواجهة الأخطار وعلى رأسها الخطر الصهيوني.

وجاء "إعلان" الرئيس القائد صدام حسين خطوة تاريخية رائدة في نضال الأمة، لما تضمّنه من توجّهات رصينة عبرت، وبوضوح، عن الواقع الذي يطمح إليه المجتمع العربي تاريخياً وسياسياً. وكان الإعلان

بمثابة تحد بوجه التحديات، ومنهاجا ايجابيا "للتعامل" العربي مع القوى الدولية، وبرنامجا ستراتيجيا يضع حدا لحالة التمزق والانحلال، ويوجه الإرادة العربية صوب اختيارات سياسية واقتصادية متميزة وفريدة تلائم طموحات الشعب العربي وتطلعاته المشروعة. فليس بقليل ان يكون هذا "الميثاق القومي" الجريء قد وضع الأقطار العربية بمنجى من كل دوائر النفوذ الدولي، رافضا تواجد القواعد الأجنبية في الوطن العربي، وداعياً إلى التعاون الاقتصادي بين الأقطار العربية والتضامن في صد كل عدوان يستهدف السيادة الإقليمية...

ولقد جاء إعلان الرئيس القائد في الوقت المناسب، متخذا كل أبعاده في الظروف التي يمر بها العراق والأمة العربية، اليوم ولا سيما في أعقاب تصاعد هجمات النظام الإيراني ضد ثورتنا وقيادتها السياسية المقدامة، وإزاء أعمال العنف والتخريب التي قامت بها زمرة من اتباع خميني بهدف زرع الفتنة، متناسية ان ثورة العراق أقوى من ان تنال منها المؤامرات، ايا كان حجمها.

إزاء هذا الميثاق، بقيمته التاريخية على الصعيدين الوطني والقومي، لا يسعنا -كمواطنين ومؤمنين- الا ان نرى فيه تعبيرا أصيلا عن إرادة شعبنا العربي في الالتزام ببناء المجتمع العربي الموحد وتعزيز حضوره على الساحة الدولية. واننا نجد فيه قيمة إنسانية حضارية فريدة، وقد جاء منسجما مع تطلعت إنسان اليوم إلى استقلاله السياسي-الاقتصادي والسيادة على أرضه، بعيداً عن كل أشكال النفوذ والابتزاز والاستغلال التي تمارسها القوى الكبرى في دول العالم الثالث. كما اننا نرى فيه مؤشرا واضحا على ارادة قيادتنا السياسية في تخطي الفوارق القومية والدينية بين المواطنين في كل أرجاء الوطن العربي، والتأكيد على ضرورة تضافر الجهود لبناء مجتمع عربي يعيش بشرف وكرامة واباء.

لقد سبق لنا مرارا ان أكدنا بان أمانتنا لإنجيل المسيح وأمانتنا لقضايا الإنسانية ومعاناياتها وتطلعاتها ليست سوى أمانة واحدة، تقوم في اكتشاف والتزام متطلبات الإنجيل في واقع الحياة الإنسانية بكافة جوانبها: فكل مبادرة تهدف إلى ترسيخ أواصر الوحدة الوطنية تتجاوز الفروقات بين المواطنين وتدعوهم ان يعملوا يدا بيد لبناء مجتمع أكثر عدالة وأكثر اخوة، تحظى بتأييد المؤمنين الصادقين. وكل مشروع

مجتمعي يرسم لأبناء الوطن نموذجاً أصيلاً في التنمية والبناء ينطلق من مصلحة الشعب ومن تطلعاته في السيادة والاستقلال، يحظى بدعم المخلصين أية كانت معتقداتهم ومذاهبهم. وكل مسعى يهدف إلى مقاومة الظلم أياً كان شكله وإلى رفض كل أشكال الاستغلال والتبعية في الشؤون السياسية والاقتصادية، لهو مسعى خيّر يحظى ببركة كل المؤمنين بكرامة الإنسان وحقوقه.

فإذا كنا نحن مسيحيي العراق والوطن العربي نشعر باننا -وإخواننا المسلمين- مواطنون بدرجة كاملة، وان للأمة العربية علينا عين الواجبات ولنا عليها عين الحقوق، وكان لنا الوعي العميق بان قضايانا قضاياها ومعاناياتها وطموحاتها معاناياتنا وطموحاتنا... فعلينا ان نستلهم من إنجيلنا -إنجيل الحرية والعدالة- صيغ الالتزام الجاد والممارسة الفاعلة لدعم مسيرة الأمة في كل ما يحقق لها سيادتها وعزتها وكرامتها، ويمكّنها من السير على طريق التقدم والازدهار.

أيار ١٩٨٠

"أفرقة" الكنيسة الأفريقية!

إلى أفريقيا ذات الحضارات العريقة والتي لها في كل بلد لون، ذهب يوحنا بولس الثاني حاجاً! هذه القارة التي كانت في سوادها الأعظم، ولعشرين سنة خلت فقط، مسرحا لمطامع الأوربيين المستعمرين الذين تعاقبوا في بسط نفوذهم عليها ونهب ثرواتها وطمس معالمها وحضاراتها، تحت ستار أسطورة بعث " الحضارة " فيها... ما زالت عرضة لتنافس القوى الكبرى عليها بأيديولوجياتها المختلفة، سواء جاءت من الغرب أم من الشرق.

فإلى هذه القارة التي تضم ٥٢ بلداً -حيث المسيحيون قلة وحيث "الانيمية" هي ديانة الأغلبية الساحقة- ذهب البابا البولوني ليطلع عن كثب على حياة شعوب تتسم بالروحانية وتمتاز بالقيم الإنسانية العالية وتواجه معضلات خطيرة على كافة الأصعدة، وأهمها معضلة النماء والنزاعات الأيديولوجية والتفرقة العنصرية، إلى جانب معضلات الجفاف والجهل والمرض والأوبئة... غير انه ذهب وفي نيته أن "يلتقي" بكنيسة تأصلت في الأرض الأفريقية، ولكنها ما زالت تحمل وزر مسيحية "مستوردة" لم تعرف فيما مضى أن تجعل الإنجيل يتفاعل مع التراث الحضاري الأفريقي، وهي اليوم تعيش صراعا مكبوتا بين أمانتين: أمانتها للإنجيل وأمانتها للروح الأفريقية.

لقد بدأ "تبشير" أفريقيا منذ مطلع القرن ١٥، مع دخول الاستعمار، ولكنه لم يعطِ ثماراً، وكان ينبغي لأفريقيا أن تنتظر القرن ١٩، ابان الاستعمار الأوربي الحديث، لتشهد وفود المرسلين الأوائل. فما عدا بلدان شمال أفريقيا التي قبلت بشارة الإنجيل منذ القرون الأولى، لا يكاد عمر المسيحية في معظم البلدان الأفريقية يتجاوز المائة عام! وبقيت الكنائس الأفريقية الفتية على هامش

الكنيسة الجامعة فترة طويلة، يدير شؤونها أساقفة وكهنة أجانب: ففي عام ١٩٣٩ فقط رسم أول أسقف إفريقي لأوغندا! وكان ينبغي أن ننتظر عام ١٩٦٠ لنرى أول كاردينال إفريقي يدخل مصف الكرادلة، في عهد البابا يوحنا ٢٣! وحتى عهد قريب لم يكن على رأس الأبرشيات والخور نيات سوى عدد ضئيل من الأساقفة والكهنة الأفارقة، مما حمل الكاردينال مالولا رئيس أساقفة كينشاسا (زائير) على أن يصرح عام ١٩٧٣ قائلاً: "البارحة نصّر المبشرون الأجانب إفريقيا، واليوم مسيحيو إفريقيا مدعوون إلى أفرقة المسيحية"!

إن الكنيسة الأفريقية تبدو اليوم حية ونشطة -٥٢ مليون كاثوليكي (١/٩ من مجموع القارة)، في خدمتهم ١٥٨٥٠ كاهناً و٢٣٦٨٠ راهبة، إلى جانب أكثر من مئتي أسقف بينهم ١٢ كاردينالا- وقد عرفت، في أعقاب المجمع المسكوني الذي بعث فيها نفحة جديدة، أن تضع مقرراته موضع تنفيذ : فانطلقت حركة "أفرقة" الاكليروس واستبدال المرسلين الأجانب بأساقفة وكهنة أفارقة؛ وراح الأساقفة (٧٠ ٪) يبدون مشاركة فعالة في المؤتمرات الكنسية ولاسيما في دورات سينودس الأساقفة، مشددين على أصالة المسيحية الأفريقية ومطالبين بأفارقة الليتورجيا والعبادة و "تنصير" التقاليد والأعياد والتظاهرات الأفريقية وتطعيمها بروح الإنجيل؛ وازداد العلمانيون وعيا بمسؤولياتهم في الكنيسة والمجتمع فراحوا يطالبون بالاعتراف بدورهم ويؤلفون "جماعات قاعدة" تعيش الإنجيل انطلاقاً من الواقع الأفريقي... (راجع ف.م. كانون الثاني ١٩٨٠: أفريقيا، كنيسة تبحث عن ذاتها).

إلا أن هذا التحول تريده الكنيسة الأفريقية اليوم يتخطى الصيغ والنماذج وأساليب العمل الرسولي والراعوي ليبلغ إلى تغيير في البنى الكنسية، انطلاقاً من مبدأ تجسيد الإنجيل في واقع الحضارة الإفريقية، ووصولا إلى إنشاء لاهوت أفريقي يعيد النظر في اللاهوت التقليدي الذي ينتمي هو الآخر إلى حضارة غربية معينة. ولا نكشف سراً إذا قلنا بأن هذا التحول الجذري الذي ينادي به عدد من الأساقفة والكهنة والمرسلين أنفسهم يلاقي حذراً شديداً، إن لم نقل مقاومة في الأوساط الرومانية التي تخشى من نتائجه على وحدة الكنيسة.

وان الكنيسة الأفريقية، بينما تبحث عن هوية أصيلة لها في قلب الكنيسة الجامعة، تواجه من جهة أخرى أزمة حادة في ما يتعلق بدورها في المجتمع الأفريقي الذي يسعى إلى سيادته ونموه وتقدمه، وسط صراعات إيديولوجية تتنازع البلدان الأفريقية في الداخل والخارج. ولا عجب إذا رأينا السلطة الكنسية في بلد ما تتخذ موقفا ايجابيا شجاعا، بينما يتسم موقفها في بلد آخر بالحذر أو التخاذل: انه صراع تعيشه الكنائس الأفريقية -كما في عدد من بلدان العالم الثالث- بين خيارين: فإما أن تسكت أو تتبنى الإيديولوجية السائدة لتضمن استمرار وجودها، وإما أن تتكلم وترفع صوتها عاليا وتقبل ما سيترتب على كلمتها من نتائج!

فإلى هذه الكنيسة "الساخنة" التي تعيش اليوم شبه "ثورة ثقافية"، بحثاً عن هوية تجعل منها كنيسة افريقية أصيلة تلعب دوراً فاعلاً وأصيلاً في حياة شعب الله الذي في أفريقيا وفي حياة المجتمع الأفريقي... ذهب أسقف روما! فإذا لم تنقصه الجرأة حين ظهر على الأرض الأفريقية مدافعا مقداما عن حقوق الإنسان وحرياته وكرامته، وإذا بدت توجيهاته جادة وبناءة في ما يتعلق بالاستقلال الوطني والسيادة على الثروة الإقليمية والدعوة إلى نماء أنساني أفريقي أصيل... فأملنا وطيد انه "التقى" بواقع الكنيسة الأفريقية وأصغى إلى آمالها وتطلعاتها، وعاد إلى روما بمزيد من الخبرة للكنيسة الجامعة.

قانون الرعاية الاجتماعية:
كـرامة الإنسـان

طلت علينا هذا العام الذكرى الثانية عشرة لثورة ١٧-٣٠ تموز المجيدة، في مناخ طبعته حرارة التجربة الديمقراطية الرائدة التي تمثلت بتأسيس المجلس الوطني وما رافقته من تظاهرات عكست وعي الجماهير وإيمانها بأهداف الأمة وحرصها الشديد على مكاسب ثورتها التقدمية. وكان انبثاقه خطوة متطورة جسدت صيغ الممارسة الديمقراطية في عراق الثورة التي ما انفكت قيادتنا السياسية تسعى إلى ترسيخها في فكر الجماهير، لحملها على المساهمة الجادة في بناء المجتمع الاشتراكي الديمقراطي الموحد. وكان للخطاب الشامل الذي ألقاه الرئيس القائد في الجلسة الافتتاحية، في ٣٠حزيران، -وهي الذكرى الستون لثورة العشرين- أعمق الأثر في نفوس المواطنين لما تضمنه من توجهات هادفة عكست فكر الحزب والدولة في إطار المرحلة الراهنة ومستلزماتها؛ وقد أكد سيادته على حرية أعضاء المجلس "في قول وتقرير ما يعتقدونه صحيحاً... مهتدين بمبادئ الثورة وباستحضار دائم لضمير الشعب". واننا نتطلع بأمل إلى الآثار الايجابية التي ستتركها مهمات المجلس التشريعية على مسيرة ثورتنا، عن طريق تعميق وتوسيع سبل الممارسة الديمقراطية في عراقنا الحبيب.

لقد قطعت ثورتنا، خلال الاثني عشر عاماً من تاريخها، شوطا كبيرا سجلت طواله سلسلة من المكاسب والمنجزات. وما قانون "الرعاية الاجتماعية" الذي أصدره مجلس قيادة الثورة في ٢٨ حزيران الماضي -وقد أصبح الآن نافذ المفعول- إلا دليل ساطع على اهتمام القيادة السياسية بكل ما يحقق المزيد من الكرامة والسعادة والرفاهية لأفراد الشعب.

هذا القانون الذي يُعَدّ بحق إنجازاً تاريخياً فريداً في حياة شعبنا، جدير بان نتوقف عنده برهة لنكشف عن الأبعاد الإنسانية العميقة التي تضمنها.

إن ثورة تريد أن يُكتب لها النجاح، عليها أن تصب جل اهتمامها على الإنسان، في فهم عميق لقيمته ومكانته وحرص شديد على كرامته وحقوقه؛ ولن يكون الاهتمام بتوفير الحياة الحرة الكريمة لأبناء الشعب

غنياً بالمعاني، إلا بمقدار ما يرتبط هذا الاهتمام بنظرة إنسانية شمولية تنطلق من مبدأ المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، وتهدف إلى إشاعة العدالة بينهم وتمكينهم من المساهمة الفعالة، كل من موقعه، في حركة النهوض الاجتماعي والثقافي والحضاري...

فإلى هذه النظرة الشمولية التي تهدف إلى نماء إنساني يشمل كل إنسان والإنسان كله، ينتمي قانون الرعاية الاجتماعية الذي سيؤمن عيشا كريما لشريحة من المجتمع ظلت تعاني من الحرمان واليأس؛ وبموجبه ستتمكن هذه الشريحة المحرومة والمعطلة من المساهمة في عملية النماء والبناء التي يشهدها قطرنا على كافة الأصعدة. فلقد جاء في أهدافه العامة أن الدولة تنطلق من مبدأ "التضامن الاجتماعي" بحيث "يؤدي كل مواطن واجبه كاملا تجاه المجتمع... ويكفل المجتمع للمواطن كامل حقوقه"، بما فيها حقه في العمل وفي الرعاية بكافة أشكالها، في طور الطفولة وفي حالة العجز والشيخوخة والعوق... وهدفها الأساس "صيانة كرامة الإنسان".

فمن هذا المنطلق الإنساني، نص القانون على تخصيص راتب للأسر معدومة الدخل، والأسر التي يقل دخلها الشهري عن الحد الأدنى لأجر العامل غير الماهر؛ وسيسري "راتب رعاية الأسرة" على الأرملة واليتيم والعاجز عن العمل بسبب المرض أو الشيخوخة. ونص القانون على واجب الدولة في إنشاء دور "لرعاية الأطفال والصغار والأحداث الذين يعانون من حالات التفكك الأسري"، وتوفير مستلزمات العيش الكريم، لهم وخلق أجواء سليمة تعوض لهم، عن الحنان العائلي الذي افتقدوه. وشمل القانون بالرعاية المعوقين بدنيا ونفسيا والمكفوفين والعاجزين، عن طريق انجاز مراكز للرعاية بغرض تأهيلهم للعمل وتسهيل دمجهم بالمجتمع و"الاستفادة من قوى عمل إضافية في إطار خطة الدولة الإنتاجية" وتقديم الخدمات الاجتماعية والصحية والتربوية إلى المعوقين العاجزين كليا...

وإزاء هذا الانجاز العظيم الذي حققته ثورة ١٧-٣٠ تموز الظافرة، لا يسعنا إلا أن نبارك هذه الخطوة الرائدة التي منحت للشرائح المحرومة والمعدومة ضمانات تعيد إليها إنسانيتها وتمكنها من عيش كريم، في الوقت الذي تسعى الدولة إلى حمل كل القادرين على العمل، كلياً أو جزئيا، على المساهمة في عملية التنمية القومية بما يحقق للعراق مزيدا من التقدم والازدهار ويجعله في مصاف البلدان المتطورة.

فإلى المزيد من الانجازات التي تهدف إلى صيانة كرامة الإنسان وحقوقه وحرياته، نتطلع في ذكرى ثورة العراق المقدامة بقيادة الرئيس المناضل صدام حسين.

أيلول ١٩٨٠

أورشليم ... مدينة السلام

لم تمضِ سوى بضعة أيام على اجتماعات الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية، والتي صدر عنها بيان يطالب الكيان الصهيوني بالانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ بما فيها القدس، ويؤكد على حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه وأرضه، وحقه في تقرير المصير وإقامة وطن مستقل ذي سيادة خاصة به... وإذا بالكنيست الصهيوني يطلق، وبوقاحة لم يسبق لها مثيل، تحديه الصارخ للجماعة الدولية بنوع عام والأمة العربية بنوع خاص، بقرار "ضم القدس" وإعلانها "عاصمة موحدة أبدية"!! وقد جاء هذا التحدي الجديد بعد شهر واحد فقط على قرار الأمم المتحدة رقم ٤٧٦ (٣٠ حزيران ١٩٨٠) الذي أكد على الطابع التاريخي لمدينة القدس، محذرا "إسرائيل" من إجراء أي تغيير يحجب وجه المدينة الأصيل. وكانت منظمة اليونسكو قد أصدرت هي الأخرى، في الآونة الأخيرة، بيانا دعت فيه إلى صيانة الثروات الفنية والدينية في القدس بصفتها "تراث الإنسانية المشترك".

إن هذا التحدي المحموم الذي يتناقض وقرارات الأمم المتحدة، كشف بشكل فاضح عن نوايا الكيان الصهيوني التوسعية، وأعطى دليلاً جديداً على سوء النية التي تعتمل في نفسه والتي لم تعد تخفى على أحد، حتى على أولئك الذين ضللهم الحكام الصهاينة، سواء في بعض البلدان العربية أم في عدد من بلدان العالم التي كانت تبدي تعاطفها مع سلطات الاحتلال... لاسيما وان هذا التحدي ليس جديدا بحد ذاته وقد سبق بن غوريون ١٩٤٩ أن أعلن أورشليم القدس عاصمة "لإسرائيل "! وتكرس هذا الواقع بعد إلحاق القدس الشرقية في أعقاب ١٩٦٧، ومنذئذ لم تتوقف عملية تهويد القدس وطمس معالمها العربية وتدنيس مقدساتها المسيحية والإسلامية على مرأى من العالم أجمع.

إن مسألة القدس لا يمكن فصلها -كما يتوهم البعض- عن معضلة الأراضي العربية المحتلة ككل، بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان... وما المشاريع التي تتقدم بها بعض البلدان -والمشروع الأمريكي-الأوربي بنوع خاص- لتدويل القدس، بحجة إتاحة حرية التنقل

لجميع الأديان في المدينة المقدسة، سوى محاولة لإخراج القدس من الإطار السياسي الذي تسبح فيه القضية الفلسطينية والقضية العربية بشكل عام.

فللحيلولة دون فصل قضية القدس عن أزمة الاحتلال، وللحد من سياسة "الأمر الواقع" التي ينتهجها العدو الصهيوني، اتخذت "لجنة القدس" التي عقدت اجتماعاتها في المغرب، قرارات حازمة جددها بوضوح اكبر البيان السعودي-العراقي الذي أعلن عن مقاطعة دبلوماسية واقتصادية للدول التي تدعم القرار "الإسرائيلي". ولقد برهنت بيانات الشجب والإدانة من قبل العديد من الدول على جدوى الموقف العربي الذي يقوم على فهم شمولي للمواجهة والذي كان للعراق فيه، بقيادة الرئيس المناضل صدام حسين، دور الريادة.

وبشأن حصر مسألة القدس بقضية حرية الأديان، حذر بيان الفاتيكان في ٣ تموز الماضي من أية "محاولة فردية تسعى إلى تغيير وضع المدينة المقدسة"، مؤكدا بأن "قضية القدس لا يمكن حصرها في ضمان حرية ارتياد الأماكن المقدسة، هذه الحجة التي غالبا ما تتخذها "إسرائيل" كلما اشتدت المعارضة تجاه شرعية هيمنتها على المدينة". وهذا الموقف ليس جديدا على الفاتيكان -بخلاف ما تروجه الدعايات المغرضة- وقد أكد البابا يوحنا بولس الثاني، في خطابه في الأمم المتحدة في ٢ تشرين الأول الماضي، بأن كل المساعي لوقف النزاع في الشرق الأوسط تُمنى بالفشل إذا لم تتضمن حلا عادلا وشاملا للقضية الفلسطينية. وجدد دعوته، في كلمته إلى الرئيس الأمريكي، لدى زيارته للفاتيكان في ٢١ حزيران الماضي، إلى احترام طبيعة القدس، محذرا من خطورة أية محاولة لتغيير "وضع" المدينة المقدسة، ومؤكدا بأن مسألة القدس هي "في الصميم من سلام عادل" في منطقة الشرق الأوسط.

إن قرار الكنيست الصهيوني كشف للعالم اجمع بان "إسرائيل" لا تؤمن بالسلام إلا وفي يدها السلاح، وان ما يسمى بمفاوضات السلام ليس سوى أسلوب مُقنَّع يهدف إلى تحويل أنظار العالم عن قضية شعب أُنتُهِكَت حقوقه وأنتُزِعت أراضيه ودُنست مقدساته. وعليه، فقد آن للعالم أن يتحرك في اتجاه وقف تحديات الكيان الصهيوني ودعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني؛ كما حان للأمة العربية -ولها اليوم في العديد من بلدان العالم تأييد لقضاياها- أن توحد كلمتها وتسعى إلى تنسيق المواجهة لاسترداد الحق السليب.

ونحن مسيحيي الشرق -ولنا في الأرض المقدسة ذكريات عزيزة عن ذاك الذي جاء إلى أرضنا يزرع الخير وينادي بالحق ويدافع عن العدالة وينذر بالخلاص والتحرر- نضم أصواتنا إلى أصوات كل الذين في العالم يسعون إلى انتصار الحق والعدل، ويناضلون من أجل سلام حقيقي يرسو على قيم الحرية والحق والعدل.

تشرين الأول ١٩٨٠

إذا أردتم لمجلتكم البقاء ...

"ما دامت المجلة في عجز، فَلِمَ لا توقفوها"!! هذه "النصيحة" طالما سمعناها من أناس يحملون نظرة تجارية إلى المجلة، وفي ظنهم أن الصحافة ليست سوى بضاعة تخضع لمبدأ العرض والطلب! والأنكى من ذلك ما يردده أحيانا أولئك الذين لا علم لهم بمتطلبات العمل الصحافي: فيتشكون من كل زيادة في الثمن ويذهبون في رصد "أرباح" خيالية تجنيها المجلة، ومنطلقهم في حكمهم مبدأ المقارنة بمجلات يدر عليها الإعلان التجاري أكثر من نصف وارداتها، أو بمجلات يزيد عدد نسخها على ربع مليون! وينسون محدودية انتشار "الفكر المسيحي"، ويتناسون أن عدد مشتركيها لم يبلغ بعد ٤٠٠٠.

فأن تكون المجلة -كل مجلة أو صحيفة- "سلعة"، فذلك واضح طالما إنها "نتاج" له كلفته ومدخولاته، وله "زبائن"، وإن من نوع خاص، ويخضع في التالي لمبدأ "العرض والطلب"... والأنكى من ذلك أن طبيعة هذه "السلعة" أن تفقد قيمتها الشرائية بعد "استهلاكها"!! اما أن تكون المجلة أو الصحيفة سلعة وحسب، ولا ينظر إليها إلا من هذه الزاوية لا غير، فذلك أمر يدعو إلى القلق! فلو كانت الصحافة -والصحافة المسيحية بنوع خاص- "مهنة" كسائر المهن وحسب، لما بقيت هناك صحافة، ولذهب الصحافيون جميعاً في البحث عن مهنة تدر عليهم مالا أوفر، ولما أبصرت "الفكر المسيحي" النور أبدا، وبأولى حجة!

وإذا صح الحكم على الصحافة التجارية وعلى ما يسمى بـ "صحافة الإثارة" بأنها سلعة رابحة، فلا يصح على الصحافة بنوع عام، وعلى الصحافة، الملتزمة بنوع خاص. ولانكشف سرا إذا قلنا بان "صحافة الرأي" -وتنتمي "الفكر المسيحي" إليها- هي رسالة ودعوة، لها روادها وطالبوها؛ ولكنها، بمفهوم تجاري، خاسرة لا محالة! وان كونها صحافة ذات رسالة وأهداف لا يعفيها من القيود المهنية

والاقتصادية والمالية، طالما إنها في التالي نتاج معد لاستهلاك القارئ، وان كان هذا الاستهلاك يقدم غذاء لفكره ويحمله على توسيع آفاقه ويساعده على تكوين حكمه على الأحداث والقضايا ويدفعه في التالي إلى الالتزام بعمل ينسجم مع آرائه وقناعاته الذاتية...

فمن هذا المنطلق نشأت "الفكر المسيحي" مجلة مسيحية ملتزمة، سعت وتسعى، أن تقدم لقرائها إعلاماً جاداً حول أحداث الكنيسة في العراق والعالم، وتعكس لهم، بأكثر ما يمكن من الموضوعية، ما يستجد في الفكر الديني من قضايا ومعضلات، وما يظهر في حياة الكنيسة الجامعة من بوادر وخبرات، وهدفها أن تقدم الإنجيل بلغة عصرية تنسجم وعقلية أبناء الجيل الجديد وآمالهم وتطلعاتهم. ويسرها أنها، منذ انطلاقتها عام ١٩٦٤ –وقد قطعت شوطا لا يستهان به بلغ مجموع نتاجها فيه ما يقرب من ٥٠٠٠ صفحة– توجهت إلى أولئك القراء الذين يهمهم مستقبل الإيمان في عراقنا الحبيب، والذين تسكنهم غيرة متقدة على الإنجيل ومتطلباته، ويجدون في أنفسهم الرغبة في تغيير البنى الكنسية القائمة، والقدرة على بناء كنيسة حية متجددة يتسنى لها أن تؤدي الشهادة للمسيح.

فمن دواعي الفرح أن يكون للفكر المسيحي قراؤها الذين اختاروها لأنهم وجدوا فيها صدى لآمالهم وطموحاتهم، ومحفزا لهم على الالتزام بالقضايا الإنسانية والوطنية، والمساهمة الجادة في بناء عالم أفضل. ولسنا نغالي إذا قلنا بأنها قد غذت في نفوس الشباب من قرائها –وهم مستقبل الكنيسة في كل مكان– الأمل بكنيسة ديناميكية تعكس، بأكثر ما يمكن من الأمانة، وجه المسيح في مجتمعنا وعالمنا، وتدفعهم إلى الشهادة له بحياتهم ومواقفهم التي يستوحونها من مواقف الإنجيل.

قراءنا الأعزاء

ليس من شيمتنا أن نتباكى لنستدر الرحمة! إنما غايتنا الوحيدة أن تكونوا على بيّنة من العقبات التي تعترض مسيرة مجلتكم –وذلك حق لكم علينا– فتتحملون قسطكم من المسؤولية في تذليل الصعاب –والصعوبات المادية من أكثرها وطأة– وذلك لضمان استمرار المجلة وتمكينها من تطوير ذاتها، خدمة لرسالتها الإعلامية والثقافية في كنيسة العراق.

ولسنا نكشف سراً إذا قلنا بأن المجلة مرت، في السنتين الأخيرتين، بضائقة مادية من جراء تصاعد تكاليفها التي لم تعد تسدها بدلات الاشتراك، بالرغم من مجانية التحرير ومجانية الخدمات الجمة التي يؤديها بسخاء محبو المجلة ومناصروها ووكلاؤها بنوع خاص. ولا نبالغ إذا قلنا بأن بقاءها مهدد على المدى القريب، إذا ما استمر هذا التصاعد في التكاليف، إلا اننا واثقون من مساهمتكم الفعالة في درء هذا الخطر.

وإذا كان هذا الوضع يحتم علينا أن نرفع بدل الاشتراك، الا اننا عزمنا الا نثقل كاهلكم -تاركين لاريحتكم تسجيل اشتراك مناصرة من ٥ دنانير فما فوق-وآثرنا أن نتوجه إليكم بطلب المساهمة الجادة في توسيع رقعة انتشارها، وذلك عن طريق "الملحق الدعائي" الذي حمله إليكم عدد أيلول ويحمله إليكم هذا العدد. ولنا الأمل أن نجني من هذه "الحملة" ما يمكننا من مواجهة الضائقة المادية إذا ما سعى كل مشترك إلى "كسب" مشترك جديد واحد فقط، علما بأن ٢٠٠٠ اشتراك جديد يقوى على تخطي الأزمة.

فإلى المؤمنين بقضية المسيحية في هذا البلد، وإلى المؤمنين برسالة الفكر المسيحي في كنيسة العراق، وإليكم انتم، قراءنا الأعزاء، الذين واكبتم مسيرة المجلة طيلة ١٦ عاماً، نتوجه بهذا النداء، وكلنا أمل أن تبذلوا كل ما في وسعكم وذلك حق لنا عليكم- لحمل اكبر عدد ممكن من أصدقائكم على المشاركة بالمجلة لتعم فائدتها، وإنّا لكم من الشاكرين.

تشرين الثاني ١٩٨٠

وأنتم من تقولون أني أنا ؟

عدد خاص

ليس من اليسير الدخول إلى أعماق شخصية يسوع المسيح، ذاك الذي قال عنه يوحنا الحبيب في مطلع إنجيله: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وسكن في ما بيننا"، يسوع الذي أخبرنا بالآب وهو في حضن الآب، الذي عنه كتبت الرسالة إلى العبرانيين تقول: "بأنواع كثيرة وطرق شتى كلم الله الآباء قديما بالأنبياء، وفي هذه الأيام الأخيرة كلمنا بابنه..."! هذا الإله المتجسد الذي عنه كتب القديس بولس في رسالته إلى الفيلبيين يقول: "هو القائم في صورة الله، لم يعتد مساواته لله حالة مختلسة، بل لاشى ذاته، آخذاً صورة العبد صائراً شبيهاً بالبشر...".

هذا الاكتشاف لم يكن من الهيّن على الرسل أن يبلغوا إليه، وقد كان لهم يسوع إنسانا التقى بهم يوما، سواء على طرقات الجليل أم في عبر الأردن أم على شواطئ بحيرة جنيسارت... ودعاهم إلى أتباعه؛ وتبعوه للحال دونما تساؤل لأنهم توسموا فيه رجلا جديرا بالثقة: هو الذي لم يتكلم إنسان مثله قط، ويتكلم كمن له سلطان... وهو الذي كان" يعمل ويعلم"، لا كالكتبة والفريسيين الذين يقولون ولا يفعلون!

حين كان يوحنا، نبي الأردن، يكرز بمعموذية توبة، تساءلت الجموع : ألا يكون هو المسيح المنتظر؟ وحين أوفد إليه اليهود كهنة ولاويين ليسألوه، اعترف قائلاً: "أنا صوت صارخ في البرية: اعدوا طريق الرب، مهدوا سبله... في وسطكم يقوم من لستم تعرفونه"! وشهد يوحنا، حين رأى يسوع مُقبلاً إليه، قائلاً: "هوذا حمل الله... هذا هو الذي قلت عنه: انه يأتي بعدي إنسان قد تقدم عليّ، لأنه كان قبلي... واشهد أن هذا هو ابن الله"!

في فاتحة إنجيله كتب يوحنا: "...والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه... كان في العالم، والعالم به كون، والعالم لم يعرفه... أتى إلى خاصته، وخاصته لم تقبله"! وهنا يطرح السؤال نفسه علينا: ونحن، هل أدركناه؟ هل عرفناه؟ هل قبلناه؟ سؤال ينتظر منا جواباً صريحاً...

من يتصفح الإنجيل، يجد تساؤلاً دائماً عن من هو يسوع؟ وهذا التساؤل مطروح بين الرسل وبين الكهنة والكتبة والفريسيين وبين الجماهير، بحيث يبدو الإنجيل وكأنه برمته جواب إلى هذا السؤال الخطير: فمنذ البشارة تساءلت مريم عن المولود العجيب، فحظيت بالجواب: "... فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن الله"! وفي نهر الأردن جاء الجواب من السماء "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". وحمل اندراوس -وقد كشف له المعمدان عن هوية يسوع- إلى أخيه سمعان هذه البشرى: لقد وجدنا المسيح! وحملها فيلبس إلى نثنائيل قائلاً: "الذي كتب عنه موسى والأنبياء قد وجدناه، وهو يسوع ابن يوسف من الناصرة". وتوسمت السامرية في ذاك الذي كلمها على بئر يعقوب، نبيا، وتساءلت: "هلموا انظروا رجلا قال لي كل ما فعلت، أفلا يكون المسيح؟" الخ...

وتتضارب الآراء، عبر صفحات الإنجيل، حول هوية يسوع؛ ويداخل الشك والتردد تلاميذه أنفسهم؛ ويحدث انشقاق في مجمع اليهود بسببه... ذلك لان كلمات يسوع النارية ومواقفه الجريئة وحريته المطلقة، تجاه الناموس والنظام القائم، كانت مثاراً للدهشة والاستغراب: فمنهم من يقول انه صالح! ومنهم من يقول: كلا، إنما يضل الجمع! منهم من يقول: إن به شيطاناً، وقد جُنَّ! وانه ببعل زبول يخرج الشياطين! ومنهم من يقول: هذه الأقوال ليست أقوال من به شيطان! أوَيقدر شيطان أن يفتح عيون العميان؟ ولنا في حادثة شفاء الأعمى منذ مولده خير مثال على هذا التضارب: أيكون خاطئاً، لست أعلم، إنما أعلم فقط أني كنت أعمى والآن أبصر! وحين رد عليه الرؤساء بأنهم لايدرون من أين هو، أجاب الرجل قائلاً: يا للغرابة... لا تعرفون من أين هو وقد فتح عيني!؟ كما لنا في خطبة يسوع في خبز الحياة مثال آخر على التردد الذي شق طريقه إلى تلاميذه أنفسهم: هذا الكلام قاس فمن يستطيع سماعه؟ وحين ارتد عنه كثيرون من تلاميذه

وأمسكوا عن المسير معه، قال يسوع للاثني عشر: وأنتم، أفلا تريدون أن تذهبوا؟ فأجاب سمعان بطرس: إلى من نذهب يا رب؟ إن عندك كلام الحياة الأبدية، فنحن قد آمنا ونعلم انك قدوس الله.

ولعل خلاصة هذا التساؤل -وقد رجّع الإنجيل صداه بألف لون- هو ذاك السؤال الذي طرحه يسوع على رسله في نواحي قيصرية فيلبس: من ترى أنا في نظر الجموع؟ وحين جاءه الجواب مترددا هزيلا، قال: وفي نظركم انتم، من أنا؟ فأجاب بطرس، وكأنه لسان حال جماعة الرسل، قائلاً: أنت المسيح ابن الله الحي. وامتدحه يسوع: طوبى لك يا سمعان بر يونا، فانه ليس اللحم والدم أعلنا لك هذا بل أبي الذي في السماوات.

فإلى هذا السؤال الخطير والحاسم يحاول هذا العدد الخاص أن يجيب! الا أن الجواب إلى هذا السؤال ليس بالأمر اليسير، سيما وانه سؤال طرحته البشرية على نفسها منذ ألفي عام، وما زالت تطرحه اليوم -وربما بقوة أكبر- وهو ينتظر من كل واحد منا جواباً شخصياً يكون قادرا أن يحملنا على اتخاذ موقف حياتي حازم يقلب حياتنا رأساً على عقب.

وهيهات لعدد -مهما تناهى في الحجم- أن يعكس بأمانة شخصية ذاك الذي كتب يوحنا الحبيب في خاتمة إنجيله: "وصنع يسوع أشياء أخرى كثيرة، فلو أنها كتبت واحدا فواحدا، لما خلت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة"! فمنذ أن وطدنا العزم على إصدار هذا العدد، كنا على يقين من أننا لن نفي المسيح حقه، وان شخصيته ليس بوسع الأقلام، مهما بلغت من القدرة والكفاءة، أن تطالها! الا اننا -واقتناعا منا بعجزنا عن مهمة كهذه- أبينا الا أن نقوم بمحاولة متواضعة... إن هي استطاعت أن تعكس بعض ملامح المسيح، تكون قد أصابت المرمى. تلك كانت جل غايتنا!

وللدخول إلى عالم المسيح، ولفهم المعنى العميق من مشروعه الكبير، كان لا بدّ من الإحاطة بالمناخ الثقافي والاجتماعي والديني الذي تميز به عصره، فكان مقال (الوسط الفلسطيني في عهد المسيح). وكان لا بدّ لنا، وبأولى حجة، أن نستعرض أبرز الوثائق التي تؤكد

"تاريخية" يسوع، وتدحض التقولات التي تطعن في حقيقة شخصيته، فكان مقال (يسوع التاريخ).

وفيما رسم مقال (يسوع، بشرى الله الجديدة) الخطوط العريضة لذاك الذي هو "البشرى" بملكوت جديد يقوم على أسس الحق والعدل والحب والحرية والسلام... كان لا بدَّ من تنكب على الأناجيل لنجد فيها "شهادات" حية لتلك البشرى التي حملها (الإنجيليون، شهود المسيح) قبل أن يدوّنوها، ولم تدون إلا تلبية لحاجة المؤمنين إلى استحضار دائم لذاك الذي وعظوا به. ولعل أكثر هؤلاء الشهود قدرة على التعبير عن هوية يسوع: يوحنا الحبيب الذي عكس "إنجيله" (شخصية يسوع المسيح)، حكمة الله وكلمته، ابن الإنسان، ابن الله...

ويعود التساؤل المطروح بشكل جديد ليلفت الانتباه إلى الجانب الإنساني في شخصية يسوع، ذاك الذي، مع كونه قائماً في صورة الله، صار شبيهاً بنا في كل شيء (إنسانية يسوع). فيما تلقي محاكمة يسوع -وقد تمت لأسباب سياسية تواطأت فيها السلطتان الدينية والمدنية- هذا التساؤل: (هل كان يسوع الناصري رجل سياسة؟) .

وفي نطاق هذا التساؤل المطروح في هذا العدد، كان لا بدَّ لنا أن نطرح على قرائنا عين السؤال الذي طرحه يسوع على رسله (من أكون في اعتقادكم؟)، وجاءت إجاباتهم بمثابة "شهادات" من واقع الحياة، عكست نظرتهم إلى المسيح، مشيرة إلى مكانته في حياتهم وأثر إنجيله على مواقفهم. وتحت عنوان (قالوا في المسيح) عكس، من جهة أخرى، مفكرون ولاهوتيون وأدباء وممثلون... مؤمنون وغير مؤمنين، مفهومهم عن المسيح بعفوية اقترنت بالعمق.

وكادت تكون اللوحة التي رسمناها للمسيح مجردة من الألوان، لو لم نعمد إلى إبراز ملامح يسوع كما تخيلتها، طيلة أجيال، عبقرية كبار الفنانين العالميين الذين (بالنور رسموا الخلاص)، ولو لم ندَعْ الأيقونات تعكس (وجه يسوع) بتعبير أصيل اختفت وراءه أبعاد لاهوتية وروحية. وكاد يكون هذا العدد ناقصاً لو لم نستعرض فيه أبرز المشاهد التي تميز بها آخر فيلم عن المسيح (يسوع الناصري)

لزيفيريللي، ولو لم نثبت ما خلفته أقلام الكتاب والأدباء من (كتب عن المسيح). وأبينا أن نختم هذا "الملف" من دون أن نثبت ما تمخضت عنه قريحة القراء (من مساهمات...).

وفيما نزف إليكم، قراءنا الأعزاء، هذا العدد الخاص الذي طالما انتظرتموه، تطل علينا ذكرى ميلاد ذاك الذي قال عن نفسه: "أنا نور العالم"، وقد جاء إلى أرضنا ليضيء للجالسين في الظلمة -هو النور الحقيقي الذي بنوره نعاين النور... فعسى نكون من أبناء النور الذين يؤثرون النور على الظلمة!

فإلى جميع الذين يسيرون في طريق النور، نرفع، بمناسبة ذكرى ميلاد سيد النور، أجمل التهنئات وأطيب التمنيات.

كانون الأول ١٩٨٠

١٩٨١

... وإلى أمام

فيما نستقبل العام الجديد، تعود بنا الذاكرة إلى العام المنصرم، فتزدحم المخاوف بجانب التطلعات، وتختلط علامات الفرح بأمارات القلق، وتمتزج الذكريات المريرة بالآمال الباسمة... وتتراقص في ذاكرتنا أحداث العام المنصرم -وبعضها يلامس العام الجديد ويتخطاه- وفي مقدمتها الحرب العراقية-الإيرانية التي أخذنا نلمس وطأتها ونتوق إلى نهايتها ونتمنى، في سرنا، لو إنها ما اندلعت أبدا وما فرضها علينا النظام الفارسي الذي ذهب في عدوانه وتعسفه وغطرسته إلى ما فوق حدود التعقل. وفيما نحن نزن الأمور بميزان العقل وننظر بأسى عميق إلى العدوان الفارسي الذي زج الشعوب الإيرانية المجاورة في مأساة أليمة ستبقى جروحها فيها عميقة لا تلتئم -تقابلها، من جانب العراق، جروح كان بوسعها ألا تنفتح أبداً- تستيقظ فينا مشاعر العزة والكرامة وترتفع من عمق أعماقنا أصوات الحق والسيادة، دفاعاً عن أراضينا السليبة ومياهنا المغتصبة، ونحن، في الوقت ذاته، على يقين بعدم جدوى الحرب في حل النزاعات وندرك تمام الإدراك "بشاعة" الحرب وما تخلفه وراءها، لكلا البلدين، من مآسٍ وضيقات تعرقل مسيرتهما وتعطل فيهما عملية البناء والنمو.

إن الحرب التي يقودها قطرنا مع النظام الفارسي الغاشم، لا طمعاً بأرض غريبة ولا رغبة في توسع على حساب الغير، وإنما لاسترداد حقوقه التاريخية المشروعة في أراضيه ومياهه... إنْ هي سوى معركة الحق والشرف التي كان لا بدَّ له أن يخوضها، بعد أن طفح الكيل وباءت بالفشل كل المحاولات لتسوية الخلافات بالطرق السلمية. وكان في نية العراق أن يطيل النفس -وقد أطاله- ويواصل مساعيه السلمية لتسوية الخلافات مع جارته إيران بما يضمن له حقه المشروع والمقدس في السيادة الكاملة على أراضيه، لولا غطرسة نظام خميني

وعدم كفاءته في قيادة هذا الشعب الذي ثار على الشاه، ولم يتوقع أن يزجه وزمرته المتطفلة في نظام أكثر تخلفا ودكتاتورية!

فإزاء معركة، هي معركة الحق والكرامة والتحرير، لا يسعنا إلا أن نكبر في قيادتنا السياسية، وعلى رأسها الرئيس المناضل المهيب الركن صدام حسين، رؤيتها البعيدة التي تنطلق من فهم عميق للمصلحة الوطنية والقومية، سيما ونحن على اقتناع تام بأنها لم تقدم على الحرب طوعا وإنما عن مضض، دفاعاً عن الحق المغتصب وصيانة للسيادة الوطنية المهددة وحرصاً على الكرامة العربية... ولا يسعنا، في هذه المعركة العادلة، إلا أن نكبر، بفخر واعتزاز، في قواتنا المسلحة الظافرة شجاعتها الفريدة واستبسالها الرائع وصمودها المشهود على طول الجبهة، دفاعا عن ارض الوطن وحرصا على مكتسبات ثورتنا الوطنية التقدمية...

ان في العراق "شعبا موحد العقل والإرادة، موحد الإيمان والقناعة، وان أساس وحدته وإيمانه (...) عقيدة ترشد الكل نحو المحبة والأخوة وبناء الوطن الذي هو بيت الجميع"! قالها الرئيس القائد صدام حسين في رسالة التهنئة الرائعة التي بعث بها إلى أبناء شعبنا العراقي، والمسيحيين منهم بشكل خاص، بمناسبة أعياد الميلاد ورأس السنة الجديدة، مؤكداً بان ذكرى ميلاد السيد المسيح "تثير فينا العزم والتصميم على مواصلة البذل والعطاء والاستذكار بالتقدير العظيم لما في امتنا من شخوص وقيم كبيرة ظلت تغذي الإنسانية". فعلى ضوء هذه الرسالة التي أعادت إلى الأذهان رسالة السلام والمحبة التي جاء بها المسيح، يسعدنا، نحن مسيحيي العراق، أن نكبر في قائدنا ورئيسنا المحبوب استلهامه، من قيم السماء، روح العطاء والخير في نظرته إلى الإنسان وفي رؤيته لمسيرة شعبنا العظيم "من أجل بناء المجتمع الجديد الذي تسوده قيم العدل والمحبة والأخوة والمساواة"، مؤكدين بأن حبنا وولاءنا للوطن -وليس لنا في ذلك فخر- ينبعان من إيماننا المسيحي، وان تفاعلنا مع أحداث قطرنا والتزامنا قضاياه والتحامنا بكل ما يخدم مصلحته، يمليها علينا حبنا لله وتدعونا إليها أمانتنا لتعاليم المسيح وكنيسته.

وفيما نعرب، بمناسبة العام الجديد، باسم المسيحيين جميعاً في هذا الوطن، عن اعتزازنا الكبير بقائدنا المقدام... وفيما نحيي قواتنا المسلحة المظفرة، ونستوحي البطولة والعطاء من دماء شهدائنا الأبرار، نسال الله عز وجل أن يسدد خطى قيادتنا السياسية الرشيدة من اجل نصرة العراق وتمكين عزته وكرامته، ونتمنى أن يعود الحق والسلام إلى ربوع وطننا الحبيب ليقوى على مواصلة عملية البناء.

كانون الثاني – شباط ١٩٨١

فهوذا زمان التوبة!

في زمن الصيام كان الوعاظ يدعون المؤمنين إلى التوبة والاهتداء، ويحملونهم على القيام بمراجعة حياة يعيدون من خلالها النظر في مواقفهم من الإنجيل ومتطلباته في حياتهم. وحين يرتضي المؤمن أن يقوم بهذه المراجعة، بقلب منفتح ونفس سخية، تسقط للحال الأقنعة التي كان يتستر وراءها، وتتجلي أمامه حقائق وأبعاد كان قد نسيها أو تناساها، وتتكشف لديه سبل جديدة للحياة والعطاء... وتقوده عملية إعادة النظر هذه -حين تكون بمثابة عودة إلى الينابيع- إلى اكتساب رؤية جديدة تكون وراء ممارسة إنجيلية تتسم بالالتزام الحر والواعي. أليس إلى اهتداء كهذا دعا المعمذان حين جاء يكرز بمعمودية توبة: "أعدوا طريق الرب، مهدوا سبله...".

إن الاهتداء الذي نحن مطالَبون به، ليس رجوعاً عن الخطيئة -بمفهومها الفردي الضيق- بقدر ما هو تحرير الذات من كافة الاستلابات، بما في ذلك الخطيئة بمفهومها الجماعي بنوع خاص. وليس الاهتداء عودة إلى ممارسات تقوية والتزام وصايا مفرغة من روحها، بقدر ما هو رؤية ديناميكية لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الله والإنسان، علاقة تتسم بطابع الحب والبنوّة. كما انه ليس تجنب الإساءة إلى الآخرين، بقدر ما هو انفتاح على الآخرين بدافع التضامن والاخوة، طالما أن البشر جميعاً أبناء لأب واحد، وبالتالي اخوة بعضهم لبعض.

فإلى تحقيق هذا الاهتداء مدعو شعب الله في كل مكان وزمان! وإلى مثل هذا الاهتداء بالذات مدعوة "كنيسة الله التي في العراق"!

وحين نتكلم عن كنيسة الله التي في العراق، لا يمكننا أن نتجاهل ما فيها من أضواء وعلامات الأمل، إلى جانب الظلال التي تكتنفها. وحين نتكلم عن الظلال التي تحجب وجهها النير الذي اعتراه الشحوب، فليس لأننا نأبى إلا أن نرى الجوانب السلبية فيها ليكون لنا

حجة لتوجيه النقد واللوم! وليس لأننا ننكر عليها ما فيها من قدرات للخير والعطاء والاشعاع... وإنما إيماناً منا بأن كنيستنا، متى ما استطاعت أن تنظر إلى ذاتها وجهاً لوجه، ومتى ما ارتضت أن تقوم بعملية إعادة النظر في بنيتها الداخلية ورسالتها في المجتمع وطبيعة التزامها ببناء الإنسان العراقي، زادتها هذه المراجعة، بالذات قدرة على الخير والعطاء ومنحت وجهها مزيداً من الصفاء والإشراق. فليس من المعيب إذا ما استفاقت كنيستنا، اكليروساً وشعباً، على ما اعتراها من ضعف ووهن، وليس من المشين إذا ما حملها أبناؤها على اكتشاف مواطن التعثر في مسيرتها؛ وإنما الخطأ هو حين تأبى الكنيسة أن تطرح على ذاتها التساؤلات الملحة وتتستر وراء أقنعة توهم بها ذاتها أنها بألف خير!

ومن التساؤلات التي لا بدّ لكنيستنا أن تطرحها: إلى أي مدى، وبأي عمق، وبأية وسائل، تبلغ بشارة الإنجيل إلى أبناء جيلنا؟ إلى أي مقدار استنفدت الفرص المتاحة لتأمين ثقافة مسيحية متكافئة لكل فئات الشعب المسيحي؟ وما الذي حملته طقوسنا وعباداتنا على اختلاف أوجهها إلى مؤمني اليوم؟ ما هو المناخ الذي يسود علاقات الأساقفة بالكهنة وعلاقات الأساقفة والكهنة بالمؤمنين؟ ما هو الدور الذي يلعبه المسيحيون اليوم في عملية البناء التي يشهدها قطرنا، وما هو حجم التزامهم تجاه القضايا الوطنية والقومية؟ ما هي السبل التي اتخذت لتنسيق العمل الكنسي وتوحيد المواقف بين الكنائس الشقيقة؟... أليست هذه التساؤلات بداية الطريق إلى الاهتداء؟

"لقد آن لكنيستنا أن تستفيق"! عبارة يرددها المخلصون والغيارى بصدد هذه الكنيسة، وقد نفد صبرهم، وهم يرون كنائس الله تتحرك في اتجاه إنسان اليوم، مجيبة إلى حاجاته وتطلعاته... ويرددها قراؤنا بنوع خاص، وقد تعرفوا على كنائس عرفت أن تكتنه "علامات الأزمنة"، ويطالبوننا أن نحرك المياه في كنيستنا...

لقد سبق للفكر المسيحي مراراً أن لفتت الانتباه إلى حاجات كنيستنا وإلى الأولويات التي يجب أن تتبناها في هذا المنعطف الحاسم من حياتها، إلا أننا شئنا أن نقرع الجرس من جديد -لعله يُسمَع هذه المرة!- ونطالب، بلسان قرائنا، أن تلقى الاقتراحات والتمنيات التي طالما طرحناها صدى في مسامع كل الذين تقع عليهم مسؤولية دفع عجلة الكنيسة إلى الأمام، ولنقلها مرة واحدة: أحرام أن يتطلع المؤمنون إلى كنيسة عراقية حية، نشطة، نبوية، ملتزمة... تتوجه إلى قلب الإنسان العراقي وتتحدث إليه بلغة يفهمها؟!

آذار ١٩٨١

جيل الرفض

يصفونهم بالميوعة إذا تبنوا آخر تقليعة في المظهر والملبس، ويتهمونهم باللامبالاة إذا ما أبدوا احتجاجهم على العادات والتقاليد السائدة، ويلصقون بهم تهمة اللامسؤولية إذا ما خرجوا عن القيود التي يفرضها عليهم المجتمع، ويهزأون بهم إذا

ما بدت أفكارهم ومفاهيمهم على طرفي نقيض من أفكار ومفاهيم عالم "الكبار"... والغريب أن هؤلاء "الكبار" -ولأنهم كبار- لم يطرحوا على أنفسهم، ولو مرة واحدة، هذا التساؤل: ما معنى هذه الفجوة بين عالمين؟ وإنما يكتفون بالتباكي على الماضي والتأوه على الحاضر والتنبؤ بالمستقبل القاتم! ويؤثرون تجنب طرح هذا التساؤل الذي قد يزعزع قناعاتهم ويعكر طمأنينتهم!

يرفض الشباب أن يسلكوا كما سلك آباؤهم، ولاسيما في القضايا والمواقف المصيرية، سواء على صعيد الحياة الاجتماعية أو الدينية أو السياسية... إنهم يرفضون المفاهيم التي يضحي الزواج بموجبها "شراً لا بدَّ منه": فيأبى الشاب أن يربط مصيره بفتاة تُقبل على الزواج وكأنه "مكان" يخرجها من وصاية ذويها ليضعها تحت حماية الرجل؛ وتأبى الفتاة أن تقترن بشاب لا يرى في الزواج سوى ملجأ يخرجه من عزلته ويحقق له الاستقرار وحسب... فيما يرى شباب اليوم في الزواج "مكاناً" للحب المتكافئ الذي يحقق للزوجين سعادة تقوم على العطاء -والعطاء أكثر غبطة من الأخذ- وليس "عقداً" يخضع لمبدأ العرض والطلب، أو "صفقة تجارية" يقدم عليها المتعاقدون من ذوي الشاب أو الشابة.

وفي قضايا الإيمان يرفض الشاب مفهوماً يضحي الدين بموجبه استلاباً لحرية الإنسان وعائقاً دون تطلعاته المشروعة: فيأبون الانتماء إلى دين هو أشبه "بأفيون" يخدرهم ويحول أنظارهم عن المدينة الأرضية التي

عليهم أن يبنوها ليجعلوها جديرة بسكنى الإنسان؛ ويرفضون دينا يغذي فيهم مشاعر التزمت الأعمى فيمنعهم من التعامل مع اخوتهم البشر خارجاً عن هذا الاطار؛ كما يرفضون إيماناً يفرض عليهم قيوداً ليست من صلبه ولا من روحه، تمنعهم من ممارسة حرية مسؤولة ازاء قضايا الحياة. انهم في الواقع لا يرفضون الإيمان، وانما يرفضون فيه تلك الصورة التي شوهته وأفقدته أصفى عناصره: فهم إنما يريدون إيماناً يضحي "قضية حب" يكون قادرا على أن يتفاعل مع حاجاتهم الحياتية وتطلعاتهم الكبيرة إلى الالتزام ببناء عالم أفضل هو صورة مصغرة لعالم الخلود.

وعلى الصعيد السياسي، يرفض الشباب أن يكونوا أرقاماً في مجتمع لا صوت لهم فيه: فيرفضون التبعية المقيتة التي تفرضها عليهم الأنظمة الدكتاتورية التي لا تأخذ بعين الاعتبار اندفاعهم نحو المشاركة الفاعلة في عملية التحول والبناء، ويأبون أن يتحول العمل السياسي إلى ايديولوجية كأداء تغرّبهم عن المعضلات الإنسانية الكبرى التي تواجهها الشعوب المقهورة والمستضعفة في سعيها إلى التحرر من كل أشكال الاستلابات التي تُمارَس بحقها... ان وراء هذا الرفض رغبة صادقة وملحة لدى الشباب في الالتزام ببناء مجتمع يقوم على أسس الحق والحرية والاخوة والعدالة، على الصعيدين الوطني والدولي.

وازاء كل أشكال الرفض التي يعبر عنها الشباب في كل مكان، لا بدّ "للكبار" -على صعيد الأسرة والكنيسة والمجتمع السياسي- أن يصغوا إلى أولئك الذين هم قلب المجتمع النابض، والذين عليهم تعلق الآمال في كل وطن وأمة، والاّ يصموا آذانهم عن سماع صوتهم الذي يتخذ أحياناً صيغة صراخ أو صمت يخفي وراءه ثورة، حتى وإن اضطرهم هذا الإصغاء إلى زعزعة قناعاتهم، وإلزمهم على النزول من "أبراجهم" التي طاب لهم أن يتحصنوا فيها طويلاً...

نحن لا نريد أن يسعى الكبار إلى احتواء الصغار -احتواء كهذا يضحي أكثر ضرراً-، وإنما ندعوهم إلى بذل جهد مخلص ونزيه في محاولة لمعرفة الشباب وفهمهم وتحسس حاجاتهم وآمالهم ومطاليبهم وتطلعاتهم... جهد كهذا بغاية الحوار البناء، هو وحده قادر أن يقلص تلك الهوة بين العالمين!

نيسان ١٩٨١

أحبك يا وطني

في وطني العراق، تواصل عجيب بين ماضيه وحاضره، حاضر يمد جذوره في الماضي ويتطلع بشموخ نحو المستقبل. وأجد هذا التواصل بين شموخ حضارته العريقة التي غزت العالم، وبين طموحاته الكبيرة إلى بناء حضارة إنسانية متميزة بالأصالة والتجدد. أجد هذا التواصل بين عراق الأمس الذي تميز بحرصه الشديد على وحدة الأمة، وعناده في الذود عن سيادتها ضد الطامعين، سواء في زمن الاعتداءات الفارسية أم ابان غزوات التتر والمغول، أم في حقبة الاحتلال العثماني والاستعمار الانكليزي المظلمة... وبين عراق اليوم الذي رفع راية السيادة الوطنية عاليا بتصميم عنيد على توطيد العدل والمساواة بين المواطنين، ونبذ كل أسباب التفرقة بكافة أشكالها، سعيا إلى تحقيق وحدة وطنية متراصة يعيش في ظلها كل العراقيين بحرية واخوّة وكرامة. وأجد هذا التواصل بشكل مدهش بين بغداد الخلفاء، حين كان الفكر والأدب والفن يحتل مكانة مرموقة في بيت الحكمة... وبين بغداد اليوم التي أخذت، بعد أزمنة الضيق والمحنة، تستعيد أمجادها، في سعي جاد إلى إعادة بناء حضارة عراقية أصيلة تتجسد فيها قيم الخير والجمال والعطاء، وعلى كافة الأصعدة...

في عراق اليوم "شعب موحد العقل والإرادة، موحد الإيمان والقناعة، وان أساس وحدته وإيمانه، مع المصير المشترك والتاريخ الواحد، عقيدة لا تميز بين مواطن وآخر، وترشد الكل نحو المحبة والاخوة وبناء الوطن الذي هو بيت الجميع". بهذه العبارات حدد الرئيس القائد صدام حسين أصالة وخصوصية شعب العراق العظيم الذي عرف في الماضي ان يضطلع بمسؤولياته في توطيد أسس حضارة عربية متميزة شارك في بنائها كل المخلصين من أبنائه، على اختلاف أديانهم وقومياتهم ومذاهبهم -وليس لفئة فضل على فئة إلا بحجم الأمانة والسخاء في خدمة الوطن. وها هو اليوم، في ظل ثورته الوطنية المظفرة،

يستلهم بعمق وإصرار تلك الأمانة وذاك السخاء، ساعياً إلى التواصل مع ما "في امتنا من شخوص وقيم ظلت تغذي الإنسانية، منذ أمد بعيد، بالخير والبركة في معاني رسالتها الخالدة"، ومصمماً على النهوض وتأدية الدور التاريخي في بناء المجتمع العراقي الجديد، كي يقوى العراق على الاضطلاع بمسؤولياته التاريخية في توطيد عزة الأمة العربية واغناء مسيرة الإنسانية...

بوركت يا وطني لأني أجد في أرضك المعطاء كل خير وبركة، واقرأ في عيونك طموحاتك الكبيرة التي تنبت في نفسي الأمل والرجاء، ومن معينك المتدفق انهل حب البذل والعطاء، وعلى يدك أتلقن العزم والأمانة والصمود، ومن مسيرتك الظافرة أتعلم العزة والكرامة والإباء، ومن عقيدتك الراسخة أتلقى مبادئ الحق والعدل والإرادة الحرة المستقلة.

حين أشهد إصرارك في عملية التحول والبناء، في الوقت الذي تقود اكبر وأقدس معركة لاستعادة الحقوق المشروعة، بصمود رائع ومن دون غرور، احبك يا وطني!

وحين أجد في قيادتك السياسية توجهاً إنسانياً يتجسد في مواقف عملية من قضايا الإنسان العراقي ومعاناياته وطموحاته، أحبك يا وطني!

أحبك يا وطني حين أشاهد قباب المساجد ومآذنها تعانق قباب الكنائس وأجراسها، أو حين ألمس إرادتك في تخطي الفوارق الدينية والمذهبية وعزمك على بث روح المحبة والاخوة والمساواة... وأحبك حين أجد في قائد مسيرتك المقدام عراقياً أصيلاً يحب شعبه بنزاهة وإخلاص، ويبذل كل طاقاته من أجل رفاه كل العراقيين، على اختلاف أديانهم وقومياتهم وطبقاتهم، وحين أجد فيه عربياً أصيلاً يعمل من أجل نصرة الأمة العربية ويسعى إلى إحياء مجدها وتعزيز كرامتها وتوطيد سيادتها.

فيا وطني! يا من تشدّني إليه وشائج لا تزول، وتربطني به علائق لا تحول ولا تفنى... يا من حياتي صنيعة يديك، اسمح لي أن استعير لغة الغزل التي علمتني إياها عيون السمراوات من بناتك، فأقول -بلسان كل أبنائك البررة- إني أحبك... وسأبقى أحبك... إلى ان يلتحف جسدي بترابك الطاهر!

أيار ١٩٨١

ماذا وراء الإعتداء الصهيوني ؟

في الوقت الذي يخوض العراق، ومن موقع الاقتدار، حرباً وطنية وقومية مع العدو الفارسي، وفي الوقت الذي برهن العراق على قدرته الفائقة في رد التحديات والتحلي بروح الصمود والنصر، بفضل قيادته الحكيمة وبسالة جيشه المقدام... استيقظت مخاوف أولئك الذين يضمرون للأمة العداء ويسوءهم ان يحتل العراق موقع الريادة في حركة الثورة العربية، ويقود، باسم الأمة، نضالا تحرريا قوميا شاملا "يشكل عنصرا حاسما في تقرير نتائج الصراع العربي" ضد أعداء العروبة، وفي مقدمتهم العدو الصهيوني.

ان الغارة الصهيونية الغادرة على منشآتنا النووية، إنْ هي سوى حلقة في سلسلة من تحديات الكيان الصهيوني ضد الأمة العربية. وكان في توقيت هذا الاعتداء السافر في ٧ حزيران، ومع اختتام مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، تواصلا مع عدوانه في ٥ حزيران ١٩٦٧!! فلقد بات من الواضح ما يمثله بناء العراق المقتدر من خطر على الكيان الصهيوني، ليس في مبادئه وتوجهاته القومية تجاه الصراع العربي-الصهيوني وحسب، بل في نهضته الشاملة التي حققتها ثورة ١٧-٣٠ من تموز المظفرة في كافة الميادين وعلى كافة الأصعدة. وفي هذا المناخ المتسم بالخوف إزاء قدرة العراق وموقعه المتميز، لم تكن غريبة تلك الضجة التي افتعلها الصهاينة لمهاجمة برنامج العراق النووي، كما لم يكن العدوان الفارسي في ٩/٤ ببعيد عن مخططاتهم التآمرية والتي كشفت عنها الغارتان اللتان شنهما سلاحهم الجوي في ٩/٢٧ على بغداد، مستهدفاً المجمع النووي. ولقد ذهبت وقاحة العدو الصهيوني، في عدوانه الأخير، إلى الاعتراف بمسؤوليته عن الغارة بحجة "الدفاع عن النفس"(١) وكأنه بذلك يستجدي تأييد الرأي العالمي وتبرير هجمته الغادرة التي لم تستهدف العراق بقدر ما استهدفت أمن الأمة العربية.

لقد أدرك العراق -وهو ضمير الأمة وحامل راية التحرير القومي- بأن مشكلات الأمة، بما فيها الاحتلال الصهيوني وعوامل التجزئة والتخلف...، لا تواجَه إلا بالإصرار على خلق مجتمع متطور فكريا وعلميا وتقنيا؛ وما اتفاقية التعاون النووي مع فرنسا، عام ١٩٧٥، سوى حلقة من هذا التوجه القومي الجديد. وحين ثارت موجة من الاحتجاج على برنامج العراق النووي، أكد العراق بفم رئيسه القائد صدام حسين، في حديثه الصحافي "بان ما يهمنا ويشغلنا الآن هو أن نملك الخبرة والإمكانية في التعامل مع الذرة للأغراض السلمية، وبما يخدم امتنا واستقلالها ونهضتها". وقد سبق أن وقع العراق على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية ووافق على إشراف منظمة الطاقة الدولية، في حين بقيت (إسرائيل) ترفض التوقيع على المعاهدة مع امتلاكها السلاح النووي!

"فمن موقع الاقتدار والتفاؤل بالانتصار النهائي في ساحات الصراع مع كل أعداء الأمة العربية"، أعلن مجلس قيادة الثورة، غداة الاعتداء الصهيوني الوقح، بان "هؤلاء الأعداء، الصهاينة، والفرس، وكل من يقف معهم ويساندهم في السر والعلن، لن يتمكنوا من تحجيم قدرتنا على النهضة والتقدم... ولن يزحزحوا هذه الثورة العملاقة عن نهجها في التلاحم مع الجماهير والتعبير عن آمالها وتطلعاتها".

ولقد جاء الاستنكار العربي والعالمي الشامل ضربة قاصمة سخرت بتوقعات الصهاينة وذهبت بحساباتهم، حيث نددت البيانات باعتدائهم السافر الذي يعتبر انتهاكاً خطيراً للقوانين والأعراف الدولية، وخرقا لسيادة العراق، وتهديدا لسلامة المنطقة والأمن العالمي... وفيما تواصل الدول استنكارها، ننتظر بأمل كبير -وقبيل انعقاد مجلس الأمن- ان يتمخض هذا الاستنكار، ليس عن إدانة شكلية وحسب، بل عن كشف موضوعي لنوايا الكيان الصهيوني العدوانية على الأمة العربية، يرافقه موقف عملي حازم يضع حدا لتجاوزاته المتكررة ويبطل ادعاءاته المشبوهة وسخريته بقرارات الأمم المتحدة، ويلجم غروره الذي تذكيه مواقف الدول المتعاطفة معه...

"ان الطريق الذي يسير عليه العراق في ظل ثورته الظافرة، طريق الحرية والاستقلال والتقدم... لا رجعة عنه"! قالها بيان مجلس قيادة الثورة وهو على وعي عميق بمسؤولياته التاريخية وبقدرته العالية على خوض معركة الشرف والكرامة لتحرير كامل التراب العربي وبناء المجتمع العربي الموحد.

كفانا رياءً!

تعجبني في الإنجيل مواقف يسوع من الكتبة والفريسيين وعلماء الناموس، وتسحرني عباراته النارية بحق أولئك الذين جلسوا على كرسي موسى، وهم إنما "يحزمون أحمالاً ثقيلة ويضعونها على أكتاف الناس ولا يشاءون ان يحركوها بإحدى أصابعهم"! أولئك "المراؤون" الذين حذر يسوع تلاميذه منهم قائلا: لا تسلكوا بحسب أعمالهم، لأنهم يقولون ولا يفعلون!

غريب أمر هؤلاء الكتبة والفريسيين الذين دخل يسوع معهم في مشادة عنيفة، حين نفد صبره إزاء عماوتهم وتعاميهم، ولم تعد اناته قادرة ان تصمت طويلا على ريائهم وازدواجيتهم وزيف تعاليمهم... ويأخذنا العجب ونحن نقرأ كلمات يسوع فيهم، وقد عهدناه مسالماً، وديعا، رقيقاً، متواضعاً، ذا قلب طيب ونفس طويل! لقد رأى يسوع نفاق أولئك الذين تحكموا برقاب الناس باسم شريعة تمسكوا بحرفها دون روحها، وشهد بأم عينه إلى أية عبودية يقود ذلك التعصب الأعمى لناموس أفرغ من روحه، ولمس عن كثب إلى أي مدى يمكن للزيف والرياء ان يصلا... فلم يكن له سوى اختيار واحد: أن يفضح هذا الرياء، أيا كان الثمن، وهو يدرك ان دمه هو الثمن!

فإذا كان غريباً رياء أولئك الكتبة والفريسيين وعلماء الشريعة الذين عنفهم يسوع بويلاته السبع، إلا ان فينا رياء ليس أقل غرابة من رياء أولئك! ورياؤنا يتخذ أقنعة ليست بأقل كثافة من اقنعة أولئك! فرياؤنا نحن يتلبس ألف شكل وشكل، ويبدو بألف لون ولون، ويظهر في كافة الميادين وعلى كافة المستويات وفي كل درجات السلم الاجتماعي: انه يتخذ أحيانا صيغة حرص على مبادئ وقيم إنسانية نطالب بالحفاظ عليها، سلامة للمجتمع، ونحن أول من يتنكر لها حين تصطدم بها مصالحنا الذاتية... كأنْ نطالب باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ونتعامل بخلافها في حياتنا العائلية والاجتماعية والمهنية! سواء حين لا نعترف للمرأة بحقها في الحرية والاستقلال،

أم حين لا نعطي الطفل قسطه من الرعاية، أم حين نغبن الآخرين حقوقهم... فتصح فينا كلمات يسوع في الفريسيين: "انكم تؤدون العشر عن النعناع والشبث والكمون، وقد أهملتم أثقل ما في الناموس: العدل والرحمة والأمانة..."!

ويتخذ رياؤنا شكل مساومة على الشريعة، حين نتمسك، إلى حد الوسواس، بأوامرها ونواهيها التي لا تمسنا إلا من بعيد، ونستبيح لأنفسنا ما يطيب لنا من هذه النواهي، ونتخطى ما تضيق به نفسنا من هذه الأوامر: كأنْ نمتنع عن طعام نعتبره نجسا ولا نجد شراً في التعدي على أموال الناس وأعراضهم! أو حين نفرض على الآخرين التزامات، بكافة أنواعها، ونبقى نحن في مأمن منها! وحينذاك، ألا يحق للمسيح أن يقول لنا ما قاله للفريسيين الذين "يصفون من البعوضة ويبلعون الجمل... أولئك الذين يطهرون خارج الكأس والصفحة، وهما من الداخل مترعان سلباً وجشعاً"!

ويلبس رياؤنا أحيانا أخرى شكل دفاع عن الحقيقة، كثيراً ما يكون دفاعا عن موروثات امتزج فيها الإيمان بتقاليد واعتقادات لا يخلو بعضها من خرافة! فنحكم باسم الحقيقة على مقولة أو موقف بانهما ينافيانِ العقيدة، ونقيم من أنفسنا حكاماً وقيِّمين على الأخلاق! وكثيراً ما تنطلق أحكامنا من رؤية منتقصة إلى الإيمان والأخلاق، تستند إلى مفاهيم ورواسب قد تكون بعيدة كل البعد عن الإيمان الصافي والأخلاق الصادقة: كأنْ نجد "خروجاً" عن الإيمان في أولئك الذين يسعون إلى تقديم الإيمان بلغة العصر، وجل همهم ان يجعلوه أكثر مصداقية؛ أو نرى في أولئك الذين يناضلون من اجل حرية مسؤولة تجاه الحياة، بكافة أوجهها، خرقاً لمبادئ الأخلاق، وهم ابعد ما يكون عن الإباحية.

وتطول بنا قائمة الرياء الذي يتجسد في الكثير من أقوالنا ومواقفنا وسلوكيتنا، نحن الذين غالبا ما "نصفي من البعوضة ونبتلع الجمل"! وجل اهتمامنا ان نحافظ على "واجهة" توهم الناس باننا صديقون ولا لوم علينا! إنها ازدواجية مقيتة التصقت بنا، ونأبى ان نسلط عليها الأضواء وكأننا نُصِرُّ ان يكون لنا "وجهان"! فلكي ننزع عنا ذاك الوجه الذي ينافس وجهنا الحقيقي فلا نعود نملك سوى وجه واحد، يحسن بنا، بين حين وآخر، ان نعيد قراءة عبارات يسوع في رياء الكتبة والفريسيين!

آب - أيلول ١٩٨١

إليكم هذا الكشاف

عدد خاص

... وأصبح للفكر المسيحي تاريخاً تاريخ يرسم خطوطه هذا "الكشاف" الذي يأتي بمناسبة الذكرى السابعة عشرة على صدورها، وذكرى عشر سنوات على ظهورها كمجلة استطاعت ان تشق طريقها، عبر صعوبات جمة، لتأخذ مكانها بين المجلات. وكان خير ما يعبر عن احتفالنا بهذه الذكرى -من بين خيارات عدة- إصدار فهرس للسنوات العشر الماضية (١٩٧١-١٩٨٠)، هو بمثابة شريط سينمائي يعيد إلى ذاكرة القراء المواضيع التي تناولتها المجلة، والقضايا التي انكبت على دراستها، والمعضلات التي عالجتها، مُبَوَّبةً ومنسقة. وبازاء هذا النتاج الدسم الذي ضمته ٥٠٠٠ صفحة على وجه التقريب، لا نغالي إذا قلنا بأنه أشبه بموسوعة أغنت المكتبة المسيحية، في وقت كانت "الفكر المسيحي" ولا تزال الأداة الإعلامية الثقافية الوحيدة على الساحة في كنيسة العراق.

قراءنا الأعزاء

سواء كنتم من الذين واكبتم "الفكر المسيحي" في مخاضها وولادتها، حين ظهرت عام ١٩٦٤ بشكل "سلسلة" مقالات دينية، اجتماعية، تربوية...، أم لحقتم بها في انطلاقتها كمجلة عام ١٩٧١، يلذّ لكم ولا شك أن نستعرض وإياكم خطواتها الأولى، بتعثراتها وومضاتها، ونرسم مسيرتها التي اتسمت بالحركة التصاعدية المتناغمة مع حركة الحياة.

... كل شيء بدأ في قبو من كنيسة مار توما في الموصل، في ظهيرات تموز المحرقة من عام ١٩٦٣، حين ابتسمت الفكرة لأربعة كهنة شباب كانوا قد وطدوا العزم، قبيل رسامتهم الكهنوتية، على عيش تجربة الحياة المشتركة، متآخين متضامنين في خدمة الكلمة -

وقد لمسوا الفراغ الكبير في ميدان النشر، في أعقاب انحجاب المجلات الدينية في الخمسينات (راجع: المجلات المسيحية في العراق: ف. م. أيلول ١٩٧٧). وكانت المهمة، في ضخامتها وجسامتها ومهابتها، تتعداهم... فلا رصيد لهم يسمح بمغامرة كهذه، ولا أقلام وفيرة تنبئ لهم بمستقبل طويل.

وبإصرار الشباب وتفاؤلهم وإرادتهم العنيدة، أخذت الأحلام تتحول إلى واقع: فبدأت الأقلام تسطر المقالات الأولى (الكنيسة عبر القارات، ليكونوا واحدا، بول ناكاي، أولادنا...) لتكوّن أرقاما في حلقة من عشرة أعداد (١٦صفحة للعدد الواحد). وبدأت التكهنات حول كمية النسخ المتوقع تصريفها، والتخمينات حول بدل المشاركة السنوية... وبدت آنذاك ألف نسخة حداً مناسباً، ومئتا فلس ثمناً معقولاً! وقبل ظهور العدد الأول ببضعة أشهر، كانت البشرى قد انتشرت بين الناس، وتجند لها مناصرون من الشباب والشابات حملوا طوعا صفة "وكلاء"، وراحوا يسجلون مشتركين في المدارس والكليات والدوائر والنوادي... فبات من المتوقع ان ترتفع الكمية إلى ٢٠٠٠ نسخة، تقرر إيصالها، قبيل صدور العدد، إلى ٢٥٠٠ نسخة! وتجدر الإشارة إلى ان بدلات الاشتراكات التي تم جمعها مسبقا أعفتنا من استدانة تكاليف الطباعة!

وكان تردد في اختيار الاسم: فمن "الكلمة" إلى "السنبلة" إلى "الثقافة المسيحية"... استقر الرأي على "الفكر المسيحي". وكان من الواضح، منذئذ، ان هذه التسمية لا تجعل من الفكر المسيحي أداة تنطق بلسان الكنيسة الرسمي، وإنما أداة تعكس، من مبدأ التعددية، الآراء والمحاولات الفكرية في الكنيسة، وتكون لسان حال المسيحيين في العراق.

وصدر العدد الأول من "سلسلة الفكر المسيحي"، الحلقة الأولى، (بحجم ١٢×١٦ سم) في أواخر كانون الأول ١٩٦٢، ولاقى ترحيبا وتشجيعا في كافة الأوساط المسيحية؛ وانهالت موجة جديدة من الاشتراكات اضطرتنا إلى طبع ٢٧٥٠ نسخة بدءاً من العدد الثالث! واقترح بعضهم إعادة طبع العددين الأولين للمشتركين الذين لحقوا بها في منتصف الطريق! والطريف أن بعض الوكلاء اقترح تقسيط بدل الاشتراك على دفعات!!

وقفز عدد المشتركين في العام التالي (الحلقة الثانية) إلى ٣٠٠٠ مشترك، وارتفعت الصفحات إلى ٢٠ صفحة، ومنها بدل الاشتراك إلى ٢٥٠ فلساً. وفي عام ١٩٦٨ (الحلقة الخامسة) أُدرجت ثماني صفحات تضمنت افتتاحية وأخبار العالم المسيحي، مع زيادة طفيفة في الثمن (٣٠٠ فلس). وفي غضون تلك السنة، تحتم على "الفكر المسيحي" ان تتقدم من وزارة الإعلام بطلب امتياز، منح لها بتاريخ ١٨/٥/١٩٦٨، فواصلت مسيرتها دون تعثر، وظهر عدد حزيران حاملا الرقم (٤٦/١). وبعد ظهور عدد كانون الثاني ١٩٦٩ (الحلقة السادسة /العدد٥١) صدر قانون المطبوعات الجديد، وانحجبت الفكر المسيحي قرابة عام إلى ان حصلت على امتياز جديد بتاريخ ٢٥/١١/١٩٦٩، وعادت إلى الظهور في كانون الثاني ١٩٧٠ لتواصل إصدار أعداد الحلقة السادسة. ومنذ ذلك الحين أصبح صاحب امتيازها ولا يزال سيادة المطران عمانوئيل بني الذي منحها تأييدا نعتز به ايما اعتزاز.

وقبيل مطلع عام ١٩٧١، كان العمل على قدم وساق لولادة جديدة! فقد آن للفكر المسيحي ان تصبح مجلة مسيحية شهرية جامعة، بتعدد أبوابها وتنوع مقالاتها. وظهر عددها الاول بحلة جديدة من حيث الحجم (١٧×٢٤سم)، وبزيادة ملحوظة في عدد الصفحات (٣٢ص) بنسبة ٤٠٠٪، رافقتها زيادة في الثمن (٧٥٠ فلساً) بنسبة ٣٧٥٪ عن عام ١٩٦٤. وهكذا فتحت الفكر المسيحي صفحة جديدة في تاريخها، محددة أهدافها الرئيسة في ان تكون مجلة مسيحية لا طائفية، تتوجه إلى القراء بمختلف طوائفهم ومللهم، لتقدم لهم، بلغة العصر وبنظرة إنجيلية منفتحة، ثقافة مسيحية أصيلة، من خلال معالجتها للقضايا التي تواجه الكنيسة في عالم اليوم، ومن خلال عرضها للأحداث التي تجري في حياة للكنيسة.

وواصلت الفكر المسيحي مسيرتها في حركة تطوّرية، عاما بعد عام، مصغية إلى آمال القراء وأمانيهم وتطلعاتهم، من خلال أبوابها الثابتة ومقالاتها في شتى الحقول والميادين... ومنذ أول عهدها، اتخذ "الملف" مكانا مرموقا من كل عدد، من حيث المضمون والمساحة؛ واستقطبت "أخبار العالم المسيحي" اهتمام القراء، وكان لهم هذا الباب بمثابة القناة الوحيدة للاطلاع على ما يجري في كنيسة العراق وكنائس العالم من أحداث بارزة؛ كما كان "لركن التاريخ" (كنيستنا

الشرقية) و"ركن التربية" وزاوية "همسات" و"صندوق الأسئلة" الخ... اثر طيب في نفوس القراء. وتجدر الإشارة هنا إلى ان "الفكر المسيحي" بدأت، مع مطلع ١٩٧١، ترقيما جديدا تجاهل سنواتها الست الأولى، إلا انها عادت، مع مطلع عام ١٩٧٦، تواصل الترقيم بدءاً من (١١١...) باعتباره العام الثاني عشر على صدورها.

وقفزت صفحات المجلة عام ١٩٧٢ (السنة الثامنة) إلى٤٠ص، قابلتها زيادة طفيفة في الثمن (٩٠٠ فلس). وفي العام التالي بلغ عدد الصفحات ٤٤، وحافظت على ثمنها الذي أصبح، عام ١٩٧٥، دينارا واحدا، مع زيادة أربع صفحات أخرى، ومنذئذ احتفظت بـ ٤٨ صفحة حتى اليوم. إلا انها اضطرت عام ١٩٧٧ إلى رفع بدل الاشتراك إلى دينار وربع، وفي العام التالي إلى دينار ونصف حتى أصبح دينارين عام ١٩٨٠!! وما هذه الزيادة في الثمن الا لمواجهة النفقات المتصاعدة التي سببها الارتفاع في أسعار الورق والطباعة، ولا سيما بعد ان نقلت طباعتها إلى بغداد عام١٩٧٧ واعتمدت، مع مطلع ١٩٧٨ الطباعة بالاوفسيت. ولا يخفى ما حققته هذه الخطوة من قفزة نوعية من حيث التصميم والإخراج، ولاسيما حين أخذت الصورة تحتل مكانها في التعبير إلى جانب الكلمة المكتوبة.

فإذا قمنا بمقارنة سريعة بين ١٩٧١ و ١٩٨٠، نجد بان نسبة الزيادة في صفحاتها بلغت ١٥٠٪ إزاء ٢٦٦٪ في الثمن، في حين بلغت الزيادة في أسعار الطباعة ٧٢٠٪! أما إذا قارنا بين عامي ١٩٦٤ و١٩٨٠، فنجد ان المجلة حققت زيادة في حجمها وعدد صفحاتها بنسبة ٦٠٠٪، وزيادة في الثمن بنسبة ١٠٠٠٪، إلا ان ارتفاع تكاليف الطباعة وحدها بلغت ٢٠٠٠٪! وما زال هذا الارتفاع على قدم وساق!! ويطيب لنا ان نذكر قراءنا، بفخر واعتزاز، بالالتفاتة الكريمة التي تلطف بها السيد الرئيس القائد صدام حسين، عام ١٩٧٨، حين منح دعمه الثمين للمجلة. كما سبقت وزارة الإعلام فمنحت دعمها من خلال الإعلانات الثقافية. وهكذا مكنّها هذا الدعم من مواصلة مسيرتها.

اما كمية النسخ المطبوعة، فلقد بقيت تحوم حول الرقم ٢٠٠٠ طيلة١٦ عاماً! وإذا كانت "السلسة"، بحكم صغر حجمها وضآلة ثمنها، قد لاقت رواجا بحيث لم ينخفض عدد المشتركين عن ٢٠٠٠،

فقد لاقى انتشارها كمجلة عقبات كثيرة، يعود معظمها إلى اسلوب التوزيع الذي اعتمد ولا يزال على همة وكلائها وغيرتهم، ولا يخفى ان لهذا الاسلوب حدوده بالرغم من فعاليته. هكذا عرفت المجلة انخفاضا في سنواتها الأولى! إلا انها عادت عام ١٩٧٧ فحققت ارتفاعاً بحيث تجاوز عدد المشتركين الـ ٣٠٠٠.

ومن الجدير بالذكر بان عام ١٩٧٧ سجل منعطفا جديدا في تاريخ المجلة، حين اتخذت نهجاً إعلامياً واضحاً من خلال أبواب ثابتة استُحدثت، وعبر موضوعات اتجهت شطر القضايا والشوون الراهنة -وكان للقضايا الوطنية والقومية نصيب منها-، الا ان هذا التوجه الجديد لم يُنسِها رسالتها التثقيفية في خدمة الإنجيل، بصفتها المجلة الوحيدة في العراق، وبحكم وعيها العميق بمسوؤليتها التاريخية في إيقاظ الوعي المسيحي بين قرائها، وحملهم على المساهمة في نهضة الكنيسة العراقية وبناء الوطن.

وفي ما كانت الحملات المعادية التي تجاهلت طبيعة الصحافة المسيحية ومقوماتها وقوانينها واسلوب عملها، تسعى إلى اخفات هذا الصوت وإضعاف أثره بين القراء، عمدت المجلة إلى تحديد أهدافها من جديد، لتكون محكاً نعود إليه كلما خُيِّل إلى بعضهم اننا شططنا أو كلما أساءوا فهمنا... وتلخصت هذه الأهداف في كون "الفكر المسيحي":

- مجلة مسيحية إعلامية ملتزمة تقدم لقرائها إعلاماً جاداً حول أحداث الكنيسة في العراق والعالم.
- مجلة ثقافية تسعى إلى تطعيم قرائها بروحانية الإنجيل في بحث على الأصالة والتجدد في الإيمان.
- مجلة تؤمن بالوحدة المسيحية فوق الفوارق الطائفية والمذهبية، وتسعى إلى بعث الحوار المسيحي-الإسلامي.
- مجلة لا تدّعي انها لسان الكنيسة الرسمي، بل تؤمن بتعددية الاراء ضمن وحدة الإيمان.

ولقد سعت "الفكر المسيحي"، بنزاهة وإخلاص، ومن منطق أمانتها للإنجيل، إلى تحقيق هذه الأهداف في إطار رؤية مسيحية صافية، ووفق نهج صحافي متميز، مضموناً واسلوباً، سواء من خلال أبوابها الثابتة، ونخص بالذكر: الملف، أنباء العالم المسيحي، شؤون راهنة، المنبر الحر، من وحي الإنجيل، الافتتاحية الخ...، أم من خلال مقالاتها في القضايا اللاهوتية والمسلكية والكتابية والراعوية والمسكونية والاجتماعية والتربوية والوطنية...، سواء جاءت في إطار استفتاءات أو شهادات أو تحقيقات...، أم تحت زاوية مقابلات أو تراجم أو طاولة مستديرة أو سؤال للمناقشة...

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الفكر المسيحي" عمدت، منذ عام ١٩٧٤، إلى إصدار أعداد خاصة تميزت بعمق الموضوعات ودسامتها، فكانت ولا تزال موضوع اعتزاز القراء: المسيحي في مجتمعه، قضايا الجيل الجديد، كنيسة العراق، البابا بولس السادس، كهنة... لمن؟ ولماذا؟، شخصية يسوع المسيح -وقد جاء هذا العدد الأخير بمثابة إكليل للسنوات العشر الأخيرة.

لقد قطعت مجلتكم شوطا لا يستهان به، تلمست خلاله طريقها إليكم، ولسنا نغالي إذا قلنا بأنها عرفت ان تفرض نفسها، بفضل صبر طويل وعزم لا ينثني. ويحق لها اليوم -في سنتها السابعة عشرة- ان تتوقف برهة عند هذا المنعطف، لتلقي نظرة فاحصة على الشوط الذي قطعته، دون ان يثنيها هذا التوقف عن الشخوص بأمل شطر المستقبل الأفضل. فإذا كان هذا "الكشاف" يثير فيكم مشاعر الفخر والاعتزاز بمجلتكم، فهو يحمل إلينا تعزيات يسوغ لنا ان ننعم بها برهة! إلا انه يدفعنا، بأولى حجة، إلى المضي قدما إلى أمام نحو تحقيق طموحاتنا وتطلعاتنا التي لا حد لها، وكلنا يقين من اننا سائرون في درب يطول كلما خُيِّل إلينا أننا اقتربنا من نهايته!

فهذا "الكشاف" الذي نضعه بين أيديكم، إنْ هو إلا فرصة يتاح فيها، لكم ولنا، أن نقيس ما حققته المجلة لقرائها من خدمة إعلامية وثقافية طيلة السنوات العشر. ولقد اعتمدنا فيه تبويبا بحسب الموضوعات، كي يتسنى للقارئ الإحاطة بها والرجوع إليها بيسر. فصنِّفت المقالات في أبواب رئيسة تضمنت فروعاً: اللاهوت، الكتاب المقدس، الكنيسة، الحركة المسكونية، وثائق، الكنيسة والمجتمع،

الكنيسة في العالم، الكنيسة في العراق، تراجم، تربية، فنون وآداب، تاريخ، سياسة. ولقد فرزنا باباً خاصاً للمقابلات والأفتتاحيات والهمسات وسؤال وجواب ومجرد فكرة ونتاج القراء والخواطر والشذرات، وأبينا إلا ان نبرز مكانة "الملف" نظراً للأهمية التي احتلّها في كل عدد.

وكان لا بدّ لنا، كي يصبح العمل كاملاً، ان نثبت، إلى جانب فهرس الموضوعات، فهرس بأسماء الكتاب، وقد اقتصرنا على ذكر أولئك الذين كتبوا خصيصا للمجلة، مهملين " الوثائق" المترجمة والخواطر والشذرات والقصائد المختارة...، كما أسقطنا مساهمات القراء التي تضمنتها زاوية "نتاج القراء". ولقد عمدنا، قدر المستطاع، إلى كتابة عناوين المقالات وأسماء كتابها كما جاءت في المجلة، مشيرين إلى الشهر والسنة وأرقام الصفحات على النحو التالي (كانون الثاني ١٩٧٩/١٠-١٤)، ومعتمدين التسلسل الزمني لظهورها. كما عمدنا أحيانا إلى تصنيف بعض المقالات في أكثر من باب، ليسهل على القارئ العثور عليها. وفيما نرفع شكرنا العميق إلى كل الذين ساهموا في إصدار هذا الكشاف، نعتذر سلفاً عما ورد فيه من أخطاء.

وفيما نضع بين أيديكم هذا العدد/الفهرس يطيب لنا ان نغتنمها فرصة لنعبّر لكم عن عميق شكرنا لأمانتكم على "الفكر المسيحي" ولا سيما انتم الذين واكبتم مسيرتها طيلة السنوات الست عشرة. وغني عن القول بان أمانتكم هذه التي نعتز بها ايما اعتزاز، مكنتنا من مواصلة السير، بالرغم كل الصعاب التي واجهتنا، وعلى أكثر من صعيد! فإذ نؤكد لكم عزمنا على مواصلة المسيرة نحو الأحسن والأفضل، من حيث المضمون والإخراج، يطيب لنا ان نجدد النداء كي تسعوا إلى توسيع رقعة انتشارها -وقد حققت هذا العام، بفضل موازرتكم الثمينة، زيادة ملحوظة في عدد المشتركين تجاوز ١٤٣٠٠ - فتقوى على مواصلة رسالتها في خدمة كنيسة العراق.

الموصل في ١٩ تموز ١٩٨١

في الطريق إلى المدرسة

مع هبة نسيم الخريف، يسلك اطفالنا وشبابنا ورجالنا ونساؤنا، أفواجا أفواجا، الطريق إلى المدرسة، متأبطين كتبهم وحقائبهم، بعضهم إلى الحضانة والروضة والابتدائية، وبعضهم إلى الثانوية أو الجامعة، فيما يتوجه البعض الآخر إلى مراكز محو الأمية أو المدارس الشعبية... تحدوهم كلهم رغبة عميقة في التعلم والنهل من ينابيع المعرفة والاستزادة من الثقافة.

وطالما أدهشتني نباهة أولئك "البراعم" الذين احتضنتهم الثورة بالرعاية المثلى، حين أراهم يعودون من حضاناتهم وروضاتهم، يلوحون للمارة بأيديهم الصغيرة وهم ينشدون: "هسع يجي بابا البطل... رئيسنا غالي..."! وطالما وقفت مشدوها امام أولئك الفتيان والفتيات الذين ابتسمت لهم الحياة، بآمالها وطموحاتها، وأنا اسمعهم يبنون الآمال الكبار ويتطلعون شطر المستقبل الزاهر ويحلمون ببناء عالم أفضل يقوم على الحب والحرية والفرح...

وإذا كان طموح أولئك الشباب والشابات الذين يجتازون المرحلة الثانوية في اتجاه المعاهد والكليات يلفت انتباهي، وأنا المس فيهم عزما لا ينثني على مواصلة السير في سلم العلم والمعرفة، وأتحسس فيهم وعيا عميقا بثقلهم في بناء عراق جديد متطور، واستعداداً سخياً لتحمل مسؤولياتهم الكاملة في هذا البناء... إلا ان صمود ومثابرة أولئك الرجال والنساء -أصحاب الحرف والعمال وربات البيوت الخ...- يثيران دهشتي: أولئك "الأميون" الذين، بعد ان عركتهم الحياة، سلكوا طريق المدرسة، وأخذت أصابعهم، الخشنة أحيانا، تعتاد مسك القلم لتسطر العبارات والجمل عشرات المرات: "العلم نور والجهل ظلام"، ويخيل إليّ ان نوراً حقيقياً أشرق عليهم، واخذ يلتمع في عيونهم وفي أعماق وجدانهم.

انها فرحة المعرفة ترتسم على وجوه أولئك الذين يأبون أن يبقوا سجناء الجهل، بعد أن شعروا في أنفسهم جوعا وعطشا إلى المعرفة. انها

الحاجة إلى المعرفة التي تزدحم في نفس كل إنسان، ما ان اكتحلت عيناه بالنور، ويود، من ثم، ان يسبح بكليته في نور المعرفة ويغرف من ينابيعها ما استطاع إلى ذلك سبيلا. فعظمة الإنسان تكمن في مقدار شعوره بهذه الحاجة، وتقاس قيمته بمقدار ما يجيب إلى هذه الحاجة ويتفاعل معها، باذلاً أقصى جهوده في تسلق سلم المعرفة، لا طمعاً بربح تدر عليه، بل بدافع الرغبة العميقة في بناء ذاته وتطوير شخصيته وتوسيع افقه، بما يؤهله للعمل على بناء أسرته ومجتمعه والمساهمة في تقدم وطنه وأمته...

فإذا كانت الثقافة التي يتلقاها أطفالنا وشبابنا وكهولنا، كل بمقدار، تبعث على الفرح والفخر والاعتزاز... وإذا كان لقيادتنا السياسية الفضل الكبير في إشاعة الثقافة بين كافة قطاعات الشعب، وتوفير كل مستلزماتها وعلى مختلف الأصعدة، ولاسيما لأولئك الذين حُرموا منها في العهود السالفة... إلا اننا نتطلع بأمل كبير إلى الا تبقى هذه الثقافة سجينة اطر تكتفي بإعطاء المعلومات، دون ان يكون لها أثرها في نفسية المتعلمين وسلوكيتهم واسلوب تعاملهم مع الناس ومع الأحداث. فليس المتعلم من اختزن معلومات ولا قدرة له من ثم على مضغها، لوضعها في خدمة تفتحه الإنساني وبناء شخصيته واكتمالها؛ وليس المثقف من أكمل دراسته وحصل على شهادات، مهما عظمت، بقدر ما هو ذاك الذي اكتسب وعياً عميقاً بكرامته الإنسانية، وتأصلت فيه رؤية صافية تمكنه من الحكم السليم على الأمور، وتدفعه على الالتزام تجاه القضايا والأحداث.

إن جلّ ما نتوخاه من المربين والمعلمين والأساتذة، في بدء السنة الدراسية، هو ان يدركوا جيدا بان التعليم هو تربية؛ وان التربية تتعدى إعطاء المعلومات، لتتوجه إلى الإنسان بكليته، فتجيب إلى حاجاته العميقة وتصقل ميوله وتنمّي قابلياته وتهذب سلوكيته وتدربه على حسن التعامل مع الأشياء والأشخاص... فالتربية التي نحن بحاجة إليها، نريدها عملاً دؤوباً يكون قادراً على ان يربي في الإنسان العراقي حساً مرهفاً، يمكنه من تذوق قيم الروح والحق والخير والفن والجمال... ونريدها اخلاقية إنسانية رفيعة، تخلق في الإنسان العراقي ضميراً حياً وواعياً، ليقوى على عيش حريته وكرامته ومُثُله بروح عالٍ من المسؤولية، ضمن التزام ينبع من قناعته الذاتية، ومن حرصه الشديد على سلامة المجتمع وعلى تقدم الأمة والوطن.

تشرين الأول ١٩٨١

الأب جرجس القس موسى

حكاية ما بيننا!

في لينينغراد، أمام واجهة كنيسة تؤمُّها بضع عجائز لا يسأمن من انحناءات عميقة ترافقها إشارات صليب لا نهاية لها... التقيت بفتاة عرفت من عينيها للحال انها من أصل تتري! وقادنا حديث متشعب الأطراف إلى قضية الدين، وما أعظم ما كانت دهشتي حين علمت انها لا تعرف عن الأديان سوى ان هناك أناسا يُدعَون مسيحيين ومسلمين ويهوداً... وازددت، من وجودنا في ساحة كنيسة، جرأة لأطرح عليها بعض الأسئلة: فكان المسيح، بالنسبة لها، "إنسانا يقال انه كان عظيما"! وكان لها الإنجيل كتاباً "مجهولا" لا تعثر عليه في المكتبات! ولم تكن تعلم عن الكنيسة سوى انها مكان يؤمه أولئك الذين في نفسهم حاجة إلى التعامل مع "القوة الخارقة"! وحين سمعتها تقول انها دخلت مرة إلى الكنيسة ولم تفهم شيئا مما يُرتَّل أو يتلى، تساءلت في نفسي: إلى متى تبقى الكنيسة الروسية متحصّنة وراء طقوسها وليتورجيتها، وان كانت تلك الليتورجية العريقة تمتاز بجمالها وسحرها وغناها؟

وفي كييف، عاصمة أوكرانيا، التقيت في كاتدرائية القديس فلاديمير -ولا تزال كييف تفاخر بانها منطلق المسيحية، منذ عماذ أميرها فلاديمير وتنصر كافة سكانها- بكاهن شاب، أب لأربعة أطفال، تبدو عليه علامات التصوف المقترن بالرؤيا المليئة بالأمل تجاه المستقبل. وتحدثت إليه طويلا عن أوضاع الكنيسة وتكيفها مع الوضع الراهن، ومدى الحرية التي تتمتع بها في مجال التعليم والنشر، إلى جانب الحدود التي تصطدم بها... وذهبنا في الحديث عن رؤية الكنيسة لظاهرة الإلحاد وكيفية مواجهتها لها، وبأية لغة... وعن مدى أصالة الشهادة التي تقدمها عن الإيمان لأبناء الجيل الجديد الذين اخذوا يحنّون إلى قيم الروح الخ... وكم كانت دهشتي وأنا اسمعه يضرب صفحاً

عن الاضطهادات السالفة، ويتظاهر بتجاوز الحدود التي تضعها الدولة تجاه حرية المؤمنين ونشاط الكنيسة التعليمي والرسولي، ليؤكد ان "على الكنيسة ان تحافظ على الطقوس والتقاليد التي تسلمتها من الاباء دون ان تجري عليها أية زيادة أو نقصان"، وفهمت من حديثه ان لغة الإيمان لا تخضع للزمن ولا تحتمل أية "عصرنة"! وان أية محاولة في هذا الاتجاه -وحتى وان كانت لا تمس الجوهر- تعرّض الإيمان لخطر التفكك وفقدان الأصالة. وتساءلت في نفسي: هل ستستطيع الكنيسة، انطلاقاً من هذه الرؤية، ان تلتقي مع الشباب وتحتفظ بمصداقيتها لديهم؟ الا يضحي الإنجيل، بموجب هذه المفاهيم، كتاباً جامداً لا يقوى على سحر الشباب ولا على تحويل أنظارهم عن الايديولوجية السائدة؟

وهنا في وطني، خرجت يوما من اجتماع، ضم كهنة وأساقفة وعلمانيين، بشعور عميق من الألم المقترن بشيء من التشاؤم، وقد سمعتهم يناقشون شؤون التعليم المسيحي والقضايا الراعوية في إطار نظرة فوقية قلما تأبه بحاجات المؤمنين الحقيقية: من يؤكد لنا ان التعليم المسيحي المعطى الآن هو أفضل من السابق؟ أليس من الضروري ان يعرف الأطفال مجموعة الوصايا والعقائد المسيحية؟ هل هناك حقا ضرورة لإقامة قداديس خاصة للأطفال والشباب... أليست هناك بعض المحاذير؟ لماذا التشديد على ترجمة للطقوس قد تفقدها "رنتها" وعذوبتها السالفة...، ولماذا الإلحاح في مشاركة المؤمنين التي "قد تحمل الشمامسة على الاستقالة"؟! ما المانع من ان يشارك عدد من الأساقفة والكهنة في الأكاليل والمآتم -وذلك يطيب للمؤمنين؟! ولماذا التغيير في طريقة معيشة الكهنة -وقد برهن الاسلوب القديم على فاعليته؟!

ثلاث صور من شأنها ان تحملنا على التفكير الجاد في مستقبل الإيمان: فإذا كانت تلك الفتاة التترية تجهل كل شيء عن المسيح والإنجيل والكنيسة، ففي ما بيننا شباب ليسوا أكثر ثقافة ووعيا في قضايا الإيمان! أوَليست اللامبالاة التي لا تعلن عن اسمها أكثر وبالاً من الإلحاد المعلن؟ وإذا كان نشاط الكنيسة الروسية محصوراً بين جدرانها، في حرص شديد على ليتورجيتها إلى حد الوسواس من أي تغيير أو عصرنة، فكنيستنا لا تعرف أن تستغل الفرص المتاحة لها - وهي كثيرة- لممارسة نشاطاتها التثقيفية والرسولية، وكأنها ترضى

بطيب الخاطر ان تنسحب إلى الوراء وتبقى، بين جدرانها، منعزلة عن الجماهير! وإذا كنا، نحن الذين تقع عليهم مسؤولية نشر الإيمان والشهادة له، نزن النشاط الديني والرسولي بميزان الخوف والحذر، وبمقاييس اللياقة والمسايرة، فلا عجب ان نرى ما آلت إليه أحوالنا من ضعف وتفكك وبؤس!

فملخص الحكاية التي أردناها تبقى في ما بيننا، هو تساؤل خطير نطرحه على أنفسنا جميعاً، علمانيين وكهنة وأساقفة: ألسنا نعمل على تعجيل "أجَل" كنيستنا حين لا نضع قضية الإنجيل والشهادة له في أولى الأولويات، وحين نأبى ان نصغي إلى حاجات المؤمنين ولا نسعى إلى الالتقاء مع أمانيهم وتطلعاتهم المشروعة؟ الا تفقد كنيستنا مصداقيتها بين جماهير المؤمنين، حين تبدو وكأنها متغربة عن قضاياهم واهتماماتهم، وتبقى تتحدث إليهم بلغة لم يعودوا يفهمونها؟ ألسنا غالباً ما نتخذ من ظاهرة الإلحاد واللامبالاة التي تجتاح بني عصرنا، حجة لنبرر بها تقاعسنا عن مواجهة الواقع، وتهربنا من تحمل المسؤولية؟

فلشحن هممنا، يكفي ان نسمع القديس بولس يقول: "ان التبشير بالإنجيل ليس لي موضوع افتخار، وإنما هو ضرورة موضوعة عليّ. والويل لي إن لم أبشّر"!

الموصل في ١٢ تشرين الأول ١٩٨١

ميلاد السلام

تطلّ علينا ذكرى ميلاد المسيح هذا العام، فيما العالم تتنازعه حروب وفتن من كل جانب، وتلعب بمصيره مطامع من كل نوع: فلا تكاد بقعة من الأرض تخلو من منازعات على حدود، تفرز اقتتالاً مستميتاً يذهب الأبرياء ضحيته؛ ولا يكاد بلد ينجو من فتن داخلية استثارتها بُنى الظلم المتجسدة في أنظمة تستخدم القمع والإرهاب وسيلة لفرض سيطرتها، أو استحثتها مطالبات مناضلين لا يهدأ لهم نوم طالما يرون حقوقهم مغتصَبة وحرياتهم مُستلَبة؛ ولا يكاد شعب من شعوب العالم ينعم بالهدوء والاستقرار طالما ان هناك ايديولوجيات، عن اليمين وعن الشمال، تنغّص عليه العيش، بما تفرزه من "قيم" تهزأ بكرامة الإنسان وتذهب برغباته الأساسية في الحرية والعدالة والسلام...

مشكلة العالم الرئيسة هي ان البشر لم يعودوا يعون أنهم إخوة، وأنهم يؤلفون أسرة كبيرة واحدة، مهما تناهت المسافات بينهم، وأيه كانت انتماءاتهم العرقية والقومية والوطنية والدينية، ومهما اختلفت أنظمة الحكم التي تسوسهم. وان اكبر خطر يهدد البشرية بالتصدع والتفكك والدمار ليست هي الحرب، في حد ذاتها، وإنما تناسي تلك الاخوة الإنسانية التي من شأنها ان تقلص المسافات بين الشعوب، وتقضي على الحواجز والحدود، وتعمق التضامن من اجل خير البشرية جمعاء.

وان تناسي الاخوة بين البشر وفقدان الوعي بضرورة التضامن والتعاون، لا يقودان إلى الحرب بين الدول والشعوب وحسب، بل هما في أصل كل المنازعات والأحقاد، وعلى كل درجات السلم الاجتماعي: بين أفراد الأسرة الواحدة، بين أبناء الدين الواحد والطائفة الواحدة، وبينهم وبين أبناء الأديان الأخرى والطوائف المختلفة، بين إفراد الوطن الواحد -بحكم انتماءاتهم العرقية والقومية والسياسية والاجتماعية- وبين شعوب الأوطان المتجاورة في المجموعة الجغرافية الواحدة وفي القارة الواحدة والقارات الأخرى...

إلى هذه المنازعات والصراعات بين البشر، للميلاد رسالة يحملها، ولطفل بيت لحم كلمة يقولها، ان نحن أحسنّا الإصغاء إليها

وقبلنا متطلباتها دون تردد أو حذر. ففي ليلة الميلاد، أشرق نور على البشرية الساكنة في الظلام ليحمل إليها رسالة الحب والسلام: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر"، ولا يمكن ان تمر ذكرى ميلاد رسول السلام دون ان يكون لها صدى في نفوس كل الذين، يسعون إلى بناء عالم أفضل، عالم يقوم على أساس الحق والعدل والحرية والسلام.

ان رسالة الميلاد تتوجه إلى "ذوي الإرادة الصالحة"، أولئك الذين يختفي في صدورهم قلب شفاف يسمح للنور ان يخترقه؛ ويرضون، بطيب الخاطر، ان يبدد هذا النور من نفوسهم كل ظلمة تجسدت فيها قوى الشر والحقد والحسد والأنانية والكبرياء... أولئك الذين أدركوا ان "الله نور وليس فيه ظلام"، فآثروا النور على الظلمة، وصح فيهم قول الإنجيل: "اما الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانا ان يصيروا أبناء الله"! اما الذين في قلوبهم غطرسة وفي نفوسهم مرض الأنانية، فلا يستطيعون ان يقبلوا النور ولا ان يُقبلوا إليه، بل يؤثرون الظلمة على النور "إذ ان كل من يفعل الشر يبغض النور".

فلكل ذوي الإرادة الصالحة -الودعاء والمتواضعين والفقراء والجياع والعطاش إلى العدالة وفاعلي السلام...- أعطى يسوع الطوبى، في خطبته على الجبل، أولئك الذين لهم القدرة على تجاوز الذات وتخطي الحواجز والتسامي فوق الضغائن والأحقاد... الذين يعتبرون المغفرة تجاه الإساءة قوة، ويعتبرون التسامح أساسا للمحبة، ويرون في التضحية برهانا على المحبة، ويجدون في التواضع طريقا إلى الحق، وفي الحق دليلا إلى العدالة، ويعتبرون العمل على إحقاق العدالة سبيلا إلى السلام... وصانعو السلام هم أبناء النور... أبناء الله.

ان للميلاد في عراقنا الحبيب -وهو يخوض معركة الشرف في الدفاع عن حقوقه- رنة خاصة هذا العام، إذ تتخذ رسالته في الحب والسلام شكل دعوة ملحة تتوجه، بنوع خاص، إلى الذين بيدهم مقاليد الحكم في كلا البلدين الجارين: إنها دعوة إلى السلام والمصالحة على أساس الحب والعدالة، إذ لا عدالة من دون ان تصان الحقوق، ولا سلام إذا لم تستتب العدالة. وإذا كان العراق، من موقع الاقتدار، قد كرر مرارا، بفم الرئيس المقدام، الدعوة إلى وقف إطلاق النار، وأبدى استعداده الكامل لحل النزاع عن طريق المفاوضات، حقنا لدماء الأبرياء من كلا الشعبين، فلأنه يؤمن بان السلام ضرورة ملحة لكلا البلدين، وان المفاوضات المتكافئة هي السبيل الأمثل لتسوية الخلافات وإحقاق الحق والعدالة... عسى يلقى هذا النداء أذنا صاغية.

فليكن ميلاد المسيح الذي يزرع الحب والإخاء بين البشر، ميلاد سلام ومصالحة لشعبينا ولشعوب العالم أجمع.

كانون الأول ١٩٨١

١٩٨٢

مجلة ملتزمة

مع عام ١٩٨٢ تطوي "الفكر المسيحي" سنة وتفتتح سنة أخرى، هي الثامنة عشرة من مسيرتها، في خدمة أهدافها الإعلامية والثقافية في كنيسة العراق، ويقينها أنها ساهمت، من موقعها، في إيقاظ الوعي بين قرائها على القضايا والأحداث التي واجهتها وتواجهها الكنيسة في العراق والعالم، وحملهم على مزيد من الالتزام بحياة كنيستهم ووطنهم: كنيسة يريدونها حية متجددة أبدا، ووطن يريدونه حراً أبياً، ذا عزة وسيادة.

ولقد سعت "الفكر المسيحي" وتسعى إلى إشاعة هذا الوعي حين لا تني تعلن أنها "مجلة مسيحية ملتزمة" تقدم لقرائها إعلاما جادا، وتسعى إلى تطعيمهم بروحانية الإنجيل، في بحث دائم عن الأصالة والتجدد في الإيمان، بعيدا عن الروح الطائفية الضيقة، وضمن منهج يؤمن بتعددية الآراء... ويتجلى هذا التوجه الذي اعتمدته المجلة، من خلال مقالاتها ومعالجاتها في شتى الميادين، سواء عبر أبوابها الثابتة أم عبر زواياها المتنوعة... ألا تتجلى هذه الأهداف من خلال "جولة" سريعة في المواضع التي تناولتها طيلة عام ١٩٨١؟

"مجلة مسيحية ملتزمة"! يأخذ عليها بعضهم "التزامها" بقضايا تبدو لأول وهلة وكأنها خارجة عن نطاق مجلة مسيحية، متناسين أن صفة المسيحية ذاتها تخلع عليها التزاماً أكبر بقضايا الإنسان، سواء تناولت معاناته من جراء الاستلابات التي تفرزها البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الفاسدة، أم تناولت تطلعاته إلى مجتمع تسوده الحرية والعدالة، ينعم فيه بحياة حرة كريمة، في إطار علاقات إنسانية

تتسم بالحب والأخوة والتضامن... أليس إلى مثل هذه العلاقات الإنسانية بين الأجناس والطبقات دعا مارتن لوثر كينك رسول اللاعنف؟

فالمجلة المسيحية لا تخون دعوتها ورسالتها إن هي لفتت أنظار قرائها إلى معضلات الشعوب التي تنوء تحت وطأة المظالم، بكافة أشكالها، سواء ارتبطت هذه المظالم بالاستعمار ومخلفاته من فقر وجهل وتفاوت مقيت بين الطبقات... أم كانت وليدة أنظمة وأيديولوجيات تسخر بالإنسان وحقوقه وحرياته وتتجاهل دعوته وكرامته. ألا ترجّع "الأنباء" صدى الكثير من هذه المظالم التي تتعرض لها الشعوب في العديد من بلدان العالم؟ فحين تعكس المجلة هذه القضايا والمشاكل، تفعل ذلك ليقينها من أن هذه المظالم والمآسي هي على طرفي نقيض من إنجيل الحرية والعدالة، ولان أمانتها للإنجيل تدفعها إلى فضح الظلم من أية جهة كان، وهي تعلم جيدا ان بشرى الإنجيل تبدأ بتحرير الإنسان. أليست "مواقف يسوع الثورية" دعوة إلى التزام الإنسان، في نضاله لانتزاع حريته واكتساب حقوقه؟

ويأخذ بعضهم على المجلة "التزامها" بالقضايا الوطنية والقومية، وقد يذهب بعضهم إلى التصريح غير المسؤول بان الطابع السياسي قد غلب عليها، حين تنكبّ على الأحداث التي يمر بها العراق، أو حين تعكس جانبا من المنجزات التي حققتها الثورة في ميادين الحياة المختلفة، وهي تنطلق من رؤية للإنسان تتجاوب مع رغبته في حياة حرة كريمة... ولقد سبق لنا مراراً أن أكدنا بان المجلة، بصفتها مسيحية وعراقية، لا تتناول القضايا الوطنية بدافع من المسايرة أو المداهنة، وإنما انطلاقا من قناعتها بان حب الوطن والإخلاص له نابعان من حب الله والأمانة للإنجيل. أليس حب الوطن وجها آخر للحب تجاه الله؟ أوَليس الإيمان بالله يدفع الإنسان إلى مزيد من الحب للوطن والذود عنه والتضحية في سبيله؟ أليس بهذه القناعة ذاتها وجه رؤساء الطوائف المسيحية رسالة الميلاد بعنوان "السلام والإخاء بين البشر"، في ظروف الحرب التي يخوضها العراق دفاعاً عن سيادته الوطنية؟

ولا بدّ لنا أن نقول بان القضايا التي تعكسها المجلة، من منطق أمانتها لمبادئ الإنجيل ووعيها العميق لمسؤولياتها الإعلامية، لا تنسيها البتة مسؤولياتها الجسيمة في نشر الثقافة المسيحية والسعي إلى مد الكنيسة العراقية بالنشاط والحيوية. فما الملفات الإعلامية في كنائس

الله، وما المواقف التي تعكسها لرجالات الكنيسة البارزين، سوى محفز لكنيستنا إلى مزيد من الجرأة والفاعلية في إعلان بشرى الإنجيل. وما التحليل الذي يضع الإصبع على مواطن الضعف وعوامل الجمود فيها -وليس دوما يطيب الخاطر- سوى لدفعها إلى أمام، كي تلتقي بالإنسان العراقي حيث هو، في معاناياته وتطلعاته، وتحمل إليه بشرى الإنجيل بلغة عصرية يفهمها ويتفاعل معها... أليس إلى هذا التجديد في الطقوس والأسرار دعا المجمع المسكوني؟ أليس لنا في "طقوسنا الشرقية" تراث نعتز به، ولنا فيها دعوة إلى جعلها أكثر عطاء وتألقاً؟ ألا يرجّع حديث المطران كسباريان نداء المجمع إلى العمل المشترك والتنسيق بين الأساقفة والانكباب على معالجة القضايا التي تهم مستقبل المسيحية في هذا البلد، بروح التضامن والوحدة؟ ألا تضع "الفكر المسيحي" كل ثقلها في الدعوة إلى الوحدة المسيحية الشاملة، وهي المجلة التي آلت على ذاتها أن تكون مجلة مسيحية تتخطى النعرات والفوارق الطائفية والمذهبية لتصبح لسان حال المسيحيين في العراق؟

كان لا بدَّ لنا في بدء هذا العام بان نضع النقاط على الحروف كي نواصل معكم، قراءنا الأعزاء، مسيرة المجلة لعام جديد آخر، مؤكدين لكم اعتزازنا بأمانتكم ومتمنين لكم عام خير وفرح وسلام.

كانون الثاني ١٩٨٢

الأصالة

كثيراً ما تتردد كلمة "الأصالة" في صفحات "الفكر المسيحي"! فنتحدث عن إيمان يتصف بالأصالة وندعو إلى بحث دائم عن الأصالة في الإنجيل... ونتكلم عن كنيسة أصيلة، ونقيّمها بمدى الأصالة التي تتجلى في مواقفها وسلوكيتها... وكل مرة تناولنا بالبحث كنيستنا في العراق، تمنينا عليها أن تتصف مواقفها وتوجهاتها وممارساتها بالأصالة... ولم نتردد في خلع صفة الأصالة على المواقف التي اتخذها ويتخذها العراق من القضايا الوطنية والقومية، والتي تنطلق من رؤية عراقية صافية تأخذ بين الاعتبار طموحات العراقيين في وطن حر، أبيّ، ذي عزة وسيادة...

"ما هي الأصالة؟ وماذا تعنون بالأصالة؟" هذا السؤال طرحه يوما قارئ كانت في نبرته غصة، كشفت عما يساوره من شجون، وهو يخشى أن يقود البحث الدائم عن الأصالة في كل أمر إلى متاهات، أو أن تتحول الأصالة التي ندعو إليها إلى فوضى... أهي عودة إلى الماضي وتمسك بالتقليد؟ أم هي تناسي الماضي ودعوة إلى التجدد؟ هل يستوي التجدد مع الأصالة؟ وما هي الحدود الفاصلة بين الأصالة والتجدد؟

ليست الأصالة قوقعة على الماضي أو تلذذا "نرسيسيا" يقيّم الماضي وكل ما هو قديم، كما انها ليست في تبني كل جديد -لأنه جديد- دون الالتفات إلى أصوله في الماضي وإلى مدى صلاحيته للحاضر والمستقبل. فرُبَّ أصالة تقود إلى متاهات حقيقية، إذا ما رافقتها ادعاءات وغطرسة على صعيد الفكر والممارسة! ورب أصالة تذهب بالمنادين بها إلى انطواء مقيت على الذات، في نفي واحتقار لكل ما يشكل أصالة لدى الآخرين؛ وقد يتحول إلى شكل من أشكال

العنصرية أو الشوفينية! ورُبَّ أصالة هي أشبه ما يكون بفوضى، حين يذهب دعاتها إلى وضع مقاييس لها وفق مفاهيم ضيقة وموازين خاصة...

الأصالة التي نقصدها وننادي بها وندعو إليها، هي أبعد ما يكون عن المكابرة والادعاء والتقوقع على الماضي أو تكريسه وتمجيده، وإنما هي سلوكية تمد جذورها في الماضي ولا تني تستلهمه، ولكنها تتخطاه وتتجاوزه في اتجاه الحاضر والمستقبل.

والأصالة الأصيلة تقوم في بحث دائم عن "الهوية"، بكل ما في هذه الكلمة من معنى؛ وهذا البحث عن الهوية ضرورة على عاتق كل إنسان، كفرد وكجماعة، وحاجة لدى كل شعب وأمة... يرافقه اعتزاز بكل عناصر التراث والحضارة، بغية استمزاجها والتفاعل معها وتطويرها وتجاوزها في ضوء الظروف المستجدة، ونظرا للأحداث والقضايا التي يتعلق بها مستقبل البشرية.

فإذا كانت أصالة شعب ما تتجلى في الاعتزاز بتاريخه وحضارته وتراثه وإيمانه وكل خصوصياته، إلا انها تتعداها إلى إرادة عنيدة، في البحث عن سبل التعاطف مع سائر الشعوب، والحوار بين الحضارات المختلفة من اجل مستقبل أفضل للبشرية. وإذا كانت أصالة بلد ما تتجلى في الحفاظ على ثرواته الحضارية والثقافية والاقتصادية... والاعتراف بكل التركة التي اكتسبها طيلة تاريخه، إلا انها تتجلى بشكل أكبر في توجهه السليم تجاه التحولات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في بحث دائم عن مزيد من السيادة والاستقلال، وفي العمل على وضع برنامج للنهوض بالمواطنين إلى مستوى تطلعاتهم المشروعة، وتبنّي سياسة التضامن مع سائر البلدان لبناء عالم أفضل أكثر إنسانية وأكثر عدالة.

وهكذا الأمر فيما يتعلق بالأصالة التي نطالب بها في قضايا الإيمان والسلوكية الكنسية... فأصالة الإيمان تتجلى في العودة إلى الينابيع، لاكتشاف الأسس التي يقوم عليها الإيمان الصافي، واستشفاف متطلباته الملحة في ضوء القضايا والمعضلات التي تواجه إنسان اليوم: فلا يمكن أن يوصف بالأصالة إيمان يتحصن بمكتسبات الماضي، دون أن يتجاوزها إلى مواقف تتطلبها التحولات الجديدة التي

تلقي أسئلة جديدة يجب الإجابة عليها... ومن البديهي أن إيمانا لا يتجذر في الواقع اليومي ولا يتوغل في حياة الإنسان، بكل أوجهها، أقل ما يقال فيه انه غير جدير بالإنسان! وتتجلى أصالة كنيسة ما، حين لا يمنعها اعتزازها بتاريخها وتراثها الروحي والحضاري وخصوصياتها العقائدية والمسلكية، عن إعادة النظر في بُنيتها وممارستها على ضوء المتطلبات العصرية التي تقتضي توجهات جديدة، وجذرية أحيانا، كي تصبح قادرة أن تحافظ على مصداقيتها بين الناس: فلا يمكن لكنيسة أن تحتفظ بأصالتها إن هي بقيت متحصنة في برجها، متغربة عن قضايا الإنسان المعاصر ومعانياته وتطلعاته. فالتجدد المطلوب يضفي عليها مزيداً من الأصالة.

فإلى أصالة كهذه يسعى العراق، شعبا وحكومة، حين لا يلهيه الاعتزاز بحضاراته العريقة عن النضال من اجل سيادته الوطنية وتجنيد كل طاقاته في عملية البناء والنمو، مستلهما الماضي ومتجاوزا إياه في اتجاه المستقبل... وإلى أصالة كهذه نتمنى على كنيستنا العراقية أن تسعى: كنيسة لا تكتفي بالتلذذ بأمجاد الماضي، بل تتجاوزه إلى التخطيط للحاضر والمستقبل؛ كنيسة نريدها تعتز بتراثها وتاريخها وخصوصياتها ومساهمتها الحضارية في هذا الوطن، دون أن تنسى بان عليها أن تنكب، في بحث نزيه، عن سبل تجددها بما يحيي ويغني ذاك الماضي، فتسير وتتطلع نحو مستقبل أكثر إشراقاً.

الموصل في ١٠ كانون الثاني ١٩٨٢ — شباط ١٩٨٢

كنيسة الشباب
شباب الكنيسة

رحم الله ذاك الراعي الوقور الذي خطب يوماً في حشد من الشباب المسيحي الملتزم، مناديا إياهم بهذه العبارة! وكأني به أراد، في آن واحد، أن يذكر الشباب بأنهم أمل الكنيسة ودعامتها، ويذكر الكنيسة بان عليها أن تتوجه إلى الشباب وتستعيد شبابها بفضلهم.

"كنيسة الشباب"! ولكن، هل يمكن أن نصف الكنيسة وفق فئات أو أعمار أو طبقات، كأن نقول: كنيسة الشباب وكنيسة الشيوخ، كنيسة الفقراء وكنيسة الأغنياء؟ وهل يمكن أن نصنف الكنيسة وفق رقع جغرافية أو حقبات تاريخية أو ظروف سياسية، كأن نقول: كنيسة العراق وكنيسة أفريقيا وكنيسة أمريكا اللاتينية. أو نقول: كنيسة الرسل وكنيسة العصور الوسطى وكنيسة الألف الثالث... أو نطلق عليها لقب: "الكنيسة الإمبراطورية" وكنيسة الصمت وكنيسة ما قبل المجمع وما بعده...؟ أليست الكنيسة في جوهرها "جامعة" و"مسكونية"، أي إنها تمتد إلى كل امة وكل شعب وكل بلد، في كل مكان وزمان، عملا بوصية الرب يسوع: "اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"؟ أليست الكنيسة "شعب الله" بكل فئاته وطبقاته وأجناسه وقومياته وحضاراته... أولئك الذين يؤمنون بالمسيح ويؤلفون "جسده السري"؟

إلا اننا حين نقول "كنيسة الشباب"، فنحن لا ننكر على الكنيسة صفة الشمولية، ولا نتجاهل تأصلها في الحضارات البشرية عبر التاريخ، وتفاعلها مع كل شعب بمختلف طبقاته وفئاته... وإنما نريد أن نؤكد على حقيقة وجودية بان الشباب هم في القلب من كل مجتمع، وأنهم في مركز الثقل منه، وبدونهم يفقد ذاك المجتمع ديناميته وحرارته وفاعليته... فمن هذا المنطلق نريد أن يحظى الشباب، في كل

كنائس الله، بمكانة مرموقة، إذ بدونهم تضحي الكنيسة هرمة، وتبدو وكأنها لا تصلح سوى للشيوخ أو الأطفال في أحسن الأحوال!

وإذا كنا نريد أن تعطي الكنيسة الأولوية للشباب، فلأنّ للشباب دورا رئيسا يضطلعون به في حياتها ورسالتها وممارستها، بما لهم من طاقات وإمكانات تسهم في مدها بالنشاط والحيوية؛ ولان لديهم تساؤلات جادة يطرحونها على الكنيسة، من شانها أن تحملها على إعادة النظر في بنيتها ورسالتها وشهادتها في العالم، ولان في قلوبهم توقعات وطموحات، من شانها أن تستحث الكنيسة على تغيير الصورة التي تحملها عن ذاتها، هذه الصورة التي لا تعكس أحيانا الوجه الذي يريده لها المسيح وينتظره منها العالم.

إلى سؤال طرحته مجلة (لا في) الفرنسية على المطران فيلنيه، رئيس مجلس الأساقفة الفرنسيين الجديد، حول تغرب الشباب عن الكنيسة، أجاب: "لقاءاتي مع الشباب تكلفني غالياً! إنها محفز لي، وتحدث في شبه رجة... فحين يسألونني عما إذا كان للكنيسة كلمة تقولها لعالم اليوم، أجيبهم: لم يعد بوسع الكنيسة أن تكتفي بخطابات رنانة، فالحاجة إلى أعمال! إنهم واقعيون ويميلون إلى التشاؤم، فحذار من أن تبدو الكنيسة لهم وكأنها لا تطرح سوى مبادئ رجعية ولا تقوى سوى على دروس في الأخلاق"!

إن تغرب الشباب عن الكنيسة ظاهرة لم تعد خافية على احد، ترقى جذورها إلى عهد "العقلانية" حين كانت التيارات الفكرية تريد أن تُخضع كل الحقائق -حتى الدينية منها- للعقل. وقد ترسخت هذه الأفكار، مع تقدم العلم الذي بات يرفض كل حقيقة لا تخضع للاختبار، ومع تسرب موجة الإلحاد التي مهدت لها ظاهرة المادية، سواء في المجتمع الماركسي أو الرأسمالي... وإزاء كل هذه التحولات الفكرية، تحصنت الكنيسة وراء موقف دفاعي هجومي، وبقيت في شبه مواجهة سلبية دون أن تتمكن من النظر إلى هذه "التحديات" برؤية مستقبلية، بحيث باتت في نظر الشباب أشبه "بأيديولوجية" متحالفة مع النظام السائد ومنحازة إلى جانب الأقوياء والأغنياء... وكان ينبغي للكنيسة أن تنتظر انعقاد المجمع المسكوني لتتكب على ذاتها في "مراجعة حياة" غيرت ملامح الصورة التي تحملها عن ذاتها، وحملت العالم على اكتشاف صورتها الجديدة...

"شباب الكنيسة"! أليس هذا التوجه الذي تتخذه كنيسة اليوم نحو الشباب عاملاً هاماً يمكنها من استعادة شبابها، إن هي عرفت أن تنصت إلى أسئلتهم ومطاليبهم وحاجاتهم؟ أليس هذا الإنصات ذاته، من جانب الكنيسة، دليل تحول كبير من كنيسة لا تني تعلّم وتنهى وتؤنب وقد تحرم... إلى كنيسة تصغي وتتعلم ومن ثم تنادي، وفي منادتها استجابة لنداءات الروح؟ أليس في صوت الشباب وصراخهم نبرة نبوية توقظ الكنيسة من غفوتها، لتعود فتلتقي بإنسان اليوم حيث هو، في معانياته الواقعية وتطلعاته المشروعة، وتحمل إليه بشرى الفرح والتفاؤل، لا بلغة التخدير أو الاحتواء، بل بمنطق التطويبات ومتطلباتها العملية؟ أليس إلى هذه البشرى وإلى تجسيدها الفعلي يتطلع إنسان اليوم بأمل؟ ولا يمكن للكنيسة أن تخيّب هذا الأمل: إنها مسؤولية تتحملها أمام المسيح والإنجيل والتاريخ.

"كنيسة الشباب، شباب الكنيسة"! قالها ذاك الراعي الذي كان قد تجاوز السبعين آنذاك، وكأنه، بروح نبوية، كان يدعو كنيستنا العراقية إلى مضاعفة جهودها في التوجه نحو الشباب والإصغاء إليهم والتجاوب مع تطلعاتهم... ويقينه ان هذا التوجه يحمل الكنيسة على استعادة شبابها، وقبل أن يفوت الأوان!!

آذار ١٩٨٢

شهود القيامة

"قام المسيح"! بشرى تناقلها الرسل، غداة صلب ذاك المعلم الذي دعاهم يوماً إلى اتباعه، ولم يكونوا يدركون آنذاك إلى أين ستذهب بهم مجازفة اللحاق به... بشرى تناقلها المسيحيون الأولون بمثابة تعبير عن إيمانهم ورجائهم بذاك الذي قال عن نفسه انه "الطريق والحق والحياة". هذه البشرى هي صيغة إيمان الجماعة المسيحية الأولى التي عبرت، من خلالها، عن ثقتها بذاك "الحي بين الأموات"، لأنه سيد الحياة؛ وهي في الوقت ذاته شهادة إيمان حملها الرسل والمسيحيون الأولون إلى العالم، وهم على يقين من ان "يسوع الناصري الذي أيده الله وأجرى على يده المعجزات والآيات... قد أقامه الله"... وفق ما جاء في نبوءة داود: "... لأنك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك ينال منه الفساد" (أعمال ٢:٢٢-٢٣).

"قيامة يسوع من بين الأموات" هي خلاصة الإنجيل ومنطلق البشرى السارة التي حملتها الكنيسة الأولى إلى العالمين اليهودي والوثني: "فيما اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يبحثون عن الحكمة، ننادي نحن بمسيح مصلوب، عثرة لليهود وحماقة للوثنيين؛ أما للمدعوين من اليهود والوثنيين، فالمسيح قدرة الله وحكمة الله". بهذه العبارات أراد القديس بولس أن يؤكد بان "عثرة" الصليب تقابلها "سيادة" المصلوب على الإنسانية المفتداة بدمه، إذ إن موت يسوع حقق للإنسانية ولادة جديدة ورجاء جديداً. وسيادة المسيح على الإنسانية تجد أساسها في تحديه للموت:"إن حبة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتمت بقيت وحدها، وان هي ماتت أتت بثمر كثير".

لقد كان يسوع الناصري، في نظر اليهود، "مجدفاً" -هم الذين كانوا ينتظرون منقذاً-، وكان في نظر السلطة الرومانية الحاكمة "مشاغباً" يشكل خطرا على النظام السائد، فكان مقتله أمرا لا بد منه، تواطأت فيه السلطتان الدينية والسياسية. وهكذا بدا موت يسوع على الصليب، لأول وهلة، كأنه نهاية حتمية لذاك "النبي" الذي لم

يعرف أن يكسب السلطتين، وما عتّم أن دخل في طي النسيان! إلا أن موت يسوع -وذلك حدث سجله التاريخ اليهودي والروماني معاً- يقابله حدث تاريخي آخر: ولادة الكنيسة الأولى، حيث يبدو ذلك المصلوب في المركز منها، لأنه، بشهادة المسيحيين الأولين، "السيد" -ومعلوم ان لهذه التسمية مدلولا دينيا وسياسيا: فيسوع هو سيد الخليقة والتاريخ. فماذا حدث يا ترى بين هذين الحدثين؟ كيف أصبح يسوع الذي أسلم إلى الموت "سيداً ومسيحا"، أعني مساوياً لله؟

"إن اله آبائنا أقام يسوع، هذا الذي علقتموه على الخشبة وقتلتموه، هو الذي رفعه الله بيمينه وجعله قائدا ومخلصا... ونحن شهود بذلك". بهذه العبارة أعلن القديس بطرس إيمان الرسل والجماعة المسيحية بان معلمهم لم يكن مجدفاً أو مشاغباً، بل منقذاً ومخلصاً، ربا وسيدا، طالما ان الله أقامه ورفعه إليه حياً وأعطى له اسما يفوق كل اسم، مما في السماوات وما على الأرض. هذا هو "الحدث" الذي يقوم على إيمان المسيحيين بقيامة يسوع، حدث لم يكن بوسع المؤرخ أن يسجله بين أحداث التاريخ اليهودي أو الروماني. وهكذا نفهم بان "قيامة يسوع من بين الأموات" تعني انه عرف الموت، وفي الوقت ذاته ظفر بالموت، "إذ لم يكن بوسع الموت أن يضبطه"، كما نفهم مدلول الكلام الذي جاء على لسان الملاك للنسوة اللواتي بكرن إلى القبر: "لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات... ليس هو هاهنا، بل قام".

"قام المسيح"! فعل إيمان عميق بحضور يسوع... "قام المسيح... هللويا"! صرخة هي حصيلة خبرة إيمانية عاشها الرسل والمسيحيون الأولون، وعبروا عنها بصيغ مختلفة تصب كلها في تلك القناعة بأن يسوع الذي عرفوه عن كثب وسمعوه يعلم وتحققوا موته على الصليب... حي هو وحاضر في ما بينهم. "قام المسيح... ونحن شهود".

بشرى حملتها الكنيسة الأولى للعالم، معلنة بان موت يسوع وقيامته هما بدء عهد جديد للإنسانية، وان الإنسانية مدعوة إلى ولادة جديدة على مثال يسوع الذي حقق في ذاته "الفصح" -العبور- الذي يقوم في تحول البشرية من حالة العبودية والموت إلى حالة الحرية والحياة والأمل.

"قام المسيح"! فعل إيمان ورجاء نجاهر به نحن المسيحيين بذاك الذي كان ولا زال حيا في ما بيننا، وهو "باكورة الراقدين"، وعربون حياة وأمل لكل الذين يسعون إلى بناء إنسانية جديدة: "إن كنّا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا معه أيضاً".

نيسان ١٩٨٢

فلسطين في القلب

في أعقاب القرار التعسفي الذي اتخذته السلطات الصهيونية بضم مرتفعات الجولان، سرت انتفاضة شعبية عارمة في كل جنبات الأرض المحتلة، قابلتها أعمال قمع وإرهاب وحشية، فزادتها صموداً وعناداً. وارتفعت أصوات الاحتجاج بين المواطنين العرب، اثر قرار الكيان الصهيوني بعزل رؤساء البلديات العرب في كل من نابلس ورام الله والبيرة... وعمت الانتفاضة في كل مدن الضفة والقطاع، وامتدت إلى المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨، في كل من عكا وكفر قاسم والطيبة...

وبلغت انتفاضة شعبنا العربي في فلسطين أوَجَها في ذكرى يوم الأرض (٣٠ آذار)، حين أعلن إضرابا عاما عن العمل في كل أرجاء الأرض المحتلة، تعبيراً عن رفضه القاطع للاحتلال الصهيوني ومخططاته الاستيطانية، وعن تمسكه المكين بسيادته على أرضه السليبة، بالرغم من أساليب القمع والإرهاب التي مارستها قوات الاحتلال وذهب ضحيتها المئات من المواطنين العرب، رجالاً ونساءً، وقد تصدوا لنيران العدو ببسالة نادرة. لقد كان يوم الأرض يوماً مشهوداً في المواجهة الدامية التي خاضها شعبنا الفلسطيني، وبرهن من جديد على إرادته العنيدة في التصدي لكل المحاولات التي تهدف إلى تكريس الاحتلال والقبول بالأمر الواقع وتصفية القضية؛ كما برهن على صمود رائع في مواصلة النضال لاستعادة حقوقه المغتصبة في أرضه، وتحقيق طموحات أبنائه المشروعة في العودة إلى وطنه وبناء دولة مستقلة ذات عزة وسيادة.

وفي غضون هذه الانتفاضة، أقدمت سلطات الاحتلال، في أوائل نيسان، على عملية انتقامية محمومة، حين خرقت حرمة المسجد الأقصى وأطلقت النار على المصلين! وكان من نتائج هذه الجريمة النكراء التي لا تقل بشاعتها عن جريمة حرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩، أن صعّدت من انتفاضة شعبنا العربي في الأرض المحتلة، عبر تظاهرات واسعة النطاق، استشهد فيها العديد من المواطنين واعتقل الكثيرون. وارتفعت أصوات الاحتجاج والتنديد في الأوساط العربية والعالمية، المسيحية والإسلامية، مناشدة الضمير العالمي إلى وضع حد لهذه الانتهاكات ضد المقدسات، والتي تشكل تحدياً صارخاً للأمة العربية في كل مكان من الوطن العربي.

تلك هي خطط الكيان الصهيوني ضد الأمة العربية بشكل عام وضد الشعب الفلسطيني بشكل خاص، طيلة ٣٤ سنة من الاحتلال الجائر للأرض العربية، هذا الاحتلال الذي يتصل بفكرة الصهيونية الآثمة والذي تمتد جذوره إلى ذاك الشعار التضليلي الذي رفعه منذ نهاية القرن ١٩: "أرض بدون شعب لشعب بدون أرض"!! وما "يوم الأرض" سوى جواب ثوري على أطماع الصهاينة: فالأرض المغتصبة هي أرض عربية لشعب عربي، ولا يمكن لهذا الشعب أن يعيش إلا على أرضه ووطنه.

إن نضال الأمة العربية الطويل من اجل تحرير فلسطين شهد فترات من الصمود والتحدي، إلى جانب فترات اقل إشراقا، سواء بسبب تخاذل بعض الأنظمة العربية أم من جراء التجزئة والفرقة في الصف العربي، على صعيد الفكر والممارسة. إلا انه كان ولا يزال نضالاً أصيلاً تمتد جذوره إلى وجدان الأمة وشعورها العميق بوحدة المصير، إزاء المؤامرات التي تستهدف أمنها ووحدتها وسيادتها وكرامتها. وتتجلى أصالة هذا النضال في كون العرب جميعا أصحاب قضية عادلة: إنها قضية شعب تُمثّل فيه (إسرائيل) أبشع أنواع القهر والتنكيل والتشريد وابتزاز الأراضي وتحويلها إلى مستعمرات (أكثر من مليوني دونم منذ احتلال عام ١٩٦٧) بهدف محو هويته الخاصة.

وإزاء قضية كبرى في مثل هذا المستوى، لا يمكن للأمة العربية ألا تناضل من اجلها، بكل الوسائل المتاحة -وليست الحملات الإعلامية في الخارج من اقلها شأنا- أية كانت الضغوط والمساومات التي تمارسها القوى الكبرى. كما لا يمكن للدول العربية ألا تضع هذه القضية في القلب من كل النضال الذي تقوم به، وتسعى بشكل جاد إلى التصدي لكل المحاولات التي تهدف إلى تصفية القضية. فإذا ما تنازلت الأمة عن هذا النضال أو تهاونت في ممارسة مسؤولياتها فيه، مُنيت بالتفكك وبحالة من اليأس تنعكس ولا شك على حياة الأمة ككل وعلى مسيرتها التحررية وعلى مستقبلها...

ولنا في الحرب الدائرة بين العراق وإيران، على طول الجبهة الشرقية من الوطن العربي، خير مثال على النضال الذي يؤديه شعبنا العراقي، باسم الأمة ونيابة عنها: من اجل ترسيخ سيادته الوطنية وتعزيز سيادة الأمة وكرامتها. إنها معركة قومية، بكل معنى الكلمة، ضد كل أشكال الهيمنة والاغتصاب، تتعدى كونها معركة على حدود... وتستحق من ثم أن يتجند لها كل أبناء الأمة مهما اختلفت قومياتهم وأديانهم وأيديولوجياتهم الفكرية والسياسية. إن هذه الحرب، بالرغم من التضحيات التي قدمتها، هي بحق محك لكل النضال الذي تقوم به الأمة من أجل تحررها وسيادتها وعزتها.

أيار ١٩٨٢   الموصل في ٣٠ نيسان ١٩٨٢

من أجل شهادة مسيحية

وكل المسيح إلى رسله مهمة نقل البشارة الإنجيلية إلى العالم اجمع: "اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها". ومهمة نقل بشارة الإنجيل هي "شهادة" حية أداها الرسل لذاك الذي قال عنه يوحنا الرسول: "ما سمعناه ورأيناه بأعيننا وتأملناه ولمسته أيدينا... به نبشركم"، هم الذين فهموا جيدا أن الكرازة بالإنجيل تقوم على الشهادة ليسوع، بكلامهم ولاسيما بحياتهم -وليس ابلغ من شهادة الحياة! ألم يوصيهم يسوع، قبيل صعوده إلى السماء، بالشهادة له: "انكم ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم فتكونون لي شهودا في أورشليم وفي جميع اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض"؟ أما حامت خطبة القديس بطرس، غداة العنصرة، على مسامع سكان أورشليم، حول الشهادة ليسوع القيامة: "إن يسوع الناصري، الإنسان الذي أيده الله لديكم بالعجائب والمعجزات والآيات التي أجراها على يده في ما بينكم... وقتلتموه... قد أقامه الله... ونحن جميعا شهودا"؟ ألم يجب بطرس ويوحنا، غداة القبض عليهما ومحاكمتهما وتهديدهما بألا يكلما أحداً باسم يسوع: "نحن لا نقدر أن لا نتكلم بما عاينا وسمعنا"؟

فالشهادة ليسوع، بالكلام والحياة، هي ملخص الكرازة الإنجيلية التي أوقف الرسل أنفسهم خداماً لها حتى الشهادة بالدم. وهذه الشهادة كانت تتطلب من هؤلاء الشهود إيماناً عميقاً بذاك الذي قال "أنا نور العالم"، وحباً صادقاً لذاك الذي "مر بين الناس يصنع الخير"، وثقة وطيدة بكلامه "هو الذي لم يتكلم احد مثله قط". ولقد ترسخ هذا الإيمان وذاك الحب وتلك الثقة طيلة مسيرتهم معه. هم الذين ترددوا حيناً، وشكوا حيناً آخر، وامسكوا أحياناً عن المسير معه، ومُنيوا أحياناً أخرى كثيرة بخيبات أمل مريرة... ولكنهم مع ذلك توسموا فيه إنساناً جديراً بالحب والثقة، فقبلوا مجازفة اللحاق به وربط مصيرهم معه: "إلى من نذهب يا رب، وعندك كلام الحياة"؟

هذه الشهادة عينها، مطالَبون بها نحن الذين آمنا بيسوع، على شهادة أولئك الرسل الأولين، وأيقنا انه "الطريق الحق والحياة"، وعلمنا يقينا إن "ما من خلاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسم آخر أعطي في الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٤:١٢). غير اننا مطالبون بالشهادة ليسوع، بالكلام والعمل، على مرأى ومسمع من العالم اجمع، وبنوع خاص في وطننا ومجتمعنا ومحيطنا، سواء كنا طلبة أو موظفين أم عمالا أم فنيين أم جنوداً أم ذوي مهن حرة...

هناك كثير من المسيحيين يرددون هذا القول الشائع: "لدينا جوهرة لا نعرف قدرها"! هذه العبارة تعكس شعورا لديهم بقلة التزامهم في أداء الشهادة للمسيح، وقد يبررون بها قلة التزامهم! ما الذي يمنعهم، يا ترى، من الشهادة التي هي أمانة في عنقهم؟ قد يحتجون بنقص في ثقافتهم الدينية، وبعدم قدرتهم على التوفيق بين الالتزام المسيحي ومتطلبات الحياة وهمومها... ألا يحمل هذا الشعور ذاته دعوة إليهم للعودة إلى ينابيع الإيمان ومتطلباته العملية، يستقونه من إنجيل يسوع؟ وقد يغذّون أحيانا مفهوما تضحي معه مسؤولية الشهادة للمسيح وقفا على رجال الكنيسة! أليست تلك حجة سهلة للتنصل من المسؤوليات التي يضعها العماذ على عاتقهم، وتفرضها عليهم دعوتهم المسيحية؟

والأنكى من ذلك، أنهم يقنعون أنفسهم بان شهادتهم لا تلقى أذنا صاغية، ولا تجد أرضاً خصبة في أولئك الذين يحيطون بهم -وكان عليهم أن يتساءلوا عن فحوى وصيغة الشهادة التي يؤدونها أو عن مدى عمقها وأصالتها...

فعلى مَ تقوم هذه الشهادة؟

إذا كان إنجيل يسوع حقا بشرى الفرح والرجاء، فلا بدّ لنا نحن تلاميذ يسوع أن نكون شهود الفرح، نعكسه في وجه الذين يتألمون ويعانون من البؤس بمختلف أشكاله. كما علينا أن نكون شهود الرجاء في ما بين الذين غرّبهم اليأس وقتلتهم العزلة وكبلتهم الاستلابات على اختلافها.

وإذا كان إنجيل يسوع حقا بشرى الحرية والتحرر، فكيف يمكننا، نحن المسيحيين، حاملي إنجيل يسوع، أن لا نكون شهود الحرية بأعمق معانيها، ولا نحمل راية التحرير إلى كل المستضعفين

والمقهورين والمضطهدين والمهانين في كرامتهم، في كل مكان من هذا العالم؟ ألا تتلخص بشارة الإنجيل في كلمات اشعيا التي اختصها يسوع لنفسه: "مسحني لأبشر المساكين، وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، وأطلق المرهقين أحرارا"؟

وإذا كان إنجيل يسوع هو حقا رسالة محبة وسلام، كان من الواجب علينا، نحن رسل يسوع، أن نكون شهود المحبة والسلام في كل مكان، في ما بين كل الشعوب والأمم، فنجسد، في مواقفنا وسلوكيتنا، تلك المحبة -علامتنا الفارقة- التي تعرف أن تتخطى كل الفوارق العرقية والقومية والطبقية والدينية والمذهبية، ونسعى، مع كل ذوي الإرادة الصالحة، إلى إشاعة الأخوة بين البشر والتضامن من أجل بناء عالم أفضل يقوم على الحق والعدل والحرية... وتلك هي الأسس التي يقوم عليها السلام.

حزيران - تموز ١٩٨٢

في انتظار مؤتمر القمة السابع

كُنّا على موعد، في السادس من أيلول، مع مؤتمر القمة السابع لحركة دول عدم الانحياز الذي كان من المقرر أن ينعقد في بغداد. وقد استعد له العراق طيلة ثلاث سنوات من العمل الدؤوب، بالرغم من الظروف القاسية التي خلفتها الحرب العراقية-الإيرانية، وقد مضت سنتان كاملتان على اندلاعها. وأصبحت بغداد -بفضل المشاريع والمنجزات العمرانية الضخمة، وفي مقدمتها قصر المؤتمرات الشامخ- أهلا لاستضافة ملوك ورؤساء الدول الأعضاء في حركة عدم الانحياز. ولم يكن اختيار الدول الأعضاء لبغداد مكانا لانعقاد المؤتمر، إلا لان العراق، في ظل ثورته القومية التقدمية، لعب دوراً متميزاً على صعيد الحركة واحتل موقعاً مرموقا على المستوى الدولي.

وفيما نحن على قاب قوس من هذا المؤتمر الذي سيسجل منعطفا هاما في تاريخ حركة عدم الانحياز، لا بدَّ لنا أن نلقي بعض الضوء على الأهداف والمبادئ الأساسية التي تجلت في مؤتمرات الحركة والتي تلتقي في جوهرها وتوجهاتها الأساسية -في ما يتعلق بحقوق الإنسان في حياة حرة كريمة تسودها العدالة، وحقوق الشعوب في التحرر والاستقلال والسيادة، والاعتراف بمبدأ المساواة بين الأعراق والدول، كما نصت عليها مقررات باندونك (اندونيسيا) عام ١٩٥٥- تلتقي مع تعليم الكنيسة حول القضايا الاجتماعية/السياسية والتي تعكسه وثيقة المجمع المسكوني "الكنيسة في عالم اليوم" ورسائل الباباوات الحديثة، ونخص بالذكر رسالة يوحنا ٢٣ "الكنيسة أم ومعلمة" (١٩٦١) ورسالة بولس السادس "في تقدم الشعوب" (١٩٦٧).

حين نسمع كلمة "الحياد" أو "عدم الانحياز"، فأول ما يتبادر إلى ذهننا هو هذا التساؤل: هل يمكن للدول في عصرنا أن تدعي "الحياد" إزاء الصراعات والمنازعات الدولية؟ وماذا يعني "عدم الانحياز" في ظل

وفاق دولي بين الدول العظمى على مراكز النفوذ؟ وهل إن حركة عدم الانحياز تنفي انتماء الدول الأعضاء إلى أية كتلة أو أية أيديولوجية؟

إن الحياد الذي أعلنته الدول المؤسسة للحركة في باندونك هو "الحياد الايجابي" الذي ينفي السلبية تجاه الصراع الدولي. وحين استُبدلت التسمية بـ (عدم الانحياز) في مؤتمر بلغراد الأول عام ١٩٦١، كانت أهداف الحركة قد تبلورت واتخذت شكل تضامن عميق بين الدول النامية التي تجمعها مشاكل واهتمامات وتطلعات مشتركة، بوجه المطامع الامبريالية والأحلاف العدوانية التي نشأت في الغرب والشرق. من هذا المنطلق، أضحت حركة عدم الانحياز حركة "منحازة" إلى جانب دول العالم الثالث، في نضالها ضد التبعية والهيمنة، وفي تطلعاتها إلى الحرية والاستقلال على الصعيدين السياسي والاقتصادي. وقد قالها الرئيس القائد صدام حسين في خطابه في مؤتمر هافانا الأخير: "لقد نشأت حركة عدم الانحياز في العصر الحديث تعبيرا عن حاجة أصيلة وقوية لدى شعوب العالم التي عانت فترات طويلة من السيطرة والتهديد الاستعماريين لحريتها وثرواتها وشخصيتها القومية وتراثها الثقافي القومي، ومن شتى أشكال النهب والابتزاز الاستعماري" (راجع ف.م. عدد تشرين الأول ١٩٧٩).

فبين باندونك والمؤتمر السابع، ٢٧ عاماً من الخبرة اكتسبتها حركة عدم الانحياز التي أرادها روادها الأوائل-نهرو وتيتو وجمال عبد الناصر وسوكارنو...- حركة حياد ايجابي إزاء الصراعات الدولية التي تجسدت، غداة الحرب العالمية الثانية، في سياسة "الحرب الباردة" بين قطبين رئيسين اعتمدا سياسة المحاور. وكان لا بدّ للدول النامية -وتؤلف ثلثي المجتمع الدولي- أن تشق طريقها الخاص، بأسلوب جديد، عبر حركة سياسية تعبر عن تطلعات الإنسان والشعوب إلى الحرية والعدالة والسلام.

وإذا كانت "الحرب الباردة" في الخمسينات ظرفا مؤاتيا لقيام الحركة، إلا أن الحركة تخطته في مؤتمراتها اللاحقة، حين وضعت أسسا مبدئية ثابتة للعلاقات بين الدول، تنفي كل أشكال التفرقة والاستعمار والابتزاز التي تمارسها الدول المتقدمة بحق الدول النامية. وإذا كان مؤتمر قمة بلغراد (١٩٦١) قد وجه اهتمامه إلى إزالة

الاستعمار الذي كانت تعاني منه الدول الافرو آسيوية، وتحقيق السيادة السياسية للدول الأعضاء (٢٩ دولة)، فلقد انكب مؤتمر القمة الثاني في القاهرة (١٩٦٤) على مشاكل التنمية في العالم الثالث، عبر توجه أصيل يقوم على القناعة بان التحرر السياسي يستوجب تحررا اقتصاديا كاملا، وإلا أضحت الدول النامية عرضة لاستعمار من نوع جديد.

وتجسدت هذه النقلة النوعية في أهداف الحركة في المؤتمر الثالث في لوساكا (١٩٧٠) حين أعطيت الأولوية لقضية تعزيز العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء، بهدف تمكينها من السيطرة الكاملة على مواردها الطبيعية. وقد خطا مؤتمر الجزائر الرابع (١٩٧٣) خطوة إلى الأمام حين أعلن عن ضرورة قيام "نظام اقتصادي عالمي جديد" يكون قادرا على تقليص التفاوت بين الشعوب وتحقيق عدالة أكبر بين الدول... وفي هذا المؤتمر وقفت دول عدم الانحياز إلى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله العادل ضد الاحتلال الصهيوني. وبعد أن جسد المؤتمر الخامس في كولومبو (١٩٧٦) توجهات الحركة في السعي إلى الحد من استغلال الدول الصناعية والشركات متعددة الجنسية، في أعقاب ما يسمى بـ "حرب النفط"، كشف مؤتمر قمة هافانا الأخير (١٩٧٩) عن تفاقم اختلال التوازن في الاقتصاد العالمي، ودعا إلى إرساء أسس تعاون جاد وفعال بين الدول النامية لمواجهة تحديات الدول الصناعية... وفي هذا المؤتمر طرح الرئيس صدام حسين فكرة إنشاء صندوق عالمي لمساعدة البلدان النامية على التخفيف من انعكاسات التضخم المستورد إليها من البلدان الصناعية.

فعلى هذا التعاون الجاد يتوقف مستقبل الحركة، وإلى تكثيف هذا التعاون وبرمجته يهدف مؤتمر القمة السابع الذي ينتظر أن يحقق "تغيراً نوعياً في مسار الحركة" على حد تعبير الرئيس القائد صدام حسين.

الكتاب المقدس كلام الحياة

عدد خاص

حين تقع أنظارنا على "الكتاب المقدس"، نجدنا، لأول وهلة، إزاء كتاب تخيفنا ضخامته ولا نجد في أنفسنا الشجاعة لقراءته أو تصفحه... كتاب هو بالأحرى كتب تختلف في الحجم والمضمون والأسلوب، تتجاور فيها القصة التاريخية مع الشرائع والسنن، وتقترن الحكمة الشعبية بالملحمة الشعرية، وتختلط النبوة بالأمثولة، والكرازة بالصلاة.

ويخيل إلينا بادئ بدء أن لكل سفر من أسفاره كاتبا معينا واحدا، وسرعان ما نكتشف بان معظم كتابه مجهولون: تلك حالة العديد من أسفار العهد القديم، وبنوع خاص أسفار التوراة التي تنسب خطأً إلى موسى! وقد يكون هناك كتبة كثيرون وراء سفر واحد: تلك هي الحال في سفر المزامير والأسفار الحكمية وحتى أسفار الأنبياء! وغالبا ما نجهل تاريخ كتابة الأسفار المقدسة بالضبط، وقد كتبت على مدى ألف سنة، ولا يكاد أقدم سفر مكتوب يتجاوز القرن السابع قبل الميلاد، أي بعد وقوع الأحداث بعدة قرون، فضلا عن أن أسفاراً برمتها ترقى نشأتها إلى تقاليد شفهية موغلة في القدم -لها جذور في الحضارات القديمة- دُونت من ثم على مراحل قد تمتد على بضعة قرون، كما هي الحال بالنسبة إلى أسفار التوراة التي لم تكتمل كتابتها إلا في القرن الخامس، وسفر المزامير الذي لم يصلنا كاملاً إلا في القرن الرابع... ويصح ذلك في الأناجيل ذاتها -وهي كرازة أُعلنت قبل أن تُدوَّن، ودُونت بعد عشرات السنين من قيامة المسيح.

وإذا ما انكببنا على قراءة عابرة لهذا الكتاب، يأخذنا العجب من المناخ الذي تسبح فيه بعض الأسفار: فتستثير دهشتنا -لا بل شكوكنا- قصصه الغريبة حيث نجدنا إزاء اله مخيف، يحارب وينتقم ويحقد ويمكر! ونجدنا إزاء "تاريخ" يعكس صورة شعب بدائي رائده

القتل والتدمير، ويسخر بكل القيم والمقاييس!... وسرعان ما نكتشف اننا بإزاء "أساليب أدبية" مختلفة: فهناك الأسلوب الرمزي الذي يمتزج بالأسلوب التعليمي، ولا نكاد نرى الحدود الفاصلة بين الأسلوب التاريخي والأسلوب الجدلي، وتنتقل بنا الأسفار من الأسلوب الحكمي والتربوي إلى الأسلوب الشعري والفلسفي والرثائي والنبوي وحتى الغزلي... وهكذا هي الحال في العهد الجديد ذاته حيث تتميز في أسفاره أساليب مختلفة تمتزج فيها الكرازة بالتاريخ، والرسالة بالنشيد الطقسي، والرؤيا بالصلاة...

أمام الكتاب المقدس -ويضم ٧٣ سفراً، ٤٦ منها تؤلف العهد القديم- لسنا بإزاء تراث أدبي ثمين يضم بين دفتيه مجموعة من المعلومات الدينية والاجتماعية والحضارية والتاريخية والقانونية والسياسية وحسب. ومن العبث أن نبحث فيه عن معطيات تاريخية أو علمية بالمعنى الدقيق، ومن الخطأ الجسيم إن نحن أردنا أن نوفق بين معطياته ومعطيات العلم والتاريخ: كأنْ نبحث في سفر التكوين عن أصول الخليقة والكون... أو نتوقع من أسفاره "التاريخية" أن ترسم لوحة كاملة عن تاريخ شعب العهد القديم والشعوب المجاورة والحضارات السائدة آنذاك... أو ننتظر من الأناجيل أن تطلعنا بشكل دقيق على حياة يسوع بمراحلها وتفاصيلها...

الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، هو كتاب الله والإنسان معاً! كتاب يحكي قصة العلاقة بين الله والإنسان: إله يتكلم ويدعو ويناشد، وإنسان يبحث ويتساءل ويردّ. فكتّاب الأسفار المقدسة كانوا على يقين من أنهم حاملو رسالة الله إلى الإنسان: إنهم يبلّغون، من خلال "مؤلفاتهم" الملهَمة، نداءات الله إلى البشر، ويعكسون تساؤلات البشر وردود فعلهم، ضمن التاريخ البشري وليس خارجاً عنه. وإذا كان "العهد القديم" برمته يحكي قصة الخلاص الذي أراد الله أن ينجزه في البشرية، من خلال شعب اختصه، وعبر "عهد" تخللته خيانات وانحرافات وتعثرات من جانب الشعب، إزاء حب الله وأمانته وطول أناته... فالعهد الجديد يكشف عن علاقة جديدة بين الله والإنسانية، عبر ذاك الذي جاء إلى عالمنا يجسد حب الله وخلاصه: يسوع، كلمة الله التي بلغت إلينا في "ملء الزمان": "بأنواع كثيرة وطرق شتى كلم الله آباءنا على السن الأنبياء منذ القديم، وفي هذه الأيام الأخيرة، كلمنا بابنه... (عبرانيين ١:١). فكل قراءة للعهد الجديد تستغني عن العهد القديم تضحي قراءة مبتورة، وكل قراءة للعهد القديم لا تستلهم

أضواء العهد الجديد تضحي هي الأخرى قراءة منتقصة... ذلك لان العهد القديم وجد اكتماله وكل معانيه في يسوع "حجر الزاوية" بين العهدين.

هكذا قرأ المسيحيون الأولون العهد القديم على ضوء خبرتهم الإيمانية الجديدة. وبهذا الشكل انكب المسيحيون في كل زمانٍ ومكان على قراءة الكتاب المقدس، فوجدوا فيه غذاء لا ينفد ومعيناً لا ينضب؛ وهكذا ينبغي لنا اليوم أن نقرا الكتاب المقدس بعيون الإيمان، وفي إطار الخبرة الحياتية التي نعيشها، في محاولة إلى اكتشاف علامات حضور الله واكتناه نداءاته والتجاوب معها.

قراءنا الأعزاء... إليكم هذا العدد

وكان لا بدَّ "للفكر المسيحي" أن تفرز عدداً خاصاً للكتاب المقدس الذي كان ولا يزال مصدر وحي والهام لأجيال من المسيحيين في مسيرتهم الإيمانية، ودليلا لا غنى عنه في مغامرة البحث عن الله واللقاء به والدخول في حوار معه... وإزاء مهمة بهذا المستوى، كان لا بدَّ لهذا العدد أن يقتصر على رسم الخطوط العريضة لهذا الكتاب الثمين الذي لا تقوى مجلدات برمتها أن توليه حقه من البحث والدراسة، أو أن تحيط بكل كنوزه وخفاياه... فكان جل مبتغانا أن نقدم للقراء مدخلا إلى الكتاب المقدس يبدد جزءا من الظلال التي تكتنفه، ويذلل بعض الصعاب التي تعترضه، ويجيب إلى عدد من التساؤلات التي تثيرها قراءته.

فمن التساؤلات التي تتبادر إلى الذهن: إلى أي مدى يتمتع الكتاب المقدس "بالتاريخية"؟ هذا الموضوع تلقي عليه الأضواء (نبذة عن تاريخ الكتاب المقدس ومخطوطاته القديمة)، وتضفي عليه (التنقيبات الأثرية الأخيرة) مزيدا من الضوء، بالإضافة إلى (لوحة تاريخية) تستعرض ابرز أحداث التاريخ المقدس في صلتها بالتاريخ المدني.

كيف نقرا الكتاب المقدس؟ إزاء المآزق التي يزجنا فيها الكتاب المقدس والإشكالات التي تحدثها فينا قراءته، لا بدَّ أن نعتمد مبدأ (الأساليب الأدبية) التي هي خير "مدخل" إلى قراءة سليمة؛ وفي إطار البحث عن الحدود بين دور الله ودور الكتّاب الملهم، يهدف مقال (الوحي والإلهام في الكتاب المقدس) إلى تبديد الكثير من الأوهام والأفكار المسبقة، ساعيا إلى استجلاء ما أراد الله أن يقوله من خلال الأسفار المقدسة، بالرغم من اختلاف مضامينها وأساليبها.

وإذا كان الكتاب المقدس بحق "تاريخ الخلاص" الذي أراد الله أن ينجزه في البشرية، فلقد لعب الأنبياء دورا متميزا في تعميق فكرة الخلاص وشموليته... هذا الدور يعكسه مقال (نظرة في شمولية الخلاص من خلال الأنبياء). ويجد "تاريخ الخلاص" اكتماله في يسوع الذي أرسله الآب "منقذا ومخلصا"، هو الذي، بفضل موته وقيامته، ابرم مع البشرية جمعاء "عهدا جديدا"، هو بشرى بولادة عالم جديد... إلى هذا العهد يولجنا مقال (مدخل إلى العهد الجديد). وسيتيح لنا مقال (العهد القديم في العهد الجديد) أن نقتفي آثار المسيحيين الأولين في قراءتهم للعهد القديم على ضوء العهد الجديد. وهذه القراءة تمت على ضوء قيامة المسيح، وقد كانت بالنسبة لهم منطلقا للكشف عن المعاني العميقة التي استترت وراء نصوص العهد القديم (قراءة الكتاب المقدس على ضوء القيامة).

المسيح مات وقام، ونحن شهود بذلك! تلك هي خلاصة "الكرازة الإنجيلية" التي يعلنها العهد الجديد: فالإنجيل بشرى أعلنت قبل أن تُدوَّن، حملها إلينا ذاك الذي جاء ليعلن للبشر خلاص الله (الإنجيل والأناجيل). وسفر أعمال الرسل رسم بدايات الكرازة التي أوقف لها حياتهم أولئك الشهود الأوائل لموت وقيامة المسيح (قراءة في كتاب أعمال الرسل). ورسائل القديس بولس سلطت أضواء الإنجيل على حياة الكنيسة الناشئة، في مسيرتها وتعثراتها (بولس في رسائله).

والكتاب المقدس هو بالتالي دليل "الحياة المسيحية"، عليه تستند مسيرتنا الإيمانية، وعلى ضوئه نسير في مسالك الحياة: انه دعامة (التثقيف المسيحي) و (غذاء الحياة الروحية).

فإذا كان لنا ملاحظة نسوقها إلى القراء، فهي أن ينكبوا على قراءة هذا العدد، وإلى جانبهم الكتاب المقدس، يرجعون إليه كل مرة دعتهم المقالات إلى ذلك: قراءة كهذه هي أشبه بدراسة تُجنى منها أشهى الثمار. وإذا كان لنا إليهم طلب، فهو أن يمدونا بآرائهم وردود فعلهم ويطرحوا علينا تساؤلاتهم التي نأمل أن نجيب إليها في الأعداد اللاحقة.

ختاماً، نحن على يقين من أن هذا العدد، بالرغم من دسامته وغزارة مقالاته، ترك فجوات كثيرة، حين أجاب إلى بعض التساؤلات وأيقظ تساؤلات أخرى كثيرة بقيت من دون جواب: إلا إن جل ما توخيناه هو أن نخلق لدى قرائنا شوقاً إلى قراءة الكتاب المقدس، ورغبة في الغرف من ينابيعه الصافية، واستعداداً للدخول في مفامرة العيش بوحيه وعلى ضوئه.

تشرين الأول – تشرين الثاني ١٩٨٢

الميلاد ... ولادة جديدة

ميلاد يسوع، طفل بيت لحم، يثير فينا، كل عام، مشاعر الحب والوداد والفرح، ويذكي فينا الدوافع إلى البذل والعطاء، ويحرك في أعماقنا الحاجة إلى التسامح والمصالحة والأخوة... أليس من أجل أن ينبت الحب في الناس وُلد المسيح؟ أليس من أجل أن يصبح "العطاء أكثر غبطة من الأخذ" ولد المسيح؟ أليس من أجل أن يدرك البشر جميعا أنهم أولاد الله وإخوة بعضهم لبعض ولد المسيح؟

ليلة الميلاد ... يُمّحى البغض
ليلة الميلاد ... تُزهِرُ الأرض
ليلة الميلاد ... تُدفَنُ الحرب
ليلة الميلاد ... يَنبت الحب

هذا النشيد الذي تصدح به الحناجر، في ليلة الميلاد، يوجز رسالة الميلاد في الحب والسلام: حب تنتفي معه الاثرة والأنانية والبغضاء، وتصفى فيه الأحقاد والنزاعات بين الناس... وسلام تزول معه المشاحنات والمطامع، وتُصان فيه الحقوق والحريات، وتُدفن الحروب إلى غير رجعة...

"ها أنا أجعل كل شيء جديداً"!

ميلاد يسوع فاتحة عهد جديد للبشرية الجالسة في "الظلمة وظلال الموت": فميلاده في بيت لحم، أعاد للأطفال كرامتهم، هو الذي ارتضى أن يكون طفلا بين أطفال، وسيقول يوما على مسامع الكبار: إن لم تعودوا كالأطفال، لن تدخلوا ملكوت السماوات! ميلاده في مذود، تقييم للفقر، وقد ارتضى به حالة رفعت من مكانة الفقراء الذين يرفضهم المجتمع ويحتقرهم ويتركهم يعيشون على الهامش،

هم الذين أعطاهم الطوبى في موعظة الجبل: طوبى للمساكين، فان لهم ملكوت السماوات! بميلاده الوضيع اصطف يسوع إلى جانب أولئك "المساكين" الذين كانوا ينتظرون خلاص الله من أعماق وجدانهم: طوبى للحزانى، فإنهم يُعزّون! وبميلاده، بُشّرَ بالخلاص والتحرر كل المستضعفين والمقهورين والمظلومين والمستعبدين: هو الذي اختص لنفسه كلمات اشعيا النبي: أرسلني لأبشر الفقراء، وابلغ المأسورين إطلاق سبيلهم، والعميان عودة البصر إليهم، وأفرّج عن المظلومين...! وبميلاده، منح السلام لكل ذوي الإرادة الصالحة، أولئك الذين يسعون إلى توطيد الحق والحرية والعدالة: طوبى للجياع والعطاش إلى البر، فإنهم يُشبعون... طوبى للساعين إلى السلام، فإنهم أبناء الله يُدعَون!

عندما نسقي عطشان كأس ماء ... نكون في الميلاد
عندما نكسي عريان ثوب حب ... نكون في الميلاد
عندما نكفكف الدموع في العيون ... نكون في الميلاد
عندما نفرش القلوب بالرجاء ... نكون في الميلاد

ميلاد يسوع هو دعوة للبشرية إلى ولادة جديدة! وتتمخض هذه الولادة عن ثورة على كل ما في الإنسان من إثرة وكبرياء وطمع وبخل وحسد وحقد وكراهية وكذب ورياء... وتسفر عن قيام علاقات تتسم بالحب والثقة والإخلاص والتسامح والخدمة والعطاء...

فإذا كنا نريد أن يكون لاحتفالنا بالميلاد معنى، فلا بد من أن نولد من جديد لحياة يكون الحب لحمتها وسداها: فحيث الحب هناك الحياة! ألم يكتب القديس يوحنا في رسالته: من لا يحب يثبت في الموت، أما من يحب فقد انتقل من الموت إلى الحياة؟ فلا حياة من دون حب... ومتى دخل الحب إلى العالم، انتفت الكراهية والبغضاء بين الناس، وتقلصت المسافات بين البشر، وزالت المظالم بين الشعوب، ودُفنت النزاعات والحروب بين الأوطان...

فالميلاد هو، إذن، ميلاد الحب... ومتى ولد الحب، ولد الحق، والعدل، والحرية، والسلام. أليس الحب طريقا إلى الحق؟ أليس الحب أساساً للعدل؟ أوَليس على الحب ترسو الحرية؟ أوَليس الحب سبيلاً إلى السلام؟ وإذا كنا نريد السلام، علينا أن نحترم الحرية... وإذا كنا

نصبو إلى الحرية، أفلا ينبغي علينا أن نرسيها على العدالة... وإذا كنا نطالب بالعدالة، أفلا يتحتم علينا أن نصون الحق... وإذا كنا نسعى إلى الحق، فعلينا بالحب... وإذا أحببنا كانت لنا الحياة، وكانت لنا كاملة، ونكون قد امتلأنا من الله: "من يحب، فهو مولود من الله ويعرف الله، لأن الله محبة... من أقام في المحبة، أقام في الله وأقام الله فيه"!

ليكن ميلاد المسيح فرصة لولادة جديدة في الحب! والحب الذي نحن مطالبون به هو حب يقوم على البذل والعطاء... حب لا يعرف حدودا بين البشر... حب يتخطى الفوارق الطبقية والقومية والدينية والأيديولوجية... حب ينحني عل كل الذين مسهم الفقر وانتابهم البؤس وغرّبهم الشقاء... حب يلتفت إلى حيث الحزن واليأس، إلى حيث الحقد والضغينة... حب يهرع إلى حيث التجاوزات والمظالم والاستلابات...

وفي الظروف القاسية التي يمر بها قطرنا الحبيب من جراء الحرب التي استبسل فيها جيشنا، وسفك العديد من شهدائنا دماءهم رخيصة، شهادة لحبهم للوطن ودفاعا عن عزته وسيادته... لا يسعنا إلا أن نرفع الأدعية الحارة إلى المسيح، رسول الحب والسلام، كي يبارك في الجهود التي تبذلها قيادتنا الحكيمة -ومعها كل ذوي المساعي الحسنة- من أجل إعادة السلام، حقنا لدماء الأبرياء من كلا الشعبين الجارين. فإذا كان السلام عطية من الله، إلا انه لا يتم إلا بمؤازرة كل ذوي الإرادة الصالحة الذين سيحق لهم أن ينعموا بالطوبى التي أعطاها المسيح "لفاعلي السلام".

كانون الأول ١٩٨٢

١٩٨٣

على عتبة العام الجديد

يطل علينا العام الجديد ونستعد لاستقباله بالتطلعات والأماني، ونجهل ما يخفيه من مفاجآت، بعضها سيكون سارا ولا شك، فيما بعضها الآخر يلفه الغموض والقلق. وقبل ان تتجه أنظارنا بأمل إلى العام المقبل، تنتصب في ذاكرتنا أحداث العام المنصرم، بومضاتها وشجونها، ونحاول أن نقيس أبعادها ومردوداتها على مصير ومستقبل شعبنا وشعوب العالم والبشرية جمعاء.

انتقالنا من عام إلى عام، فرصة لمراجعة حياة حول ما حمله إلينا العام المنصرم من أفراح ومآسٍ، في إطار محاولة جادة لإعادة النظر في القضايا والأحداث التي نُسج منها العام المنصرم، وتقييمها في واقعها وانعكاساتها، والحكم عليها بنظرة ناقدة بفضل البعد الزمني الذي يفصلنا عنها. وانتقالنا من عام إلى عام، فرصة لاتخاذ مواقف جديدة من القضايا والأحداث التي شهدها العام المنصرم، على ضوء إيماننا وقناعاتنا الدينية والخلقية، وفرصة لمقاصد ومخططات حول ما نريد أن يحمله إلينا العام الجديد، في إطار مسعى جاد إلى أن تتجسد التطلعات في الواقع وتتخذ الأماني صيغة فعل وتخرج الرغبات إلى حيز التنفيذ.

وأول ما تتجه إليه أنظارنا، ونحن نودع العام، الحرب العراقية-الإيرانية التي مضى على اندلاعها أكثر من سنتين، ودفع العديد من شهدائنا الأبرار دماءَهم الزكية ثمنها، وما زال جنودنا البواسل، في كافة الجبهات، يقاتلون فيها ببطولة وإقدام، دفاعا عن سيادة العراق واستقلاله وعزته. ولقد بات واضحا أن الحرب -كل حرب- مأساة، بما تفرزه من ويلات، إذ تخلف الدمار وتزعزع الاقتصاد

الوطني وتعطل مسيرة التقدم والبناء وتخلق المعضلات النفسية والخلقية والاجتماعية... ففيما نأمل أن تلقى نداءات السلام المتكررة بفم الرئيس القائد أذناً صاغية لدى حكام إيران، نتضرع إلى الباري عز وجل أن يبارك في المساعي التي تهدف إلى فض هذا النزاع الذي طال أمده، فيعود الأمن والاستقرار إلى البلدين الجارين.

وتتجه أنظارنا أيضاً إلى الشعبين الجريحين، اللبناني والفلسطيني، اللذين عانيا كثيراً من التدخل في شؤونهما والتلاعب في مصيرهما، ولا سيما في أعقاب الاحتلال الصهيوني الغاشم للبنان في حزيران الماضي والمذبحة الرهيبة التي أعقبته في مخيمي صبرا وشاتيلا والتي ذهب الألوف من الأبرياء ضحيتها. فبنظرة مليئة بالأمل، نتطلع إلى أن يعود لبنان حراً وسيداً ينعم بالوحدة والاستقلال، وان تلقى القضية الفلسطينية حلا عادلا ومشرفا يضمن لهذا الشعب المشرد حقه في الحياة والاستقرار وفي إقامة دولته المستقلة على أرضه.

وتنتقل بنا الذاكرة إلى العديد من بلدان العالم التي تهدد أمنَها وسيادتها وحريتها النزاعاتُ والصراعات الايديولوجية والسياسية والاقتصادية: بولونيا التي شهدت اكبر انتفاضة في تاريخها، والأرجنتين التي جرها النزاع على جزر الفوكلاند إلى مجابهة مسلحة مع بريطانيا، وناميبيا التي ما زالت تحت قبضة نظام جنوب أفريقيا العنصري، ونيكاراغوا والسلفادور وغواتيمالا... التي تتنازعها الأيديولوجيات، مفرزة العنف والقمع الخ... إلى جانب بلدان يعضّها البؤس وتتنابها المجاعات وتنقض عليها الكوارث الطبيعية... في الوقت الذي تتسابق القوتان الكبريان في ميدان التسلح النووي، وتتصاعد موجة التحدي المتبادل الذي ينبئ بالانفجار ويهدد مصير البشرية بالفناء الشامل! وفي غمرة هذا القلق المتصاعد من احتمال وقوع حرب نووية، ترتفع أصوات أنبياء العصر، محتجة على المظالم، مطالبة باحترام الحقوق والحريات، مناشدة قادة الشعوب للعمل على بناء عالم ينعم بالخير والعدل والسلام.

وإزاء كل هذه المآسي والويلات التي تعيشها إنسانية اليوم، تحاول كنيسة الألف الثالث -بفضل التحول الكبير الذي حققه المجمع المسكوني بعد مضي عشرين عاماً على انعقاده- أن تشهد، في كل مكان من العالم، لإنجيل الحرية والمحبة والعدالة السلام، محذرة

البشرية من الأخطار التي تهددها إن هي أبت أن تصغي إلى نداء الروح؛ داعية إياها، بعبارات نبوية، إلى إعادة اكتشاف أسس عالم جديد يقوم على الحق والحرية والمساواة والأخوة والتضامن؛ عالم تدفن فيه الحروب والنزاعات، وتزول منه المطامع والمظالم بكافة أشكالها، وتصان فيه الحقوق والحريات، ويعود فيه البشر إخوة متحابين متضامنين، وتضحي البشرية كلها أسرة واحدة... أليس إلى بناء عالم كهذا دعا إنجيل يسوع؟ أليس من اجل عالم كهذا دعا بولس السادس في مقر هيئة الأمم المتحدة حين أطلق نداءه الشهير "لا حرب أبداً" وشاء أن يكون اليوم الأول من كل عام يوماً للسلام العالمي؟ أليس من اجل عالم أكثر إنسانية وأكثر عدالة لا يني يوحنا بولس الثاني يدعو في خطاباته وجولاته الراعوية في كل مكان؟

ففيما نستقبل العام الجديد بمشاعر يمتزج فيها الأمل بالقلق، نتجه إلى ذاك الذي أنشدت الملائكة يوم ميلاده: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر"، مبتهلين إليه أن يمن على وطننا وكل أوطان العالم بنعمة السلام -أليس السلام عطية الله لبني البشر؟ أليس على البشر أن يقبلوا هذه العطية ويسعوا إلى الحفاظ عليها بكل ما أوتوا من قوة وطاقة فيستحقوا الطوبى: "طوبى للساعين إلى السلام فإنهم أبناء الله يدعون".

الموصل في ٢٧ كانون الأول ١٩٨٣

من أجل تثقيف مسيحي جاد

هل المسيح هو حقاً ابن الله؟ ما معنى أن الله واحد في ثلاثة أقانيم؟ أليس الإنجيل قصة حياة يسوع... فلماذا أربعة أناجيل؟ وإذا كان المسيح قد أبطل العهد القديم، فلماذا نستمر في قراءة أسفاره في احتفالاتنا؟ ما الفائدة من الصلاة. أليس العمل أكثر جدوى؟ لماذا سر الاعتراف... ألا يكفي أن نعترف بخطايانا أمام الله؟ ما العبرة من تعدد الطقوس... ولماذا تقام الصلوات بلغة لم نعد نفهمها، وبرموز لم يعد لها وقع؟ لماذا الالتزام الذي تضعه الكنيسة بشأن الصوم وسماع القداس والتناول...؟ إلى متى يبقى الاختلاف في الاحتفال بعيد القيامة؟

تساؤلات مبعثرة يطرحها الشباب المسيحي في كل سانحة، وقلما تحمل إليهم الإجابات حلاً شافياً ومقنعاً -ومن البديهي أن كل سؤال يدخل ضمن موضوع أكثر عمقاً وشمولاً، وتقتضي الإجابة إليه خلفية تاريخية ولاهوتية وكتابية... هذه التساؤلات هي قضايا يمس بعضها صميم اللاهوت والحياة المسيحية، فيما يتعلق بعضها الآخر بالشؤون المسلكية والتشريعية في الكنيسة والتي تبدو قابلة للتغيير، إلا انها في الغالب تكشف عن النقص الكبير في الثقافة الدينية لدى شبابنا، وتعكس في الوقت ذاته ضحالة التثقيف المسيحي ومحدوديته.

وإزاء هذه التساؤلات -وكان بإمكاننا أن نطيل القائمة- يساورنا الشك في فاعلية التثقيف المسيحي الذي تقدمه الكنيسة عبر مراكزها الضئيلة؛ وكثيراً ما نُصاب بخيبة أمل مريرة حول مستقبل الكنيسة في بلدنا، فيما تنتصب أمامنا للحال الحاجات الكثيرة في هذا المضمار والتي لا يسعنا أن نسدها، لقلة الكادر التعليمي وضعفه، فنقف مكتوفي الأيدي ننتظر الفرج من عند الله!

وفيما أكتب هذه الأسطر -وقد تسرب إلى نفسي بعض اليأس- تقاسمني شعوران يحمل كل منهما تساؤلاً خطيراً:

إما اننا لا نعير التثقيف المسيحي أهمية كبرى، ونعلل النفس بان شبابنا لا يزال يؤمن، ونكتفي بطيب الخاطر بما تُلقنه الكنيسة من "تثقيف" عبر مراكز التعليم المسيحي -ولا تتجاوز نسبة المترددين إليها ٥٪ -، وبما يلقنه الأهل لأولادهم من مبادئ أولية تسبح في مناخ من المفاهيم التقليدية، إن لم نقل الخاطئة... وهنا اطرح السؤال: أليس التثقيف المسيحي أولى المهمات الملقاة على عاتق الكنيسة، وقد وكل إليها المسيح مسؤولية نقل البشارة الإنجيلية إلى العالم؟ أليست هذه المهمة مسؤولية مشتركة بين الكنيسة والمدرسة والأهل؟ وإذا كانت المدرسة اليوم لم تعد تضمن تثقيفاً دينياً جاداً -بسبب ضحالة المناهج وقلة المستفيدين من نظام الأغلبية المسيحية، فضلا عن محدودية ثقافة معلمي الدين- ألا ينبغي على الأهل أن يدركوا بعمق مسؤوليتهم الجسيمة، فيعملوا على تعميق ثقافتهم المسيحية وثقافة أولادهم، بما لديهم من وسائل -ولهم في الإنجيل والكتب الدينية خير منهل؟ ألا يتوجب على الكنيسة أن تجند كل طاقاتها في عملية التثقيف المسيحي، ولمختلف الأعمار والفئات، باستخدام كافة الوسائل المتاحة - وليست الاحتفالات الطقسية والموعظة من اقلها أهمية.

وإما أن مضمون التثقيف المعطى حاليا هو دون المستوى المطلوب، وحينذاك أتساءل: ألم يحن الوقت بعد لنعيد النظر في فحوى هذا التثقيف -وما زال بعضه يعتمد أسسا واهية ومفاهيم متخلفة وأساليب عقيمة- فنترك جانبا كل ما كان في التثقيف يهدف إلى حشو الأدمغة بمعلومات عقائدية ومسلكية مبتورة لا اثر لها في الواقع الحياتي، ونسعى إلى تقديم تثقيف مسيحي أصيل ينطلق من بشرى الإنجيل فيبرز أبعادها ومتطلباتها في حياة الإنسان المعاصر.

نحن نعلم ان الأماني والطموحات تتعدى الإمكانات... ولكن، اليست مسيرة ألف ميل تبدأ بخطوة أولى؟ فإذا كان التثقيف المسيحي من الأهمية بمكان، إذ عليه يتوقف مستقبل المسيحية في هذا البلد، كان من الملحّ أن تتضافر جهود كل المسيحيين في دراسة شاملة لحالة التثقيف عندنا ومضمونه ومدى تجاوبه مع حاجات إنسان اليوم ورقعة المستفيدين منه الخ... ونتساءل: ألا تتطلب قضية بهذا المستوى عقد مؤتمر على صعيد القطر يشترك فيه أساقفة وكهنة ورهبان وراهبات وعلمانيون ينكبون، لبضعة أيام، على دراسة وافية لهذه القضية من كافة جوانبها والخروج بمخطط عملي يجعل المقترحات والأماني تخرج إلى حيز التنفيذ؟

آذار ١٩٨٣

كفانا تمزقاً وانقساماً!

في كل عام، قبيل عيد القيامة، يتساءل المؤمنون من مختلف الطوائف: متى سيقع العيد هذا العام؟ هل سيتم الاحتفال به في يوم واحد؟ ويأتيهم الجواب متردداً، هزيلاً، خجولاً: فرق بأسبوع أو أسبوعين أو خمسة أسابيع -كما هي الحال هذا العام! وتتنصب للحال ردود الفعل المريرة: ألا يكفي ما عانيناه ونعانيه من هزء وسخرية من جراء اختلافاتنا والتي يبرزها بشكل صارخ اختلافنا بالاحتفال بعيد القيامة؟ ويتساءل القوم عن سبب هذا الاختلاف الذي يشكل شهادة مضادة للوحدة التي من اجلها صلى يسوع قبيل موته: "لست لأجلهم فقط أصلي، بل لأجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم، لكي يكونوا بأجمعهم واحداً... حتى يؤمن العالم انك أنت أرسلتني". أليست قيامة المسيح من بين الأموات ركيزة الإيمان المسيحي، فكيف يمكن أن يختلف المسيحيون بالاحتفال بهذا الحدث الكبير الذي غير وجه التاريخ؟ أليس الاحتفال بقيامة الرب أعظم شهادة يقدمها المسيحيون لإيمانهم ووحدتهم، وقد وكل إليهم يسوع، قبل صعوده إلى السماء، هذه المهمة: "وتكونون لي شهودا... حتى أقاصي الأرض"؟

وتحاول الإجابات أن تخفف من مرارة هذا الوضع الذي يعيشه المسيحيون في الشرق: اختلاف بين تقويمين يعتمد كلاهما القاعدة التي حددها مجمع نيقية المسكوني (٣٢٥) والتي بموجبها يتم الاحتفال بعيد القيامة في الأحد الذي يلي اكتمال البدر من بعد الاعتدال الربيعي، على ألا يقع مع فصح اليهود. وهذا الاختلاف بالعيد لم يحدث إلا في القرن ١٦ حين اكتشف علماء الفلك خطأ حسابياً في التقويم اليولياني المعتمد -نقص في احتساب الدورة الشمسية بمعدل يوم لكل ١٣٣ سنة، وكان مجموع النقص آنذاك ١٠ أيام وسيصبح ١٤ يوماً عام ٢١٠٠- وعمد البابا غريغوريوس ١٣، عام ١٥٨٢، إلى إضافة ١٠ أيام على

التقويم الذي دعي باسمه. وبموجب هذا الإصلاح كان لا بدّ أن يختلف تحديد الاعتدال الربيعي بين التقويمين (اليولياني والغريغوري) وينشأ من ثم تفاوت في الاحتفال بعيد القيامة بين الغرب والشرق (ف.م. نيسان١٩٧١، نيسان ١٩٧٥، أيار ١٩٨٢).

ويعود التساؤل من جديد، وبنبرة أكثر حدة: إذا كان الاختلاف حسابيا وليس للعقيدة فيه شان، فلماذا لا يصار إلى اتفاق بين رؤساء الكنائس المسيحية على صيغة لتوحيد العيد؟ وهنا أيضاً يأتي الجواب متململا، آملا: تخويل منحه المجمع المسكوني للكنائس الكاثوليكية الشرقية بالاحتفال بالعيد مع الكنائس الارثوذكسية... محاولات جادة للتوصل إلى تثبيت عيد القيامة في احد من آحاد نيسان... وحينذاك يصبح التساؤل ملحاحا: في انتظار توحيد شامل على الصعيد العالمي، لم لا يصار في الشرق إلى اتفاق بين الطوائف لتوحيد العيد؟ ولم لا يتم هذا الاتفاق على صعيد العراق كخطوة أولى؟

وتذهب الإجابات في تبريرات وتسويغات لم تعد تُقنع، لتكشف عن العُقَد التي ما زالت عالقة في الأذهان: أغلبية عددية تدعو إلى خطوة تقوم بها الأقلية، بتبني التقويم الغريغوري لكونه أكثر قرباً من الدقة! أقلية تطالب بخطوة تقوم بها الأغلبية في اتجاه الأخذ بالتقويم اليولياني وان كان فيه خطا حسابي! إلى جانب اعتبارات يضحي بموجبها التوحيد، على صعيد قطري، عامل تجزئة للكنيسة الواحدة المنتشرة في أقطار عديدة!... وإزاء هذه الحجج والتبريرات والاتهامات المتبادلة، لا يهم المسيحيين من مختلف الطوائف سوى أن يتم هذا التوحيد بأسرع وقت ممكن وبأية صيغة كانت! ويتمنى معظمهم أن يصار إلى هذا التوحيد بتثبيت الأحد الثاني أو الثالث من نيسان، يوما للاحتفال بعيد قيامة الرب، ويلحون جميعا أن يكون هذا العام آخر عام يختلفون فيه بالاحتفال بهذا العيد الكبير.

والفكر المسيحي التي لا تني تعبر دوماً عن هذه الأمنية التي يتطلع إليها بأمل كل المسيحيين، وفي العراق بشكل خاص، لا يسعها إلا أن تكون "الناطقة" باسمهم، فتناشد كافة رؤساء الطوائف المسيحية في العراق للسعي الجاد إلى إيجاد صيغة يُجمع عليها الكل تضع حداً لهذا التجزؤ والانقسام.

نيسان ١٩٨٣

الحوار من أجل السلام...

نعيش اليوم في عالم تعصف به من كل جانب الصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية التي تتخذ ألف لون ولون؛ ولا شك ان أقسى الصراعات بين البشر هي حين تلجا الأمم إلى اتخاذ السلاح وسيلة في المجابهة بهدف فض النزاع وتسوية الخلافات، بالرغم مما ينتج عن استخدام الأسلحة من ضريبة باهضة في الأرواح والمعدات، وبالرغم مما تخلّفه الصدامات المسلحة من تصدع في البناء الاجتماعي والاقتصادي وعرقلة في مسيرة التقدم والبناء، وما تخلفه من مآسٍ نفسية واجتماعية وخلقية... وإزاء الشرور التي تفرزها الحرب -كل حرب- يقف المرء حائراً متسائلاً: لماذا تنشب الحروب بين الشعوب، وقد دعيت إلى التآخي والتعاون والتضامن؟ هل الحرب هي السبيل الوحيد لحل المشاكل وفض النزاعات بين الأمم؟ وإذا كانت الحرب، بدافع الذود عن الأرض والسيادة وإحقاق العدل والسلام، أفَحَقاً أفلحت في صيانة الحقوق المغتصبة واستتباب السيادة المهددة وتوطيد أسس العدل والسلام؟ الم تكن الحروب الماضية والحاضرة بمثابة استعراض لقوة المتحاربين، أسفرت عن استنزاف لقواهم وإمكاناتهم؟ وهل يصح في عصرنا المثل الروماني القائل: "إن كنت تريد السلام فاستعد للحرب"!! لا سيما بعد أن وضعت التكنولوجيا المتطورة في "خدمة" الحرب، الأسلحة الإستراتيجية الفتاكة وفي مقدمتها السلاح النووي؟ وأي سلام ينتج عن الحرب سوى "هدنة" يغذيها التصلب والحقد اللذان لا يلبثان أن يُنبئا بانفجار أكثر وبالاً؟

نظرة سريعة إلى الحروب في التاريخ الحديث تجعلنا ندرك عقمها وعدم مقدرتها على حل المشاكل والخلافات: فالحرب العالمية الثانية التي استثارتها عنجهية النازية وذهب ضحيتها الملايين من البشر، لا زالت آثارها قائمة حتى اليوم، وقد بات الحذر والتهديد المتبادلان بين

الشرق والغرب ينبئ بانفجار يهدد مصير البشرية بالفناء الشامل! فلقد نشب، منذ الحرب الثانية وحتى اليوم، أكثر من ١٥٠ نزاع مسلح في مختلف القارات:

لا زالت طرية في ذاكرتنا، الويلات التي خلفتها الحرب الأمريكية-الفيتنامية؛ والمآسي التي ما زال يعاني منها الشعب الايرلندي... وكيف يمكن أن ننسى ما أفرزته الحرب في بيافارا والباكستان وزيمبابوي... والمعانيات التي تعرض لها شعب كامبوشيا وأفغانستان... ونضرب صفحاً عن الصراعات الدامية التي شهدتها وتشهدها بلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية...

ولا شك ان اقرب هذه النزاعات إلينا الصراع العربي-الإسرائيلي الذي كان ولا يزال، منذ ٣٥ عاما، يهدد أمن منطقة الشرق الأوسط. فبعد الاحتلال الجائر على الأرض العربية في فلسطين وتشريد شعب برمته، بلغ التحدي الصهيوني أَوَجَه في الاحتلال الغاشم للبنان وما رافقه من مجازر بشرية يندى لها الجبين. وتأتي الحرب العراقية-الإيرانية القائمة منذ قرابة ثلاث سنوات لتكشف عن النوايا التوسعية، لدى حكام إيران الذين زجوا شعوبهم في حرب خسيسة أودت بحياة الألوف من أبنائها، فضلا عن أعداد كبيرة من الجرحى والأسرى، وخلفت الخراب والدمار والفوضى في كل شبر من أرض إيران... وكان للعراق، من جرائها، نصيبه من التضحيات، إذ لم يكن له من مناص لدرء الويلات التي تفرزها الحرب ووقف المردودات السلبية التي تفرضها الحرب، على صعيد الاقتصاد الوطني وعلى مسيرة التقدم والبناء... ولا شك ان اكبر التضحيات وأقساها هي في ذاك العدد من الشهداء الذين جادوا بدمائهم الزكية دفاعا عن الوطن، فضلا عن الجرحى والأسرى الذين يعانون من العزلة والوحشية.

الحروب هي ولا شك على أنواع مختلفة، والعوامل التي تدفع إليها متعددة ومتشابكة: فإلى جانب حروب الاستقلال والتحرير لاستعادة الحقوق وتحقيق السيادة الوطنية، هناك حروب توسعية وأيديولوجية وعنصرية ودينية الخ... ولكل حرب تنشب بين دولتين حجج يَتذرعُ بها القادة، تختفي وراءها أيديولوجية تجعل من الحرب أمراً لا مناص منه وواقعاً حتمياً يفرض نفسه... وسرعان ما تُضفى على الحرب صفة "القدسية" بالرغم من ويلاتها ومآسيها... وهنا يطرح

السؤال نفسه: أية حرب في التاريخ، القديم والحديث، مهما تناهت في الطول والقسوة، لم تُفض إلى طاولة المفاوضات والتسويات؟ ومن هنا يبدو الحوار من أجل السلام حاجة وضرورة في النزاعات، أيا كان شكلها، سيما وان ضراوة الحرب العصرية لم تعد تسمح لقادة الشعوب بالتسويف والمماطلة... قالها يوحنا بولس الثاني في رسالته الأخيرة بمناسبة يوم السلام العالمي: "الحوار من أجل السلام ممكن، وممكن دائما"، وهو على يقين من أن هذا الحوار هو تحدٍّ ينبع من الشعور بالأخوة الإنسانية ومن القناعة بوحدة الأسرة البشرية. ولا شك ان هناك عقبات تقف بوجه الحوار، حين تجابهه إرادة ترفض مبدأ التفاوض، أو حين يواجه تصلّباً من طرف يرفض الإصغاء إلى الطرف الآخر، أو يصطدم بموقف طرف يدّعي كل الحق إلى جانبه وينفي كل الحق لدى الطرف الآخر... وهكذا يفضي الحوار إلى طريق مسدود! فإلى مثل هذا الطريق المسدود وصلت الحرب العراقية-الإيرانية، مع ان العراق لا يني يكرر نداءاته إلى السلام بفم الرئيس القائد صدام حسين، ويبدي استعداده الكامل للتفاوض بغية فض هذا النزاع الذي يذهب ضحيته الأبرياء من كلا الشعبين، ولا ينفك يعلن تجاوبه مع دعوات السلام المتكررة التي توجهها، لكلا البلدين، المحافل والمؤتمرات الدولية وفي مقدمتها مؤتمر دول عدم الانحياز!

ومع ذلك كله، نحن نؤمن بان السلام عطية من الله لكل ذوي الإرادة الصالحة، وان الساعين إلى السلام هم أبناء الله؛ كما نؤمن بان السلام ممكن -سلام يقوم على الحق والعدل- شريطة أن تتوفر في الأطراف المتحاربة الرغبة في الحوار. والحوار، هو الآخر، ممكن إذا ما توفرت لدى الأطراف المتنازعة الإرادة الصالحة، وأخذ ينظر كل طرف نظرة احترام إلى الطرف الآخر، وراح يثق كل طرف بقدرة الطرف الآخر على التعقل...

نحو هذا الأمل يتطلع اليوم الشعبان العراقي والإيراني... عسى يصبح هذا الأمل واقعاً يعيد إلى البلدين الجارين الأمن والسلام.

أيار ١٩٨٣

أحلم بكنيسة...!

غريب أمر كنيستي! فكل مرة اقرأ خبرا أو تحقيقا عن كنائس الله المنتشرة في العالم، واطّلع عن كثب على توجهاتها الراعوية والرسولية، وقد اتخذت من المجمع المسكوني حافزا للسير في رحاب التجدد، أتساءل: لماذا بقيت كنيستي بمنجى من تيار التجدد؟ ولماذا ترضى كنيستي أن تواصل السير وكأن المجمع لم يكن؟!

يأخذني العجب حين اقرأ عن كنيسة اسبانيا، وقد أخذت تولّي ظهرها لزمن الامتيازات التي كانت تتمتع بها، وتقبل بطيب الخاطر أن تقطع صلاتها مع عهود التحالف مع النظام السائد، للبحث عن مكان يتسنى لها منه أن تشهد للإنجيل! وحين أشاهد كنيسة بولونيا -وكانت تدعى "كنيسة الصمت"- تقطع حبل الصمت لتنادي على رؤوس الملأ باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وقد قيض الله لها في يوحنا بولس الثاني خير عون! وتأخذني الدهشة وأنا أرى كنيسة فرنسا في محاولة دائمة لجعل الإيمان يلتصق بالحياة، عبر نشاطاتها وحركات علمانييها وتوجهات لاهوتييها... وأراها تنزل إلى الساحة لتقول كلمتها في القضايا والمعضلات التي تواجه كنيسة الألف الثالث! أو حين أرى كنيسة الولايات المتحدة -وكانت حتى وقت قريب في شبه غفوة- تنكب على قضايا الحرب والسلام برؤية صافية، وتقول بوجه الإدارة الأمريكية: "لا" للحرب النووية!

إلا أن مواقف بعض كنائس العالم الثالث تثير إعجابي بالأكثر، حين اسمع بكنائس أمريكا اللاتينية التي أخذت تعطي الأولوية للفقراء والمظلومين والمستعبَدين والهامشيين، حتى وان كلفتها مواقفها النبوية ثمناً باهظاً يثير إعجابي توجه أولئك اللاهوتيين الذين ينطلقون من الواقع ليقولوا بان بشرى الإنجيل لا تنفصل عن بشرى التحرير! وتدهشني ديناميكية أولئك العلمانيين الملتزمين الذي يؤلفون "جماعات

قاعدة" يقترن لديها التعبير عن الإيمان بواقع الحياة اليومية! وتأسرني بالأكثر توجهات بعض الأساقفة والكهنة الذين لا يترددون من فضح المظالم الاجتماعية والتصدي لتعسفات الأنظمة القمعية وجشع الطبقة الاوليغارشية، من أمثال المطران الشهيد روميرو وخلفه ريفيرا داماس (السلفادور)، وهليدر كامارا (البرازيل) وبروانيو (الاكوادور).

وكيف لا تأخذني الدهشة إزاء كنائس فتية في أفريقيا وآسيا، وقد أخذت تستيقظ على أصالة حضارات شعوبها، فراحت تبحث لها عن هوية تقترن فيها الأصالة الحضارية بالأصالة المسيحية، كما في زائير وتنزانيا والهند وفييتنام... وكيف لا تأسرني توجهات كنائس أخذت تتفتح على الحضارات والأديان وتسعى إلى حوار بنّاء معها... أو مبادرات كنائس وعت دورها في عملية البناء والنمو...

هذه النظرة الخاطفة على بعض أوجه النشاط والحيوية في كنائس الله -التي طالما تعكسها الفكر المسيحي- تملأني فرحاً وألماً معاً: فرحاً، لأني ألمس حركة الروح تعمل في جنبات الكنيسة وتحملها على الشهادة لإنجيل الخلاص والتحرر والرجاء... وألماً، لأني أغار منها لكنيستي التي أريدها تصغي إلى نداءات الروح وتواكب حركة الحياة وتكتسب حساً مرهفاً لصراخات شعبنا وتطلعاته.

وإزاء هذه الكنائس التي عرفت أن تكتته "علامات الأزمنة"، أجدني في بحر من الأحلام والأماني... وإذا كنت على علم بوطأة الأحداث التي تعرضت لها كنيستنا طيلة تاريخها الطويل، وعلى يقين من الصعوبات والعقبات التي اعترضت وتعترض سبيل كنيستنا، وهي تبدو اليوم مكتفة الأيدي بوجه الحاجات الكثيرة التي تنتصب أمامها... إلا أن هذا لا يمنعني من أن احلم! ويقيني أن بوسع كنيستنا -ولها من الطاقات والقدرات ما يؤهلها للسير في طريق التجدد- أن تشق الطريق أسوة بكنائس لم تكن هي الأخرى بمنجى من المضايقات والصعوبات! أليست المبالغة في إبراز الصعوبات حجة لتبرير التقاعس؟ أوَلَيست الصعوبات محكا لكنيسة تريد أن تسير على خطى معلمها وتؤمن انه سيكون معها حتى منتهى الدهر؟

فليُسمح لي، إذن، أن أحلم... وحتى وان ذهبتُ بعيداً في أحلامي!

* أحلم بكنيسة عراقية تعرف أن تحافظ على أصالتها وخصوصياتها، دون أن تتنكر للتجدد الذي يزيدها أصالة ومصداقية... كنيسة تعرف أن تتوقف برهة لتضع نفسها أمام مسؤولياتها التاريخية، فتحاسب نفسها إن هي شعرت بحالة من الركود، وتخطط للمستقبل بعزم وإقدام.
* أحلم بكنيسة تؤمن بحضور الروح النبوية في كل فرد من أفرادها، فتستقطب كل الطاقات وتصغي لكل المطاليب، وتضحي منطلقا للخبرات والمبادرات التي يلهمها الروح.
* أحلم بكنيسة تكون قادرة على أن تأخذ الإنجيل على محمل الجد، فتدرس وتحلل مواقفها وتوجهاتها ونشاطاتها على ضوئه... وتضحي بالتالي انعكاساً حياً له في مجتمع، يكون لها ما تقوله للإنسان العراقي في تساؤلاته وحاجاته.
* أحلم بكنيسة تجعل من احتفالاتها وطقوسها وأسرارها صلاة حقة، فلا يكون فيها المؤمنون مجرد مشاهدين أو مستهلكين بل مشاركين واعين...
* أحلم بكنيسة تدرك ان أولى الأولويات في رسالتها تامين ثقافة مسيحية جادة، تستخدم في سبيلها كافة الوسائل المتاحة، فتمكن المسيحيين العراقيين من أن يحيوا متطلبات إيمانهم بعمق ويشهدوا له بأمانة في حياة وطنهم.
* أحلم بكنيسة يكون رؤساؤها رعاة لا سادة، يتصفون بشعور عميق بالمسؤولية ويتمتعون بالرؤية الواضحة والجرأة والعزيمة... فلا يبدو شعبهم وكأنه "قطيع لا راعي له".
* أحلم بكنيسة لا يكون فيها الكهنة "موظفين" أو "موزعي" أسرار أو "إداريين"، لا يهمهم سوى "تسيير الأمور"، بل شهوداً للإيمان وادلاء في قلب الجماعة المسيحية...
* أحلم بكنيسة تنفي عنها طابع "الاكليريكية" وتمنح ثقتها الكاملة لعلمانييها وتعتمد على مواهبهم وتؤمن بقدراتهم على العطاء...
* أحلم بكنيسة يكون لها كلمة نبوية تقولها في حياة الوطن وقضاياه المصيرية، ويكون لها القدرة على التعامل مع الدولة بمنطوق الواجبات التي عليها والحقوق التي لها...

لقد حلمت! وحلم قبلي كثيرون ولا يزال غيرهم يحلمون... وهل من ضير أن يحلم المرء بقضايا تمسه في الصميم وتأسر قلبه؟

حزيران - تموز ١٩٨٣

رسالة بولس الرسول الثانية

من بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، إلى كنيسة الله التي في العراق... نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.

تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، أبو المراحم واله كل تعزية الذي يعزينا في كل ضيقة، لكي نستطيع أن نعزي الذين في ضيقة... وبعدُ

أذكر -وتذكرون أنتم أيضاً ولا شك- إني كتبت إليكم رسالتي الأولى التي ضمنتها حبي وشوقي إليكم، مع عتابي وتوصياتي (ف. م. تشرين الأول ١٩٧٢)، وآمل أنكم فهمتم جيداً ما كتبت به إليكم، واعظاً ومحرضاً إياكم أن تكونوا بغير لوم في كل شيء، وتجاهدوا من اجل الإنجيل وبناء الكنيسة...

وكان بودي أن آتيكم لأعظكم بنفسي كأولاد أحباء. ولكني لإشفاقي عليكم لم آت، لأني جزمت في نفسي أني لا آتيكم وأنا على غم! أجل، إني في كآبة شديدة كتبت إليكم، لا لتغتموا بل لتعرفوا ما عندي من فرط المحبة لكم. ولئن كان بعضكم قد اوجب الغم، فهم إنما غموا جميعكم... ويكفيهم قصاصا ما نالهم من توبيخ الأكثرين!

أيها العراقيون الأحباء، إن فمنا قد انفتح إليكم. وأجسر أن أسألكم: ماذا فعلتم بتوصياتي لكم؟ هل لا زال بعضكم يقول "نحن لبولس" وغيركم "نحن للمسيح"؟ هل علمتم أن المسيح لا يتجزأ؟ هل بقيتم تجترون نزاعاتكم العقائدية والطائفية التي تشكل شهادة مضادة لإنجيل المحبة؟ أم تجاوزتموها في اتجاه عمل مشترك بنّاء، يضفي على أصالتكم المسيحية ثراء وعمقاً؟ إلى متى تدركون أن المحبة هي كمال الشريعة، ومن خلالها يعرف الجميع أنكم تلاميذ المسيح؟

فما أوصيكم به من جديد: كونوا ذوي رفق بعضكم لبعض، شفقاء، متسامحين... لا تفعلوا شيئاً عن عجب أو منازعة، بل اجتهدوا في حفظ وحدة الروح برباط السلام، واعتصموا بالحق في المحبة لتنموا من كل وجه، مرتقين نحو من هو الرأس، أي المسيح الذي منه ينال الجسد كله التنسيق والوحدة، وبتعاون جميع المفاصل، على حسب العمل المناسب لكل عضو، ينشئ لنفسه نمواً، ويُبنى في المحبة.

ولا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة، أساقفة وكهنة ومؤمنين، أنكم جميعا أعضاء في جسد المسيح الذي هو الكنيسة. فكما إن لنا في جسد واحد أعضاء كثيرة، وليس لكل الأعضاء عمل واحد، كذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وكل واحد منا عضو للآخرين. فاحرصوا أن لا تتجزأ هذه الوحدة أو يصيبها ضعف. لذا فاني بولس أوصيكم أن تكون لكم محبة واحدة، ونفس واحدة وفكر واحد لتتمكنوا من الشهادة لربنا، متعاونين متضامنين في خدمة الإنجيل.

وأناشدكم، أيها الإخوة في الكهنوت الواحد، أساقفة وقسساً، الذين أقامكم الله خداماً لعهد جديد، لا عهد الحرف بل عهد الروح، أن ارعوا كنيسة الله ولا تخجلوا من تأدية الشهادة لربنا، بروح المحبة والوفاق والتواضع. فإنكم قد نُصبتم خداما للمسيح ووكلاء لأسرار الله، وكل ما يطلب في الوكلاء أن يكونوا أمناء على الوديعة التي هي أمانة في عنقهم. فحذار من تجربة التهاون والكسل أو الخوف والتردد في أداء الرسالة التي نُدبتم لها، فان موهبة الله التي اوتيتموها ليست روح فزع بل هي روح قوة ومحبة وامتلاك للنفس. وأسالكم أيها الإخوة: اكرزوا بالكلمة واعكفوا على ذلك في وقته وفي غير وقته. حاججوا ووبخوا وعظوا بكل أناة، وبجميع أساليب التعليم... فإنكم إن فعلتم هذا تخلصون أنفسكم والذين يسمعونكم.

وأنتم أيها الإخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية، أسألكم أن تسلكوا كما يليق بإنجيل المسيح، فلا يكون قبولكم نعمة الله عبثاً. كونوا أولادا لله أزكياء، في جيل متعوج فاسد، في عالم تضيئون فيه كنيّرات ببذلكم له كلمة الحياة. أجل، انهضوا وشدوا أحقاءكم بالحق، وتدرعوا بالبر وانتعلوا بالغيرة على نشر إنجيل السلام. أما المحبة، فلا حاجة أن يكتب بها إليكم، لأنكم قد تعلمتم

من الله أن يحب بعضكم بعضا ويسامح بعضكم بعضاً... لا تجازوا أحداً شراً بشر، بل سالموا جميع الناس إن أمكن... واسلكوا بحكمة من جهة الذين في الخارج... من كان سارقا فلا يسرق بعد، بل بالحري فليكدّ عاملا بيده حتى يكون له ما يشرك فيه المحتاج...

أيها الإخوة العراقيون،

لقد سمعت أنكم منذ ثلاث سنوات في اقتتال مع إخوتكم في بلاد فارس، وكم امتلأت حزنا وألما حين علمت بالتضحيات والمآسي التي أفرزتها هذه الحرب، سيما واني أدرك ان الحرب لم تقوَ يوماً على فض النزاعات بين الشعوب! فأناشدكم، بمحبة المسيح، أن تسعوا بكل طاقاتكم لما هو للصلح والوفاق، حقناً لدماء الأبرياء من كلا الشعبين. وإذ أشارككم آلامكم ومعاناياتكم، اسأل اله السلام الذي ائتمنني على خدمة المصالحة أن يبارك في جهود كل الساعين إلى وقف القتال وتوطيد السلام في البلدين الجارين.

ليقدسكم إله السلام نفسه ويحفظ كل ما فيكم، أرواحكم وأجسادكم، بغير لوم، عند مجيء ربنا يسوع المسيح.

وإله السلام يؤتيكم جميعاً أن تتموا مشيئته في كل عمل صالح.

الأسرة ... حب وألفة وعطاء ومسؤوليات

عدد خاص

حين وطدنا العزم على إصدار عدد خاص حول الأسرة، تزاحمت في ذهننا عناوين لمواضيع شتى كان بوسع هذا العدد أن يتناولها بالبحث، وخُيّل إلينا أن عدداً كهذا، مهما تناهى في الحجم والغزارة، لن يكون قادراً أن يلم بكل الجوانب، وانه سيبدو ناقصاً طالما انه يترك جانباً العديد من القضايا والمشكلات التي تواجه الأسرة اليوم!

تلك ردة فعل طبيعية تراود القارئ تجاه موضوع بهذا المستوى من الشمولية، والذي لا تفيه حقه مجلدات بأكملها! وازاء مهمة تفوقنا وتتخطانا، كان لا بدَّ لنا من اختيار، وان كان على حساب الشمولية، شفع لنا فيه ما نشرته "الفكر المسيحي" طيلة سنوات من مواضيع تناولت جوانب عديدة من حياة الأسرة. وهكذا اتجه اختيارنا نحو محاور ثلاثة:

الأسرة ... مشروع للحياة

الأسرة، هي وليدة ذاك التنادي العميق بين رجل وامرأة، تنادٍ محفور في أعماق كل إنسان للبحث عن "نصفه الآخر"، ليحقق وإياه تكامله الإنساني في الحب والشركة والاقتسام... انه الزواج الذي يجمع بين الرجل والمرأة في وحدة الروح والجسد، دون أن يفقدهما شخصيتهما وحريتهما واستقلالهما، أو يمحو الاختلاف في مفاهيمهما وطباعهما وأذواقهما... انه مشروع للحياة، أشبه بمغامرة يقترن فيها التخطيط بالمفاجئات، ويصطدم تحقيقه بعقبات من جانب الشباب ووالديهم معاً، وليست التقاليد الاجتماعية والشروط المادية من اقلها وطأة! فإلى تذليل هذه العقبات يهدف المقال في "معوقات الزواج".

والزواج، في مفهومه الإنساني، هو خبرة الحب الفريدة التي تحوّل الأحلام إلى واقع يعيشه شخصان يسعيان إلى السعادة، وقد وطدا

العزم على السير، يداً بيد، في منعطفات الحياة، يقبلان معاً حلوها ومرها. انه مشروع حياتي جلل، يتطلب من المقبلين عليه حرية كبيرة في الاختيار وشعوراً عميقاً بالمسؤولية، بعيداً عن كل أشكال الكذب والرياء والمراوغة... فكان مقال "الخطوبة... مرحلة تدرب القلب والروح" بمثابة إعداد جاد لهذا المشروع الذي تتوقف السعادة على نجاحه.

وفي نطاق القضايا والمشكلات التي تتعرض لها الأسرة، يأتي مقال "الأسرة. رابطة حب وشركة حياة" ليعكس، من وجهة نظر اجتماعية، الظاهرات الجديدة التي طرأت على الأسرة وقلبت العديد من القيم والمفاهيم السائدة، نتيجة للتحولات الفكرية والثقافية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها عصرنا. وكان لا بد أن تعاني الأسرة العصرية من أزمات حادة وصراعات عنيفة تهدد وحدتها وسلامتها وتعرض ديمومتها للخطر... إلا إن هذا التحول حمل إليها، في الوقت ذاته، معاني جديدة في الحب والجنس والزواج والأمانة والإنجاب...

الأسرة ... حب ومسؤولية

ويتخذ الحب بين الزوجين أبعاده العميقة، وتبلغ سعادتهما أَوَجَها، في ذلك العطاء الذي تنطوي عليه الأبوة والأمومة. فمجيء الطفل خبرة حياتية فريدة في حياة الزوجين، تضفي على حبهما غنى وثراء وانفتاحاً، حيث إنهما يستقبلان معاً عطية الحياة ويشتركان سوية في عملية الخلق... هذه الخبرة يعكسها "الطفل... ثمرة الحب والطريق إلى الحب".

وبمقدم الأطفال الذين يُدعون إلى الحياة، تتحول العلاقة الصميمة بين الزوجين إلى علاقة متشعبة تفترض منهما حباً نزيهاً مجرداً، وإدراكاً عميقاً بمسؤولياتهما التربوية في قيادة أولادهما على دروب الحياة، عبر مراحل نموهم المختلفة. هذه "العلاقة بين الوالدين والأولاد" تتخللها أفراح وتعزيات، وتلازمها صراعات وتوترات... إلا أن بوسع تربية رصينة أن تجعل من هذه العلاقة علاقة سليمة تتسم بالحب والتوازن والفرح.

وغني عن القول إن التربية اليوم هي علم وفن، ويجب من ثم أن يحيط الوالدون بأسسها ومبادئها، ليقووا على مواجهة التساؤلات التي يطرحها أبناؤهم، ومعالجة المشاكل التي يتعرضون لها. ومن بين الجوانب التي تستحق أن يعيرها الوالدون أهمية خاصة: التوعية الجنسية

التي تقتضي منهم كثيراً من الحكمة والدراية ووضوح الرؤية، كي لا تضحي التحولات التي ترافق النمو الجنسي لدى الأطفال والمراهقين سبب عقد أو انحرافات... إلى هذه التوعية يدعو مقال "أين نحن. من التربية الجنسية السليمة؟".

الأسرة المسيحية ... دعوة ورسالة

للأسرة المسيحية، بحكم انتمائها إلى الجماعة المسيحية، طابع خاص طالما انها تستوحي من الإنجيل مواقفها وسلوكيتها وروحانيتها... فالزواج، في نظر المؤمن، "سر" اتحاد الرجل بالمرأة، اتحاد يجد في الحب هدفه ويتخذ في الإنجاب معناه ويضفي عليه سر الزواج بعداً روحياً عميقاً... هذا البعد يبرزه مقال "مفهوم الإنسان على ضوء سر الزواج".

إلا ان الأسرة المسيحية تمتاز بكونها "خلية الكنيسة"! وتترتب عليها من ثم واجبات والتزامات، ولها من دعوتها المسيحية رسالة تضطلع بها: مدرسة للإيمان وخلية فاعلة في جسم الكنيسة. انها الخميرة في العجين وأشبه بجماعة قاعدة تشهد وتلتزم وتمارس دورها النبوي في حياة الكنيسة والمجتمع.

ولا شك ان أولى واجبات الأسرة المسيحية تقوم في زرع الإيمان وتنميته بشكل يتجاوب مع حاجات الإنسان المعاصر، وبأساليب تنسجم مع عقليته وذهنيته. هذا الدور الذي أصبح اليوم ضرورة ملحة يجب ان تستعيده الأسرة وتضطلع به بكل ما أوتيت من قدرة وطاقة...

وكان لا بدّ ان يُثرى هذا العدد بحصيلة "طاولة مستديرة" شارك فيها أطباء واختصاصيون لهم كلمتهم في قضايا الأسرة من الناحيتين الطبية والنفسية... أضفت عليها بعداً واقعياً "الشهادات" التي أدلت بها أسر، تعيش كل منها وضعا خاصا يلقي الضوء على جوانب من الحياة العائلية؛ فيما ألقى عدد من القراء دلوهم في القضايا المطروحة للمناقشة في زاوية "مساهمات القراء".

قراءنا الأعزاء

وفيما نضع بين أيديكم هذا العدد الذي طالما انتظرتموه، نأمل إن يروق لكم ويحملكم، كل من موقعه -عزاباً كنتم أم أرباب أسَر، مقبلين على الزواج أم متزوجين جدداً، والدين أم أولاداً- على إعادة النظر في مفاهيمكم ومواقفكم؛ وسيكون هذا العدد قد بلغ أهدافه ان هو ساهم في إسقاط العديد من المفاهيم الخاطئة والأحكام المسبقة حول الأسرة. ونحن بانتظار انطباعاتكم وردات فعلكم تجاه المواضيع التي تناولها، وإنّا لكم من الشاكرين.

تشرين الأول – تشرين الثاني ١٩٨٣

هل سيولد المسيح هذه السنة؟!

منذ ألفي سنة، مازال ميلاد ذاك الجليلي يقلق راحة البعض ويحمل إلى البعض الآخر الفرح والأمل: انه منافس عنيد لذوي القوة والجاه، ملوكاً كانوا أم كتبة و علماء ناموس ورؤساء كهنة، لأنه أنزلهم من عروشهم وأبراجهم وأرسلهم فارغي الأيدي! وهو مخلص ومحرر لكل الذين كبلتهم الشريعة، ونفذ بهم المجتمع أبشع أشكال الاستلاب والقمع.

ميلاد يسوع اقلق راحة هيرودس الملك، وقد رأى فيه منافساً لعرشه، بعد أن قيل له أن المسيح يولد في بيت لحم، كما جاء في النبي ميخا: "وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست الصغرى في مدن يهوذا لأنه منك يخرج زعيم سوف يرعى شعبي"! وكانت تلك أول مؤامرة عليه، ذهب ضحيتها أطفال بيت لحم.

إلا أن ميلاد يسوع أفعم فرحاً أولئك الذين كانوا ينتظرون خلاص الله، بدءاً برجل و امرأة مغمورين لم يكونا على موعد لنيل شرف الأبوة و الأمومة لطفل قيل لهم فيه انه "يدعى ابن الله". وميلاد يسوع ملأ غبطة أولئك الرعاة الذين قبلوا بارتياح بشرى الملاك: "ها أنذا أبشركم بفرح عظيم: اليوم في مدينة داؤد، ولد لكم مخلص هو المسيح الرب"، وقد هرعوا للحال ليتحققوا الخبر ويعلنوا البشرى السارة. وميلاد يسوع منح رجاء سمعان الشيخ الذي كان ينتظر عزاء شعب عاش بالأمل طيلة أجيال: "الآن أيها السيد، أطلق سبيل عبدك ليذهب في سلام، لان عيني قد شاهدتا خلاصك الذي أعددته أمام وجه الشعوب كلها".

ففي كل ميلاد نستذكر هذه الأحداث التي كان شهودَها أناس ذوو إرادة صالحة، كانوا يتطلعون بأمل إلى ذاك المخلص -ويعبر اسمه عن كنه رسالته: يسوع=الله يخلص- الذي تاقت إلى مجيئه الأجيال، وسبق الأنبياء فانذروا بميلاده ورسموا ملامح وجهه وأشاروا

إلى أبرز صفاته... وكل ميلاد هو فرصة لاستذكار الرسالة التي جاء يسوع يحملها إلى عالمنا، هو الذي اختص لنفسه كلمات اشعيا النبي: "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية و العميان بالبصر و أطلق المرهقين أحراراً وأعلن سنة نعمة للرب"، وقد جاء ليحقق المصالحة بين الله و البشر، ويذكّر الناس أنهم أبناء الله وإخوة بعضهم لبعض، ويبني في الأرض ملكوت الحب و العدل و الحرية و السلام. فميلاد يسوع هو بشرى الله لكل الذين ينتظرون منقذاً ومحرراً، أولئك المساكين والمرهقين والمستعبدين والمستضعفين والهامشيين...

ولد يسوع قبل ألفي عام! وهناك أناس قبلوه وأحبوه وعلّقوا عليه آمالهم، هم الذين يقول عنهم يوحنا في مطلع إنجيله: "أما الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله"، بينما هناك أناس تعاموا عن الحق ورفضوا أن يروا النور ويُقبلوا إليه، وهم الذين يقول فيهم يوحنا نفسه: "أتى إلى خاصته، وخاصته لم تقبله... جاء النور إلى العالم، والناس آثروا الظلمة على النور لأن أعمالهم شريرة"!

ولد يسوع قبل ألفي عام... وما زال الناس منقسمين تجاهه: منهم له ومنهم عليه! ذلك لأن الميلاد أشبه بسيف ذي حدين، يرفض رسالته المتكبرون والمتجبرون والأنانيون وذوو القلوب القاسية... ويقبلها المساكين والمتواضعون ذوو الإرادة الصالحة، الذين تعمر البساطة والشفافية قلوبهم. ولكن، هل سيولد المسيح هذه السنة؟ ولمن سيولد؟

كيف يولد المسيح في عالم يُنهكه العنف و تُثقل كاهله الحروب والصراعات وتتفشى فيه المظالم على اختلاف أشكالها؟ هل يمكن أن يولد المسيح -وهو رسول محبة وسلام- في عالم خَبَتْ منه المحبة والإخوة بين البشر، ويخيم عليه شبح الحرب من كل جانب؟ وكيف يتسنى لبلدان، كفلسطين ولبنان والعراق وإيران...، أن تحتفل بالميلاد، وقد خيم الحزن على أهلها وجثم الألم على صدور سكانها، من جراء الويلات التي أفرزتها وتفرزها النزاعات والحروب؟ ولمن سيولد المسيح هذه السنة: ألعظماء هذا العالم الذين لا يهمهم من أمر شعوبهم سوى إحكام السيطرة عليها، في تجاهل متعمد لأبسط حقوق الإنسان وحرياته؟ أم لأقوياء هذا العالم الذين يمثلون أفظع أشكال الاستلاب والاستغلال والقمع بحق المستضعفين والمقهورين والمستعبَدين...؟

ومع ذلك سيولد المسيح هذه السنة لأولئك المساكين والمرهقين والمظلومين ليحمل إليهم الأمل ويقول لهم: ثقوا، أنا غلبت العالم! وسيولد المسيح للجياع والعطاش إلى البر والمضطهدين من أجل البر، ولفاعلي السلام بنوع خاص، ليقول لهم: طوبى... فان لكم ملكوت الحرية والعدالة والسلام! وسيولد المسيح هذه السنة بنوع خاص لسلاطين هذا العالم وعظمائه وأقويائه ليبكتهم على قساوة قلوبهم، هم الذين جعلوا من الأرض ساحة قتال، وقد أرادها الله أرضا يسكن فيها الخير والعدل، وملتقى للإخاء والتضامن بين الشعوب!

وفي عراقنا الحبيب، سيولد المسيح هذه السنة في خنادق القتال وعلى خطوط النار ليقول: جئت لتكون لهم الحياة، وتكون بوفرة... وسيولد المسيح لأُسَرِ الشهداء التي لم تلتئم بعدُ جروحُها ليقول: من آمن بي، وان مات فسيحيا. وسيولد المسيح لكل الأسرى والمفقودين والجرحى والمعوقين... ليحمل إليهم وإلى ذويهم الأمل والرجاء. وسيولد بنوع خاص لكل الأطفال الذين طبع الحزن محياهم، والذين يحلمون بميلاد تعلن فيه الأجراس عن ميلاد السلام.

"المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام، للناس الذين بهم المسرة"! هذا الهتاف الذي أنشدته الملائكة يوم ميلاد المسيح، هو أشبه بنداء لكل الذين يحلمون بعالم تنتفي منه الأحقاد والضغائن، وتدفن فيه النزاعات والحروب إلى غير رجعة. فمن أجل عالم كهذا ولد المسيح ولا يزال يولد كل عام! ولهذا النداء اليوم، في عراقنا العزيز، صدى خاص: عسى تتكلل بالنجاح كل المساعي التي يبذلها ذوو الإرادة الصالحة لوضع حد لهذه الحرب، فيعود السلام إلى ربوع وطننا وكل أوطان العالم.

كانون الأول ١٩٨٣

١٩٨٤

السنة العشرون

حين انطلقت الفكر المسيحي في عام ١٩٦٤ "سلسلة" متواضعة، وبحجم صغير، لم يكن يخيل إلينا أنها ستقطع مرحلة الطفولة بأمان، وتقوى على مجابهة المصاعب بعناد وتصميم، وتواصل المسيرة بعزم وإقدام، لتوقد، عام ١٩٨٤، الشمعة العشرين من عمرها!

وفي الذكرى العشرين لميلاد الفكر المسيحي، لا بدّ لنا من التوقف برهة لنلقي وإياكم، قراءنا الأعزاء، نظرة فاحصة إلى الشوط الذي قطعته، طيلة هذه السنوات، من العمل الدؤوب الذي تخللته ظلال وأضواء، وفي ظروف أقل ما يقال فيها أنها غير طبيعية، سواء من حيث قلة الكادر الإنشائي، أم من جراء تعثر الطباعة والتوزيع، أو من جراء الأزمة المالية التي واجهتها وتواجهها. ولسنا نغالي إذا قلنا بان انطلاقة الفكر المسيحي واستمرارها هما أشبه بتحدٍّ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الصعوبات التي تعرضت لها والأزمات التي مرت بها، وفي كل مرة خرجت أكثر قوة وأكثر إصراراً على مواصلة السير: أليست الصعوبات محكا لرسالة تريد أن يُكتب لها النجاح؟

إن بلوغ الفكر المسيحي عامها العشرين -ولم يسبق لمجلة مسيحية أن بلغته- لهو دليل على إيمان روادها برسالة القلم في خدمة الكنيسة، في إطار رؤية مسيحية أصيلة ووفق نهج صحافي متميز؛ وهو دليل أيضا على ثقة قرائها بها، هي التي عرفت أن تشق طريقها إليهم وتلتصق بأمانيهم وتطلعاتهم، سواء واكبوها في أول عهدها أم لحقوا بها في منتصف الطريق. إنها، والحق يقال، وليدة المجمع المسكوني الذي أطلق في الكنيسة رياح التجدد، واحدث فيها "ثورة" كان لها مفعول

نقطة الزيت: ابان انعقاده وُلدت، وروحه أشاعت، ولوثائقه أصدت، ومردوداته عكست...

"عشرون عاما في خدمة كنيسة العراق"! فإلى قراءة "علامات الأزمنة" دعت الفكر المسيحي قراءها من خلال الأنباء التي أصدت لها والشؤون والقضايا الراهنة التي عكستها. وإلى رؤية ديناميكية للإيمان، في خضم التحولات الفكرية والحضارية، سعت من خلال الدراسات والمحاولات اللاهوتية والكتابية والراعوية والمسكونية -والأعداد الخاصة خير شاهد! وعلى كنائس الله في مختلف القارات، وهي تعكس وجه المسيح عبر الأوضاع الاجتماعية والسياسية المختلفة، فتحت الفكر المسيحي آفاق قرائها من خلال "ملفاتها" وتقاريرها. ومن عين المنطلق، عمدت إلى إيقاظ وعي قرائها على الشؤون والمعضلات التي تواجهها كنيستنا العراقية، حين أشارت إلى مواطن الضعف فيها ولفتت الانتباه إلى المواقع التي يمكنها أن تكتشف فيها أصالتها وتبرهن على قدرتها في التخطيط لمستقبل مشرق، ضمن المجتمع العراقي الجديد الذي عليها أن تلعب فيه دور الخميرة في العجين. وإلى قضايا الإنسان المعاصر وتطلعاته في الحرية والعدالة والسلام، وإلى أوجه الالتزام من اجل بناء عالم أفضل يسهم فيه المسيحيون، انطلاقا من فهم جديد للإنجيل ومتطلباته، وجهت الفكر المسيحي الأنظار. ومن أجل تثقيف مسيحي جاد عملت... وإلى تنسيق الجهود بين مختلف الطوائف وتوطيد أواصر المحبة والتعاون بينها دعت... وإلى مشاركة العلمانيين في حياة الكنيسة ونشاطاتها سعت... من خلال التساؤلات التي أيقظتها والتحليلات التي طرحتها والمقابلات التي أجرتها... وفي تربية إنسانية مسيحية أصيلة حول شؤون الأسرة لمختلف جوانبها، أسهمت -والعدد الخاص عن "الأسرة المسيحية" خير دليل. وعلى رجال ونساء لهم كلمة نبوية يقولونها ومواقف بطولية تشهد لإنجيل التحرير والعدالة، عرّفت قراءها...

فمن منطق أمانتها للإنجيل ولرسالتها الإعلامية والثقافية في كنيسة العراق، سعت الفكر المسيحي وتسعى إلى الالتصاق بالأهداف التي رسمتها لنفسها -وهي أشبه بمحك نعود ويعود إليه قراؤنا- في أن تكون...

- مجلة مسيحية إعلامية ملتزمة، تقدم لقرائها إعلاما جادا حول أحداث الكنيسة في العراق والعالم.
- مجلة ثقافية تسعى إلى تطعيم قرائها بروحانية الإنجيل، في بحث دائم عن الأصالة والتجدد في الإيمان.
- مجلة تؤمن بالوحدة المسيحية فوق الفوارق الطائفية والمذهبية، وتسعى إلى بعث الحوار المسيحي-الإسلامي.
- مجلة مسيحية لا تدّعي أنها لسان الكنيسة الرسمي، بل تؤمن بتعددية الآراء ضمن وحدة إيمان.

١٩٦٤ – ١٩٨٤: عشرون عاماً في خدمة كنيسة العراق!

فلكل المسيحيين العراقيين الذين طالما تاقوا إلى مجلة تعبر عن أمانيهم وتطلعاتهم، كانت الفكر المسيحي وما زالت لسان حالهم! هي التي ولدت بمبادرة من "كهنة يسوع الملك" الذين، بعد أن لمسوا الفراغ الذي تركه انحجاب المجلات المسيحية في الخمسينات، عمدوا إلى مهمة تفوقهم وتتخطاهم، ولم يكونوا على جانب من القدرة لمواجهة العقبات التي كانت تنتظرهم، والعقبة المالية أولاها!

وبعزم لا ينثني، وبهمة وكلاء شباب تجندوا لها، وبدعم عدد من الخيرين، انطلقت "سلسلة الفكر المسيحي" بموضوع واحد، بـ ١٦ص وحجم ١٢×١٦سم، وقرابة ٣ آلاف مشترك، وببدل سنوي زهيد (٢٠٠ فلس)! وبحركة تصاعدية أصبحت عام ١٩٧١ مجلة شهرية جامعة، وظهرت بحلة جديدة من حيث حجمها (١٧×٢٤سم) وعدد صفحاتها (٣٢ص). وخلال السنوات الثلاثة عشرة الماضية، سارت "الفكر المسيحي" صعدا، عاما بعد عام، حتى بلغت إلى ما هي عليه اليوم، بأبوابها الثابتة وزواياها المتنوعة وإخراجها الأنيق... وتجدر الإشارة إلى أن محتواها قفز، بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٧١، بنسبة ٣٠٠٪، وفي عام ١٩٧٥ بلغت إلى ٤٨ص، وبعد اعتماد الطباعة باللاينوتيب والاوفسيت، عام ١٩٧٨، تضاعف محتواها مع احتفاظها بعدد صفحاتها!

وقد رافق تطور المجلة، من حيث المحتوى والإخراج، ارتفاع هائل في تكاليفها تجاوز نسبة ١٠٠٠٪ بين عام ١٩٧٧ واليوم! لم يرافقه ارتفاع

في بدل الاشتراك إلا بنسبة معقولة لم تتجاوز ١٠٠٪ للفترة ذاتها. ولولا الزيادة في عدد المشتركين الذي سجل صعودا ملحوظا منذ عام ١٩٧٧، لما قويت المجلة على الاستمرار. ولسنا نكشف سراً إذا قلنا بان الفضل في استمرار المجلة يعود بالدرجة الأولى إلى مجانية التحرير والعديد من الخدمات التي يقدمها للمجلة وكلاؤها وأصدقاؤها الكثر، فضلاً عن "اشتراكات المناصرة" التي ساهمت في التخفيف من الضائقة المادية.

قراءنا الأعزاء

لقد شهدت مجلتكم في العام المنصرم تصاعداً في عدد المشتركين بلغ ٥٥٠٠ مشترك، وذلك دليل على أنها استقطبت اهتمام عدد أكبر من القراء الذين كانوا يجهلونها، إلا أننا نطمح هذا العام للبلوغ إلى ٧٠٠٠ مشترك لتقوى على مجابهة نفقاتها وتعم فائدتها وتتمكن من تحقيق الكثير من الطموحات التي يضيق بها صدرها. فليكن هذا "الرقم" شعاراً للحملة التي نأمل أن يسهم فيها كافة القراء، ولهم في "الفولدر" والتقويم الأنيقين اللذين أصدرتهما، بمناسبة العام العشرين، خير محفز. وفيما نفتتح، مع هذا العدد، العام العشرين على صدور "الفكر المسيحي"، نجدد العهد لكم بأننا سنبقى أمناء على الأهداف التي رسمناها، من أجل خدمة الكلمة في كنيستنا العراقية التي نريدها حية، نشطة، متجددة، تشهد للإنجيل وتلتزم توجهاته، وتسهم، من موقعها، في بناء العراق الجديد.

وليكن هذا العام الجديد عام خير وفرح وسلام.

"لو ... لو لا ... لو لم ..."

كانت دهشة القراء كبيرة حين قرأوا، في عددين متتاليين، عن لوثر الذي كانت قد ترسخت في أذهانهم صورة مشوهة عنه وأحكام جائرة بحقه، وها هو اليوم "شاهد ليسوع المسيح"! وتساءل كثيرون في سرهم: ما معنى، إذن، تلك المشاحنات والحرومات التي شطرت كنيسة الغرب؟ أوليست عملية "رد الاعتبار" للوثر مثاراً للتشكيك في موقف الكنيسة آنذاك وفي أحكامها وقراراتها اليوم؟

وذهب غيرهم في تساؤل أكثر شمولاً، حين طرحوا قضية الانقسامات والانشقاقات التي مزقت وحدة الكنيسة عبر الأجيال، سواء ابان المجادلات العقائدية حول شخص المسيح في القرون الأولى، أم أيام الانشقاق الكبير عام ١٠٥٤ بين روما والقسطنطينية، أم في زمن هنري الثامن الذي سلخ كنيسة انكلترا عن روما... أليست كل هذه الانقسامات نتيجة الكبرياء والعناد والعنجهية من جانب أو من آخر؟

وإزاء الانشقاقات المريرة في تاريخ الكنيسة، وعلى ضوء التوجهات النبوية التي عاشتها وتعيشها كنيسة ما بعد المجمع، يتسرب إلينا الشك في نوايا أولئك اللاهوتيين والقادة الروحيين الذين، في غفلة من الزمن، تركوا جانباً روح الإنجيل في الحب والمصالحة وانساقوا وراء المهاترات الكلامية التي أفرزت الانشقاق والقطيعة، ونحن اليوم نتحمل تبعة هذه الانقسامات التي تشكل شهادة مضادة لإنجيل يسوع.

ويأخذ الأسف منا مأخذاً ونحن نقلّب صفحات التاريخ الكنسي، وعلى لساننا عبارات: "لو... لولا... لو لم...": فلو لم يكن رجال الكنيسة في زمن لوثر على جانب كبير من الضعف والتذبذب، ولو لم تكن المؤسسة الكنسية قد تسربت إليها الانحرافات -وفي مقدمتها قضية الغفرانات- لما بدأت توجهات لوثر الإصلاحية خروجاً عن تعليم الكنيسة أو دعوة إلى الانفصال! ولو كان لاهوتيو زمانه قد

أرهفوا السمع إلى حدس لوثر في فهم الكتاب المقدس وتفسيراته لرسالة بولس إلى الرومانيين، لما بدت فكرة "التبرير بالإيمان" متناقضة مع التعليم الكنسي! ولو كان على كرسي روما يوحنا ٢٣، وليس لاون العاشر، لما قوبل لوثر بعدم التفهم، ولما حدث تصعيد للخلافات بينه وبين السلطات الرومانية أدى إلى استصدار الأمر بحرمه! وكان ينبغي أن تمر خمسة قرون قبل أن تتوصل اللجنة الكاثوليكية- اللوثرية إلى إصدار بيان مشترك يرد للوثر اعتباره، ويتوجه البابا، ولأول مرة منذ الإصلاح، إلى كنيسة لوثرية في روما ليشارك في الصلاة من أجل الوحدة!

وهذه كنيسة انكلترا التي انسلخت عن الكنيسة الأم... فلو لم يكن على رأس كنيسة روما بابا، هو في الوقت ذاته ملك زمني يقترن نفوذه الروحي بالمصالح الزمنية، لما استطاع هنري الثامن أن يتخذ من زواجه الثاني حجة للانفصال، ولما انحنى رئيس أساقفة كونتربري لإرادة الملك، ولما تكرّست القطيعة بفعل الحرم الذي أعلنه البابا كليمنتس السابع عام ١٥٣٤! وكان لا بدّ أن تمضي أربعة قرون كي يذهب رئيس الأساقفة رامسي إلى روما عام ١٩٦٦، ويرد يوحنا بولس الثاني الزيارة لخلفه الدكتور رونسي عام ١٩٨٢!

وهكذا هي الحال بالنسبة إلى الانشقاق الكبير بين روما والقسطنطينية: فلو كان هناك اعتراف متبادل بتقليدين ولاهوتين، غربي وشرقي، لكل منهما مفاهيمه وروحانيته وتوجهاته، لما نشبت خلافات لا طائل تحتها، كتلك التي نجمت عن مشادة بشأن التقديس بخبز فطير، أم بشأن العزوبية التي كانت روما تحاول فرضها على الكهنة... ولو كان لاون التاسع وموفَدوه على جانب من المرونة، وكان البطريرك ميخائيل كيريلاوس ومجمعه على جانب من التواضع، لما تحولت المفاوضات إلى مشادة عنيفة حملت الكاردينال همبرتو إلى وضع صك الحرم بحق البطريرك المسكوني على مذبح اجيا صوفيا! وكان ينبغي تسعمائة سنة قبل ان يتبادل بولس السادس وأثيناغوراس الأول قبلة السلام والمصالحة على جبل الزيتون عام ١٩٦٤! ومنذئذ انطلقت سلسلة من المبادرات المسكونية، من أبرزها القرار التاريخي المشترك برفع الحرومات المتبادلة بين الكنيستين (١٩٦٥) وزيارة بولس السادس للقسطنطينية (تموز ١٩٦٧) حين جثا في المكان الذي وضع فيه

همبرتو صك الحرم، وزيارة أثيناغوراس الأول لروما (تشرين الأول ١٩٦٧)...

وماذا عن الانقسامات التي حدثت في مجمعي أفسس (٤٣١) وخلقيدونية (٤٥١) والتي ترجع، في أساسها، إلى اختلاف في المفاهيم والمصطلحات، وإلى فوضى في المجادلات بين القائلين بطبيعتين واقنومين في المسيح والقائلين بطبيعة واحدة واقنوم واحد والقائلين باقنوم واحد وطبيعتين... أَفَليست تلك الانقسامات نتيجة اجتهادات مدرسية تنتمي إلى فلسفات هي الأخرى وليدة حضارات مختلفة، زادتها حدة صراعات اجتماعية سياسية بين إمبراطوريتين! وكان ينبغي ١٥ قرناً كي يلتقي أقطاب هذه الكنائس ليكتشفوا أنهم على وفاق يكاد يكون كاملاً، فيما تثبت الدراسات اللاهوتية والتاريخية ان تلك الانقسامات هي في الأساس خلافات ثقافية-سياسية أكثر منها خلافات عقائدية (اقرأ الملف).

وإذا كنا اليوم نحكم بقسوة على هذه الانقسامات ونحمّل الرئاسات مسؤوليتها -وان كان لا يصح أن نحكم على أحداث ماضية بعقلية الحاضر- فالأجدر أن نطرح هذا التساؤل على كنيسة اليوم: ألا تعرّض الكنيسة نفسها لخطر انقسامات جديدة -وما أكثرها- إن هي لم تستجب لنداءات الروح الذي يدعو إلى الفطنة والتريث قبل اتخاذ قرارات، قد تبدو اليوم ملحة، وتفقد غداً قوتها ومفعولها؟! ألا تعرّض الكنيسة نفسها لخطر فقدان مصداقيتها، لدى المؤمنين وغير المؤمنين، حين تتساق إلى صياغة حكم على مواقف أو سلوكيات، قد تبدو ناشزة اليوم ولا تعتم أن تصبح في الغد مألوفة وطبيعية؟!

"لو... لولا... لو لم..." ! قلناها بشأن الانقسامات الماضية، ونقولها لكنيسة تتعرض اليوم لانقسامات من نوع جديد... كي لا تعرّض نفسها فيما بعد لحكم التاريخ!

شباط ١٩٨٤

العنف يولد العنف

حين تطالعنا الأنباء بأعمال عنف، هنا وهناك، في هذا البلد أو ذاك، تأخذنا حيرة حبلى بالتساؤلات: لماذا تنفجر عبوة ناسفة على سيارة ركاب عزل؟ ولماذا يُنصب كمين يقع فيه أناس لا حول لهم ولا قوة؟ ولماذا يُحتجز أشخاص مهددون بالقتل إن لم يُستَجَبْ لمطاليب محتجزيهم؟ ولماذا يحدث في الجو اختطاف طائرات تتحول عن مسارها لغرض في نفس منفذي العملية؟

تلك هي بعض أعمال العنف التي يشهدها عالمنا، وغالباً ما يذهب الأبرياء ضحيتها! إلا أن هناك أعمال عنف أكثر وبالاً، كالعنف الذي تمارسه الحكومات أو الحركات المتطرفة بحق أشخاص وُشيَ بهم أنهم "يشكلون خطراً" على النظام أو الأيديولوجية... والعنف الذي تستخدمه عناصر في المجتمع لم تجد سوى العنف سبيلاً للحصول على حقوق مهضومة واستعادة حريات مسلوبة، وأسلوبا لوقف المظالم التي تفرزها البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهزوزة.

المظالم تولّد العنف! فهذه أيديولوجية "الأمن القومي" في أمريكا اللاتينية التي يتستر أربابها وراء شعارات مسيحية، فينفون كل أشكال المشاركة في الحكم ويستأثرون بالسلطة، بالتواطؤ مع الطبقة الاوليغارشية، في محاولة لاحتواء كل الأنشطة في المجتمع والسيطرة على كافة القوى... ولم يمض بعد زمن طويل على مقتل سوموزا دكتاتور نيكاراغوا وروميرو سفاح السلفادور وفيديلا قاتل الأرجنتين... فيما لا يزال بينوشي (شيلي) ودوفاليه (هايتي) وغيرهم كثيرون يمارسون أبشع أشكال القمع والقتل والاعتقال والتعذيب... أفلا تحمل هذه الأيديولوجية المقيتة قوى المعارضة على استخدام سلاح العنف كردة فعل للعنف الذي تمارسه الأنظمة القمعية؟

العنف يولّد العنف! أليست سياسة التمييز العنصري التي تتخذ ألف وجه، سواء بين البيض والسود في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة، أم بين المهاجرين -والعمال الأجانب بنوع خاص- والمواطنين الأصليين في العديد من بلدان أوربا، أم بين الفئات السياسية والقومية والدينية في ايرلندا والفيليبين وإيران والهند... هي التي تفرز العنف لدى كل الذين يُجرَحون في كرامتهم وحقوقهم ويعاملون كمواطنين من درجة ثانية أو ثالثة أو رابعة!؟

وماذا نقول عن العنف الأكبر الذي تمثله الحروب والنزاعات المسلحة، سواء تلك التي تجري في نطاق البلد الواحد، أو تلك التي تقوم بين بلدين أو كتلتين، يستعرض فيها كل طرف عضلاته في شبه مبارزة مستميتة بهدف الغلبة على الطرف الآخر، وبحجج ودوافع سرعان ما تُضفى عليها صفة "القدسية"! فيما يذهب ألوف الأبرياء من كلا الطرفين المتخاصمين ضحايا ذاك النزاع، وفيما تترك الحرب -كل حرب- آثاراً وخيمة، وعلى كافة الأصعدة، على مسيرة البلدان التي أُقحمت فيها، ولا يندر أن يكون قد اختفت وراءها أصابع هيأت لها من طرف خفي، فأصبحت تبدو وكأن لا مناص منها!

أليست ويلات الحرب العالمية الثانية شاخصة حتى اليوم في ذاكرة الشعوب التي خاضتها؟ وها هو التاريخ يحصي أكثر من ١٥٠ نزاعاً مسلحاً في مختلف القارات خلال الأربعين عاما الأخيرة... ولَكَم أفرزت هذه النزاعات من مآس وآلام لا زالت آثارها قائمة! وهذه المآسي والأهوال تذوقها اليوم شعوب ايرلندا وأفغانستان وتشاد وناميبيا وفلسطين... نزولاً إلى لبنان وإيران والعراق. وفي كل هذه الحروب لا يتمالك المرء من طرح هذا التساؤل الخطير: أإلى هذا الحد أصبح الموت رخيصاً! وأصبحت قيمة الإنسان وكرامته بخسة!

وإزاء كل أشكال العنف التي جرت وتجري على مسرح العالم -وليس من سلطة دولية قادرة أن توقف سيلان الدم- نتساءل في قلق شديد: ألا يسير عالمنا نحو كارثة كبرى إن هو لم يَعُدْ إلى التعقل؟ وإزاء الطريق المسدود الذي تسير نحوه البشرية، يحق لنا أن نطرح السؤال: أليس من رجاء آخر غير الذي استندت إليه حتى اليوم؟

"الحرب تُولَد في فكر الإنسان... فالإنسان هو الذي يقتل وليس سيفه أو صواريخه... وبقلبه يحصل الإنسان على حس مرهف تجاه قيم الخير والعدالة والأخوة والسلام"! قالها يوحنا بولس الثاني بمناسبة يوم السلام العالمي لهذا العام، وهو على يقين من ان أصل العنف والحروب يرجع إلى قساوة قلب الإنسان الذي يعشعش فيه الحسد والحقد والطمع والكبرياء وروح السيطرة... وكلها نزوات قد تنشأ عن مظالم وحرمانات تحمل الإنسان على استخدام العنف، ولكنها في الغالب نزوات تستثيرها العدوانية في غياب المحبة والتسامح والحوار...

فالرجاء الوحيد بعالم يسوده السلام، يكمن في قلب الإنسان الذي يرضى أن يهتدي ويتجدد. فما أحوجنا اليوم إلى اهتداء ينمّي فينا حسا مرهفا تجاه العدالة -والسلام هو ثمرة العدالة- بعيدا عن كل أشكال الظلم والاستغلال والأنانية... إلى اهتداء يجدد فينا الحس بالحرية الحقة التي تنفي كل أشكال الحقد والضغينة، وتدعو إلى حب الإنسان واحترام حقوقه وحرياته... إلى اهتداء يخلق فينا شعورا عميقاً بالألفة والتضامن مع أفراد الأسرة البشرية... أليس في مثل هذا الاهتداء يكمن جوهر رسالة يسوع إلى عالمنا، هو الذي جعل من الحب "الألف والياء"؟ أوَليست كل النزاعات بين الأفراد والشعوب ترجع إلى نقص في الاهتداء إلى الحب؟

في منطق "الغالب والمغلوب"، يولّد الحقد مزيداً من الحقد، ويفرز العنف مقداراً أكبر من العنف، ولا شيء يوقفه حتى بعد الغلبة! أما في منطق الإنجيل، فالحب ليس ضعفاً أو خنوعاً، وإنما هو القوة الحقيقية، وهنا تكمن الغلبة حين يصبح الإنسان قادرا أن يرد الإساءة بالحب! أوَليست "حضارة المحبة" هي اليوم المشروع الواقعي الوحيد للسلام الذي آن للبشرية أن تتخذه وتتبناه؟

آذار ١٩٨٤

سنة توبة ومصالحة

١٩٨٣-١٩٨٤! أرادها البابا يوحنا بولس الثاني سنة مقدسة، احتفاءً بذكرى مرور ١٩٥٠ عاما على عمل الفداء. سنة بدأت في ٢٥ آذار (عيد البشارة)، رمزا للبشرى التي جاءتنا بيسوع، مُرسَل الآب إلى عالم ينتظر خلاص الله، وتختتم في ٢٢ نيسان (عيد القيامة) -وتمتد في العراق إلى ٤ أيار- تأكيداً على الفداء الذي اكتمل بقيامة المسيح التي هي عربون الرجاء والأمل للإنسانية.

هذه السنة اليوبيلية للفداء أرادها يوحنا بولس الثاني سنة "توبة ومصالحة" تجدد في الإنسان سر الخلاص الذي أنجزه يسوع بموته وقيامته المجيدة، ولا يزال ينجزه في نفوس كل الذين رأوا ويرون فيه "رباً وسيداً"، ويكتشفون فيه "منقذاً ومحررا"، ويرتضون به "معلماً وهاديا".

سنة توبة!

ذلك لان إنسان اليوم بحاجة دائمة، إلى العودة إلى ذاته، يتفحصها بعمق على ضوء إنجيل يسوع، لينقيها من كل ما يعيق انطلاقتها في مسالك النور، وينزع عنها كل ما عتق، ويجعلها تتجدد على صورة ذاك الذي به "أصبح كل شيء جديدا".

هذا النداء إلى التوبة حمله طيلة أجيال أنبياء لم ينْوا يذكّرون الإنسان بكرامته، في نظر الله الذي خلقه "على صورته ومثاله"، ويدعونه إلى تجنب تشويه هذه الصورة أو مسخها، ويوقظون فيه الوعي بمسؤولياته في احترام كرامة الإنسان وحقوقه... ألم تكن السنة اليوبيلية في العهد القديم سنة توبة وتكفير وفرصة لتحرير العبيد ورد الجور عن المظلومين وإطلاق المعتقلين وإعطاء المعوزين نصيبهم من الخيرات...؟

وهذا النداء إلى التوبة أعلنه يوحنا المعمذان، آخر أنبياء العهد القديم الذي جاء ليعدّ الطريق أمام المسيح الآتي: توبوا فقد اقترب منكم ملكوت السماوات... اعدوا طريق الرب، مهدوا سبله. كل واد فليمتلئ، وكل جبل أو تل فلينخفض، والسبل الملتوية فلتصر قويمة، ومتوعر الطرق سهلاً، فيعاين كل إنسان خلاص الله". وهوذا يسوع يفتتح رسالته بالقول: "لقد تم الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وامنوا بالإنجيل" (مرقس ١:١٥). والإنجيل الذي ينادي به يسوع هو بشرى سارة لكل الذين كانوا ينتظرون خلاص الله، أولئك المساكين والمرهقين والمقهورين والمستعبَدين الذين يدعوهم يسوع إلى الدخول في "ملكوته"، ملكوت الحب والحق والحرية والعدالة. ألم يختص يسوع لنفسه نبوءة اشعيا: "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر وأطلق المرهقين أحراراً وأعلن سنة نعمة للرب"؟ فلكل هؤلاء الذين انتظروا في المسيح منقذاً ومحرراً وهادياً، هؤلاء الذين قلوبهم ملأى بالشوق إلى التحرر والذين في نفوسهم جوع إلى البر والعدل وعطش إلى الحب والحياة، يعطي يسوع الطوبى.

فالتوبة في مفهومها الإنجيلي العميق هي اهتداء إلى ذاك الذي قال: "أنا الطريق والحق والحياة"، اهتداء من شأنه أن يحقق تحولاً جذرياً في علاقتنا مع الله ومع إخوتنا البشر، اهتداء يُحدث فينا تجدداً روحياً عميقاً يحملنا في العيش على ضوء الإنجيل وتجسيده في مواقفنا وسلوكنا الشخصي والاجتماعي.

سنة مصالحة!

وان إحدى علامات الاهتداء هي المصالحة، في بُعديها الشخصي والاجتماعي. وتنطلق هذه المصالحة من كون الفداء عملية مصالحة بين الله والبشر، لان الله ارتضى "أن يصالح، لنفسه، كل ما على الأرض وفي السماوات، بإقرار السلام بدم صليبه" (قولسي ١: ٢٠). ويضيف القديس بولس: "فانتم الذين كانوا من قبل غرباء وأعداء له بأفكارهم وأعمالهم الشريرة، قد صالحكم الآن بجسد بشرية ابنه إذ أسلمه للموت ليظهركم لديه قديسين...". وهذه المصالحة مع الله، لا يمكن أن تتم إلا عبر المصالحة مع الإخوة. فلقد ربط يسوع مصالحتنا مع الله

بمصالحتنا بعضنا مع بعض: "إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم"! أليست وصية يسوع الوحيدة: أحبوا بعضكم بعضا كما أنا أحببتكم؟ ولقد جعل يسوع مصالحتنا مع الله رهن محبتنا بعضنا لبعض، وجعل من هذه المحبة دليلاً على محبتنا له وطريقا إليه. وهذه المحبة بحسب المفهوم الإنجيلي تتخذ في الواقع اليومي ألف شكل وشكل...

والمصالحة هي "خدمة" ائتُمنت عليها الكنيسة، ولها، في إطار سنة الفداء، أبعاد مسكونية يوحي بها سر الفداء الذي يوحدنا في حب المسيح: أنها دعوة لكل المؤمنين بالمسيح إلى تجاوز الخلافات والمنازعات التاريخية، وإلى بذل جهد صادق ونزيه في المحبة والحوار، بعيداً عن روح المنافسة والتباعد، والتأكيد على الإيمان المشترك، سعياً إلى الوحدة المسيحية التي من أجلها صلى يسوع عشية موته وأرادها شهادة للعالم: "ليكونوا واحداً... كي يعرف العالم...".

وللمصالحة في إطار السنة المقدسة بُعدٌ اجتماعي يقوم في السعي إلى بناء عالم يسوده العدل والسلام. أليس العدل طريقاً إلى السلام؟ أليس السلام ثمرة المصالحة بين الشعوب؟ أليست خدمة المصالحة مسؤولية ملقاة على عاتق المؤمنين بالمسيح الذين لهم، في الإنجيل، دافع إلى إشاعة قيم الحق والمحبة والأخوّة والسلام: طوبى لفاعلي السلام، فانهم يدعون أبناء الله؟

●

وإذ نختتم السنة اليوبيلية للفداء، نأمل أن تحمل ثمارها إلى كنيسة تتجدد يوما بعد يوم لتكون شاهدة للإنجيل، في عالم ينتظر أن تكون فيه، عامل خير ومحبة وأخوة ومصالحة وسلام. وفيما نتوجه إلى قرائنا بأحر التهنئات بعيد القيامة المجيد، نرفع الأدعية إلى رب السلام الذي، بموته وقيامته، صالح بين السماء والأرض، كي يحل سلامه بين الشعوب ويمن على عراقنا الحبيب بنعمة السلام.

الموصل فصح - نيسان ١٩٨٤

بمناسبة عيد الصحافة العراقية

هؤلاء الصحافيون

في الخامس عشر من حزيران يحتفل الصحافيون العراقيون بعيد الصحافة، إحياء للذكرى الخامسة عشرة بعد المئة على تأسيس أول صحيفة عراقية "الزوراء" -ويوافق هذا العام الذكرى الخامسة والعشرين على تأسيس نقابة الصحافيين. وحين يحتفل الصحفيون بعيدهم، فهم إنما يحتفلون بالكلمة المكتوبة التي تبلغ، عبر الصحافة، الألوف بل الملايين من القراء الذين يجدون فيها غذاء يسد جوعهم إلى المعرفة ويروي عطشهم إلى الاطلاع: أليست الصحافة ضرورة تلبي حاجة في الإنسان إلى المعرفة؟ إنهم يحتفلون بالحرية التي ناضل من اجلها أولئك الرواد الأوائل لكي يجعلوا الكلمة المكتوبة -والكلمة المذاعة والمرئية اليوم- تبلغ إلى قلوب كل الذين يتوقون إلى الحقيقة، حول ما يجري حولهم وفي العالم من أحداث: أليس من مقومات الصحافة الالتصاق بالحدث والبحث الدائم عن الحقيقة وحرية التعبير عنها؟ وهم إنما يحتفلون بذاك التيار من التبادل الفكري والاجتماعي الذي تخلقه الكلمة المكتوبة التي سرعان ما تتحول إلى رأي ينقسم تجاهه الناس: ألا تقوم مهمة الصحافة في البحث عن الرأي العام وتلقي ردوده، كونها نشأت لتكون في خدمته؟

إلا إن بين الصحافة والصحافيين حدودا يختلف الناس في تثبيت قواعدها... منهم من يثني على الصحافة وينحي باللائمة على الصحافيين! وفيما يرى بعضهم فيها "ملكة" لا تُنافس، تتصف بالقوة والنفوذ والسيطرة... -ألم يطلق عليها لقب "السلطة الرابعة"؟- يرى غيرهم فيها "ملكة مستعبدة" طالما هُضمت حقوقها وخنقت حريتها وتعرّض استقلالها لكافة أشكال العنف والضغوط. وفيما يُحيط بعضهم الصحافيين بهالة من المجد، فيرى فيهم قادة ومربين وأنبياء، بل صانعي معجزات (!)، يعلنون الحقيقة المجردة دون تزلف أو رياء... ينعتهم البعض الآخر بالكذب والمراوغة والتحايل وتشويه

الحقائق الخ... ولا يرى فيهم آخرون سوى "مرتزقة" يبيعون ضمائرهم بأبخس الأثمان، أو "مرائين" لهم صورتان أو أكثر!

وهؤلاء وأولئك معاً يطالبونهم بالمثل العليا والقيم الإنسانية الرفيعة من صدق ونزاهة وأمانة وموضوعية وحرية وجرأة وصبر ورباطة جاش... إلى غير ذلك من الصفات التي يندر توفرها في إنسان! وينسون أو يتناسون أن الصحافي إنسان من طينة البشر، له، إلى جانب مواهبه وأسرار مهنته، كبواته وعثراته. إلا انه "مهني" -ومهنته دعوة ورسالة- همه الأول أن يكون ملتصقا بالحدث في كل تفاصيله وجوانبه، فيسعى جاهدا إلى تحويله إلى "خبر" ينقله إلى قرائه في إطاره الواقعي، محاولاً اكتشاف خلفياته ودوافعه العميقة، ساعياً إلى إبراز معانيه ومردوداته الايجابية والسلبية... وفي كل هذه العملية يحتفظ الصحافي بنظرته الشخصية إلى الحدث، وهي الأخرى رهن خلفيته الثقافية وقناعاته الذاتية ولغته وأسلوبه وأيديولوجيته أو أيديولوجية الصحفية التي يكتب لها... ومن هذا المنطلق، ألا تبدو "الموضوعية" التي يطالب بها بعيدة المنال، طالما أن وراء الخبر الذي ينقله، صحافي مجهول يلتقط الحدث وينتقيه ويبثه إلى الوكالة التي يعمل لحسابها؟ فكم من "فلترات" يمر بها الخبر قبل أن يصل إلى القارئ؟ فضلا عن الحدود التي تفرضها مقتضيات المهنة...

فالمطلوب من الصحافي هو الأمانة والنزاهة، قدر المستطاع في نقل الخبر، ويقينه إن قراءه بالفون، لهم من الأضواء التي سلطها ما يمكنهم من الحكم على الأحداث التي أصدى لها. أما الموضوعية التي يطالَب بها، فقد تنشأ من تعددية الصحف ووسائل الإعلام التي تمكن المتلقين، بفضل المقارنة، من تكوين حكم صائب على الأحداث واتخاذ موقف منها.

الصحافة هي عملية بث واستلام! فإزاء واجب الصحافي في البث والإعلان -وتلك مهمته الرئيسة والتي طالما تضعه في حرج بين ما ينبغي أن يكتبه أو يسكت عنه- ينتصب حق القارئ في إعلام كامل ونزيه، بعيدا عن كل أشكال الكذب والتمويه والتشويه. وإذا كان على الصحافي أن يلتصق بالحدث ويؤدي واجبه الإعلامي بنزاهة وإخلاص، خدمة لقرائه، فمن حق القراء بدورهم أن يطالبوه بإعلام يكون على جانب كبير من الدقة والأمانة والشمولية، بحيث يتاح لهم أن يحكموا بنزاهة شبيهة بالنزاهة التي يطالبون بها الصحافي.

وما يصح على الصحافيين في الصحافة العامة، يصح أيضاً على الصحافيين في الصحافة المسيحية. فالصحافة المسيحية لا تختلف كثيرا، في طبيعتها وقواعدها ومقوماتها وأسلوب ممارستها، عن الصحافة العامة: فهي الأخرى تسعى إلى عين الأهداف، ضمن حدود اختصاصها، وتخضع من ثم لعين الظروف، وتلاقي عين الضغوط، وتصطدم بعين العقبات، وتنحني أمام عين الحدود. وهكذا الأمر بالنسبة للصحافي المسيحي -حتى وان كان كاهناً- الذي يخضع، هو الآخر، لكل مقومات المهنة وحدودها، فيسعى إلى الالتصاق بالحدث الديني، وينقله إلى قرائه بأكثر مما يمكن من الدقة والنزاهة والأمانة والشمولية، محتفظا بنظرته الشخصية إلى الأحداث، ومتخذا، في الوقت ذاته، من إيمانه، نوراً يسلطه على الأحداث بصفتها "علامات أزمنة". وقد يدرك، أكثر من غيره، بان عليه أن يعامل قراءه كبالغين، لهم الحق في إعلام كامل ونزيه حول ما يجري في الكنيسة من أحداث، لها أم عليها، فيساعدهم على الحكم عليها بنزاهة، سيما وان الأخبار والمعلومات التي يتلقونها تخص حياتهم الإيمانية وقناعاتهم، ومن شانها أن تحملهم على التفاعل معها والالتزام بموقف تجاهها.

إلا أن المشكلة التي يصطدم بها الصحافي المسيحي، هي حين يطالَب بصفات تتجاوز طبيعة العمل الصحافي وأسلوب ممارسته، وقد تتعدى أحيانا إمكاناته البشرية -وحريته واستقلاله هما أثمن شيء لديه! ولعل من أكثر المطالبات ثقلاً، هو حين يُراد منه أن يحول الحدث إلى وسيلة في خدمة أهداف مهما كانت "مقدسة"، أو حين يراد منه أن يتكلم تارة ويسكت تارة أخرى! وتعود مثل هذه المطالبات إلى مفهوم كانت بموجبه الصحيفة أو المجلة المسيحية وسيلة للتعليم والكرازة، أو أداة في خدمة المؤسسة، بينما هي في الواقع وسيلة إعلامية في الكنيسة "شعب الله"، تسعى إلى نقل الأحداث الدينية -كما هي لا كما يراد لها أن تكون!- وتساهم، من موقعها وضمن حدودها، في ذاك التبادل الفكري بين الجماعة المسيحية، والذي سرعان ما يتحول إلى رأي عام تكون هي في خدمته -وغني عن القول ان المهمة الإعلامية هي، في حد ذاتها، مهمة ثقافية تسهم في عملية التثقيف.

وفيما يحق لنا أن نحتفل، مع كل الزملاء الصحافيين العراقيين، بعيد الصحافة -والفكر المسيحي في عامها العشرين- نأمل أن نكون عند حسن ظن قرائنا الذين آلينا على أنفسنا أن نكون لهم "خدام الكلمة"!

حزيران - تموز ١٩٨٤

من وحي المناولة الأولى

كي لا تموت البذرة

ما أجملهم هؤلاء الصغار، بألبستهم البيضاء وحناجرهم العذبة، وهم يسيرون إلى لقاء يسوع في الاوخارستيا للمرة الأولى... وقد تهيّأوا لهذا اللقاء طيلة شهر أو أكثر، بجد ومثابرة؛ وبذل والدوهم الكثير من الجهد -وأحياناً الكثير من المال- في تهيئتهم لهذا اليوم السعيد الذي سيترك في نفوسهم أثرا بالغا، كما ترك فينا من قبل.

لقد رأيناهم، في كل الكنائس، يتهيأون لهذا اليوم، بقلوب طافحة بالبشر والفرح، ونفوس سخية مقدامة. رأيناهم يتلقون كلمة الحياة بشوق وانفتاح، كما تتلقى الأرض الطيبة الزرع الجيد فتثمر مئة ضعف. شاهدناهم يفتحون قلوبهم الفتية للنور ويسمحون له أن يخترقهم كما تخترق الشمس الظلمة، موطدين العزم أن يصبحوا من أبناء النور. لمسنا فيهم جوعا وعطشا إلى معرفة يسوع، فكانوا أشبه ببحاثة وجدوا فيه "خبزاً حياً" يسد جوعهم و"ماء حياً" يروي ظمأهم ودليلاً لهم إلى الحياة.

من تساؤلاتهم التي لا تعرف حدا ولا تقل عمقا عن أسئلة الفلاسفة واللاهوتيين (!)، اكتشفنا حدسهم في فهم الإنجيل، وشفافيتهم في اكتناه متطلباته الواقعية، وإرادتهم الطيبة لتجسيدها في سلوكهم اليومي. ألم يكتشفوا -كما اكتشف الرسل من قبلهم- أن يسوع، ليس كأولئك الكتبة وعلماء الناموس الذين يلقون دروسا لا يطبقونها، ويضعون أحمالا ثقيلة لا يحركونها بإحدى أصابعهم، وإنما ميزته تقوم في كونه "يعمل ويعلم"! الم يكتشفوا في يسوع إنسانا رقيقا، قريبا إلى الإنسان، من خلال نظراته ومواقفه وتعامله مع الأطفال والفقراء والمرضى والخطاة...؟ وإذا ما بهرتهم معجزاته في إقامة الموتى وشفاء المرضى وذوي العاهات... وذهلوا بسلطته على الطبيعة في تسكين العاصفة والسير على المياه... وقدرته على تكثير الخبز

وتحويل الماء إلى خمر... إلا أنهم استشفوا في هذه القدرة حبا يفوق المعجزة ويتخطاها، كما فعل مع مخلع كفرناحوم الذي غفر له خطاياه، ومع زكا العشار الذي بنظرة حب منه انقلبت حياته رأسا على عقب، ومع الخاطئة التي غفر لها خطاياها الكثيرة "لأنها أحبت كثيراً"...

إن خبرة هؤلاء المتناولين الجدد بيسوع كانت أشبه بخبرة الرسل الأولين الذين تبلورت في فكرهم، شيا فشيا، صورة ليسوع غير تلك التي حملوها عنه من قبل. وبلغت خبرتهم أشُدَّها بعد موت وقيامة المسيح، حين اخذوا يقرأون الأحداث على ضوء القيامة ويرون في يسوع رباً وسيداً، هو الذي ما زال حيا في ما بينهم، ينعش فيهم الأمل والرجاء. لقد فهم هؤلاء المتناولون أن يسوع شخص حي جدير بالحب والثقة، ورأوا فيه طريقا إلى الحياة، حياة يريدها لهم أوفر وأفضل: "جئت لتكون لهم الحياة وتكون لهم بوفرة"، وأدركوا انه حاضر في ما بينهم، عبر الإنجيل والاوخارستيا والأخوة: ففي الإنجيل، يلتقون به كل مرة انكبوا على قراءة الشهادة الإيمانية التي نقلها إلينا الإنجيليون، يستوحون منها نورا لمسيرتهم الإيمانية. وفي الاوخارستيا، يلتقون به في سر موته وقيامته، كل مرة يحتفلون باقتسام الخبز الذي هو علامة الشركة بين كل المؤمنين به. وفي الأخوة، يلتقون به في شخص كل إنسان -والفقراء بنوع خاص-، وقد علموا أن المحبة هي وصية يسوع العظمى وهي علامة تلاميذه الفارقة.

لقد سجلت المناولة الأولى في حياة الصغار منعطفا هاما أيقظ فيهم حبا اكبر للمسيح وتعلقا أعمق به. فلقد كانوا أشبه بورقة بيضاء ارتضوا، بطيب الخاطر، أن يرسم عليها يسوع كل ما شاء! أو بشراع قبلوا أن يكون يسوع ريحا يرحل بهم حيثما شاء! أو بقيثار قبلوا أن يكون يسوع لحنا يعزف بهم قدر ما شاء! هذا اللقاء مع يسوع كان بمثابة بذرة ألقيت في أرض خصبة، وتلقاها هؤلاء المتناولون الجدد بحب وفرح، وبقي على هذه البذرة أن تعيش وتنمو في مناخ مؤات يعبق بالحب والدفء.

وابتهج الوالدون بالتحول الذي لمسوه لدى أولادهم. غير أن هذا التحول، إن هو سوى بداية مسيرة إيمانية طويلة تتخللها مصاعب وعثرات شتى، سيختبرون خلالها أبعاد الإيمان ومتطلباته الواقعية في حياتهم،

وهي ستضعهم أمام خيار جاد: من لم يكن معي فهو علي! وهنا يبرز دور الوالدين والمربين في رعاية وإنضاج هذا التحول كي يصبح اهتداء كلياً إلى المسيح، والتزاماً بإنجيله، وديناميكية تحملهم على المساهمة في بناء الكنيسة.

ما أحذقهم هؤلاء الصغار في التمييز بين الأولويات التي يمنحها الوالدون للأمور! وما أشدهم حدساً في الحكم على المواقف التي يتخذها الوالدون من الإيمان ومتطلباته في الحياة اليومية! ويا لهم من رقباء، لهم ألف عين وأذن! فسرعان ما تنعكس قناعات الوالدين ومواقفهم من قضايا الإيمان والحياة المسيحية على مواقف الأولاد وقناعاتهم، ولا يمكن أن تدوم طويلاً التوجيهات الدينية التي يلقيها الوالدون، إن لم يلتزموا بها هم أنفسهم. ويصح ذلك بشأن الصلاة وقراءة الإنجيل والمشاركة في قداس الأحد الخ... كما يصح بشأن السلوكية المسيحية في قضايا العدل والمحبة والتسامح والصدق والنزاهة والإخلاص الخ... وغني عن القول أن انجع الطرق لغرس الإيمان وتنمية المشاعر الدينية وترسيخ القيم المسيحية، تقوم في الشهادة الحية التي يعيشها الوالدون على مرأى من أولادهم!

فلكي لا تموت البذرة التي زرعها العماذ في أطفالنا، وأوصلتها المناولة الأولى إلى مرحلة من النمو قد تكون حاسمة في حياتهم، نرى لزاماً علينا أن نناشد، في بدء السنة الدراسة الجديدة، كافة الآباء والأمهات، للسعي الحثيث إلى رعاية بذرة الإيمان في نفوس أطفالهم وإنمائها بكافة الوسائل المتاحة، ولا سيما بحملهم على المواظبة على مراكز التثقيف المسيحي -وهي متوفرة إلى حد ما في معظم الكنائس. ألسنا جميعاً نتباكى إزاء ضحالة الثقافة المسيحية لدى أطفالنا وشبابنا، ونتحي باللائمة على ضعف الإيمان وغياب القيم وتضعضع الروح المسيحية؟ فعوضاً عن أن نطلق الحسرات التي لا جدوى فيها، أو نحمل المجتمع تبعة هذا الضعف والانحلال، أو نلصق كل المسؤولية برجال الكنيسة، علينا أن نكثف الجهود ونعمل جميعاً، يداً بيد، والدين ومربين، كهنة وعلمانيين، لتهيئة جيل مسيحي مؤمن يأخذ الإنجيل بجدية ويعيشه بوعي والتزام ويشهد له بشكل فعال في مجتمع اليوم.

آب - أيلول ١٩٨٤

الإنسان ...
هذا المجهول

عدد خاص

ما الإنسان؟ أحفنة تراب كما جاء في سفر التكوين: "أنت تراب وإلى التراب تعود"؟ أم قصبة مرضوضة تحركها الريح؟ مخلوق صغير يسبح في الكون الفسيح؟ أم "عالم صغير" ما زال يبحث له عن مكان في هذا العالم الكبير؟

جسم الإنسان، أليس هو، بحسب العلماء، تشكيلة من بضعة كيلوغرامات من الأوكسجين والكربون والهيدروجين والازوت والكالسيوم، مع بضعة غرامات من الفوسفور والبوتاسيوم والحديد الخ...؟ أليس من الثابت أن جسماً بشرياً ليس بوسعه أن ينتج سوى بضعة كيلوغرامات من الشمع وبضع مئات من عود الكبريت وبضع عشرات من الأقلام الفحمية، مع بضعة مسامير وقليل من الملح والسكر...!؟ إلا أن هذا الجسم تنعشه روح حية تتميز بالفكر والوعي والحكمة، فتجعل منه كائنا فريدا يفوق الكائنات طرا، ويسمو عليها جميعا بما أوتي من قدرات وإمكانات غيرت وتغير وجه الأرض!

نحن أبعد من أن نقيّم ثنائية في الإنسان من جراء تركيبته الجسدية – الروحية، كأنْ نرفع من قيمة الروح فيه ونحط من قيمة الجسد! أو نطري فيه الروح السامية التي بوسعها أن ترقى به إلى قمم المجد، ونتحي باللائمة على الجسد الذي قد يهبط به إلى أحط الدركات! فالإنسان كل لا يتجزأ ولا ينقسم، وإن تميز بروح خالدة وجسد فان، هذا الإنسان، بنفسه وجسده، هو الذي صنع الحضارات وكتب التاريخ وخلق الفن... وهذا الإنسان هو رجل وامرأة، وقد دعيا إلى الالتحام والشركة والخلق...

"ما الإنسان حتى تذكره، وابن الإنسان حتى تفتقده"؟! إنها صرخة المزمر في أذن الخالق، إزاء تمرد الإنسان وتماديه في الشر ونكران الجميل... ولكنه سرعان ما يستدرك قائلاً: "نقصته قليلاً عن الملائكة، وبالمجد والكرامة كللته، وعلى أعمال يديك سلّطته، وأخضعت كل شيء تحت قدميه"! ذلك ان الإنسان، في وحدانيته، عظيم وصغير، كريم وخسيس، قوي وضعيف، رفيع ووضيع، غني وبائس في آن واحد: عظمته وكرامته وقوته ورفعته وثراؤه... رهن بوعيه حقيقة ذاته، وإدراكه سمو دعوته، وقدرته على تحقيق ذاته. وما صغره وخساسته وضعفه وضعته وبؤسه... سوى نتيجة جهله ذاته وتنكره لدعوته وتجاهله متطلباتها...

أليس هذا الكائن البشري ذاته هو الذي كان ولا يزال يتسلط على الخليقة ويُخضع الطبيعة ويطوّع المادة ويغزو الفضاء ويتحكم بمصير البشرية ومستقبلها؟ أليس بوسع هذا الكائن ذاته أن يرتقي إلى مصاف الآلهة، بما أوتي من قدرة على الخير والحق والعدل والجمال... وبما فيه من إمكانات للحب والعطاء والخلق...؟ ولكن، أليس بوسع هذا الكائن، في الوقت ذاته، أن ينزل إلى مصف العجماوات حين يترك غرائزه تتحكم فيه، فتحمله على صنع الشر والتنكر للحق واقتراف المظالم بكافة أشكالها؟ أو حين يفقد رشده فيستسلم للكبرياء والحسد والحقد والانتقام والغدر وكل أنواع الشرور...؟

يا للإنسان، في عظمته وبؤسه! ألم يكن باسكال محقاً حين شبه الإنسان بـ "قصبة واهية"، عظمتها في كونها "قصبة مفكرة"؟ فلا بدّ للإنسان من أن يدرك، في آن واحد، وَهَنَه وبؤسه، إلى جانب قوته وعظمته. ومن الخطأ أن يجهل الإنسان هاتين الحالتين، ساعياً إلى أن يصبح ما هو: إنساناً، لا ملاكاً ولا بهيمة! "فهو ليس بملاك ولا بهيمة، وكلما حاول أن يُنزل نفسه منزلة الملاك عاد عندئذ بهيمة" (باسكال). ومتى ما أدرك الإنسان حقيقة ذاته، على ما هو عليه من قيمة وكرامة وقدرة على الارتقاء، استطاع أن يحتوي ميوله ونزعاته وينتصر على ما فيه من ضعف وبؤس، فيتسنم قمم الكمال...

"الإنسان، هذا المجهول" -كما وصفه الكسي كارل في كتابه الشهير- ما زال يجهل ذاته، وان اعتدّ بذكائه وتغنّى بحريته ووثق بسلطته على الطبيعة واعتراه الذهول أمام اكتشافاته الباهرة في

شتى الميادين... وما تاريخه -وهو يرقى إلى بضعة ملايين من السنين- سوى حلقات متواصلة من الإخفاقات والانتصارات، حاول الإنسان خلالها أن يكتشف سر وجوده، ويسبر معنى جهوده ونضالاته الفردية والجماعية، باحثا عن مكانة له في هذا الكون الفسيح. ولقد تساءل ويتساءل، في قلق، عن مصيره ومستقبله، في بحث دائم عن أجوبة شافية، وسيبقى البحث مفتوحاً طالما هناك إنسان على وجه الأرض.

كان العالم ولا يزال مسرحا يُمَثَّل عليه تاريخ الإنسانية، في حركته الدائمة التي لا تعرف التوقف. ولقد مر الإنسان طيلة تاريخه الطويل بحقبات أغنته بتراث فكري وحضاري دسم، وعاش خبرات روحية عميقة كشفت له عن أبعاد دعوته السامية، مما أضفى على إنسانيته مزيداً من الإنسانية، بحيث أصبح بمقدور الإنسان -إن صح التعبير- أن يصبح أكثر إنساناً، في فكره ووجدانه ومشاعره، عبر إخفاقاته وانتصاراته بالذات، عبر معانياته وتطلعاته، وعبر نضاله الدائم من أجل الحياة والحياة الفضلى... وإذا كان الإنسان هو هو في طبيعته، كما خرج من يد الخالق، إلا انه اليوم غير الذي كان في الماضي البعيد وحتى القريب! ذلك لان فيه "زرعاً إلهياً" يتمخض عن قدرات خلاقة تجعل منه شريكاً لله في عمله الخلاق: أليست عظمته تكمن في تلك الدعوة التي حفرها الله في قلب الإنسان إلى المشاركة في عملية الخلق؟

إلا أن الإنسان، مع ما أوتي من إمكانات للخلق والعطاء، قد يفضي به هذا التطور إلى مستوى أدنى من الإنسانية، إن هو لم يعرف أن يواجه التحولات الحضارية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدتها وتشهدها البشرية: ألا تقترن أفراح الإنسانية اليوم بالآلام والمضايقات، وعلى أكثر من صعيد؟ ألا تخفي الآمال التي تبنيها البشرية مزيدا من المخاوف والتهديدات؟ ألا يرافق الرخاء الذي يسعى إليه البشر، بكل طاقاتهم، مزيد من البؤس والشقاء؟ ألا تقترن قدرة البشر الخلاقة بالقدرة على التدمير والفناء؟

نظرة سريعة إلى الوضع البشري الراهن تكفي لترينا وجهين لعملة واحدة! فإزاء الإمكانات الهائلة التي تتمتع بها البشرية، هناك مساحات واسعة يخيم عليها الجهل والجوع والفقر وكل أشكال البؤس! وفيما تنعم شعوب بالحرية -وهي أثمن ما في الوجود- تعاني

غيرها من الاستعباد والاستغلال والاستلابات بكافة أشكالها! السنا نعيش في عالم تجتاحه المظالم وينخر فيه العنف بمختلف أنواعه؟ ألسنا شهوداً لعالم تُداس فيه كرامة الإنسان وتُهضم حقوقه وتُسلب حرياته الأساسية؟ وكأنّ على "شرعة حقوق الإنسان" مكتوبة عبارة "ليست للتطبيق"! وإزاء تطلعات الإنسان إلى حياة الاستقرار والسلام، تتصب الأحقاد بين الأفراد والشعوب وتبرز الخلافات السياسية والاجتماعية والعنصرية والقومية والدينية... التي تفرز المنازعات والحروب وتجعل الإنسان يقرف من السكنى على هذه الأرض! ولا شك إن أكبر كابوس يجثم على صدر الإنسانية هو الخوف من خطر حرب كونية بوسعها أن تُفني كل شيء!

وهكذا يبدو الإنسان قادرا على أن يسعى نحو الأفضل أو ينحرف نحو الأردأ! كما تبدو مجمل القوى والمكاسب والمنجزات التي حققها الإنسان، طيلة تاريخه الطويل، قادرة أن تسحقه أو أن تخدمه. وإزاء هذا القلق يَخلص الإنسان إلى تساؤلات عميقة تنبع من كيانه وقلبه: ما معنى الحياة؟ هل للوجود من هدف؟ أي معنى للشر والألم في العالم؟ ماذا بعد الموت؟ الخ...

وفي غمرة هذه التساؤلات، تتكشف للإنسان رؤية ديناميكية للإيمان تحمله على أن يرى أصبع الله في تاريخه المنسوج من بحث دائم عن هذا الإله غير المنظور، ومن تلمس دائم لحضوره الفاعل عبر الأحداث. ذلك لان الله، إذ خلق الإنسان "على صورته ومثاله"، غرس فيه شوقا إلى استكمال ملامح هذه الصورة، وقدرة على جعلها أكثر جمالاً وإشراقاً، بما أوتي من حس لاقتفاء آثار الله في الكون، ومن قابلية على اكتشاف القوانين والنواميس التي تسيّر الطبيعة، ومن قدرة على مواصلة عملية الخلق والبناء التي تؤول بالتالي إلى خيره وسعادته. وهكذا من خلال سيادته على الخليقة، يكتشف الإنسان سيادة الله على التاريخ، فيعترف به رباً وسيداً، كله عدل ورحمة وحنان، وينبري يرفع إليه الشكر والسجود والتمجيد.

وتتكشف، للمسيحي بنوع خاص، رؤية إيمانية محورها المسيح، تحمله على أن يلتصق بهذه الحقيقة التي جاء بها يسوع: الله محبة! فيرى في الله أبا، كله حب وعطاء: هكذا أحب الله العالم حتى انه أرسل ابنه الوحيد! ويرى في البشر جميعا أبناء لله وإخوة بعضهم لبعض، ويرى لزاما عليه أن يسعى إلى أن يثبت في المحبة ليثبت في الله ويثبت الله فيه.

هذا الكشف عن الله أنجزه يسوع، الإنسان-الإله، "صورة الله غير المنظور"، وقد شاء الله، في الأيام الأخيرة، أن يكلمنا به، بعد أن كلم آباءنا بفم الأنبياء منذ القديم. ففي المسيح يتجلى سر الإنسان في كل أبعاده، وفيه يتخذ كل شيء في الوجود معنى جديداً. انه ادم الجديد، الإنسان الكامل الذي، بتجسده، اتحد بالإنسانية جمعاء، فكان لها منقذا ومحررا جددها في باطنها وفتح أمامها آفاق الأمل والرجاء. انه بموته الخلاصي وقيامته المجيدة، أصبح "بداية ونقطة ارتكاز ونهاية تاريخ كل إنسان"، وبه -وهو "بكر جميع الخلائق"- يستطيع كل إنسان أن يصبح إنسانا جديدا، ينعم بحرية أبناء الله، ساعيا إلى أن يصير مطابقا "لصورة الابن البكر بين إخوة كثيرين" حتى الارتقاء إلى "ملء قامة المسيح"، عبر السر الفصحي: إن متنا معه، فسنحيا معه أيضاً.

قراءنا الأعزاء

الإنسان صورة الله، صورة المسيح! ملامح هذه الصورة، بأضوائها وظلالها، وبالرغم من التشويهات التي لحقت بها، يسعى إلى رسمها العدد الخاص الذي نضعه بين أيديكم، انطلاقا من نتاج الحضارات ومعطيات العهد القديم، مرورا باللاهوت والتشريع والفن، وانتهاء بما يقدمه الإنجيل وتعرضه الكنيسة. وإذا كان لا بدّ من أن نبحث عن خيط سري يصل بين المقالات التي تضمنها هذا العدد الخاص، فهو إنما ذلك الضوء الذي يسلطه الإنجيل على الإنسان في بحثه الدائم عن المطلق.

وفيما نحن على يقين من أن عدداً من المجلة، مهما كان مكثفاً، ليس بوسعه أن يحيط بسر الإنسان في كل أبعاده، إلا أننا أبينا إلا أن نلقي أضواء على الإنسان، من وجهة نظر الإيمان المسيحي المستنير بنور الوحي وبخبرة الكنيسة، أضواءً تسهم في الكشف عن دعوته السامية في وجهيها الإنساني-الإلهي، وتدعوه إلى التجارب مع متطلباتها من أجل بناء عالم أكثر إنسانية يكون جديراً بسكنى الإنسان.

ونحن بانتظار آرائكم وردود فعلكم حول الطروحات التي تناولها هذا العدد.

... وعلى الأرض السلام

في قرية وضيعة من قرى اليهودية تدعى بيت لحم، فتاة من الناصرة اسمها مريم، مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود -وكانا قد انطلقا إلى بيت لحم، مدينة داود، ليكتتبا هناك بأمر من اكتافيوس قيصر- وضعت طفلها البكر وأضجعته في مذود، إذ لم يكن لهما موضع في النزل! وبعد ثمانية أيام لميلاد الطفل ختن، بحسب الناموس، ودعي اسمه يسوع. وكان على والديه أن يذهبا به إلى أورشليم ليكملا سنّة التطهير المفروضة على الأم وافتداء المولود البكر باعتباره مقدسا للرب، بثمن "زوجي يمام أو فرخي حمام، هي فدية الفقراء!

قصة تبدو أكثر من مألوفة، لأول وهلة، لولا الرتوش واللمسات التي أحاطها بها الإنجيليان متى ولوقا اللذان لم يكتبا قصة بقدر ما كتبا تنظيرا لخبرة إيمانية، ترسخت مع الأيام، عن يسوع الذي رأى فيه المسيحيون الأوائل المسيح المنتظر الذي طالما تاقت إلى مجيئه الأجيال. ومن هنا جاءت الاختلافات بينهما في رسم فصول قصة الميلاد: فإذا كانت لوحة لوقا تميل إلى الالتصاق بالحدث -وهو المؤرخ الذي تحقق بدقة، على حد تعبيره، الأحداث التي جرت وكتبها بحسب ترتيبها-، فإن متى سعى إلى قراءة للأحداث على ضوء النبوءات والرموز التي يكتظ بها العهد القديم -وهو اليهودي المتضلع بالكتاب والذي اغتنم كل الفرص للاستشهاد بنصوص تكشف عن هوية يسوع، بدءا بنسَبه الذي يرقى إلى إبراهيم، مروراً بداود وجلاء بابل، وانتهاء بلقب "الناصري"! وبحسب مخطط كل منهما، أراد كلاهما أن يقدما شهادة إيمان عن يسوع الذي هو المسيح، عمانوئيل -الله معنا-، ابن الإنسان مرسل الآب لخلاص العالم... وهذه الشهادة غذتها خبرة إيمانية بيسوع، هذا المعلم الجديد الذي كان "يعمل ويعلم"، ويتكلم كمن له سلطان... والذي أسلمته السلطة الدينية لقضاء الموت مصلوبا، ولكن الله أقامه بالمجد، جاعلا منه "رباً ومسيحاً"... "وليس تحت السماء اسم آخر أُعطي في الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٢:٣٦؛٤:١٢).

وهكذا اتخذ ميلاد يسوع صفة البشرى السارة التي حملها الملاك للرعاة الساهرين على قطعانهم: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: اليوم، في مدينة داود، ولد لكم مخلص هو المسيح الرب". وجاءت ترنيمة الملائكة لتدعم هذه البشرى: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام، للناس الذين بهم المسرة". ألا تلخص هذه الترنيمة، ببلاغة، رسالة يسوع -ومعنى اسمه "الله يخلص"- حيث يتم في السماء مجد، ويتحقق في الأرض سلام، هو لكل الذين يقبلون الخلاص الذي شاء الله، بعد أن "كلمنا بأنواع كثيرة وطرق شتى على السن الأنبياء"، أن ينجزه بابنه "في ملء الزمان". ألا يحق ليوحنا الإنجيلي أن يدعو يسوع كلمة الله الذي كان منذ البدء لدى الله وقد "صار جسداً وسكن في ما بيننا"؟ ألا يحق له من ثم أن يبكت العالم على موقف الرفض: "أتى إلى خاصته، وخاصته لم تقبله"؟!

"... وعلى الأرض السلام"! والسلام الذي جاء يسوع يحققه في الأرض يقوم في القدرة التي يؤتيها للذين يقبلونه "أن يصيروا أبناء الله". فسلام المسيح هو بشرى المصالحة بين الله والبشر، مصالحة تجعلهم يرون في الله أبا يشملهم بالحب والحنان والرحمة، بعيداً عن كل أشكال الخوف والرهبة، بحيث يصبح الحب الأساس الذي تبنى عليه مواقف الإنسان من الله، لا طمعاً في ثواب ولا خوفاً من عقاب! وسلام المسيح هو بشرى المصالحة بين البشر ودعوة لهم إلى الأخوّة والتضامن، بالرغم من الاختلافات والفوارق الدينية والقومية والعنصرية والسياسية والاجتماعية. ومتى توطد الحب بين البشر، توطدت معه أسس العدل والحق والحرية والسلام، بعيداً عن المنازعات والعداوات والأحقاد والضغائن بين الأفراد والشعوب.

"طوبى لفاعلي السلام، فإنهم أبناء الله يدعون"! قالها يسوع في موعظة الجبل، ولا يزال يهمسها في أذن كل ذوي الإرادة الصالحة الذين يحلمون بعالم يسوده الحب والسلام، ويناضلون من أجل عالم ينتفي منه العنف وتتوقف فيه النزاعات والحروب، فيصبح جديرا بسكنى الإنسان وبسكنى الله بين البشر: الله محبة، ولا يسكن إلا في عالم يكون في سلام!

ومع إطلالة الميلاد، تبرز أمنية عزيزة على قلوب كل العراقيين الذين يخوضون، منذ أكثر من أربع سنوات، حرباً آن لها أن تضع أوزارها. ففيما نزف إليهم أجمل التهنئات واصدق التمنيات، نبتهل إلى المسيح رسول السلام أن يرحم شهداءنا الأبرار ويجعل دماءهم بذار سلام، ويلهم كل ذوي الإرادة الصالحة في العالم أن يضعوا كل طاقاتهم لوقف هذه الحرب وإعادة السلام إلى البلدين الجارين.

كانون الأول ١٩٨٤

1985

لا حرب...
لا حرب أبداً!

قالها بجرأة بولس السادس في ٤ تشرين الأول ١٩٦٥ من على منبر هيئة الأمم المتحدة، بمناسبة الذكرى العشرين على تأسيسها. وهذا النداء الملح على مسامع ممثلي أكثر من ١٥٠ دولة، جدده يوحنا بولس الثاني في ٢ تشرين الأول ١٩٧٩، من عين المكان، حين قال: "ان الجهد المتواصل الرامي إلى تصفية حتى احتمالات استفزاز الحرب هو من الضرورة بمكان"، مؤكداً ان جذور الحرب تكمن في التجاوزات التي تصيب كرامة الإنسان وحقوقه وحرياته... وما أكثر هذه التجاوزات في عالمنا، حيث تتفشى المظالم بكافة أشكالها فتفرز الاضطرابات والنزاعات والعنف... وأكثر أشكال العنف سوءاً الحرب!

وكان بولس السادس عام ١٩٦٨ قد شاء ان يخصص اليوم الأول من كل عام يوما عالميا للسلام، فيه تنكب البشرية على قضية السلام -أعز أمنية على قلب البشرية- في محاولة لاجتثاث جذور الحرب التي تنخر في قلب الإنسان قبل ان تمسك يداه السلاح.

وبمناسبة اليوم العالمي الثامن عشر للسلام، خص البابا يوحنا بولس الثاني رسالته لهذا العام بموضوع "السلام والشباب يسيران معاً"، وقد اختاره كي يلتقي مع "السنة العالمية للشبيبة" التي أعلنتها الأمم المتحدة. انه نداء يتوجه إلى كل الذين يؤمنون بضرورة السلام، سواء كانوا قادة "يحملون مسؤولية السلام المباشرة"، أم مربين ومفكرين "يسعون إلى ان يكونوا صانعي السلام"، وخاصة الشباب الذين "سيقررون، اليوم وغدا، فرص السلام".

يقول البابا: "السلام هو تحدٍ دائم" لنا نحن الذين نعيش زمنا عصيبا تكثر فيه تهديدات العنف والحرب، وحيث هناك أوضاع من الظلم تمس كرامة الإنسان، بسبب التفرقة العنصرية والقمع والتعذيب والجوع والمرض... التي تفرز حالة من الصراع تهدد السلام؛ ويتحتم من ثم السعي إلى اجتثاث الأسباب العميقة التي تكمن بنوع خاص، على حد قوله، "في ايديولوجيات... تطبعها المواقف التسلطية التي تحتقر وتقمع

كرامة الشخص البشري وقيمه السامية وحقوقه" حتى باتت وكأنها دين جديد!

إلا أن الأمل بعالم يسوده السلام وتستتب فيه الاخوة، هو بيد تلك القدرة التي تعمر بها قلوب كل الذين يؤمنون بالعدالة والسلام، وفي مقدمتهم الشباب الذين سيمسكون بأيديهم مصير البشرية، وهي على عتبة الألف الثالث. ففيما يقول لهم يوحنا بولس الثاني: "ان مستقبل السلام في قلوبكم" -هم الذين اخذوا يعون مسؤولياتهم تجاه المظالم وسباق التسلح وأخطار الحرب النووية، ويتحسسون بعمق قضايا القمع السياسي والصراعات الدولية ومعضلات البطالة والجوع وسوء التغذية الخ...- يحذرهم من تجربة الانهزام واللامبالاة والانجراف وراء تيار السطحية والهامشية والعبثية؛ ويدعوهم إلى الثقة بأنفسهم والالتزام بقيم الحق والخير والحب والجمال التي تنبع من رؤية جادة للإنسان، يكون لله فيها مكان: "ان إجاباتكم إلى هذه الأسئلة (ما هو مفهومكم عن الإنسان؟ من هو إلهكم؟) ستحدد اسلوبكم في الإجابة إلى تحديات السلام والعدل".

فإلى قيم السلام والعدالة والمشاركة يدعو البابا الشباب، ويقينه ان هذه القيم هي بمثابة الجواب إلى النزاعات المسلحة بين الدول والتفاوت الاقتصادي بين الشعوب؛ كما انها الجواب إلى تعسف الأنظمة القمعية التي تستأثر بالسلطة وتغلق صيغ المشاركة في الحكم بوجه المواطنين. وفيما أشار قداسته إلى إجماع الشبيبة على ضرورة السلام، ناشد الشبيبة المسيحية بنوع خاص قائلا: "بوسعكم ان تؤمنوا بالمستقبل... لا تخافوا ان تكرسوا حياتكم من اجل السلام والعدالة، لأنكم تعلمون ان الرب معكم على طول طريقكم".

وختم البابا رسالته داعيا شباب العالم اجمع إلى التجند من أجل السلام والعدل، ولاسيما في هذه السنة العالمية للشبيبة: "ان تحدي السلام لكبير، غير ان المكافأة هي أوفر. فبتجندكم من اجل السلام... ستكبرون ويكبر معكم السلام".

سيكون لهذه الرسالة ولا شك صدى عميق في نفوس شبابنا العراقيين الذين يحملون السلاح في حرب طال أمدها، ويتمنون ان يعودوا ليحملوا راية النصر على الحرب، ويشمروا عن سواعدهم لعملية البناء والتقدم التي بدأها العراق وعرّضتها الحرب للتعثر. انها أمنية عزيزة على قلب العراق الذي لم يألُ جهدا في السعي إلى إنهاء الحرب عن طريق المفاوضات. الم يقل البابا في رسالته: "ان العمل من اجل السلام سيكون اكثر فاعلية اذا ما التزمنا بحوار نزيه ومفاوضات مخلصة، مؤسسة على الاحترام المتبادل، ومقترنة بتقييم ملموس للمتطلبات والمصالح المشروعة بين الأطراف المتنازعة"؟

السلام والشبيبة توأمان! فلتكن سنة الشبيبة العالمية سنة سلام للعراق وإيران والعالم أجمع.

كانون الثاني ١٩٨٥

الوحدة ...
هل تبقى أمنية حسب؟

لأعوام خلت كان لأسبوع الصلاة من اجل وحدة المسيحيين (١٨-٢٥ كانون الثاني) صدى خاص في نفوس المسيحيين المراقبين الذين كانوا يتطلعون بأمل إلى ذاك اليوم الذي يجتمع فيه شملهم، في ظل كنيسة واحدة. ولا زال الكثيرون منهم يذكرون، وبشيء من الخيبة، تلك اللقاءات المسكونية التي كانت تجمع للصلاة رؤساء ومؤمني الطوائف في كنائس مختلفة، حيث كانت تتعالى أصواتهم مستغفرة عن خطيئة الانقسام التي مزقت جسد المسيح، ومبتهلة إلى راعي الرعاة "ان يجمع المسيحيين المبددين" فلا يكون من بعد سوى رعية واحدة وراع واحد. وفي اجتماعات الصلاة تلك كان الخطباء والواعظون يلفتون الانتباه إلى المعاني العميقة للوحدة المسيحية، بصفتها ابلغ شهادة يقدمها المسيحيون للعالم: "ليكونوا واحداً... كي يؤمن العالم"، مؤكدين انها ليست تكتلاً يهدف إلى إقامة قوة بإزاء قوى أخرى، دينية كانت ام سياسية؛ وانها ليست ائتلافاً يصهر الكنائس، بتراثها وطقوسها وتقاليدها، في بوتقة واحدة ينتفي منها التنوع وتضيع التعددية، وكلاهما غنى؛ وانها ليست محاولة ابتلاع تقوم بها كنيسة، بحكم حجمها او مكانتها، على حساب الكنائس الأخرى: وحدة كهذه لا تكون أمينة لإرادة المسيح... ولو افترضنا انها تمت، فلن تكتب لها الديمومة -ولنا شواهد من التاريخ عن وحدة تحققت بدوافع بشرية وما عتمت ان انهارت!

وكان المؤمنون آنذاك يخرجون من تلك اللقاءات بروح التفاؤل باقتراب موعد تحقيق تلك الأمنية العزيزة على قلوبهم. ولعل ابرز نتيجة ملموسة توخوها هي توحيد الأعياد بين مختلف الطوائف، فلا يعود المسيح من بعد "يولد مرتين ويصلب مرتين ويقوم مرتين"! وتسكت إلى الأبد السنة الهازئين التي تفتح، في كل عام، جرحاً آن له أن يلتئم. وبقدر ما كان تفاؤلهم كبيراً، كان تشاؤمهم أكبر حين لم يروا

تحركاً في هذا الاتجاه من لدن رؤسائهم الروحيين، وسرعان ما تضاءل حماسهم الأول ومنيوا بخيبة أمل مريرة واخذوا يهجرون تلك اللقاءات التي ما عتمت ان أضحت في طي النسيان.

لسنا بصدد قضية توحيد الأعياد، وان كانت مطلبا شرعياً آن له أن يتحقق -وقد سبق لنا مرارا ان اشرنا إلى ان الاختلاف يرقى إلى القرن ١٦ بين تقويمين ليس للعقيدة فيهما شأن[1]، وتمنينا أن تكثف اللقاءات بين رؤساء الكنائس، كي يصار إلى اتفاق شامل على صعيد القطر حول صيغة يجمع عليها الكل- وفي مقدمة هذه الصيغ تثبيت عيد القيامة في أحد من نيسان - ويقيننا بان هذا التوحيد، وان بدا ملحا، إلا انه قد ينسينا ما هو أكثر أهمية: ذلك لان الوحدة المسيحية تتطلب جهداً كبيراً لمعرفة بعضنا بعض واحترام بعضنا بعض والتعاون والحوار مع بعضنا البعض.

فإلى هذه المعرفة المتبادلة يهدف اسبوع الصلاة، حين يسعى كل منا إلى معرفة أعمق لما تمثله كل كنيسة من تاريخ وتراث ولغة وطقوس وتقاليد... وهذه المعرفة تقتضي جهداً نزيهاً لتقييم ما تحمله هذه الكنائس من ثراء للكنيسة الجامعة. وإلى هذا الاحترام المتبادل يهدف اسبوع الصلاة، حين يحملنا على إسقاط أحكامنا المسبقة وردود فعلنا الغريزية تجاه الكنائس الأخرى وتجنب كل أشكال الاستهزاء والتهكم وتراشق التهم، اية كانت الدوافع والحجج. أليس بالمحبة تبنى الوحدة؟ ألم يوصِنا المسيح بان تكون المحبة علامتنا الفارقة: "بهذا يعرف الجميع بأنكم تلاميذي إذا كنتم تحبون بعضكم بعضا".

هذه المعرفة وهذا الاحترام هما السبيل إلى التعاون المثمر بين الكنائس: أليس التعاون في مجالات الحياة المسيحية هو انجع السبل للسير على طريق الوحدة؟ وبوسع هذا التعاون ان يشمل كافة أوجه النشاط المسيحي، بدءاً بالتثقيف المسيحي بمختلف صيغه، وإلى مختلف الأصعدة الراعوية والرسولية والاجتماعية والخيرية والوطنية... فحبذا لو اتخذنا من كلام القديس اغناطيوس الإنطاكي شعاراً نلتزم به جميعا: "لا تعملوا منفردين ما استطعتم عمله سوية".

(١) راجع فـ.م.: نيسان ١٩٧١، نيسان ١٩٧٥، أيار ١٩٨٢، نيسان ١٩٨٣.

ومثل هذا التعاون في أوجه الرسالة المسيحية يشكل الأساس لقيام حوار بناء على صعيد العقيدة والإيمان. فإذا كان الحوار العقائدي يصطدم بعقبات تاريخية ونفسية جمة، أليس بوسع "حوار الحياة" ان يكون قاعدة صلبة لحوار لاهوتي جاد يمكننا من اكتساب رؤية جديدة تبدد ما كان يعتبر في الأمس عقبة لا تقهر! ولم يعد من يجهل ان معظم الاختلافات، مردها تباين في المصطلحات والتعابير الإيمانية الناتجة عن مدارس لاهوتية مختلفة، كما جاء في البيان المشترك الذي وقعه في حزيران الماضي البابا يوحنا بولس الثاني والبطريرك زكا الأول عيواص.

فلكي لا تبقى الوحدة المسيحية أمنية وحسب، نتغنى بها بين حين وآخر وليس من مجيب، لا بد لكنائسنا العراقية ان تعود فتنظم لقاءات مسكونية للصلاة، إلى جانب جلسات عمل للمناقشة والتداول في القضايا المشتركة، ولاسيما في الاسبوع المخصص للصلاة من أجل الوحدة، شريطة ان تتم هذه اللقاءات بمبادرة مشتركة من كافة الكنائس، بحيث يبدو الجميع انهم أصحاب الدعوة وليس مدعوين! وحبذا لو تضمنت اجتماعات الصلاة احتفالات ليتورجية تؤدى بمختلف الطقوس واللغات، مما يزيدنا معرفة بمسكونية الكنيسة وتنوع ليتورجياتها وتعددية تعابيرها الإيمانية. وحبذا لو تقام محاضرات دورية تتناول الحركة المسكونية بمختلف جوانبها اللاهوتية والتاريخية والمسلكية والراعوية والرسولية والروحية... وقد تكون أولى ثمار هذه اللقاءات الاتفاق على توحيد عيد القيامة!

إنها أمنية تنقلها الفكر المسيحي -وهي لسان حال المسيحيين العراقيين- إلى السادة رؤساء الطوائف المسيحية في العراق، وأملنا الا تبقى هذه الأمنية مجرد أمنية وحسب!

شباط - آذار ١٩٨٥

سينودس ... عشرون عاماً بعد المجمع

ما زال الكثيرون يذكرون بارتياح عميق يوم أعلن يوحنا ٢٣ في كنيسة "مار بولس خارج الأسوار"، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٩، العزم على عقد مجمع مسكوني! وكان هذا الإعلان مفاجأة كم أيقظ من آمال وكم حرك من مياه في كل جنبات الكنيسة. وفي مثل هذا اليوم من هذا العام، ومن عين المكان، وقف يوحنا بولس الثاني ليعلن عن عزمه على عقد "سينودس خارق العادة" (من ٢٥ تشرين الثاني-٨ كانون الأول ١٩٨٥) إحياء لذكرى مرور ٢٠ عاماً على اختتام جلسات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥). وكان هذا الإعلان، هو الآخر، مفاجأة أثارت ردود فعل مختلفة في الأوساط الكنسية: لماذا هذا السينودس-المفاجأة؟ هل هو مجمع مسكوني مصغر؟ وهل بلغ وضع الكنيسة حدا يتطلب التئام سينودس خارق العادة؟ وماذا عن غاياته وأهدافه: أتحذير من "نتائج" الفاتيكاني الثاني -ولا يتردد بعضهم من وصفها بالسلبية!- أم إضفاء ديناميكية جديدة على توجهاته النبوية، بعد ٢٠ عاماً من الخبرة؟ تساؤلات كان لا بدّ ان يثيرها هذا الاعلان، سيما وان السينودس المنوي عقده يحمل صفة "خارق العادة".

إن انعقاد "سينودس الأساقفة" ليس جديدا على الكنيسة، منذ أن انشأ بولس السادس عام ١٩٦٥ هذه الهيئة الكنسية، كثمرة من ثمار المجمع المسكوني وكامتداد له، والتي تتيح للبابا ان يجتمع بممثلي أساقفة العالم اجمع في حوار بناء حول القضايا التي تواجهها الكنائس المحلية. وقد التأمت، خلال ٢٠ عاماً، ست سينودسات، بمعدل سينودس لكل ٣ سنوات -كان آخرها حول "المصالحة والتوبة" (١٩٨٣)، فيما سينكب السينودس المقبل لعام ١٩٨٦ على "مسؤولية العلمانيين في الكنيسة". أما السينودس "خارق العادة" فيلتئم حين تكون هناك قضايا تتطلب حلاً سريعاً، ويشترك فيه فقط البطاركة

ورؤساء المجالس الأسقفية من مختلف البلدان -ومثل هذا السينودس تم مرة واحدة عام ١٩٦٩ حول "الجماعية في الكنيسة". فإلى هذا النوع ينتمي السينودس الذي يدعو إليه البابا في نهاية العام الحالي، وان ليست هناك قضايا "مستعجلة"، طالما ان الغاية منه، على حد تعبيره، "تبادل الخبرات والمعلومات حول تطبيق الفاتيكاني الثاني على صعيد الكنيسة الجامعة والكنائس المحلية"، وذلك في مناخ من الشركة الكنسية التي اتسمت بها جلسات المجمع، و"على ضوء المتطلبات الجديدة".

عشرون عاماً انطوت على المجمع المسكوني! قد تبدو هذه المسافة قصيرة لقياس نتائجه، لولا التحولات الكبرى التي شهدها عصرنا خلال العشرين عاما الماضية والتي طرحت على الكنيسة تساؤلات جديدة. وهكذا يصبح السينودس ضرورة لكنيسة عليها ان تقوم بقراءة جديدة لتوجهات المجمع على ضوء المتطلبات الجديدة. وكم ستغني الكنيسة الجامعة الخبرات التي عاشتها الكنائس المحلية في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية متباينة بتباين الحضارات والقيم والتقاليد والأنظمة في مختلف المجتمعات البشرية. وقد يكون هذا السينودس -وتلك أمنية نسوقها- فرصة لتقييم خصوصيات الكنائس المحلية في طروحاتها الراعوية والرسولية ومعالجاتها للأوضاع المختلفة التي واجهتها وتواجهها، وليس من ضير على وحدة الكنيسة من التعددية في الفكر والممارسة!

"يبقى المجمع الفاتيكاني الثاني الحدث الأساس في حياة الكنيسة المعاصرة". قالها يوحنا بولس الثاني في الإعلان الذي أطلقه، وهو على يقين من ان المجمع كان ولا يزال "حدثاً تاريخياً" سجل منعطفا في توجهات الكنيسة لا عودة فيه: كنيسة رضيت بطيب الخاطر ان تنكب على اعادة النظر في حياتها الداخلية ليتسنى لها أن تدخل في حوار بنّاء مع العالم الخارجي. كنيسة أدركت بان لها شيئاً تقوله لعالم على عتبة الألف الثالث، ولإنسانية تنتظر ان تسمع منها كلمة أمل ورجاء.

فإذا كان هذا السينودس خارق العادة فرصة للكنيسة لمراجعة حياة، كالتي قامت بها ابان المجمع، فكانت لها بمثابة هبة نسيم عليل أعاد إليها الصحة ومنحها ديناميكية للشهادة للإنجيل وسط العالم،

فستكون الدعوة إليه "إلهاما" كالذي حرك يوحنا ٢٣ للدعوة إلى مجمع مسكوني لم يعد بوسعنا قياس كل مردوداته الايجابية على صعيد الكنيسة الجامعة. وإذا كان انعقاد هذا السينودس بمثابة نظرة فاحصة إلى الشوط الذي قطعته الكنيسة، بأضوائه وظلاله، والخبرات التي اكتسبتها، بهدف إيقاظ قدرات جديدة والتخطيط لعمل راعوي أكثر ديناميكية وأكثر التصاقاً بمعضلات إنسان اليوم وتطلعاته، فسيسجل ولا شك منعطفا كالذي سجله المجمع، وسيكون نقطة انطلاق جديدة لكنيسة تريد أن تأخذ مكانها في عالم الألف الثالث.

إلى هذا السينودس سيذهب بطاركتنا -وبعضهم اشتركوا في جلسات المجمع- حاملين ثقل ٢٠ سنة انطوت على مجمع توجهت وثائقه إلى كنائسنا كما إلى سائر كنائس العالم، في محاولة لقياس نتائجه ومردوداته على حياة ومستقبل كنائسنا في الشرق. وسيكون هناك ولا شك صمت حول العديد من القضايا التي لم تقوَ كنائسنا على مواجهتها، لان نفحة المجمع لم تهبَّ عليها، وكان بوسعها -بحكم خصوصياتها المتميزة- ان تغني خبرة الكنيسة الجامعة، ولها ما تقوله في كثير من المجالات! فأملنا ان يكون هذا السينودس فرصة لنا جميعا، أساقفة وكهنة وعلمانيين، لمراجعة حياة جادة حول ما حققته كنائسنا في مضمار التجدد الذي الهمه المجمع، إلى جانب العديد من القضايا والمعضلات التي تنتظر ان يلفحها نسيم المجمع، في أعقاب ٢٠ عاماً على اختتامه... واليوم أحرى بنا من الغد!

نيسان ١٩٨٥

... لئلا ينطفئ السراج!

"من أجل ثقافة مسيحية جادة"! تحت هذا العنوان أطلقت "الفكر المسيحي" سؤالاً للمناقشة في عدد شباط-آذار. وريثما تأتي الإجابات التي سنعكسها في عدد حزيران، يطيب لنا أن نلقي نظرة خاطفة على ما هي عليه الثقافة المسيحية في عراقنا الحبيب.

كلنا يتشكى من النقص في الثقافة المسيحية! وفيما يرى البعض في هذا النقص ضعفا ينخر في كيان الكنيسة، يرى بعضهم فيه خطراً محدقاً يهدد مستقبل المسيحية في هذا البلد. وفيما يتفاءل البعض إزاء بعض المبادرات التي تجري هنا وهناك، يذهب التشاؤم ببعضهم إلى حد إلقاء السلاح وانتظار الموت المحتم في سلبية قاتلة!

إن المؤشرات على ضآلة الثقافة المسيحية وضحالتها لدى مسيحيي العراق بنوع عام، والشباب منهم بنوع خاص، ظاهرة للعيان. ويكفي أن نلمّح هنا إلى ثلاثة مصادر للثقافة تعاني منها كنيستنا، وهي: جهل الكتاب المقدس، شحة الكتاب الديني، انحسار التعليم المسيحي.

هوذا الكتاب المقدس يبدو المؤمنون تجاهه أشبه بمتغربين، وقلما يدفعهم الفضول للاطلاع على مضمونه والتعرف على أسفاره وعلى الرسالة التي تحملها... ولسنا نغالي إذا قلنا بان نسبة الذين قرأوا الكتاب المقدس بأكمله قد لا تتجاوز ٥٪! وقد تبلغ ٢٠-٣٠٪ بالنسبة إلى العهد الجديد. فما خلا ما يقرأ منه في الاحتفالات الطقسية، يبقى القسم الأكبر منه مجهولاً! ولا يندر أن يجهل الكثيرون الخيوط التي تربط العهد الجديد بالعهد القديم، فيما تنقص الكثيرين خلفية حضارية تأريخية روحية لقراءة مثمرة لأسفار الكتاب المقدس بعهديه. ولهذه الظاهرة الخطيرة أسباب كثيرة، منها ما يتعلق بالصعوبات التي يواجهها المؤمن في قراءة الكتاب المقدس، إلى جانب قلة قناعته من

جدوى هذه القراءة، لاسيما حين تخدش حسه ومشاعره بعض نصوص العهد القديم، فضلا عن ضآلة الدراسات الكتابية التي تمهد السبيل للدخول في بيئة الكتاب... وليست شحة الكتاب المقدس من أقل الأسباب أهمية!

وماذا نقول بصدد الكتاب الديني الذي تفتقر إليه كنيستنا، في وقت كان ينبغي ان يحتل الكتاب مكان الصدارة في مجمل النتاج المطبوع. أليس الكتاب من ابرز موارد الثقافة؟ وهل هناك بين كافة الوسائل ما يعوض عن الكتاب، سيما إذا شمل شتى حقول الثقافة المسيحية؟ فلو قمنا بمسح لمجموع الكتب الصادرة في العشرين سنة الأخيرة، لوجدنا ان حصيلة ما نشر -بالرغم من الجهود المبذولة- لا يكاد يحتل رفا في مكتبة! ناهيك عن غياب عناوين كان ينبغي ان تغني المكتبة المسيحية في العديد من الميادين. هذا نداء نوجهه إلى العديد من الكهنة الذين بوسعهم أن يغنوا المكتبة بنتاجاتهم، وبينهم ذوو كفاءات واختصاصات.

ولو عدنا إلى المدرسة -وهي المكان الملائم لتلقي الثقافة المسيحية- فلا شك أننا نلمس، وبكثير من الأسى، الضعف الذي خلّفه غياب مادة الدين المسيحي عن معظم المدارس التي يتلقى أطفالنا وشبابنا دراستهم فيها. فما خلا المدارس التي يشكل الطلاب المسيحيون أغلبية، يبقى القسم الأكبر منهم محروما من أي تعليم مسيحي! وفيما ندعو المسؤولين الكنسيين إلى تكثيف جهودهم لدى الجهات المختصة للمطالبة بشمول كافة الطلبة المسيحيين بالتعليم الديني، وفي كافة المدارس، أية كانت نسبتهم، لا نخفي قلقنا إزاء التهاون الذي يتسم به موقف الوالدين تجاه مراكز التثقيف المسيحي التي أنشئت في معظم الكنائس لسد الفراغ الذي تتركه المدرسة.

وإذ ندعو كافة الطلبة إلى ارتياد هذه المراكز حيث تلقى المحاضرات الدينية ولمختلف الأعمار، نحمّل الوالدين مسؤولية السهر على تأمين ثقافة مسيحية لأولادهم. وغني عن القول ان التربية المسيحية مسؤولية تتقاسمها الأسرة والكنيسة معاً، ويجب ان تتضافر الجهود لتأمينها وترسيخها لدى النشء الجديد الذي عليه سيتوقف مستقبل المسيحية.

ويطول بنا الحديث إن نحن شئنا أن نستعرض ونناقش كل مصادر الثقافة المسيحية ونلمّ بمضمونها وقنواتها وأساليبها... إنما نكتفي بالقول بان الضرورة تقضي ان تصبح كل أوجه النشاط المسيحي في خدمة الثقافة المسيحية، بدءاً بالاحتفالات الطقسية، وصولاً إلى المواعظ، مرورا بالدورات اللاهوتية والحلقات الدراسية والندوات الخ...

وحبذا لو اتجهت أنظار الكنيسة نحو استخدام وسائل الإبلاغ الحديثة في نشر بشرى الإنجيل، وذلك عبر الكتاب والصحيفة والمجلة والنشرة... دون إهمال الوسائل السمعية البصرية كالاسطوانة والكاسيت والسلايد والفيلم والفيديو... وإذا كانت "الفكر المسيحي"، من موقعها، تسهم، عبر طابعها الإعلامي، في سد حيز ضئيل من هذا الفراغ في مضمار الثقافة المسيحية، إلا اننا نطمح إلى مجلات متخصصة في شتى الحقول ولمختلف الأعمار. وفي انتظارها، نأمل ان تشق "الفكر المسيحي" طريقها إلى كل أسرة مسيحية.

وإزاء هذه الطموحات قد يأتي الرد سريعا: هذه الطموحات تتخطى الإمكانات المتاحة! ولكن هل من ضير ان نحلم حين تكون هناك قابليات وإمكانات تنتظر الضوء الأخضر لتنطلق؟ وهل يصح ان نتكلم عن حلم حين تكون هناك قناعة راسخة بان الثقافة المسيحية حاجة ماسة نفتقر إليها، وضرورة يجب ان تُجنّد لها كل القدرات والطاقات؟ فنحن إزاء قضية هي من صميم مسؤولية الكنيسة، وقضية كهذه تستحق ان تحتل الأولوية في اهتمامات كنيستنا العراقية. ومتى توفرت القناعة، كان التخطيط، وكانت أولويات، وكان تضافر الجهود... انها صرخة نطلقها في مسامع كل الذين يهمهم ألا ينطفئ سراج الإنجيل في ما بين النهرين، ولا نخال أن أحدا من أبناء هذه الكنيسة العريقة، من أسفل السلم إلى أعلاه، يطيب له أن ينطفئ السراج!

أيار ١٩٨٥

الشباب ... طاقة يجب أن تتفجر

يعيش اليوم في العالم ٩٢٢ مليون من الشباب تتراوح أعمارهم بين ١٥-٢٤ سنة (٤٧٠ مليون فتى و ٤٥٢ مليون فتاة)، وللعالم الثالث من هذه الشريحة حصة الأسد (٤/٥). تلك هي حصيلة دراسة نشرت في إطار السنة الدولية للشبيبة. وقد عكست هذه الدراسة اهتمامات شباب اليوم، وفي مقدمتها قضايا التنمية والأسرة والعمل والثقافة... وهذه الاهتمامات تعكس بدورها المعانيات التي تواجه الشباب في عالم تخضه الحروب والنزاعات، وتهدده المظالم بكافة أشكالها، وتتفشى فيه أمراض تنبئ بانفجار لا تحمد عقباه، بدءا بالفقر والجوع وسوء التغذية، مرورا بالبطالة وانحسار فرص العمل، وانتهاء بممارسات القمع والتعذيب والعنف والإرهاب الخ...

والشباب في هذه المرحلة من العمر يشكلون الشريحة الأكثر عطاء وديناميكية، بفضلِ الطاقات والإمكانات التي يزخرون بها، وهم الذين، بعد ١٥ عاماً سيمسكون بزمام الأمور، حين تكون البشرية قد دخلت الألف الثالث الذي سترسم ملامحه، ومنذ الآن، شبيبة اليوم: شبيبة عطشى إلى الحب والحياة، شبيبة تعشق العدل والسلام، شبيبة تحلم بعالم أفضل يقوم على الحق والحرية والاخوة والتضامن.

وإزاء هذا العدد الكبير من الشباب الذين هم على عتبة الألف الثالث، يتسرب الشك إلى نفوسنا، نحن الكبار، من قدرتهم على تسلُّم المسؤوليات الجسيمة التي تنتظرهم، وعلى مختلف المستويات، ونحن نراهم يسخرون بالقيم التي نعتبرها نحن مقاييس لا تُمس: فنأخذ عليهم رفضهم للمفاهيم التي عليها نبني قناعاتنا، وثورتهم على العادات والتقاليد التي جعلنا منها مكتسبات لا ينبغي أن ينالها أذى، ونلحي باللائمة على تحدياتهم للقوانين والأنظمة التي اتخذت لدينا صفة

القدسية! وقد تذهب بنا مآخذنا عليهم إلى كيل أقسى التهم وأبشعها بحقهم.

انه صراع الأجيال! صراع يتخذ اليوم شكلاً عنيفاً، بحكم التحولات السريعة التي يشهدها عصرنا. وهذا الصراع، مرده اختلاف عميق في الرؤية والمفاهيم والتوجهات بين عالمين: عالم الكبار الذي لا يطيب له أن يصغي إلى تساؤلات الشباب وتحدياتهم ونداءاتهم...، وعالم الشباب الذي سئم الوصاية التي مارسها ويمارسها البالغون عليه، حتى اتخذت مطاليبه في التحرر صيغ الرفض والمقاومة والعنف، وأحيانا صيغ الانطواء واللامبالاة والعبث.

وحين نتكلم عن صراع، إنما نتكلم عما يحمله الصراع من مدلول ايجابي، بصفته حركة جدلية ديناميكية بوسعها أن تجعل الصراعات التي تعيشها الطبقات أو الشرائح الاجتماعية تتحول إلى خبرات متبادلة ولقاءات مثمرة وحوار بناء، شريطة ألا تكون هناك رغبة في الاحتواء. فإلى مثل هذا الحوار يتطلع بأمل جيل الشباب الذي يهمه أن يُسمَع ويُصغى إليه لكي يَسمع ويُصغي.

و"الفكر المسيحي" التي اعتبرت دوما أن للشباب تساؤلات وطروحات يجب أن تحظى باهتمام الكبار بحيث تحملهم على إعادة النظر في الكثير من القيم والمفاهيم... ورغبة منها في الالتصاق بمعانيات الشباب وطموحاتهم، وبدافع الحرص على تحويل الصراع بين الأجيال إلى فرص حوار... أطلقت، مع عدد أيار، استفتاء حول محاور ثلاثة: حياة الشباب الخاصة، مكانة الشباب في المجتمع، دور الشباب في الكنيسة.

ففي "حياة الشباب الخاصة" هناك، من جانب الأسرة، مضايقات وضغوط يخضعون لها، تمس حريتهم في الاختيارات وتنال من حقهم في ممارسة هذه الحرية بروح المسؤولية. والأسئلة التي يطرحها الاستفتاء، هي فرصة لهم للتعبير عن المعانيات التي يواجهونها، في مرحلة من حياتهم يتوجب عليهم فيها ان يكتسبوا شخصية مستقلة تكون قادرة على مواجهة التحديات التي تنتظرهم.

أما في ما يتعلق بـ "مكانة الشباب في المجتمع"، فكثيرا ما تصطدم رغبة الشباب في ممارسة دورهم في المجتمع بعقبات جمة، وأبرزها عدم اعتراف المجتمع بقابليتهم على الالتزام، والاستخفاف بقدراتهم على تحمل مسؤولية تطويره، وعدم إتاحة الفرص لهم للمساهمة الفعلية في حياته. وغني عن القول ان شعور الشباب بانهم مرفوضون وغير أهل بحمل المسؤولية -فضلاً عن الاستلابات التي تنال من حريتهم وكرامتهم- يخلق فيهم نزعة إلى التنصل والهروب قد ينقلبان إلى سلبية قاتلة.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى "دور الشباب في الكنيسة"، دور يريدونه نابعا من دعوتهم المسيحية وليس "إشراكاً" -قد لا يكون دوماً بطيب الخاطر- تدعو إليه حاجة في الكنيسة إلى ملء الفراغ الذي يخلفه النقص في عدد الكهنة أو أية اعتبارات أخرى. ولا نخفي خيبات الأمل التي يُمنى بها الشباب وهم يصطدمون بمفهوم عن الكنيسة يضحون بموجبه "خرافاً" تساق، وليس أعضاء فاعلة في جسد المسيح. فمتى غابت تلك المقولة "الكنيسة هي نحن جميعاً"، لا عجب أن يولي الشباب ظهرهم للكنيسة المؤسسة، ويتنصلوا من مسؤولياتهم الروحية والرسولية التي يضعها عليهم سرا العماذ والتثبيت.

قراءنا الشباب:

بمناسبة العام الدولي للشباب، شاءت "الفكر المسيحي" أن يتوجه إليكم العدد الخاص لهذا العام، وتتخذ مساهمتكم فيه حيزاً كبيراً. والاستفتاء الذي أطلقته -وأملنا أن تكونوا كثراً في الإجابة إليه في موعد أقصاه ٢٠ تموز- يتيح لكم ان تعبروا عن قناعاتكم ومعانياتكم، وتطرحوا تساؤلاتكم ونداءاتكم، وتصوغوا أمنياتكم وتطلعاتكم. وسيعكسها العدد الخاص الذي يظهر في الخريف القادم بإذن الله.

"لا نريد الحرب، ونتمنى لو انتهت غداً"

قالها الرئيس القائد صدام حسين قبل أيام قلائل، فيما نحن على قاب قوسين من السنة السادسة على اندلاع الحرب بين العراق وإيران، والتي لم يكن يخيل لأحد أنها ستدوم طويلا! فهذه خمس سنوات، عداً، انطوت على حرب كان البلدان الجاران بغنى عنها. وتعود بنا الذاكرة إلى أيلول ١٩٨٠ حين اندلعت تلك الشرارة التي سرعان ما تحولت إلى نار متقدة أخذت تحصد الألوف من الشباب في كلا الجانبين: فمن تحرشات على الحدود، إلى أعمال العنف والتخريب، إلى قصف المدن والقرى الآمنة، إلى القتال بكافة أنواع الأسلحة الفتاكة... وسرعان ما امتدت رقعة القتال على جبهة يربو طولها على ١٠٠٠ كم!

انها الحرب -ما أقساها- تدور رحاها على رقعة من الأرض يطمع الطامعون في ثرواتها، ويستكثر عليها الحاسدون رغبتها في السيادة والاستقلال، ولا يطيب لبعضهم ان تعيش شعوبها في سلام وأمان، فيما يشق على بعضهم ان يروا سواعد سكانها تتضافر في حركة البناء والتقدم...

نزاع كان بالإمكان تصفيته بالطرق السلمية... سرعان ما تحول إلى حرب دامية لم يقدّر لها أن تدوم أكثر من بضعة أسابيع! وها نحن في أيلول ١٩٨٥ ووراءنا خمس سنوات نُسجت أيامها وشهورها بمعارك ضارية، فيها انتصارات وإخفاقات من جانب أو من آخر، أفضت بنا إلى طريق مسدود!

وإزاء الويلات التي خلفتها هذه الحرب، والمآسي التي أفرزتها -وبعضها تعدى الأزمة الاقتصادية وأسفر عن أزمات نفسية وخلقية واجتماعية-، وإزاء العدد الهائل من القتلى والجرحى والأسرى والمفقودين والمعوقين في كلا الجانبين، يتساءل كل منا في سره: لماذا يتقاتل

البشر؟ لماذا تتناحر الشعوب؟ أليس هناك سبيل لتصفية الخلافات غير سبيل الحرب؟ أما كان بالإمكان تحاشي وقوع الحرب؟ ونتمنى (في سرنا أيضاً) لو لم تندلع الحرب أبداً، ولو لم تبلغ الأمور مبلغاً أصبحت الحرب معها ضرورة!

وإزاء المساعي الحسنة التي تبذل هنا وهناك لتسوية النزاع بالطرق السلمية، سواء عبر الأمم المتحدة أو الهيئات والمنظمات الدولية والعربية والإسلامية، أو من خلال مبادرات بعض الدول المحبة للسلام أو الشخصيات العالمية، الدينية والمدنية... يبتسم لنا الأمل بوقف الحرب وعودة السلام إلى ربوع المنطقة، ولكن سرعان ما ينقطع حبل الأمل الذي يشدنا إلى السلام، وقد بات هو الآخر ضرورة قصوى لكافة شعوب المنطقة.

وفي غمرة تساؤلاتنا، تمتد ذاكرتنا نحو تاريخ البشرية الذي إن هو سوى نسيج من الخصومات والحروب والتي غالباً ما خمدت دون غالب أو مغلوب، بعد أن تكون قد استعرضت عضلات المتحاربين واستنفدت قواهم، وحملتهم على التعقل. فأية حرب، مهما طال أمدها، لم تُفض بالمتحاربين إلى طاولة المفاوضات ومعاهدات الصلح؟ تلك سنّة اختبرتها البشرية في تاريخها الحديث، منذ الحرب العالمية الأولى وإلى ما بعد الحرب الثانية: أليست الويلات التي خلفتها النزاعات المسلحة - ويربو عددها على ١٥٠ نزاعاً في الأربعين عاماً الأخيرة- هي التي دفعت بالأطراف المتنازعة إلى البحث عن سبل السلام؟ أليست مفاوضات الحد من التسلح وحظر السلاح التي تجري اليوم، دليلاً على رغبة الدول في تحاشي حرب ثالثة تهدد البشرية بالفناء الشامل؟

ان الحرب -كل حرب- أيا كان شكلها، وأية كانت دوافعها، حتى تلك التي تُضفى عليها صفة (القدسية)، هي نزوة تستنزف قدرات المتحاربين وتخلف الخراب والدمار وتهدر دماء الأبرياء. فقبل أن تكون الحرب قضية حق وشرف وكرامة، هي قضية الإنسان الذي تُبخس قيمته وتُوظّف طاقاته في غير مكانها! انها قضية بلدانٍ يتخلخل اقتصادها وتهتز سياساتها وتُشَلّ حركتها، وتبقى تعاني طويلاً من آثار الحرب ومردوداتها السلبية، وعلى كافة المستويات.

من هذا المنطلق الإنساني، وحين كانت الحرب في مهدها، بادر العراق في ٢٨ أيلول ١٩٨٠ إلى إطلاق نداء السلام، سلام عادل يرسو على حق البلدين في حدود آمنة، معلناً استعداده الكامل لوقف القتال والجلوس على طاولة المفاوضات. ومنذئذ، وعلى دفعات متتالية، برهن العراق بفم الرئيس القائد على رغبته الصادقة في السلام، من خلال تجاوبه مع قرارات مجلس الأمن ونداءات العديد من المؤتمرات والهيئات العربية والدولية. إلا ان هذه الرغبة في السلام من جانب العراق، واجهها عناد ورفض من جانب إيران مما اضطر العراق إلى المجابهة دفاعاً عن أمنه وسيادته.

"قوة العراق اليوم هي قوة من أجل السلام"! قالها الرئيس المناضل صدام حسين، ولا يني يقولها في أكثر من مناسبة، دليلاً على تصميمه على وقف القتال والسير في اثر السلام الذي أصبح اليوم، أكثر مما مضى، حاجة ملحة. فلقد آن لنزيف الدم ان يتوقف، ولأصوات المدافع أن تسكت، ولشبابنا أن يلقوا السلاح ليتجندوا في عملية البناء التي عرّضتها الحرب للتعثر. ففي حديث له إلى رئيس تحرير جريدة "السياسة" الكويتية، في ٢٨ تموز الماضي، وفي غمرة الاحتفالات بالذكرى السابعة عشرة لثورة ١٧-٣٠ من تموز المجيدة، خلُص سيادته إلى القول: "لا نريد الحرب، ونتمنى لو انتهت غداً"! تلك هي أمنيته وأمنية كل العراقيين، وقد آن لها أن تتحقق، ونتمنى لو تحققت اليوم!

آب - أيلول ١٩٨٥

الشباب ... علامة استفهام

عدد خاص

يضع الشباب على الكثير من القيم والمفاهيم والنظم والعادات والتقاليد علامات استفهام، تخفي وراءها تساؤلات جادة قلما يجدون أذانا صاغية إليها لدى "عالم الكبار"، وقلما يحظون بأجوبة شافية إلى هذه التساؤلات التي تعج بها صدورهم، وبعضها ينغّص عليهم العيش؟

وإزاء علامات الاستفهام هذه، تنتصب علامات استفهام أخرى يضعها "الكبار" بدورهم، فتعكس نظرتهم إلى الشباب كقاصرين؛ وسرعان ما تتخذ ردات فعلهم تجاههم شكل وصاية قد تشتد وتقسو وتطول إلى ما شاء الله، فيما تتخذ أحيانا أخرى شكل حكم قاس ينحي باللائمة عليهم وينعتهم بالميوعة والعبث واللامسؤولية...

وتطول القائمة بعلامات الاستفهام التي يتراشق بها الشباب والبالغون، في أمور وقضايا كثيرة تشمل مختلف أوجه الحياة. فيأخذ الشباب على البالغين تزمتهم وعنادهم وضيق أفقهم... ويأخذ البالغون على الشباب رفضهم وتمردهم وانفعالاتهم... حتى أفضى بهم الأمر إلى طريق شبه مسدود هو أشبه بـ "حوار الطرشان"! انه انعدام الحوار بين عالمين، مرده جهل متبادل، رسخته رعونة من جانب أو من آخر، وعمقه فقدان الثقة والانفتاح.

"لا نفهمهم... ولا نطيق فهمهم... يسوءنا مسارهم ونخشى مغباته... لم نعد ندري ما يريدون وإلى مَ يهدفون..."

عبارات تعكس معانيات الكبار، وعلى مختلف الأصعدة، ازاء ظاهرة الرفض التي يعتصم وراءها الشباب، وازاء قلة تجاوب الشباب مع خططهم ومقاصدهم ومشاريعهم والتي كثيرا ما تبدو وكأنها "ألبسة جاهزة" يفصلونها ليرتديها الشباب، ولو كانت بخلاف قياسهم

وحجمهم! والله أعلم كم يأنف الشباب الحلول الجاهزة، ويكرهون الأجوبة المسبقة التي لا تجيب إلى أسئلتهم الجوهرية ولا تلتقي مع حاجاتهم الواقعية.

"لا يفهموننا... لا يعترفون بنا... يحدّون من حريتنا ولا يمنحوننا الثقة... يريدوننا على شبههم وشاكلتهم..."

عبارات تتردد على لسان الشباب لتعكس معانياتهم، وعلى أكثر من صعيد، هم الذين يريدون أن يكونوا "هم أنفسهم"، لا كما يراد لهم أن يكونوا، ويرفضون أن يخضعوا لضوابط تُفرض عليهم من علٍ، أو أن يسلكوا وفق أطر محكمة أو أن يكونوا تابعين مقلدين!

الحب، الجنس، الأسرة، المجتمع، السياسة، الثقافة، العمل، المظالم الاجتماعية، العنف، الثورة، الدين، الإيمان، الكنيسة، الحرية، العدالة، الحرب، السلام الخ... قضايا يريد الشباب أن يكون لهم فيها كلمة يقولونها بصوت عال، حتى وان اضطروا أحيانا إلى اخفات صوتهم! ويتحتم من ثم على الكبار -في الأسرة والمجتمع والكنيسة- أن يسمعوهم ويصغوا إليهم ويكتشفوا، في رفضهم وتساؤلاتهم وتحدياتهم لا بل في صمتهم، نداء يتوجه إليهم، فيحملهم على إعادة النظر في الكثير من قيمهم ومفاهيمهم وعاداتهم وممارساتهم الخ.. حتى وان تزعزعت قناعاتهم وتعكرت طمأنينتهم التي طاب لهم أن يتحصنوا فيها طويلاً!

"الشباب، جيل الرفض"! قد تصح هذه المقولة في شباب يرفضون لمجرد الرفض أو بهدف إثبات الذات، ولكنها تصح بالأكثر في شباب يعرفون ما يرفضون ولماذا يرفضون... وما رفضهم الذي يتخذ صيغا عديدة، سوى مؤشر لرغبتهم في التجديد ونضالهم في البحث عن بديل لعالم يصنعونه بأنفسهم ويكونون فيه روادا. من هذا المنطلق، يضحي الرفض حالة ثورية وظاهرة ديناميكية تعجل في رسم ملامح إنسانية جديدة وبناء عالم جدير بسكنى الإنسان، يمسك بزمامه شباب اليوم وهم على عتبة الألف الثالث. ويبقى على الكبار ألا يكتفوا بالتباكي على ماض في طريقه إلى الزوال، بل أن يتوسموا في رفض الشباب وتساؤلاتهم وطروحاتهم وتطلعاتهم علامات استفهام نبوية تبشر بفجر جديد ومستقبل مشرق.

فإلى كل هؤلاء الشباب "الرافضين" الذين يحملون في قلوبهم جوعا إلى الحق والحرية والعدل والسلام، وعطشاً إلى الحب والعطاء والخدمة والالتزام، نقدم هذا العدد الخاص بمناسبة السنة الدولية للشبيبة، وقد سعينا إلى رصد تساؤلاتهم ومعانياتهم وآمالهم وطموحاتهم... وهي أوسع من أن يضمها عدد مهما تنامى في الحجم! وقد انكب عليها عبر محاور أربعة:

- **تساؤلات وطموحات**: في هذا المحور يلقي مقال "الشباب في عصر التحولات" نظرة لاهوتية على صراع بين عالمين ينبئ بالأمل بعالم جديد يكون الشباب طليعته، شريطة أن تلعب "الثقافة" دوراً أساسيا في بناء شخصيتهم المتميزة، فيكونون أهلاً بمسؤولياتهم الخطيرة؛ فيما عكست إجاباتهم إلى الاستفتاء بعنوان "الشباب بين الواقع والطموح" تطلعاتهم المشروعة في الحرية والاستقلال وتقرير المصير في حياتهم الخاصة.

- **معانيات وآمال**: وتحت هذا المحور كان لا بد للشباب أن يعبروا عن معانياتهم وآمالهم، في نطاق الأسرة عبر المحاورة "شباب ووالدون... وجها لوجه"، وفي نطاق المجتمع عبر إجاباتهم إلى أسئلة الاستفتاء حول "مكانة الشباب في المجتمع". وفيما أدلى شبان وشابات بآرائهم ومفاهيمهم في قضايا تستأثر باهتمامهم، عبر "لقاءات" أجريت معهم، وضعهم مقال "الشباب ازاء مغامرة الحب" تجاه دعوتهم إلى الحب في كل أبعاده الإنسانية.

- **الشباب... أمل الكنيسة**: ولما كان هذا العدد يتوجه إلى الشباب المسيحي، كان لا بدَّ له أن ينكب على قضية "الشباب والإيمان" في تحليل لازمة الإيمان وأبعادها ومردوداتها، ويلقي أضواء الإنجيل على موقفهم من "وصايا الله". وفيما أعاد القرار المجمعي إلى الأذهان الأسس التي تقوم عليها "رسالة العلمانيين"، وعكست نتائج الاستفتاء فهم الشباب "لدورهم في الكنيسة"، ذهب مقال "الشباب والكنيسة" إلى إبراز موقعهم في حياة الكنيسة ورسالتها، لما يزخرون به من طاقات وإمكانات بوسعهم أن يضعوها في خدمة الإنجيل.

• **الشباب، عطاء والتزام:** وتحت هذا المحور استعرض مقال "الحركات الشبابية في الكنيسة" المجالات التي يمارس الشباب من خلالها عملهم الرسولي؛ وعكست طاولة مستديرة "انتظارات الشباب من الكنيسة" والدور الذي يحق لهم أن يلعبوه في فكرها وفهمها وطقوسها وممارساتها؛ فيما لفت مقال "الشباب في خدمة التثقيف المسيحي" الانتباه إلى أهمية مساهمة الشباب في هذه العملية التي هي من ابرز الأولويات في حياة كنيستنا العراقية.

قراءنا الأعزاء

هذا العدد الذي نضعه بين أيديكم، أردناه يتوجه بنوع خاص إلى الشباب، بمناسبة عامهم الدولي، ليجيب إلى تساؤلاتهم العميقة، ويعالج جانبا من المشاكل التي يتعرضون لها، ويدعم مطاليبهم وأمنياتهم، ويدلهم على المواقع الأصيلة التي منها يمارسون دورهم ويضطلعون بمسؤولياتهم، في نطاق الأسرة والمجتمع والكنيسة. فإلى جانب البحوث والتحليلات والمحاولات، أبينا إلا أن يكون للشباب فيه متسع يعبرون من خلاله عن معانياتهم وتطلعاتهم. ويقيننا أن هذا العدد يكون قد أصاب الهدف:

❖ إذا أيقظ الوعي لدى الشباب بأنهم دعامة المجتمع، لا أرقاماً لا صوت لها، بل أعضاء فاعلون يحملون مسؤولية بنائه وتطويره وتقدمه على أسس الحق والحرية والعدالة والأخوة والتضامن.

❖ إذا عمل على تقليص الهوة بين الشباب ووالديهم، فحمل الوالدين على تقليص فترة الوصاية عليهم، ومكن الشباب من بناء شخصيتهم المستقلة في إطار حرية مسؤولة، وأرسى قواعد حوار بنّاء على أساس الحب والاحترام المتبادلين...

❖ إذا أسهم في يقظة الشباب على دعوتهم المسيحية ومكنهم من اكتساب حس إيماني أصيل، يضحي الإيمان بموجبه "قضية حب" تحملهم على تسليط أضواء الإنجيل على سلوكهم ومواقفهم وتطلعاتهم المشروعة..

❖ إذا رسخ الشعور لدى الشباب بدورهم ومسؤولياتهم الجسيمة في حياة الكنيسة ورسالتها وعلى مختلف المستويات، وحمل الكنيسة على الإصغاء إلى نداءات الشباب ومطاليبهم، ومكنها من استعادة شبابها لتكون في العالم شاهدة للرجاء...

ونحن بانتظار ردودكم وآرائكم وتعليقاتكم...

تشرين الأول – تشرين الثاني ١٩٨٥

ولد لكم مخلص ... هو المسيح الرب

حين يطل علينا عيد الميلاد، تكتظ في ذاكرتنا أحداث كثيرة رواها لنا الإنجيليون بصفتهم شهود إيمان أكثر مما بصفتهم مؤرخين أو مخبرين. وكان هدفهم ان يعبروا عن خبرتهم الإيمانية بذاك الذي رأوا فيه مخلصاً، ويعكسوا عنه صورة اخذوا يبحثون عن ملامحها في كتابات الأنبياء... وما اكتملت إلا بعد قيامته، حين راحوا يستذكرون ما صنعه يسوع وعمله، في محاولة لربط الأحداث التي جرت في ما بينهم بإشارات ورموز وردت في تضاعيف العهد القديم. الم يكتب يوحنا الإنجيلي في أعقاب حادثة طرد الباعة من الهيكل: "ولما نهض من الأموات تذكر تلاميذه انه قال هذا، فامنوا بالكتاب والكلام الذي فاه به يسوع"؟ واثر الحفاوة التي لقيها يسوع على أبواب أورشليم: "ولم يفهم تلاميذه ذلك، بادئ ذي بدء، ولما مُجد يسوع تذكروا أن ذلك قد كُتب عنه وانه صُنع له".

من هذا المنطلق ألقى الإنجيليون الضوء على ميلاد يسوع -ولم يكن احد منهم شاهد عيان لأحداث الميلاد! ويتميز بينهم متى الإنجيلي الذي قلما روى حدثاً إلا ودعمه بآية أو نبوءة، استخدمها بهدف ترسيخ الإيمان لدى سامعيه، وقرائه من بعد، بذاك الذي سبق الانبياء فأنبأوا بمجيئه. فحين يروي قصة الحبل العجيب يضيف للحال: "وكان هذا ليتم ما قال الرب بالنبي القائل: ها إن العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل -الله معنا" (اشعيا ٧: ١٤). وحين تساءل هيرودس عن المكان الذي يولد فيه المسيح، يدعم متى جواب الكهنة والكتبة بنبوءة من ميخا (٥: ٢) ينقلها بتصرف: "لأنه هكذا كتب بالنبي: وأنت يا بيت لحم... لأنه منك يخرج زعيم سوف يرعى شعبي". وعلى هذا المنوال يستشهد بارميا النبي (٣١: ١٥) لدى مقتل أطفال بيت لحم: "صوت سمع في الرامة... راحيل تبكي على بنيها...".

فميلاد يسوع لم يكن بذي شأن لولا قيامته، ولم يتخذ كل ابعاده الا على ضوء القيامة، حين اخذ الرسل والمؤمنون الأولون يرون فيه ذاك الآتي باسم الرب ليخلص وينقذ ويحرر: "ويدعى اسمه يسوع -ومعناه: الله يخلص- لأنه يخلص شعبه من خطاياه" (متى ١: ٢١). ويلخص لوقا الإنجيلي رسالة يسوع حين يضع على لسان الملاك البشير: "سيكون عظيما وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله عرش داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه انقضاء". وهذه البشرى يحملها الملاك إلى الرعاة: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: اليوم، في مدينة داود، ولد لكم مخلص هو المسيح الرب".

وهكذا نرى أن هناك فرقاً كبيراً بين "يسوع" -وهو اسمه التاريخي- وبين "المسيح" -وهي تسمية أطلقها عليه المؤمنون بعد قيامته- فيسوع قلما اختص لنفسه لقب المسيح، وكثيرا ما كان ينهى عن كشف هويته: "وأوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد انه المسيح" (متى ١٦: ٢٠)، لما يحمله هذا اللقب من ملابسات في فكر اليهود، هم الذين كانوا ينتظرون "مسيحاً" ينقذهم من الاحتلال الروماني ويظهر فيهم قدرة الله...

ان لقب "المسيح" -ويعني الممسوح- كان يطلق على أولئك الذين كان الشعب اليهودي ينتظر على يدهم "خلاص الله" وانجاز مواعيده، سواء كانوا ملوكا أم كهنة أم أنبياء. وكان هذا الانتظار متأصلا لدى اليهود حتى انهم أرادوا أن يروا في يوحنا المعمذان مسيحا، هو الذي اعترف قائلا: "أنا صوت صارخ في البرية: اعدوا طريق الرب...". وسرعان ما توسم بعضهم، في يسوع، ملامح المسيح، كما جاء على لسان السامرية: الا يكون هو المسيح؟ وذهب الحماس ببعضهم إلى الرغبة في تنصيبه ملكاً! غير ان يسوع، من دون ان ينزع عن ذاته صفة المسيحانية، أراد أن يبدو مرسَل الآب إلى العالم، ليحقق "خلاصاً" ينقذ الإنسان من كافة عبودياته، ويعيد اليه كرامته ويحرره من كل ما يعيق مسيرته نحو الله... خلاصاً شاملاً يتوجه إلى كل إنسان، مع أولوية للمساكين والمقهورين والمستضعفين: "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، وأطلق المرهقين أحرارا" (لوقا ٤: ٨).

هذا الخلاص الذي أنجزه يسوع، لم يُفهم في كل أبعاده إلا بعد قيامته، حين اخذ المؤمنون الأولون يعلنون "ان يسوع الناصري... قد أقامه الله... وجعله رباً ومسيحاً" (أعمال ٢: ٣٦). وهكذا أصبح لقب المسيح على لسانهم صيغة إيمان بيسوع، وسرعان ما أصبح لقبهم حين أطلق عليهم للمرة الأولى في أنطاكية (أعمال ١١: ٢٦)، هم الذين يعترفون به رباً ومسيحاً ومخلصاً، ويعلنون ان "ما من خلاص بأحد غيره" (أعمال ٤: ١٢).

"ولد لكم اليوم مخلص..."! تلك هي خلاصة الإنجيل، البشرى السارة: بشرى اعتلنت للرسل والتلاميذ الأولين عبر مسيرة طويلة مع يسوع، فراحوا يحملونها إلى العالم، بصفة "شهود" لذاك الذي مر بأرضنا يصنع الخير إلى كل إنسان ويدله على طريق الحق والحب والحياة... بشرى تتوجه إلينا في كل ميلاد، ويتحتم علينا أن نتلقاها بشوق وفرح ونحملها إلى عالم ما زال يبحث عن الحق والعدل والحرية ويتطلع بأمل إلى مزيد من الحب والتضامن والسلام.

وفيما نحتفل بذكرى بشرى ميلاد الرب يسوع، وعراقنا الحبيب يخوض حربا دامية دخلت عامها السادس، لا يسعنا إلا أن نهتف مع الملائكة: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام"، مبتهلين إلى رب السلام أن ينير القادة في كلا البلدين الجارين كي يعجلوا الخطى لوقف الحرب وإعادة السلام، ويلهم كل ذوي الإرادة الصالحة في العالم أن يسعوا إلى بناء السلام، فينعموا بالطوبى التي خص بها يسوع فاعلي السلام.

يا رب السلام أمطر علينا السلام   يا رب السلام امنح بلادنا السلام

كانون الثاني ١٩٨٥

١٩٨٦

قدماً إلى أمام

مع عدد كانون الأول الفائت، طوت "الفكر المسيحي" ١٥ سنة على ظهورها كمجلة، بعد أن كانت طيلة ٦ سنوات (١٩٦٤-١٩٧٠) "سلسة" بحجم صغير وموضوع واحد لا يكاد يشغل ١/٦ من محتواها الحالي! انها مناسبة تحملنا على التوقف برهة لنلقي وإياكم، قراءنا الأعزاء، نظرة سريعة إلى الشوط الذي قطعته. وقد تخللته صعوبات وعراقيل جمة خرجت منها سالمة صامدة، ويقينها أن ثقة قرائها بها وأمانتهم لها مكنتاها وستمكنناها من مواصلة المسيرة، خدمة للأهداف التي قامت من أجلها، في أن تكون لسان حال المسيحيين العراقيين على اختلاف طوائفهم، عبر محورين أساسيين: إعلام مسيحي جاد ونزيه، وثقافة مسيحية متجددة ومنفتحة.

تحتفل الكنيسة الجامعة بالذكرى العشرين على اختتام المجمع المسكوني، ويحق "للفكر المسيحي" أن تحتفل هي الأخرى بهذه الذكرى، وقد أبصرت النور ابان انعقاده وأصدت لوثائقه وأشاعت روحه وعكست مردوداته وأبرزت أبعاده... ويطيب لنا أن نقول بأنها، طيلة مسيرتها، واكبت وما زالت تواكب حركة التجدد الذي أطلق المجمع شراعها في جنبات الكنيسة، وذلك من خلال مقالاتها ودراساتها وطروحاتها، عبر أبوابها المتعددة، ونخص منها بالذكر: "الأنباء" التي تعكس ما يجري في الكنيسة من أحداث، و"شؤون راهنة" التي تسلط الأضواء على ابرز القضايا والمعضلات التي تواجه الكنيسة في عالم اليوم، و "الملف" -بوجهيه الإعلامي والدراسي- سواء تناول وضع كنيسة في بلد ما من مختلف جوانبها، أم انكب على قضية دينية أو اجتماعية أو تربوية، وأحاط بكل إبعادها. وغني عن القول ما حملته

وتحمله أبوابها الأخرى، الثابتة والدورية، من أضواء في مختلف اوجه الحياة المسيحية، سواء عبر "الافتتاحية" و "من وحي الإنجيل" و "ركن الأسرة" و "سؤال وجواب" الخ... أم عبر زوايا تظهر بين الحين والآخر: مقدمات في العهد الجديد، شخصيات، شهادات، مقابلات، تحقيقات، وثائق الخ...

وخلال الـ ١٥ سنة الماضية، يحق "للفكر المسيحي" أن تفاخر بالأعداد الخاصة التي أصدرتها -وقد ظهر منها ١١ عدداً- هي بمثابة "ملفات" دسمة تناولت مواضيع راهنة في غاية الاهمية، كانت ولا تزال مرجعاً دراسياً ثميناً، ونخص منها بالذكر: قضايا الجيل الجديد (١٩٧٦)، كنيسة العراق (١٩٧٧)، كهنة... لمن؟ ولماذا؟ (١٩٧٩)، شخصية يسوع المسيح (١٩٨٠)، الكتاب المقدس (١٩٨٢)، الأسرة المسيحية (١٩٨٣)، وكان آخرها "الشباب... وعي وطموح" (١٩٨٥).

قراءنا الأعزاء

لقد مرت مجلتكم، خلال السنوات الخمسة عشرة، بأزمات كثيرة على صعيد التحرير والطباعة والتوزيع والموازنة المالية الخ... فهناك معاناة من حيث انحسار الكادر الإنشائي -ونغتنمها فرصة لدعوة ذوي الأقلام إلى المساهمة الفعالة في التحرير. وهناك التعثر في الخدمات البريدية التي تشكل عقبة بوجه العديد من المشتركين. وهناك الخلل في ظهور الأعداد والذي يرجع بدرجة أولى إلى ظروف طباعية لازمتها منذ أن اضطرت، عام ١٩٧٧، إلى نقل طباعتها إلى بغداد: ويكفي أن نقول بأنها تنقلت خلال ٩ أعوام بين ٧ مطابع لاقت فيها من المصاعب ألواناً! وهناك الارتفاع في بدل الاشتراك الذي فرضه ويفرضه تصاعد تكاليف الطباعة، فضلاً عن ازدياد أسعار الورق ورسوم البريد: ويكفي أن نقول بان هذا الارتفاع لم يواكب البتة ارتفاع الكلفة (زيادة بنسبة ٥٠٠٪ في بدل الاشتراك بين الأعوام ١٩٧١-١٩٨٥، إزاء زيادة في الكلفة تجاوزت نسبة ١٥٠٠٪! ولولا اشتراكات "المناصرة" ومجانية العديد من الخدمات على صعيد التحرير والإدارة والتوزيع... لما قويت على تخطي الضائقة المالية). إلا أن ما يدعو إلى الارتياح هو أن المجلة حققت في السنوات الاخيرة نقلة نوعية من حيث الطباعة والتبويب والإخراج، ولا سيما بعد أن اعتمدت الطباعة بالاوفسيت عام ١٩٧٨: فتضاعف محتواها مع احتفاظها بعدد صفحاتها (٤٨ ص منذ عام ١٩٧٥)، وأخذت الصورة مكانها في التعبير، وأدخلت الألوان في

صفحاتها الداخلية... ولا شك أن أبرز قفزة حققتها هو اعتمادها طريقة التنضيد التصويري (الكومبيوتر) منذ منتصف عام ١٩٨٤.

ولا يسعنا بهذه المناسبة إلا أن نثمن الدور الذي لعبه وكلاؤها، القدامى والجدد، في توسيع رقعة انتشارها حتى أصبحت تفاخر بـ ٧٠٠٠ مشترك! وفيما نغتنمها فرصة لتقديم أعمق الشكر لوكلائنا الغيُر، ندعو كافة القراء إلى المساهمة الجادة في حملة الاشتراكات لهذا العام، ونحن نطمح إلى ١٠٠٠٠ مشترك -وهو رقم لا يزال دون الطموح- طالما أن بوسع كل مشترك أن يسعى إلى "كسب" مشترك جديد واحد على الأقل! وطالما أن "الفكر المسيحي" ما زالت المجلة المسيحية الوحيدة على الساحة في كنيسة العراق، ولا غنى عنها لكل أسرة مسيحية! وغني عن القول أن الكلفة تتناسب عكسياً مع ازدياد عدد المشتركين.

ومع هذا العدد الذي يفتتح العام الثاني والعشرين على صدورها، يطيب لنا أن نزف إليكم، قراءنا الأعزاء، تقويماً أنيقاً بمناسبة مرور ١٥ سنة على ظهورها كمجلة. مع تمنياتنا الحارة بعام سلام للعراق والعالم أجمع.

كانون الثاني ١٩٨٦

سنة دولية للسلام

عشية العام الجديد، احتفلت هيئة الأمم المتحدة بالذكرى الأربعين على تأسيسها، وقد قامت غداة الحرب العالمية الثانية -بعد فشل "عصبة الأمم، في حفظ السلام"- انطلاقاً من الشعور العميق بالويلات التي أفرزتها الحرب. ففي ٢٦ حزيران ١٩٤٥، اجتمعت وفود ٥١ دولة في سان فرانسيسكو لتعلن في ديباجة الميثاق: "نحن شعوب الأمم المتحدة، آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي جلبت على البشرية، مرتين خلال جيل واحد، آلاما لا توصف"

واليوم، وبعد مرور ٤٠ عاماً على نشأة الأمم المتحدة، يجتمع ممثلون من١٥٩ دولة ليتحققوا بأنفسهم عجز المنظمة الدولية في فرض السلام وحل الخلافات الدولية ووضع حد للنزاعات بين الشعوب! وبإعلانها عام ١٩٨٦ عاما دوليا للسلام، يُخيل إلينا أن المنظمة الدولية آلت على نفسها، هي الأخرى، أن تعترف بعجزها عن إحلال السلام، وتناشد من ثم الأمم والشعوب إلى المساهمة الجادة في عملية إحلال السلام، كون السلام رهنا بإرادة الشعوب بقبول مبدأ المفاوضات سبيلاً إلى حل الخلافات ووقف النزاعات.

وازاء العجز الذي مُنيت وتُمنى به الأمم المتحدة، يحق لنا أن نتساءل: هل سيكون هذا العام الجديد، حقاً، عام سلام؟ وفي غمرة شوقنا العميق إلى السلام ورغبتنا الملحة في السلام، قد يدغدغنا الأمل والتفاؤل بان الإعلان عن سنة دولية للسلام قد يُهيب بأولئك الذين يمسكون بزمام السلطة أن يركنوا إلى التعقل، ويسعوا، مخلصين، إلى تجنيب شعوبهم خطر الوقوع في شرك الحرب وحبائلها - وهل من شرك أكثر وبالاً من الحرب؟! إلا أن الواقع الذي عاشه ويعيشه عالم اليوم لا يدع فرصة لهذا التفاؤل والأمل. وتكفي نظرة خاطفة إلى المآسي التي خبرتها البشرية، في العديد من المناطق "الساخنة" على سطح الأرض،

لتكشف لنا عن ان فرص السلام أصبحت اليوم شبه معدومة، وان شبح الحرب لا يزال مخيما على شعوب برمتها، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب!

فعلى طول جبهتنا الشرقية، حرب ضروس تحصد الألوف من الشباب من كلا المعسكرين المتحاربين، حرب توغلت في عامها السادس وكادت تضحي "منسية" لدى أولئك الذين كان ولا يزال في وسعهم أن يضعوا حدا لها! وكم يحز في نفسنا أن نرى دولا -وبعضها تربطنا به أواصر القربى على صعيد الأمة والدين والجوار- يطيب لها أن تتحصن في موقف المراقب! ونقولها بمرارة: أما حان لهذه الحرب المدمرة أن تضع أوزارها، مستجيبة نداءات السلام التي تطلقها، بألم وبشبه يأس، حناجر الشعبين الجريحين؟

وعلى مقربة منا حربان: إحداهما الصراع العربي-الإسرائيلي المزمن الذي واكب مسيرة الأمم المتحدة ولم تُجدِ قراراتها نفعا، على حساب الشعب الفلسطيني الذي ما زال يناضل من اجل حقه في أرضه ودولته المستقلة... والأخرى حرب أهلية تجاوزت عامها العاشر، نسجت خيوطها طائفية بغيضة، وغذتها وتغذيها مطامع دول -للكيان الصهيوني منها حصة- يعز عليها أن يبقى لبنان واحداً حراً، سيداً!

ونضرب صفحاً عن العديد من النزاعات والصراعات في كل جنبات الكرة الأرضية: من أفغانستان إلى جنوب افريقيا، ومن ارلندا الشمالية إلى شيلي والسلفادور...، ومن الصحراء الغربية إلى النزاع الاسباني-المغربي الخ...، فضلاً عن حروب ذات أسماء جديدة: حرب النجوم -حرب التهديد المتبادل بالصواريخ والسلاح النووي-، الحرب الايديولوجية بين الشرق والغرب، والحرب الاقتصادية بين الشمال والجنوب، الحرب ضد القمع والتمييز العنصري والتخلف، والحرب من أجل العدالة والمساواة في الحقوق القومية والمدنية والدينية... وازاء كل هذه الصراعات الايديولوجية والنزاعات المسلحة، لا عجب ان يبدو نداء السلام هزيلاً، مبحوحاً، متأرجحاً، لا أحد يسمعه أو يستجيب إليه! وتبقى البشرية تئن تحت وطأة العنف بكافة أشكاله!

لن نصبح "أنبياء شؤم" إذا قلنا بان السلام، في السنة الدولية للسلام، قد لا يكون أوفر حظاً من سابقاتها! ومع ذلك يحق لنا أن ننتظر ونأمل بكل جوارحنا، أن يكون حظ السلام فيها أوفر وأجدى،

ولاسيما منذ أن أخذ ريغان وكورباتشوف على نفسيهما، في جنيف، في تشرين الثاني الماضي، أن يعملا على تقليص نزعة التهديد المتبادل والحد من التسلح واغتنام فرص التضامن... أليست تلك هي حصيلة الدعوة التي أطلقها البابا يوحنا بولس الثاني على مسامع قادة الشعوب، في رسالته "السلام: قيمة تتخطى الحدود"، بمناسبة اليوم العالمي التاسع عشر للسلام؟

ان دعوة السلام هي دعوة إلى التعقل، موجهة إلى كل الشعوب، لمزيد من احترام الحرية وإحقاق العدالة وصيانة الحقوق. انها دعوة إلى تجاوز الفروقات، أيًّا كان شكلها، سعيا إلى علاقات دولية على أسس العدل والمساواة والاخوة والتضامن. انه نداء يتوجه بنوع خاص إلى قادة الشعوب كي يكفوا عن النزعة إلى "التكتل" السياسي-الاقتصادي الذي تغذيه الأنانية والمطامع، ويرسخه الحذر المتبادل بين الدول، ويسعوا إلى تخطي الحدود الفاصلة بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب. عسى يصغي العالم إلى نداء السلام، في هذا العام الدولي للسلام، فتضحي الأرض كلها أرض سلام، أرضاً جديرة بسكنى الإنسان.

شباط ١٩٨٦

الحياة أقوى من الموت

ليس من قبيل المغالاة إذا قلنا بان جوهر البشرى التي حملها الرسل إلى العالم تكمن في الخطاب الذي ألقاه بطرس هامة الرسل، يوم العنصرة، ونقله إلينا لوقا في سفر أعمال الرسل: "ان يسوع الناصري الإنسان الذي أَيَّدَه الله لديكم... فقتلتموه صلباً... قد أقامه الله... ونحن جميعا شهود"! انه إعلان للإيمان بذاك الذي مر بأرضنا يصنع الخير، ورأى فيه الرسل والمسيحيون الأولون "رباً ومسيحاً"، فأحبوه وتعلقوا به ووضعوا عليه كل رجائهم... وكم كان موته على الصليب مبعثاً لخيبة أمل مريرة، رجّع صداها الإنجيليون وعكسها لوقا على لسان تلميذي عماوس يوم القيامة: "... وكنا نأمل انه هو الذي يفتدي إسرائيل"، وسرعان ما أعقبها بنبرة أمل، على لسان نسوة "بكرن إلى القبر ولم يجدن جسده، وجئن يخبرن ان ملائكة قد ظهروا لهن وقالوا انه حي"!

"قام المسيح"! تلك هي الخلاصة التي خرج بها الإنجيليون، وهي بمثابة صيغة إيمان انطلقت من واقع القبر الخالي -واقع كان بوسع الله وحده ان يكشف عن مدلوله في أن يسوع "أقامه الله، ساحقا قيود الموت، إذ لم يكن بوسع الموت ان يضبطه". ولقد حاول الإنجيليون ان يعبروا عن هذه الحقيقة باسلوب رؤيوي كان مألوفا آنذاك لدى الكتّاب ليدلوا عن كشف الهي من وراء الأحداث: فوضع متى على لسان الملاك الذي جاء ودحرج الحجر وخاطب النسوة: "تطلبن يسوع المصلوب، انه ليس ها هنا، بل قام كما قال". أما مرقس، فيُدخِل النسوة إلى القبر الخالي ليشاهدن شاباً يطمئنهن قائلاً: "تطلبن يسوع الناصري المصلوب. انه قد قام". وفيما وصف لوقا حيرة النسوة اللواتي بكرن إلى القبر ولم يجدن جسد يسوع، حيرة بددها رجلان بثياب براقة: "لمَ تطلبن الحي بين الأموات؟ انه ليس ها هنا، لكنه قد قام"، ينفرد يوحنا بجعل المجدلية أول من تحققت خلو القبر وهرعت لتخبر بطرس ويوحنا اللذين تحققا

الأمر بأنفسهما، ويعود من ثم ليحكي محاورتها مع الملاكين: "اخذوا سيدي ولا أدري أين وضعوه"!

وهذه النصوص المتباينة في سرد الأحداث تُجمع كلها على حقيقة واحدة: قام المسيح! وهذه الحقيقة تستند إلى شهود عيان تراءى لهم يسوع الناهض من بين الأموات، وعبر عنها الإنجيليون بصيغ مختلفة: فقد تراءى للنسوة وهن في الطريق لنقل الخبر السار (متى) ولتلميذي عماوس والرسل الذين كان الاضطراب مخيما عليهم (مرقس ولوقا)، وللمجدلية التي ظنته البستاني أولاً، وللرسل، من دون توما مرة، وأخرى مع توما، ومرة ثالثة على بحيرة طبرية (يوحنا). وفي كل الظهورات نستشف حقيقة واحدة أراد الإنجيليون أن يؤكدوا عليها: ان يسوع حي وحاضر بكل إنسانيته، وليس شبحاً أو خيالاً، ليكشف لهم هذه الحقيقة: "اما كان ينبغي للمسيح أن يكابد هذه الآلام ويدخل إلى مجده؟" وتلك دعوة إلى الإيمان بيسوع الذي كان ولا يزال حياً، إلى الأبد!

فقيامة الرب هي الحدث الأساس الذي يرسو عليه الإيمان المسيحي: "إن كان المسيح لم يقم، فإيمانكم باطل"، ولكنه حدث من نوع خاص يختلف عن حدث صلبه وموته الذي سجله التاريخ اليهودي والروماني، مدعوما بأدلة تاريخية لا تقبل الشك. كما انه يختلف عن حدث نشأة الكنيسة الأولى، وقد سجله أيضا التاريخ، استناداً إلى وثائق تاريخية ثابتة، وفي مقدمتها العهد الجديد. وبين هذين الحدثين التاريخيين، هناك "حدث" القيامة الذي ليس بوسع التاريخ -بمفهومه العلمي- ان يثبته ببراهين وأدلة، لأنه يخرج عن نطاق الاختبار، وهو من قبيل الخبرة الإيمانية التي تستند على رؤية بوسع الله وحده ان يكشفها لذوي الإرادة الصالحة. إنها خبرة وجودية شبيهة بخبرة الإنسان بالحب والخير والجمال...، لا تخضع للبرهان -من يستطيع أن يبرهن على الحب؟- وإنما هي خبرة إيمانية تنطلق من "حدث واقعي" يتم في أعماق الإنسان ويغير مجرى حياته، ومن ثم فهو وحده قادر أن يعبر عنها بقدر ما يعيشها ويشهد لها، وباسلوب يقترب من الشاعرية والرمزية أكثر مما إلى العلم والتاريخ.

ان حدث القيامة ينتمي إلى هذا النوع من الأحداث، وقد نقله إلينا الإنجيليون باسلوب رؤيوي تقترن فيه الحقيقة التاريخية بالرؤية الإيمانية، جعل من القيامة حقيقة دائمة الحضور في حياة المسيحيين

الأولين وفي حياتنا نحن المؤمنين اليوم الذين أعطيت لنا الطوبى: "طوبى للذين لم يروا وآمنوا". فلا القبر الخالي، ولا ظهورات يسوع الناهض، ولا شهادة الذين رأوه حياً -ولا "كفن تورينو ذاته!- تشكل برهانا قاطعا على قيامته، بالمفهوم العلمي للتاريخ. غير ان كل هذه العناصر، وفي مقدمتها شهادة الرسل والإنجيليين، تعكس حقيقة القيامة بصفتها حدثاً دائما لا يتوقف في الماضي، وإنما يمتد في حاضر دائم، غيّر ويغير مجرى التاريخ. وهذه الحقيقة تكمن في الاعتراف بان يسوع حي، ولم يعد للموت من سلطان عليه، وأصبح "باكورة الراقدين": "إذا اعترفت بفمك ان يسوع هو الرب، وإذا آمنت بقلبك ان الله أقامه من بين الأموات، تخلص" (رومية ١٠: ٩). وكأن كلمات الرسول بولس ترجّع صدى كلمات يسوع: "أنا القيامة والحياة: من آمن بي، وإن مات، فسيحيا".

"قام المسيح ... ونحن شهود"! هذا الاعتراف هو منطلق للرجاء الذي وطدته فينا قيامة الرب وحملتنا مسؤولية إشعاعه في عالم يتعرض لليأس والقنوط، وفي إنسانية تئن تحت وطأة آلامها ومعاناياتها. فليكن لنا، نحن المؤمنين، منطلقاً لحياة جديدة تكون شاهدة للرجاء الذي فينا، وانطلاقة لعالم جديد في بحثه عن مستقبل أفضل، وأملاً لإنسانية متجددة تبلغ إلى ملء قامتها.

وفيما نرفع إلى قرائنا اصدق التهنئات بقيامة الرب -وقد آن للمسيحيين أن يحتفلوا بها في يوم واحد!- نستمطر الرحمة على أرواح شهدائنا الأبرار الذين سقطوا في ساحات القتال دفاعا عن الوطن، مبتهلين إلى ذاك الذي كسر شوكة الموت وعلمنا أن الحياة أقوى من الموت، أن يجعل الدماء المهدورة بذرة رجاء وأمل بعودة السلام بين كافة الشعوب.

آذار - نيسان ١٩٨٦

حاجتنا إلى كهنة

حين استقبل يوحنا بولس الثاني، في شباط الماضي، عدداً من أساقفة الكنيسة الكلدانية في العراق، أبى قداسته، في مجمل توصياته -وقد نشرنا نصها في العدد الفائت-، إلا أن يعبر عن أسفه العميق لإغلاق معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل الذي ظل طيلة مئة عام يرفد كنيسة العراق بكهنة للطائفتين الكلدانية والسريانية، محمّلاً إياهم مسؤولية "إيقاظ الدعوات ومتابعة الطلبة المرشحين (للكهنوت) باهتمام"، ويقينه أن كنيسة لا تضع كل إمكاناتها في تعهد الدعوات وخلق مناخ يتسنى لها فيه أن تتفتح وتتضج، هي كنيسة جامدة تحكم على نفسها بالزوال.

وفي الرسالة التي وجهها قداسته إلى الكنيسة الجامعة، بمناسبة اليوم العالمي الثالث والعشرين - ٢٠ نيسان ١٩٨٦- للصلاة من اجل الدعوات الكهنوتية والرهبانية، قال: "الدعوات هي العلامة الأكيدة لحيوية جماعة كنسية معينة... وان الجماعة التي لا تعطي دعوات، هي كالأسرة التي لا تنجب أولادا"! وتلك هي القناعة التي شاء الأب الأقدس أن يطرحها على ضمير الجماعة المسيحية في العالم اجمع، محملا الرعاة والجماعة المسيحية بنوع عام، والخورنات بنوع خاص، مسؤولية السهر على تنمية الدعوات ورعايتها.

لم يعد خافياً أن الدعوات شهدت، في العشرين سنة الماضية، أزمة حادة على صعيد الكنيسة الجامعة، ولأسباب عديدة، ليس من اقلها شأنا الشعور الذي انتاب الكهنة بفقدان هويتهم، في عصر طرح عليهم تحديات كبرى حملتهم وتحملهم على إعادة النظر في ظروفهم الحياتية وعلاقاتهم بالكنيسة والعالم وصيغ خدمتهم وأساليب أداء رسالتهم الخ... وقد تمخضت هذه الأزمة عن هجر العديد من الكهنة الخدمة وتناقص عدد الراغبين في الكهنوت أو الرهبنة... وأخذت الكنية، في أماكن عديدة، تعاني من النقص الذي بدا وما زال يبدو

مشكلة اتخذت الأولوية في اهتمامات رعاة الكنيسة وأحبارها العظام. وتجدر الإشارة هنا إلى أن السنوات الأخيرة شهدت تصاعداً في عدد الدعوات يدعو إلى التفاؤل.

وحتى عهد قريب كانت كنيستنا العراقية تفاخر أنها بمنجى من هذه الأزمة التي اجتاحت الكنيسة جمعاء، ولكنها استيقظت يوما لتتحقق من أن الأزمة كانت على الأبواب، حين فوجئت بالرجة التي أصابت معهديها الكهنوتيين، في السبعينات، وما رافقها من تعثر في مسيرتهما من جراء تعدد الإدارات وضعف الكادر التعليمي... إلى أن بلغ بنا المطاف لنشهد إغلاق معهد مار يوحنا الحبيب -وكان قسم الكبار قد توقف منذ عام ١٩٧٣- وبقاء المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني وحده على الساحة (اقرأ التحقيق في هذا العدد). ولتصوير هذا الواقع المرير، يكفي أن نقول بان عدد الكهنة الذين رُسموا في السنوات العشر الأخيرة -ونضرب صفحا عن مستواهم الثقافي، وبعضهم دُعوا إلى الكهنوت بتهيئة دون المستوى المطلوب- لم يقو على سد الفراغ الذي تركه الكهنة المتوفون أو العاجزون، وان نسبة الكهنة الحاليين الذين تتراوح أعمارهم بين ٤٠-٦٠ سنة تزيد على ٧٠٪ ويصح ذلك في كل الطوائف المسيحية في القطر.

والغريب في أمرنا أننا نميل إلى إرجاع مشكلة النقص في عدد الكهنة إلى قضية البتولية، بينما نعلم أن المشكلة قائمة بالرغم من وجود كهنة متزوجين! أو إلى فتور الإيمان لدى الشبيبة وطغيان الروح المادية عليها الخ... ونتجاهل أن لدى شبابنا سخاء هو بحاجة إلى مناخ ملائم يمكنهم من الانطلاق في خدمة الإنجيل. فعوضاً عن أن نجتر الأسباب التي ندّعي إنها وراء الأزمة، كان الأحرى بنا أن نبحث بنزاهة عن السبل الكفيلة بتفتح الدعوات، ونسعى إلى ايجاد صيغ جديدة لعيش الدعوة إلى الكهنوت بروح الخدمة والعطاء، في عصر كثرت حاجاته وتنوعت متطلباته. أليست الشهادة التي يقدمها الكهنة عن حياة تتسم بالسخاء والالتزام والفرح هي في الأساس من تفتح الدعوات وازدهارها؟ أوَليست حيوية الجماعة المسيحية، في صلاتها وليتورجيتها وتوجهاتها الروحية والراعوية والرسولية، هي في أصل الرغبة لدى الشباب في تخصيص ذواتهم للخدمة -وما أكثر صيغ الخدمة في كنيسة مدعوة إلى استنفار الطاقات والمواهب والقابليات لدى أعضائها؟

والأكثر غرابة أننا كثيرا ما نكتفي بالتباكي على ماض مشرق والنحي باللائمة على الظروف او المضايقات الراهنة، مبررين تقاعسنا عن مواجهة الأزمة بـ "لو"، ومتناسين ان الحلول كانت وما زالت بأيدينا "لو" توفرت لدينا الإرادة الصالحة والرؤية النزيهة والتخطيط الجاد في معالجتها! ولنقلها بصراحة: حذار من حل السهولة الذي نميل إليه في مثل هذه الحالات، كأن لا نرى للخروج من هذا المأزق سوى إمكانية دعوة متزوجين إلى الكهنوت، دون النظر إلى كفاءتهم الفكرية والروحية والرسولية...، أو كأن نكتفي بتسيير الأمور في المعهد الكهنوتي حسبما تشاء الظروف -وهو المكان الملائم لتنشئة الراغبين في الكهنوت- والضرورة تقضي بالتنسيق والتخطيط والتضامن...

ان يوم الدعوات الكهنوتية والرهبانية هو فرصة لنا جميعاً، أساقفة وكهنة وراهبات وعلمانيين، لإلقاء الضوء على واقع كنيستنا العراقية والانكباب على دراسة شاملة لموضوع الدعوات، بغية وضع الإصبع على الجرح وإيجاد العلاج الملائم، لضمان مستقبل كنيسة تهيئ للغد كهنة على مستوى الطموح، يكونون أكفاء بتحمل مسؤولياتهم الجسيمة في مجتمع شهد ويشهد تحولات جذرية تفرض، هي الأخرى، نماذج جديدة من الكهنة يكونون قادرين أن يسيروا بكنيسة الغد إلى أمام.

الانكباب على "ملف" الكهنوت في كنيستنا! تلك هي أمنية طالما أطلقناها على صفحات "الفكر المسيحي"، ونطلقها اليوم من جديد لعلها تجد أذناً صاغية!!

أيار ١٩٨٦

التعليم المسيحي ... مهمة الوالدين

تحت هذا العنوان طرحت "الفكر المسيحي"، في عدد شباط، سؤالاً للمناقشة، وتمنت على الوالدين أن يعكسوا رؤيتهم ويدلوا بخبراتهم، بشأن التنشئة المسيحية التي يقدمونها لأولادهم، والوسائل التي يستخدمونها في هذا الغرض، إلى جانب العقبات التي يصطدمون بها والإخفاقات التي يُمنون بها.

وكان السؤال المطروح للمناقشة ذا أهمية كبرى يتعلق به مستقبل الإيمان في عراقنا الحبيب؛ ويؤسفنا أن نقول بان ضآلة الإجابات لم تتناسب مع أهمية الموضوع وحجم القضية! فكان لا بدَّ لنا من التساؤل عن سبب احجام عدد كبير من القراء عن الإجابة -ويصح هذا التساؤل على العديد من أسئلة المناقشة والاستفتاءات التي نطلقها بين حين وآخر، وندعو القراء إلى الإدلاء بآرائهم واقتراحاتهم وخبراتهم وأمانيهم.

وإذا ضربنا صفحاً عن بعض الأسباب الوجيهة التي يرقى إليها هذا الإحجام (تأخر وصول العدد إلى المشتركين، تعثر الخدمات البريدية، الفترة القصيرة الممنوحة لتسلم الإجابات الخ...) جاز لنا أن نتساءل: ألا تختفي، وراء قلة الإجابات، لا مبالاة لدى كثير من الآباء والأمهات تجاه قضية التعليم المسيحي التي تبدو وكأنها خارجة عن نطاق اهتماماتهم، وهم الذين تعهدوا، يوم عماذ أطفالهم، أن يرعوا بذرة الإيمان؟ ألا يوحي احجامهم ذاته عن الإجابة بان لا شيء لديهم يقولونه في هذا الأمر، وحجتهم ان التعليم المسيحي مسؤولية ملقاة على عاتق الكنيسة والمدرسة؟ ولِمَ لا نقولها صراحة: أليس صمتهم دليلاً على ان قضايا الإيمان والحياة المسيحية لا تأخذ الأولوية في قناعاتهم واهتماماتهم؟ أوَليس في تنصلهم عن هذه المسؤولية الجسيمة ما يعرِّض مستقبل الكنيسة للخطر -وغني عن القول ان مستقبل كنيسة ما منوط، بدرجة كبرى، بمدى ثقافة النشء الجديد ورسوخه في الإيمان ووعيه العميق بمسؤولياته الدينية والوطنية؟

جولة سريعة في مراكز التثقيف المسيحي، وفي مراكز الإعداد للتناول الأول في مختلف الخورنات -ويحرص الوالدون على هذه الحفلة وبدوافع مختلفة، وغالبا ما يطغو عليها الطابع الدنيوي والمادي!- تكفي لتكشف لنا عن ضحالة المعلومات التي تلقاها هؤلاء الصغار عن ذويهم، ولا يندر أن نجد بعضهم يجهل أولى مبادئ الإيمان وأولى الصلوات! فمع تقييمنا للمساعي المبذولة في كافة مراكز التعليم المسيحي، ولا سيما تلك التي تعنى بتهيئة كادر كفوء وبرامج مدروسة ووسائل تعليمية متكافئة، يحز في نفوسنا أن نقول بان مجمل ما تحتضنه هذه المراكز لا يتعدى نسبة ٢٠٪ من مجموع الطلبة، وتبقى الغالبية الساحقة بمنأى عن مبادئ الإيمان وعن ينابيع الحياة المسيحية! فإذا كانت الكنائس لا تألو جهداً في تامين التعليم المسيحي، وإن دون مستوى الطموح، فلِم يتهاون الوالدون في دعم نشاط هذه المراكز وإبداء التعاون معها؟!

ونعود إلى السؤال المطروح للمناقشة، وقد تضمن فقرات تستفتي الوالدين بشأن التساؤلات الدينية التي يطرحها أولادهم، والكتب الدينية التي يوفرونها لهم، ومدى تعاونهم مع مراكز التعليم المسيحي. فإذا أكدت بعض الإجابات الواردة على أهمية هذه المراكز وضرورة تطويرها، منهجا واسلوبا، وأشارت إلى بعض الكتب التي، على ضآلتها، تسهم في عملية التثقيف المسيحي، إلا ان معظم الإجابات عكست عجز الوالدين عن الإجابة إلى تساؤلات أولادهم، ولم يتردد بعضهم من الاعتراف بمحدودية ثقافتهم الدينية، والاعراب عن عزمهم على مضاعفة الجهود في هذا الاتجاه.

وكان المحور الثاني في اتجاه الممارسات الروحية التي يقوم بها الوالدون والتي تسهم في تنمية الإيمان في قلوب أولادهم، سواء عبر مشاركتهم في قداس الأحد، أم عبّر قراءة الكتاب المقدس والصلاة المشتركة في نطاق الأسرة، أم عبر مختلف صيغ الشهادة المسيحية. ففيما عبر بعضهم عن غياب الصلاة والقراءة المشتركة للكتاب المقدس، أكد غيرهم حرصهم على المشاركة في قداس الأحد الذي غالبا ما يصبح "فرصة لتساؤلات يطرحها الأولاد حول الطقوس التي قلما يستسيغونها ويتجاوبون معها". اما بشأن الشهادة التي يقدمها الوالدون عن الإيمان عبر ممارساتهم ومواقفهم، فقد انقسم المشاركون في اتجاهين معاكسين: ففيما يشعر بعضهم بالغبطة وهم يرون "انعكاس شهادة حياتهم، بشكل ملموس، على سلوك اولادهم"، يعاني غيرهم من

الشعور بالإخفاق ازاء "اللامبالاة التي يتصف بها الأولاد"، ويتساءلون بقلق عن الحل– وهو يكمن في نوعية وعمق هذه الشهادة: فهناك بون شاسع بين ممارسة شعائر الإيمان وبين شهادة للإيمان تعاش أكثر مما تعلن!

والخلاصة التي نخرج بها هي أننا جميعا نلمس لدى النشء الجديد فراغا كبيرا في مضمار التربية المسيحية. وازاء هذا الفراغ، نعود لنتحسر على الدور الذي لعبته من قبل المدارس الأهلية، ونعلق الآمال على ما تقدمه، من مساهمة، المدارس الرسمية التي يشكل الطلبة المسيحيون غالبيتها، ونعرب عن أملنا بان تشمل "مادة الدين" كافة الطلبة المسيحيين أية كانت نسبتهم في هذه المدارس... إلا ان كل ذلك لا يعفي الوالدين من مسؤولية ضمان تربية مسيحية جادة لأولادهم. فالتعليم المسيحي مهمة تقع بالدرجة الأولى على عاتق الوالدين، وتتقاسمها معهم الكنيسة والمدرسة: فإذا كانت المدرسة لم تعد تفي بالغرض، فذلك يدفع بالوالدين، وبأولى حجة، إلى أن يتحملوا قسطهم الكامل في هذه المهمة الجسيمة، عبر كافة الوسائل المتاحة، وبالتعاون مع الكنيسة التي يتوجب عليها، هي الأخرى، أن تجند كل طاقاتها وإمكاناتها في هذه المهمة، وقد آن لها ان تصبح القضية رقم ١ في كنيستنا العراقية، كي تبقى جذوة الإيمان فيها وهاجة ومنيرة.

حزيران ١٩٨٦

اكليروس وعلمانيون ...
أم "شعب الله"

بعد عام تقريباً من اليوم، ستُعقد في روما الدورة السابعة لسينودس الأساقفة العام حول "دعوة العلمانيين ورسالتهم في الكنيسة والعالم"، وستكون أهميتها بقدر الأهمية التي ستكون الكنائس المحلية قد أولتها للموضوع، طيلة فترة الإعداد لهذا السينودس، ويتوجب عليها ان توليها، والعلمانيون يمثلون ٩٩٪ من شعب الله الذي هو الكنيسة!

وفيما تحركت الكنائس في العديد من بلدان العالم، مع بدء الإعلان عن هذا السينودس، مناشدة العلمانيين إلى التعبير عن مطاليبهم وانتظاراتهم، لا نفشي سراً إذا قلنا بان هذا الحدث بقي خارجا عن الأضواء في معظم الأبرشيات والخورنات عندنا، وان الغالبية العظمى من العلمانيين في كنيستنا لم تعره أهمية تذكر، وبالكاد سمعت به! بينما اخذ بعضهم يشكك بنتائجه ومقرراته، إلى جانب قلة قليلة راحت ترقب الحدث وتتطلع بأمل إلى ما سيسفر عنه من توجهات سيكون لها ثقلها على مستقبل الكنيسة.

ان "ملف" العلمانيين محفوف بالظلال والتناقضات التي تراكمت عليه طيلة أجيال، وأولها تسميتهم التي توحي بأنهم أقل شأنا وأدنى مستوى من "الاكليروس"، -هذه الفئة التي طالما أصبحت مرادفا للكنيسة! وغني عن القول ان عبارة "علماني" دخلت القاموس الكنسي في حدود القرن الرابع لتشير إلى المؤمنين الذين "ليسوا كهنة او رهباناً"! وتعكس مفهوما مشوها عن الكنيسة، "شعب الله"، الذي تؤلفه أغلبية ساحقة منهم، تسوسهم وتدبر شؤونهم فئة صغيرة من "رجال الاكليروس" بمختلف مراتبهم ومناصبهم على طول السلم الهيراركي!

وان من أخطر التناقضات التي لصقت بمفهوم العلمانيين، كونهم "قطيعا" يرضى، بطيب الخاطر، ان يُرعى ويُساق ويُوجَّه ويُحتضن -ويطيب لرجال الكنيسة، بموجب هذا المفهوم، أن يروا فيهم

قاصرين، فيُحكموا الوصاية عليهم ويتحكموا بضمائرهم ومصائرهم إلى ما شاء الله! وقد يبلغ الأمر بأولئك الذين وُكلت إليهم مهمة التعليم والتوجيه والقيادة، إلى ممارسة بعض أشكال السيطرة، بما فيها الاستغلال والتخويف... أو، في أحسن الأحوال، إلى استخدام اسلوب الاحتواء الذي كثيراً ما يصبح أكثر وبالاً، كونه ينزع عن العلمانيين قابلية النقد والقدرة على الاحتجاج أو الرفض!

ويأخذنا العجب حين نراقب ردود فعل المؤمنين -وهم الذين نطلق عليهم لقب "علمانيين"- الذين طالما يَبدون، ازاء علم الاكليروس وكفاءته وسلطته، وكأنهم قاصرون أبداً، وانهم يحتاجون دوما إلى من يلقنهم ويرشدهم ويقودهم، متناسين ان الإيمان المسيحي ينبوع يغرف منه كل المؤمنين بالمسيح، ايا كان موقعهم في الكنيسة؛ انه وديعة أوتمنوا عليها جميعا، اكليروساً وشعبا، وهو بالتالي خبرة حياتية يسهم الجميع في صياغتها وتعميقها ومقاسمتها.

أوَليس غريباً ان يخشى المؤمنون إلى يومنا هذا من عبارة "لاهوت"، وكأنه يخفي أسراراً لا يحق لهم أن يطلعوا عليها! -واللاهوت إن هو سوى تنظير للمعطيات الإيمانية على ضوء الكتاب المقدس والتقليد الكنسي، ولقد ساهم العلمانيون في بدء الكنيسة في عملية التنظير هذه، وبوسعهم أن يسهموا فيها اليوم بعين الروح النبوية التي كان يتمتع بها المسيحيون الأولون، عبر قراءة جادة لعلامات الأزمنة على ضوء الإيمان. أوَليس من الغرابة بمكان ان يبقى المؤمنون إلى يومنا هذا أسرى مفاهيم تكون القداسة بموجبها من نصيب الاكليروس، ويكون التبشير بالإنجيل وقفاً على هؤلاء "المتخصصين" بشؤون الدين، من رجالٍ او نساءٍ؟! في حين يتحتم على كل المؤمنين بالمسيح ان يكونوا شهوداً ورسلاً، كما جاء في المرسوم المجمعي "في رسالة العلمانيين": "... غير ان العلمانيين، وقد أشركهم المسيح في وظيفته الكهنوتية والنبوية والملكية، يضطّلعون هم أيضا، في الكنيسة وفي العالم، بالقسمة التي قسمت لهم من رسالة شعب الله كله أجمع".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكنيسة، بعد تنصر الملك قسطنطين، تبنت النظام الهيراركي الذي رسخ الهرمية وعمّق التمييز بين فئتين، على حساب الشركة التي كانت ميزة الجماعة المسيحية الأولى. وان تاريخ الفصل بين رجال الاكليروس والعلمانيين، طيلة أجيال، خلق عقلية خاصة لدى كل من الفئتين: من جهة، ترسخ الشعور

لدى الاكليروس بعدم صلاحية العلمانيين للمشاركة في صياغة فكر الكنيسة، وبعدم جدارتهم بالكرازة بالإنجيل والقيام بأعباء الرسالة المسيحية...، ومن جهة أخرى تسرب الشك إلى العلمانيين أنفسهم بعدم كفاءتهم على نقل بشارة الإنجيل والاضطلاع بالمسؤوليات الكنسية... وقد أسفر هذا الشعور عن شبه استئثار وإبعاد من جانب الاكليروس، وعن شبه استقالة وتنصل من جانب العلمانيين! وكان ينبغي ان ننتظر المجمع المسكوني كي يعلن بان الكنيسة هي "شعب الله"، وان الكهنوت الخدمي المنوط بالاكليروس لا ينفي الكهنوت العام الذي يشترك فيه كل المؤمنين.

فإذا سعى سينودس الأساقفة المقبل إلى الانكباب على "ملف" العلمانيين، من الوجهتين اللاهوتية والمسلكية، وخرج باعتراف علني حول مكانة العلمانيين ودعوتهم ورسالتهم، وفق منطلق إنجيلي لا غبار عليه، فسيسجل منعطفاً هاماً في تاريخ الكنيسة. وبالعكس، إن هو كرس حالة "الفئوية" وظلت توجهاته أسيرة مفاهيم يبقى بموجبها العلمانيون اقل منزلة من الاكليروس، وتبقى دعوتهم ورسالتهم في الكنيسة رهن انتداب يفسح لهم مجال المساهمة في بعض النشاطات، وينزع عنهم حق المشاركة في غيرها...!

وفي انتظار هذا السينودس، لا يسعنا إلا أن نتمنى على كل أبرشية وخورنية ان تنكب على مراجعة حياة لمعرفة المكانة التي يحتلها فيها العلمانيون، والحيز الذي يشغلونه في مجمل النشاط الروحي واللاهوتي والراعوي والرسولي. ومثل هذه المراجعة لا يمكن أن تتم بمعزل عن العلمانيين، ويتوجب أن تجري في جو من الحوار البناء وبروح التضامن المصيري، من اجل خدمة للإنجيل تكون أكثر فاعلية وإشعاعاً.

آب ـ أيلول ١٩٨٦

كنيسة العراق ... أي مسار؟

عدد خاص

يذكر القراء بارتياح العدد الخاص لعام ١٩٧٧ عن "كنيسة العراق"، وقد أشار في حينه إلى مواطن القوة والإشعاع الكامنة فيها، إلى جانب مواطن الضعف والركود. وجاء العدد آنذاك في ذكرى مرور ١٥ سنة على افتتاح المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، كانت الكنيسة الجامعة خلالها قد شهدت تحولات عميقة في مفاهيمها وصيغ تعبيرها اللاهوتي والليتورجي ونهجها الراعوي وتوجهاتها المسكونية... وقد كان لها المجمع بمثابة "عنصرة" جديدة مدتها بنفحة الروح وحفزتها إلى "العودة إلى الينابيع" واكتناه "علامات الأزمنة" وفتح أبوابها ونوافذها للنور والرياح.

وفيما كان للمجمع مفعول نقطة الزيت في العديد من كنائس العالم، بدت كنيستنا العراقية وكأنها بمنجى عن تيار المجمع وتوجهاته، وكأنه لم يتوجه إليها، لا من قريب ولا من بعيد! فلا عجب إذا ما بقيت وثائقه وقراراته طي الجهل والنسيان، ولا عجب إذا لم تظهر من انعكاساته سوى بضع ظاهرات هنا وهناك، ليست في الغالب بذات شأن! ولا عجب أيضاً إذا ما ظلت "الفكر المسيحي" -وهي الأداة الإعلامية العراقية الوحيدة التي أصدت لروح المجمع ووثائقه وتوجهاته وعكست مردوداته عبر التيارات التي أنبتها والطروحات التي استحثها- تبدو وكأنها كانت وما زالت تصرخ في صحراء!

وبعناد وصمود أولئك الرجال الذين يأبون ان يلقوا السلاح، أبينا إلا أن ننكب من جديد على "كنيسة العراق. عشرون عاما بعد المجمع" -وكانت هذه الذكرى فرصة لانعقاد سينودس فوق العادة (٢٤ تشرين الثاني-٨ كانون الأول ١٩٨٥) لمراجعة الإرث الذي خلفه المجمع-

في محاولة جادة لتسليط الأضواء على واقع الكنيسة العراقية، وإبراز علامات اليقظة والتجدد فيها، والكشف عن الظلال التي ما زالت تكتنفها، وتوجيه الأنظار إلى بعض القضايا والمعضلات التي ينبغي أن تحتل الأولوية في اهتمامات كافة أبناء الكنيسة، في القمة والقاعدة. فكان هذا العدد.

إليكم، قراءنا الأعزاء، هذا العدد الذي، بعد أن استعرض مقال "المجمع المسكوني... بعد ٢٠ عاماً" ابرز التحولات التي أحدثها المجمع في فكر الكنيسة ولاهوتها وليتورجيتها ونهجها الراعوي، يعود بنا المقال عن "خصوصية الفكر اللاهوتي في كنيسة ما بين النهرين" إلى ينابيع لاهوتنا المشرقي في محاولة لرسم ملامح لاهوت معاصر يجمع بين الأصالة والعصرنة.

وراح العدد يلفت الانتباه إلى أولويات في كنيسة العراق، على ضوء المجمع، فكانت مسألة "التعليم المسيحي... بين جيلين" -ومن يجهل خطورة هذه القضية الكبرى على مستقبل المسيحية في عراقنا الحبيب، إذا لم تسع كنيستنا إلى تقديم البشرى للجيل الجديد بلغة جديدة وبمضامين تلتقي مع حاجاته وتطلعاته؟ وكانت مسألة التضامن بين "الكهنة والعلمانيين... لبناء كنيسة واحدة"، تضامن يضع حداً لروح "الطبقية" التي تسربت إلى الكنيسة "شعب الله"، حيث الكل مدعوون إلى الاضطلاع بدورهم ومسؤولياتهم من اجل بنيان جسد المسيح.

وفيما وضع مقال "التجديد الليتورجي على ضوء المجمع" الإصبع على ركود الليتورجيا التي لم تعد تتحدث إلى وجدان المؤمنين وتتفاعل مع حاجاتهم وانتظاراتهم، دعا مقال "نظرة إلى موقع كنيسة العراق من الحركة المسكونية"، ومن منطلقات تاريخية موضوعية، إلى إسدال الستار على أزمنة التجاهل والتباعد وافتتاح عهد الالتحام والتضامن.

وإلى جانب هذه الدراسات، كان لا بدَّ أن نخصص منبرا يتحدث منه أساقفة عراقيون واكبوا المجمع وشاركوا في أعماله، فكانت تلك "المقابلات" التي عكست آراء وتوجيهات ثلاثة من أساقفتنا الأجلاء الذين لبوا الدعوة مشكورين. كما كان لا بدَّ ان نمنح الكلام لكهنة وعلمانيين ليعبروا بحرية تامة عن انتظاراتهم في عدد من القضايا التي تمس كنيستنا في الصميم. وكان العدد سيبدو ناقصا لو

لم تزينه لوحة كاملة عن كنيسة العراق بتعدد طوائفها وطقوسها وأبرشياتها ورهبانياتها -وقد شئنا، هذه المرة، ان يتضمن هذا المسح الشامل نبذة عن تاريخ كل أبرشية مع ابرز النشاطات فيها.

قراءنا الأعزاء

وفيما نزف إليكم هذا العدد -وننتظر ردودكم وتعليقاتكم عليه- نأمل أن يكون بمثابة ناقوس يحمل إلى كل جنبات الكنيسة العراقية نداء المجمع وتوجيهاته، في أعقاب ٢٠ عاماً على اختتامه، فيوقظها من غفوتها -ولديها بعدُ متسع للنهوض- ويلفت أنظارها إلى مواطن الضعف والانحلال، ويدفعها بالتالي إلى القيام بـ "مراجعة حياة" شاملة تخرج منها أكثر صفاء وأكثر شبابا وأكثر حيوية وأكثر إشراقاً.

هذا النداء إلى التجدد الذي أطلقه المجمع والذي طالما رجعت "الفكر المسيحي" صداه، طيلة سنوات وجودها الاثنتين والعشرين، يلتقي مع النداء الذي وجهه مؤخراً، في شباط الماضي، البابا يوحنا بولس الثاني -وللمرة الثانية خلال ٥ سنوات- إلى كنيسة العراق عبر أساقفة من الكنيسة الكلدانية. فمن القضايا التي لفت إليها قداسته الأنظار: الإصلاح الليتورجي -وقد جدد البابا الدعوة "لمتابعة مشروع التجديد الليتورجي بنشاط، بحسب روح المجمع المسكوني"-، والسعي إلى "إيقاظ الدعوات الكهنوتية" ورعايتها، والانكباب على مهمة "اصلاح الجمعيات الرهبانية" وإجراء التجديدات اللازمة في بنيتها وقوانينها الخ... ولعل ابرز نقطة شدد عليها البابا هي الدعوة إلى إنشاء مجلس أساقفة يكون أداة فعالة "للتشاور حول القضايا التي تمس حياة الكنيسة على الصعيدين الوطني والدولي"، وقد جعل قداسته هذه الدعوة ضرورة ملحة يطلبها المجمع وتلتقي مع رغبة الكنيسة. وقد آن لهذا النداء البابوي ان يجد لدينا أذنا صاغية!

عشرون سنة مرت على ختام المجمع، تحركت خلالها كنائس الله في العديد من بلدان العالم، منكبة، عبر سينودسات ومجالس راعوية ومؤتمرات وطنية، على مسح شامل لواقعها، تخللته تحليلات رصينة ودراسات جادة عادت عليها بأشهى الثمار. مثل هذا المسح وهذه "المراجعة" بات مطلبا ملحاً في كنيستنا العراقية، وقد حان الأوان للإعداد لسينودس وطني يعيد لكنيستنا شبابها وعنفوانها. وإذا كان الإعداد لمثل هذا السينودس يستغرق عدة سنوات، فالأحرى بنا أن نبدأ اليوم! وإلا فلن نبدأ أبداً!

تشرين الأول – تشرين الثاني ١٩٨٦

سلام، سلام، وسلام!

في ٢٧ تشرين الأول الماضي، اجتمع في اسيزي ممثلون عن كل الديانات الكبرى في العالم، لا لمؤتمر دراسي، ولا للبدء بحوار، وانما للصلاة من اجل السلام! وهذا اللقاء الفريد الذي جمع، في موطن القديس فرنسيس الاسيزي رسول الاخوة الشاملة، رجالا من مختلف الأديان والحضارات والشعوب، كان قد دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني بمناسبة السنة الدولية للسلام، وارداه مساهمة في عملية السلام تتجند لها كل الديانات بالرغم من اختلافاتها -وقد كانت هي في الماضي سبب انقسامات ومشاحنات لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم، بحجة الدفاع عن "حقوق الله"، والتي كثيراً ما اختفت وراءها مصالح سياسية واقتصادية ونوايا ايديولوجية.

"الحروب الدينية"! ويسجل التاريخ الكثير من هذه الحروب عبر الأجيال، ولكنها تتكشف عن مفهوم أحادي لامتلاك الحقيقة المطلقة، يقترن به تزمت من جانب يسعى إلى فرض تلك الحقيقة على الجانب الآخر، وبالقوة إن اقتضى الأمر! وبموجب هذا المنطوق، لا يبدو غريباً ان تتحول المهمة التبشيرية لدى ديانة ما إلى نزعة نحو التوسع على حساب ديانات أخرى، عبر كافة وسائل الاكتساب والتصيد والاقتناص، وأحياناً عبر القمع والتهديد! ولا يمكن لأي دين ان يدفع عن نفسه هذه الوصمة، أو يبرر ساحته من مسؤوليته في تغذية هذا التعصب الذي كان في أصل تلك الحروب، ولا يزال وراء العديد من النزاعات.

مثل هذا الاعتراف، لم يتردد البابا، هو الأول، من القيام به في اسيزي، وعلى مسامع العالم: "لم نكن دوما فاعلي سلام"، ويقينه ان "السلام يحمل اسم يسوع المسيح"، ويتحتم بالتالي على كل المسيحيين أن يكونوا صانعي سلام وشهود سلام في العالم. "السلام استودعكم... سلامي أعطيكم"! قالها يسوع في وصية الوداع، وكان، في خطبة الجبل، قد حمل تلاميذه مسؤولية السعي إلى صنع السلام.

وكان قد سبق هذا الاعتراف، بعشرين عاماً، إعلان أكثر أهمية خرج به المجمع المسكوني، حين دعا إلى تقييم واحترام "كل ما هو حق ومقدس لدى الديانات"، واكتشاف "شعاع من الحقيقة" في طرقها وقواعدها وتعاليمها. أليس هذا الاعلان، في حد ذاته -وقد جاء في اعقاب ٢٠ قرناً- منعطفاً تاريخياً نزع عن المسيحية مخلفات التزمت والانطواء وروح الاستعلاء... وأعاد إليها ميزة التسامح والانفتاح والشمولية التي أرادها لها يسوع المسيح. فإلى مثل هذا الاعتراف، وإلى مثل هذا التقييم والاحترام مدعوة كافة الأديان.

ان لقاء اسيزي التاريخي بين ممثلي ١٢ ديانة "اجتمعوا سوية للصلاة" -من اجل السلام- لم يكن ممكنا حتى ماض قريب، لو لم تسبقه، في العشرين عاما الماضية، لقاءات مسكونية بين أقطاب الكنائس المسيحية من جهة، وبينهم وبين وجوه الديانات غير المسيحية من جهة أخرى. وكان دور البابا يوحنا بولس الثاني بارزاً للتمهيد لهذا التجمع الكبير، عبر لقاءاته العديدة مع أقطاب الديانات ابان رحلاته الراعوية في مختلف القارات -ونقتصر على لقائه بالاسلام في المغرب، ومع الهندوسية والبوذية في الهند، ومع الديانات الانيمية خلال رحلاته الثلاث إلى افريقيا. أليست هذه اللقاءات -وقمتها لقاء اسيزي- خطوة إلى إسقاط الأحكام المسبقة والمفاهيم الخاطئة التي تحملها الأديان بعضها تجاه البعض، وسبيلاً إلى الاعتراف المتبادل بالقيم والمثل التي تتضمنها الديانات في تعدديتها... بلوغاً إلى حوار بناء في ما بينها، يسفر عن تضامن جاد في بناء عالم أكثر اخوة وأكثر عدالة، عالم ترفرف عليه المحبة ويسوده السلام.

حين يلتقي سوية ممثلو الديانات العالمية، في مكان واحد، ليرفعوا صلاة خاشعة، مستنجدة، ملحة، من اجل السلام، فذلك مؤشر على ان الديانات لن تعود ترضى بان تكون عامل فرقة بين البشر، وإنما أداة اخوة وسلام؛ وتلتزم، في الوقت ذاته، السعي إلى إشاعة السلام وتوطيده بين الامم. ففي الوقت الذي تتعثر فيه مفاوضات الحد من التسلح، وتفشل المساعي الرامية إلى وقف القتال هنا وهناك، قد تضحي الصلاة التي يرفعها القادة الروحيون -ممثلو ٣ مليارات من الخلق- ناقوساً يرن في مسامع قادة الشعوب، فيحملهم على اتخاذ جانب التعقل وتجنيب شعوبهم المآسي التي تخلفها الحروب والنزاعات. وهكذا اتخذ هذا اليوم العالمي للصلاة صفة نداء إلى ضمير البشرية،

واتخذت الهدنة التي طلبها البابا من كل أطراف النزاع، اقله في يوم الصلاة، صفة رمز يشير إلى ان السلام ممكن إذا ما توفرت الإرادة الصالحة.

"سلام، سلام، سلام"! صرخة استنجاد تطلقها، في ختام العام الدولي للسلام، حناجر الملايين من البشر، في العديد من البلدان التي تئن تحت وطأة العنف بكافة أشكاله -والحرب العراقية-الإيرانية من أكثر الحروب القائمة قسوة، بطول أمدها وضراوة معاركها وكثرة ضحاياها! ففي كل المناطق الساخنة من العالم يتخذ نداء السلام الذي ارتفع من هضبة اسيزي، مع صلاة كافة الديانات، بُعداً جديداً يخاطب ضمير قادة الشعوب وكل الذين في العالم يستطيعون ان يطفئوا نار الحروب ويمكنوا البشرية من العيش بسلام.

ومع إطلالة عيد الميلاد -ميلاد رب السلام- يتخذ نداء السلام صدى عميقاً في نفوس كل ذوي الإرادة الصالحة في العالم، الذين يسعون إلى توطيد السلام، من أعلى السلم إلى أسفله. فلهم ولد يسوع المسيح رسول محبة وسلام بين البشر، هو الذي هتفت الملائكة يوم مولده: المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام، للناس الذين بهم المسرة".

وفيما نحتفل بعيد الميلاد، وعراقنا الحبيب يخوض حرباً دفاعية دخلت عامها السابع، لا يسعنا إلا أن نضم صوتنا إلى صوت الرئيس القائد صدام حسين الذي لا يني ينادي بالسلام ويسعى إليه بكل جوارحه، طالبين إلى السيد المسيح، رب السلام، أن يرحم شهداءنا الأبرار ويجعل دماءهم بذرة سلام، ويكلل بالنجاح كل المساعي الرامية إلى إحلال السلام، ويمن علينا وعلى العالم أجمع بنعمة السلام.

كانون الأول ١٩٨٦

١٩٨٧
على عتبة العام الجديد

فيما نودع عاماً ونستقبل آخر، تنتقل بنا الذاكرة إلى الأحداث التي نسج منها العام المنصرم. وسرعان ما تنتصب أمامنا أنباء الصراعات والتوترات ومشاهد الويلات والمآسي التي نقلتها إلينا وسائل الإعلام، وبعضها يحفر في الذاكرة جرحاً لا يلتئم بسرعة! أليست الحرب العراقية-الإيرانية من هذه الجروح التي آن لها ان تلتئم، وقد طال أمدها وبلغت ذروتها، حين تزامن غروب العام المنصرم مع تصعيد مكثف للمعارك في القاطع الجنوبي، فأصبح الشوق إلى السلام، أكثر من ذي قبل، هاجساً ملحاً لدى كل الذين يدركون ان لغة السلاح لم ولن تحسم نزاعاً البتة!

ومثل هذا الاستعراض لأحداث العالم، يحق لنا ان نقوم به في ما يتعلق بالأحداث التي جرت في جنبات الكنيسة، والقضايا التي استأثرت باهتمام ابنائها، وقد نُسجت منها صفحات "الفكر المسيحي" طيلة عام. وتكفي نظرة سريعة إلى فهرس المواد والأنباء الذي ذُيّل العدد الأخير من المجلة، لتكشف لنا عن الأضواء والظلال التي اكتنفت مسيرة شعب الله في مختلف البلدان، وتدلنا على المواقع التي اعتملت فيها خميرة الإنجيل، وتجلت فيها اصبع الله.

ففي العراق ستبقى زيارة الكردينال انشيفاراي، مبعوث البابا الشخصي إلى الأسرى في كل من العراق وإيران، دليلاً على مساعي الكرسي الرسولي إلى إلفات نظر العالم إلى هذه الحرب التي كادت تضحي منسية، وعلى لمبادراته الرامية إلى وقف القتال وإحلال السلام. وفيما تبقى الكنيسة العراقية ترى في الاستشهاد أروع أشكال العطاء

والحب، تترجى بكل جوارحها ان تكون هذه الدماء المسفوكة عربون سلام دائم لعراقنا الحبيب.

ومثل هذه المساعي إلى توطيد العدالة وإلى إحلال السلام -وكان عام ١٩٨٦ عاماً دولياً للسلام!- بذلتها وتبذلها الكنيسة في لبنان الجريح عبر وساطات أحبارها؛ وفي الفيليبين حيث استعاد الشعب حريته بفضل دعم رجال الكنيسة؛ وفي جنوب افريقيا حيث تضامنت الكنائس المسيحية للوقوف بوجه نظام التمييز العنصري المقيت... وإذا كانت مساعي الوفاق بين الكنيسة والدولة في نيكاراغوا في أوَجَها، وأخذنا نلمس انفراجاً في العلاقات ينبئ بالأمل في الصين وكوبا وهنغاريا الخ... فستبقى الكنيسة في شيلي والسودان والبانيا ورومانيا الخ... تناضل كي يحظى المؤمنون بحرياتهم كاملة.

وفي خضم التحولات السياسية والاجتماعية التي تشهدها البشرية، تبقى الكنيسة تعلن بشرى الإنجيل على رؤوس الملأ. أليست تلك مهمة البابا يوحنا بولس الثاني في رحلاته الراعوية إلى الهند وكولومبيا وفرنسا، وأخيراً إلى استراليا والشرق الأقصى؟ ففي كل خطاباته، بدا قداسته مدافعاً عن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ورسول سلام بين الشعوب والأجناس والديانات، ومحامياً فذا للإنجيل ولتعليم الكنيسة، حتى وإن خدشت كلماته بعض الآذان!

وفي غمرة سعي الكنيسة إلى إبلاغ صوتها النبوي إلى مسامع العالم، يبدو الحوار المسكوني بين الكنائس علامة يقظة لدى كنيسة تدرك أن عليها أن تكون شاهدة لإنجيل المحبة؛ كما يتخذ الحوار بين المسيحيين وأصحاب الديانات أو الايديولوجيات بعداً إنسانياً يكشف عن الرغبة الكامنة في قلب كل إنسان في البحث عن الحقيقة. ولعل قمة اسيزي التي استقطبت ممثلي الديانات الكبرى في العالم للصلاة من اجل السلام كانت من أكثر علامات الرجاء قوة وأثراً.

وفيما كانت الكنيسة الجامعة، في "السينودس فوق العادة"، تعيش الإرث الذي خلّفه المجمع المسكوني، انكبت "الفكر المسيحي" بدورها على كنيسة العراق في محاولة لاكتناه مواقع التجدد الذي أحدثه المجمع فيها، ولفت الأنظار إلى الأولويات التي ما زالت تنتظر ان تهب فيها رياحه. فكان العدد الخاص الذي سعى إلى تحريك المياه في

أعقاب ٢٠ عاماً على اختتام المجمع، ولا سيما في قضايا آن لكنيستنا ان تأخذها على محمل الجد! ألم يلمح قداسة البابا إلى بعض هذه القضايا في الرسالة التي وجهها إلى أساقفة العراق؟

وفي نهاية ١٩٨٧، سينعقد سينودس الأساقفة العام حول قضية العلمانيين. ومنذ الإعلان عنه انبرت مؤتمرات ولقاءات في العديد من البلدان تناقش مكانة العلمانيين ودورهم في حياة الكنيسة ورسالتها. ونتمنى أن تنطلق في كنيستنا العراقية لقاءات مماثلة -وقد هيأت لها الفكر المسيحي عبر معالجاتها العديدة- تعمل على توضيح الرؤية في هذه القضية الهامة التي يتعلق بها مستقبل الكنيسة.

حين نضع قدماً على عتبة العام الجديد، تبتسم لنا الآمال بعالم يُمحى منه شبح الحرب إلى غير رجعة، عالم تسوده العدالة ويرفرف عليه السلام، ويعيش فيه البشر اخوة متحابين متضامنين. عالم كهذا يجب ان يُسهم في بنائه المؤمنون من كافة الديانات، ولهم من إيمانهم ما يحملهم على نبذ الأحقاد والعداوات ورص الصفوف -وعلى المسيحيين بنوع خاص ان يدركوا مسؤولياتهم الإنجيلية في صنع السلام: "طوبى لفاعلي السلام فإنهم أبناء الله يدعون"!

فليكن هذا العام الجديد عام سلام وأمن واستقرار لنا ولكل الشعوب المتنازعة في العالم...

كانون الثاني ١٩٨٧

مأوى للذين بدون مأوى

من الأرقام ما يكون أحياناً أكثر بلاغة من الكلمات! ولاسيما تلك الأرقام التي تخاطب وجدان الإنسان وضميره، لا بل وجدان الإنسانية وضميرها. فحين تشير الأرقام إلى ان النفقات العالمية من اجل التسلح بلغت، في عام واحد، ١٠٠٠ مليار دولار، وان ١١٦ مليار دولار فقط أنفقت للقضاء على مساكن "التنك" في العالم -على حد تقرير مكتب العمل الدولي عبر دراسة حديثة-، لا يمكننا إلا ان نقف مشدوهين أمام هذا التفاوت في الأولويات التي تضعها الدول، من خلال برامجها ومشاريعها وميزانياتها السنوية! فلو انقلبت نسبة النفقات، أقله إلى العكس -أي بنسبة ١٠/٩ من نفقات التسلح، إلى نفقات السكن- لخفت أزمة السكن العالمية، ولتقلص عدد الذين لا مأوى لهم، وانخفض عدد المشردين والمهجرين وسكان الأكواخ والصرائف أو مفترشي الشوارع والأرصفة... في العالم!

فمن اجل السعي إلى القضاء على هذا الشكل من البؤس الذي يتمثل في التشرد، او في العيش في مساكن هي أشبه بزرائب، أو في التنقل الدائم من ملجأ صغير إلى ملجأ اصغر وأكثر بؤساً، وبشروط صحية دون المستوى الإنساني... أعلنت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٨٧ (عاماً دولياً للذين بدون مأوى)، مناشدة الدول الأعضاء للعمل على مكافحة هذه الآفة في واقعها الراهن وفي أسبابها البعيدة والقريبة، وبكافة الوسائل التي في حوزتها، ويقينها ان ما لا تستطيعه دولة ما، تستطيعه دول إذا ما اتحدت وتضامنت.

كلنا يعلم أن في العالم ملايين من الجائعين الذين يذهب الجوع ببعضهم إلى الموت الزؤام... وان هناك عشرات الملايين من الفقراء والبائسين الذين لا يأكلون ملء بطونهم... كما نعلم ان مئات الملايين من البشر، في أماكن عديدة من العالم، يخضعون لشتى المظالم التي تنال من كرامتهم، سواء من جراء الايديولوجيات المظلمة والأنظمة التعسفية، أم من جراء سوء توزيع في الخيرات بين الطبقات الاجتماعية على الصعيد المحلي أو بين الشعوب على الصعيد الدولي... إلا أن العجب

يأخذنا حين نعلم بان، من بين هؤلاء "المذبين"، هناك مليار شخص من دون مأوى ثابت أو هم يعيشون في مساكن تعيسة لا تليق بالإنسان -وغني عن القول ان مليار شخص يعني ربع البشرية، فيا للهول!

وازاء هذا الرقم المرعب يحق لنا أن نتساءل: ماذا فعلت الدول والحكومات لتأمين سكن لائق للفقراء والمعدمين والذين لا حول لهم من مواطنيها- والسكن هو من أبرز الأولويات في حياة مجتمع ما، ومن أكثر الحقوق الإنسانية أهمية وضرورة. ألم تلتزم كل دولة عضو في الأمم المتحدة بان تحترم شرعة حقوق الإنسان التي تنص مادتها الخامسة والعشرون: "لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية، له ولأسرته. ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن...". ومثل هذا الحق يصبح أكثر إلحاحاً، حين يتعرض الفرد "لحالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة...".

وتجاه هذا الحق الذي تعترف به الشعوب على اختلاف أنظمتها وايديولوجياتها وأديانها، هل تستطيع دولة من الدول، حتى المتقدمة منها، ان تدعي بانها تغلبت على مشكلة السكن وعالجتها في جذورها وأعطت لها حلولاً شافية؟ أو أية دولة، مهما كانت قوانينها وتشريعاتها إلى جانب الطبقات الفقيرة، تستطيع ان تدعي انها فرضت احترام العدالة، وأفلحت في إنصاف المقهورين من جشع الأقوياء وكبار الملاكين وحيلهم في إحناء القانون باتجاههم وتسخيره لنزواتهم الخفية والمعلنة؟!

ان الإعلان عن سنة دولية للذين لا مأوى لهم، هو، في نظر المنظمة الدولية، نداء ملح إلى كل أفراد الأسرة البشرية، كي يدركوا "ضرورة عمل على الصعيدين الوطني والمحلي يساند الجهود التي يبذلها الأشخاص الأقل حظاً من أجل تحسين أوضاع سكناهم". وهذا النداء، من دون ان يعفي الدول من مسؤولياتها الجسيمة، يتوجه إلى كل ذي إرادة صالحة -وقد أصبح لهذا النداء صدى لدينا في الظروف الراهنة- بحيث إذا اتحدت إرادات صالحة كثيرة، في كل مكان، لإعلان الحرب ضد هذا الشكل من أشكال البؤس الذي لا يدركه إلا الذين خبروه، فقد تقوى على ما لا تقوى عليه دول برمتها!

ولِمَ لا نقولها صريحة: ان حرباً كهذه يعلنها الأفراد وتشهرها الدول والمنظمات الدولية والوطنية، الحكومية وغير الحكومية، لن تنجح ما لم تترسخ تلك القناعة في قلب كل إنسان بأننا سوف نُدان، أولاً وآخراً، على المحبة -وعلى العدالة بأولى حجة-: "كنت غريباً فآويتموني". ولا نظن ان أحداً يجرؤ على الرد: متى رأيناك غريباً فما آويناك؟!

شباط ١٩٨٧

ها نحن صاعدون إلى أورشليم

بهذه العبارة وضع متى الإنجيلي على لسان يسوع آخر إنباء بآلامه وموته وقيامته: "... وابن البشر يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت... وفي اليوم الثالث يقوم" (٢٠:١٨). وصعود يسوع إلى أورشليم، سبق ان رمز إليه صعود الشعب اليهودي من مصر، عبر البحر الأحمر وصحراء سيناء، حين كان الحمل الفصحي المذبوح علامة الخلاص والتحرير الذي شاء الله ان ينجزه. وكلمة الفصح، الا تعني "العبور"، عبوراً يتم في الضيق والألم ويتكلل بالفرح والانتصار؟ أوَليس كل "صعود" يتمخض عن كشف جديد: صعود موسى إلى الجبل أسفر عن كشف الهي، وصعود يسوع إلى الجبل أعطى للبشرية شرعة جديدة! صعود يسوع إلى جبل طابور هو تجليه بالمجد نتيجة اتضاعه وتلاشيه، وصعوده إلى "جبل" الجلجلة هو اتمام الفصح، أي ذاك "العبور" من الموت إلى الحياة والانتقال من "عار" الصليب إلى "مجد" القيامة.

ففي ضوء سر الفصح الذي أنجزه يسوع مرة واحدة، بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات، تستنير مسيرتنا، عبر معاثر الحياة ومضايقها ومعاناياتها، وصولاً إلى تحقيق هذا "الفصح-العبور" فينا، عبر اندماجنا التام بالمسيح، على أمل البلوغ إلى ملء قامته: "ان كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن اننا سنحيا معه أيضاً" (رومية٦:٨). وهذه المسيرة الصاعدة نحو القيامة، تتعهدها الكنيسة وتقودها عبر فترة الصوم التي هي بمثابة اعداد مكثف يهيؤنا لقبول مضمون الفصح في حياتنا، وهو ذاك التحول العميق الذي يقوم في الانتقال (العبور) من الظلمة إلى النور، ومن الضلال إلى الحقيقة، ومن عبودية الخطيئة إلى حرية أبناء الله، وبكلمة: من الموت إلى الحياة!

وفي غمرة الصوم الذي هو أشبه بصعود نحو الفصح، تتخذ التوبة كل معانيها، فتصبح مرادفاً للاهتداء -وهو الآخر أشبه بـ "عبور" وتحول جذري-، حين يعود الإنسان إلى ذاته ليكتشف واقعه الحقيقي، بجوانبه الايجابية والسلبية، على ضوء الإنجيل. وما ان قيّض له ان يرى هذا الواقع بوضوح، من دون زيادة أو نقصان، في نور المسيح وإرادته، كان لا بدّ له ان يصغي إلى النداءات الداخلية التي يمليها الروح عليه

ويتجاوب معها، من دون تحجر أو معاندة، كما يقول المزمرّ: ان أنتم اليوم سمعتم صوته، فلا تقسوا قلبكم! وهكذا يتحقق الفصح بكل أبعاده في حياة المؤمن، إذ يجعل منه إنساناً جديداً: "يجب ان تخلعوا عنكم الإنسان القديم... وتتجددوا في صميم أذهانكم، وتلبسوا الإنسان الجديد الذي خلق على مثال الله في البر وقداسة الحق" (افسس٤: ٢٢).

مثل هذه المسيرة "الفصحية"، إذا ما تمت بروح التوبة والمشاركة -والمشاركة في الخيرات، ولا سيما مع الفقراء، هي إحدى سمات التوبة- فسيتمخض عنها ذاك الرجاء الذي أشرق على المسكونة بقيامة الرب، رجاء يعطي للحياة معنى جديداً ويبشر بفجر جديد لإنسانية، عرضة لليأس والقنوط: "كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب، كذلك نسلك نحن أيضا في جدة الحياة. لأنّا، اذا كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضا بشبه قيامته" (رومية ٦: ٤).

"المسيح فصحنا قد ذُبح" (١ قورنتس ٥: ٧)! تلك هي النتيجة التي يستخلصها القديس بولس من موت المسيح وقيامته، وكله يقين من ان المسيح أنجز الفصح الجديد، وحصل على المجد الذي يُشرك فيه كل المؤمنين به والسائرين في اثره على درب الصليب: "وأنا متى رُفعت اجتذبت إليّ الجميع" (يوحنا١٢: ٣٢). من هذا المنطلق يضحي الفصح حقيقة دائمة الحضور، حققت وتحقق للبشرية انطلاقة في رحاب الأمل والرجاء: "لقد مات عن الجميع لكي لا يحيا الأحياء لأنفسهم في ما بعد، بل للذي مات وقام من اجلهم" (٢ قورنتس ٥: ١٥). ومن هذا المنطلق أيضا يضحي كل إنسان خليقة جديدة، وتتخذ كل الأشياء معنى جديداً: "إن كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة، فالقديم قد اضمحل وكل شيء قد تجدد" (٢ قورنتس ٥: ١٧).

فليكن سر الفصح منطلقا لحياة جديدة تبث الأمل والرجاء في بشرية تئن تحت وطأة النزاعات والحروب، وفي عالم مضطرب تتقاذفه الصراعات والتوترات على اختلافها... وليكن فصح هذا العام، لعراقنا الحبيب، "انتقالا" من حالة الحرب التي استطالت إلى استتباب السلام -وقد أصبح ضرورة قصوى- كي يقوى العراق على مواصلة عملية النهوض والبناء. ولتسفر "سنة الحسم" عن وقف الحرب وعودة السلام إلى البلدين الجارين وإلى كل البلدان التي تشتعل فيها نار الحرب.

قراءنا الأعزاء

وفيما نعتذر إليكم عن اضطرارنا -وان عن مضض- إلى جعل هذا العدد الذي بين أيديكم لشهري آذار ونيسان، يطيب لنا أن نرفع إليكم جميعا تهنئة صادقة بعيد القيامة المجيد الذي تحتفل به كل الطوائف المسيحية هذا العام -بتوافق التقويمين- في يوم واحد، آملين ومناشدين ان يجد توافق العيد في هذا العام امتداداً له -باتفاق شامل- في الأعوام المقبلة!

آذار - نيسان ١٩٨٧

"نعم" لعطية الحياة

في العدد الأخير أصدت "الفكر المسيحي" للوثيقة التي أصدرها، في ١٠ آذار، مجمع عقيدة الإيمان، بعنوان "تعليمات بشأن احترام الحياة البشرية الناشئة وكرامة الإنجاب". ولقد جاءت الوثيقة صريحة، لا لبس فيها، لتقول: "لا" بوجه كل المحاولات التقنية في علم الحياة التي تسعى إلى إخصاب اصطناعي يهدف إلى معالجة وضع "الأسر العقيمة" أو المحرومة من بهجة الأبوة والأمومة. تلك هي الخلاصة التي استخرجتها معظم وسائل الإعلام، اثر صدور الوثيقة الرومانية والتي أثارت ردود فعل سلبية في مختلف الأوساط، العلمية والشعبية، وقد اعتادت ان تسمع من الكنيسة مثل هذه الإدانات.

ليس بغريب أن تثير هذه الوثيقة ردود فعل عنيفة، وتُتَّهم الكنيسة بموجبها بالجمود والتخلف... مثل هذه الردود سبق أن أحدثتها، قبل عشرين عاما، الرسالة العامة للبابا بولس السادس "في الحياة البشرية" والتي كانت قد أكدت على كرامة الفعل الزوجي الذي يهدف إلى الإنجاب وقبول عطية الحياة بشكل مسؤول... وخلصت إلى إدانة شاملة للوسائل الاصطناعية لتحديد النسل بما فيها وسائل منع الحمل والتعقيم والإجهاض... ولقد اتهمت الكنيسة في حينه وما زالت تُتَّهم بالشدة والصرامة.

"لا" للإجهاض، أية كانت الدوافع والظروف، "لا" للتعقيم المباشر، دائميا كان أم مؤقتا، "لا" لتنظيم النسل بالوسائل الاصطناعية... قالتها الكنيسة بجرأة وتعرضت مصداقيتها للخطر! وكان وراء هذه الإدانات مبدأ أدبي واحد: ان الحياة هي عطية من الله، ويجب أن تُقبل هذه العطية وتُحتَرم، فلا تكون عرضة للتلاعب أو التشويه. وانطلاقاً من عين المبدأ، اعلنت الوثيقة الجديدة إدانتها

لكل تجارب الإخصاب عبر الأنابيب: "لا" للأمومة الاستنابية -سواء احتضنت امرأة غريبة جنينا "جاهزا" أو عبر إخصاب اصطناعي، لحساب طالبي الطفل! وبكلمة: "لا" لكافة أنواع التجارب التي تجعل من الإخصاب عملية "عرض وطلب" على حساب كرامة الفعل الزوجي وقدسية الحياة الناتجة من اتحاد الزوجين بروابط الحب والألفة...

ولقد لفتت الوثيقة الرومانية الانتباه إلى ان كل هذه المحاولات العلمية التي تعيد البسمة والأمل إلى الأسر التي حرمت عطية الحياة، ترافقها تجاوزات على كرامة الحياة الزوجية التي يجب ان يقترن بها الحب بالعلاقة الجسدية، وتجاوزات بنوع خاص على حق الطفل في ان يكون ثمرة حب والديه واتحادهما الوثيق، دون اية تدخلات خارجية على الفعل الزوجي وعلى عملية الإخصاب والإنجاب. فكما كانت هناك ولا زالت محاذير وعواقب وخيمة في استخدام وسائل منع الحمل، بخفة وبدون مسؤولية، كذلك تحذر وثيقة مجمع الإيمان من التجاوزات والتشويهات التي تنطوي على استخدام طرق الإخصاب "البيوتقنية"، مما يشكل مساساً بكرامة الإنسان وقيم الحياة! ألا يحدث الإخصاب الاصطناعي قطيعة بين هدفي الزواج الرئيسين: الحب والإنجاب؟ ألا تصل تجارب الإخصاب بمختلف أشكالها إلى حد التلاعب بمقدرات الحياة البشرية، لا سيما حين تصبح الأجنّة "حقل تجارب"؟ ألا يضحي الطفل، بموجب هذه الوسائل، "نتاجا" يُستخدم لإغراض المتاجرة؟! أَسلا يُعدّ "قتلا" إتلاف مئات الأجنة "غير الصالحة للاستخدام"؟!

فأنْ تلفت الوثيقة الأنظار إلى ظاهرات جديدة في علوم الحياة تمس المبادئ الأخلاقية، فذلك حق للكنيسة وواجب عليها، سيما وان هناك ظاهرات تثير تساؤلات لدى المؤمنين، مما يضطر الكنيسة إلى إعطاء أجوبة لكل التساؤلات. الا ان هذه الأجوبة قد تقودها أحيانا إلى الدخول في تفاصيل لا مندوحة فيها، او البتّ في قضايا هي عرضة للنقاش والتداول... وكثيراً ما تملي عليها المبادئ الأخلاقية استنتاجات عملية ترافقها إدانات قد تتجاهل الحالات الخاصة التي تستوجب مرونة أكبر.

ففي اعتقادنا ان المشكلة التي تواجهها الكنيسة في عصرنا، هو انها تريد ان تقول كلمة ازاء الظاهرات الجديدة، وبمنطلقات قد لا تلتقي مع منطلقات إنسان اليوم. وكثيراً ما تنساق الوثائق الكنسية

إلى الخروج بتوجيهات عملية تتخذ صفة الشمولية والقطعية، بينما هناك قضايا كان بالإمكان أن تبقى مفتوحة للنقاش... وهنا ليسمح لنا ان نطرح هذا التساؤل: أليس من الأفضل للكنيسة -كي لا تتعرض مصداقيتها للخطر- ان تعلن المبادئ الأخلاقية العامة، وتلقي التساؤلات بوحي من الإنجيل، وتخاطب من ثم ضمير الإنسان وحريته المسؤولة، دون ان يقودها هذا التوجه إلى استخدام لغة "الحلال والحرام"؟

وكما يسوءنا أن تتحصن الكنيسة بموقف "المراقب" تجاه القضايا الراهنة، لا يطيب لنا ان نراها تصطدم بمواقف "الرفض"، حين تخدش مسامع العالم لغة الإدانة التي تستخدمها ازاء بعض الظاهرات في حياة الإنسان المعاصر، ولا سيما ما يتعلق بحياته العاطفية والجنسية والأسرية... فما ننتظره، وينتظره كل الذين يؤمنون بكنيسة يعمل فيها الروح، هو ان تقول الكنيسة كلمة نبوية -تنطلق من روح الإنجيل أكثر مما من لاهوت يرتكز على معطيات فلسفية حضارية- في القضايا المستجدة والمطروحة على ضمير البشرية.

أيار ١٩٨٧

وتكونون لي شهوداً

في رسالته الثانية إلى طيمثاوس، يذكّر بولس تلميذه ويناشده ان "يذكي الموهبة" التي آتاه الله إياها "بوضع يده"، هذه العلامة التي تشير إلى الموهبة التي تعطى لمن يفرزه الروح القدس للخدمة. وهذه الموهبة "ليست روح فزع، بل هي روح قوة ومحبة" تمكن خادم الإنجيل من "تأدية الشهادة لربنا". ألم يوصِ يسوع تلاميذه، قبيل صعوده إلى السماء: "انكم ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض"؟ ألم ينقل لوقا في سفر الأعمال بان "الرسل كانوا، بقوة عظيمة، يؤدّون الشهادة بقيامة الرب يسوع"؟ أوليست هذه الشهادة في الأساس من حياة المسيحي ودعوته، والكاهن بشكل خاص؟ أوليس الكاهن، قبل كل شيء، "شاهداً" ليسوع المسيح، بالقول والفعل، ولاسيما بشهادة حياته التي هي أكثر بلاغة من كل الخطب والمواعظ...؟ أليست هذه الشهادة ميزة كل القديسين الذين اخذوا، على محمل الجد، مهمة التبشير بالإنجيل بصفتها "ضرورة موضوعة عليهم"؟ ألم يقل الأب شارل دي فوكو: "عليّ أن أنادي بالإنجيل بحياتي كلها"؟

ولما كنا نحن الكهنة ورثة أولئك الشهود على مر الأجيال، يتوجب علينا أن نلقي الضوء على قيمة الشهادة التي نؤديها اليوم وسط عالم هو بحاجة ماسة إلى من يشهد أمامه بقيم الإنجيل، من حق وعدل وحرية ومحبة واخوّة وتضامن وسلام... ألم يدعُنا يسوع "نور العالم"، وحذار أن يتحول النور الذي فينا إلى ظلمة؟! ألم يدعُنا "ملح الأرض"... وإذا فسد الملح، فبماذا يملّحونه؟! فحذار أن تتحول هذه الشهادة للإنجيل إلى "شهادة مضادة"، فنصبح من ثم "شهود زور" نحن الذين أعطيت لنا هذه النعمة: "أن نبشر بغنى المسيح الذي لا يستقصى..."، ووكلت إلينا مهمة حمل البشرى السارة إلى العالم اجمع، بشرى ملكوت يسكن فيه الحب والعدل والسلام.

نحن نعيش في عالم هو في تحول دائم، شهد ويشهد خضّات عنيفة، وعلى مختلف الأصعدة. ففي هذا العالم بالذات، يتحتم على كاهن اليوم أن يبحث عن لغة جديدة يخاطب بها الإنسان المعاصر الذي تثقل كاهله المشاكل على اختلافها. كما عليه أن يبحث له، في هذا العالم المضطرب، عن موقع يستطيع منه ان يؤدي الشهادة لإنجيل الحب والسلام. وازاء المعضلات الخطيرة التي تواجهها البشرية، لا بدّ له ان ينادي بالإنجيل، على مسامع الجميع حتى الذين تخدش كلماته آذانهم، وحتى لو تعرّض لسوء الفهم أو السخرية، أو تعرضت حياته للخطر! أليس الاستشهاد والشهادة وجهين لعملة واحدة؟

فقبل أن نبحث عن كهنة لكنيسة اليوم، علينا أن نبحث عن كهنة لمجتمع الغد، إذ لا يمكننا أن نفصل الكنيسة عن المجتمع، سيما وان على الكنيسة ان تكون خميرة المجتمع. فمتى كان الكاهن قادرا أن يواكب التحولات التي تطرأ على عصرنا، ويتفاعل مع حاجات إنسان اليوم ومعاناته وتطلعاته، انعكست توجّهاته على مهمته التعليمية والتربوية والراعوية... فمن الخطأ الجسيم ان يعتبر الكاهن نفسه قد ادّى رسالته، اذا ما اقتصرت على تسيير أمور "رعيته" وإتمام "الواجبات" و"الممارسات" المترتبة عليه! كاهن من هذا الطراز يغدو "موظفا" في مؤسسة "الكنيسة". وقد يكون ناجحاً و "موفّقاً" بمنظار المجتمع، وبغير لوم في نظر مسؤوليه...، ولكنه قد يكون فقد إحدى سمات كهنوته الرئيسة، ألا وهي الشهادة للإنجيل! وغني عن القول ان هذه الشهادة تتخذ اليوم صيغا وأساليب عديدة، في عالم كثرت مطاليبه وتعددت حاجاته، ولا يحق لنا أن نهمل أو نبعد أية صيغة من صيغ الشهادة من شأنها ان تسهم في الكشف عن وجه المسيح.

وفي مواجهتنا لمشكلة نقص الكهنة، نخطئ حين نعتبرها قضية "كمية" يجب أن نحصل عليها لتأمين استمرارية الخدمة. فحين تحتل فكرة ملء النقص الأولوية في اهتماماتنا، فقد يُضحّى بالنوعية -ونقصد ذاك النموذج من الكهنة الذين يرفضون أن "يمتهنوا" الكهنوت ويأبون أن يصبحوا "موظفين" في المؤسسة الكنسية. والغريب اننا، اكليروسا وشعبا، نميل إلى الحلول السهلة التي لا تكلّفنا جهداً: كأن نُقدم على رسامة رجال متزوجين دون المستوى المطلوب في ثقافتهم وتوجهاتهم الروحية والرسولية، وقد يكونون في آخر مرحلة من

عطائهم! والانكى من ذلك ان المؤمنين أنفسهم يرضون، بدون معارضة، بمثل هذا النموذج، وكأنّ جل ما ينتظرونه من الكاهن هو "توزيع الأسرار" وتأمين الاحتفالات الطقسية والممارسات التقوية!

فحين شددنا على أهمية الشهادة، فلأننا ندرك انها المفتاح لحياة كهنوتية مثمرة. فمتى ترسخ الوعي لدى الكاهن بانه "شاهد" ليسوع المسيح، بكلامه ومثاله وكل حياته، أصبحت رسالته فاعلة، وكان لها اثر السراج الذي يوضع على المنارة لينير كل الجالسين في الظلمة: "فليضيء نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات".

حزيران ـ تموز ١٩٨٧

مسؤولياتنا في صنع السلام

لو كان أحد الصحافيين قال في أيلول ١٩٨٠، حين كانت الحرب العراقية-الايرانية في أيامها الأولى، إن النزاع بين البلدين سيطول سنة، لعددناه من أنبياء الشؤم! ومن يعلم، لكنا شتمناه وكلنا له من الصفات أحقرها وأدناها! اذ لم يكن يُخيَّل لأحد -أقله في العراق- ان الحرب ستطول إلى هذا الحد، وستمضي عليها سبعة أعوام، نسجت شهورها وايامها وساعاتها من صدامات دامية ومعارك ضارية وقصف متبادل للمدن... على جبهة تزيد على ١٠٠٠ كم، وبكافة أشكال الأسلحة وكل فنون الاقتتال! ولَكم أفرزت المعارك والعمليات الجوية والبحرية -فضلاً عن الصواريخ الموجهة والقصف المدفعي- من ويلات ومآس على الصعيدين البشري والمادي.

وطيلة هذه الأعوام السبعة، وفي كلا البلدين، قلما جفت الدموع من عيون الثكالى والأرامل، أو هدىء قلق الأسر التي لها في جبهات القتال شباب في ريعان العمر، "مرشحون" للموت أو الفقدان، وفي أحسن الأحوال، للأسر أو العوق! فكلما ابتسمت آمال او ظهرت بوادر خير، سرعان ما أعقبتها انتكاسة ذهبت بتلك الآمال والبوادر، وطالما رافقها تصعيد للعمليات الحربية، وبضراوة تنبئ بغياب فرص السلام وبلوغ الحرب إلى طريق مسدود!

والغريب في أمر هذه الحرب التي تدخل عامها الثامن -وهي فترة لم تبلغها أية حرب، اقله من حيث ضراوتها وكثافة معاركها وكثرة ضحاياها- ان العالم وقف منها موقف المراقب، وان الكثير من الدول أسهمت، من قريب أو بعيد، في تغذيتها عبر "تجارة الأسلحة" التي وجدت لها في هذه الحرب سوقاً رابحة؛ فيما انحازت دول أخرى إلى احد الطرفين، وبنوايا خسيسة أحيانا، كتلك التي ضمرها ويضمرها للعراق حكام "فوّقوا" المصالح الشخصية على الأهداف القومية...

وكان ينبغي أن تمر سبع سنوات كي يصدر مجلس الأمن، في ٢٠ تموز الماضي، القرار ٥٩٨ -وهي المرة الأولى منذ بدء الحرب يأتي فيها القرار، بإجماع ساحق وبلغة صارمة، دلت على عزم الأمم المتحدة على وقف الحرب في حدود إمكاناتها. فلقد أفصحت ديباجته عن "القلق والاستياء" من جراء استمرار الحرب العراقية-الايرانية وما رافقتها من خسائر بشرية ومادية، وانتهاكات صارخة للقانون الدولي. وأعلن القرار عن "تصميمه" لوضع حد لجميع الأعمال العسكرية، و "قناعته" بضرورة تحقيق تسوية شاملة وعادلة عن طريق المفاوضات. وتميز هذا القرار انه اقترح إجراءات عملية ترافق وقف إطلاق النار، كوساطة الأمين العام، وتبادل الأسرى، والسعي إلى تعمير البلدين... وأطلق نداء إلى كافة الدول كي تمتنع عن أي عمل يسهم في تصعيد النزاع وتوسيع رقعته، كما تضمن النظر في تشكيل هيئة محايدة للتحقيق في مسؤولية البدء بالحرب.

لسنا هنا بصدد تحديد تلك المسؤولية -وقد سبق للعراق أن طالب بإنشاء لجنة تحكيم دولية للبتّ فيها- وإنما نَوَدّ أن نلقي الضوء، ومن منطلق إنساني، على مسؤولياتنا كمواطنين في صنع السلام وتهيئة السبل إليه -وهو ذاك الهدف الذي يهفو إليه كل العراقيين بكل جوارحهم، وقد أصبح أمنيتهم الوحيدة! وسيكون رد فعلنا الأول، ولا شك، ان السلام مهمة ليست في متناول يدنا، وليس لنا فيه لا حول ولا قوة ولا كلمة! وقد نقول بان السلام يتعلق بإرادة البلدين الجارين وقناعتهما من عدم جدوى الحرب، واستعدادهما لوقفها، حقناً لدماء الأبرياء من كلا الجانبين، وحرصاً على امن المنطقة واستقرارها... وسنضيف للحال بان العراق دعا مرات عديدة، بفم الرئيس القائد صدام حسين، إلى وقف إطلاق النار، مبديا استعداده الكامل للتجاوب مع كل المساعي الرامية إلى إحلال السلام، بخلاف إيران التي لا تني تسخر بهذه المساعي وتتحدى القرارات الدولية وتضع العراقيل دون تنفيذها!

ان مسؤوليتنا، كمواطنين، في صنع السلام تتعدى استعدادنا للذود عن وطننا المهدد -وقد برهنا جميعا على حبنا له ودفاعنا عنه، بما قدمناه ونقدمه من تضحيات- لتشمل حرصنا على أمنه وسيادته ومكتسباته... فنأبى الابتزاز الذي نمارسه في تعاملنا مع "ممتلكات

الدولة"، ونحرص على ترشيد الاستهلاك في هذه الظروف الحرجة، ونرفض الانسياق في تيار الاحتكار كوسيلة للثراء، ولا نسمح لأنفسنا أن نتلاعب بالأسعار وبجشع صارخ، ونمتنع عن ممارسة أي شكل من أشكال الاستغلال، ونتجنب ترويج الإشاعات المغرضة والهدامة الخ...

إلا ان مسؤوليتنا في صنع السلام وتوطيد أسسه تتجه شطر تعاملنا اليومي بعضنا مع بعض: فسواء كنا مسيحيين ام مسلمين، عرباً أم أكراداً، أغنياء أم فقراء، موظفين أم عاطلين، جنوداً أم طلاباً... يجب أن يتصف تعاملنا بروح العدالة والاخوة والتسامح والتضامن، وينبغي أن يسري هذا التعامل إلى أُسَرنا التي أفسدتها الغيرة ومزقتها الخلافات ومسختها العداوات... أليس السلام مرادفا للعدالة واحترام الحرية والتسامح والمحبة؟ ألا يبدأ من داخلنا ويشع من ثم على من حولنا؟ فإذا كان المثل اللاتيني يقول: إذا أردت السلام فاستعد للحرب! فلتكن الحرب تلك التي يشنها الإنسان على نزواته ونزعاته العدوانية وأحقاده وأنانيته وجشعه...

ولِمَ لا نقولها: أليس السلام عطية من الله، تُطلب وتُمنح لذوي الإرادة الصالحة الذين يسكنهم قلب مستعد للتجاوب مع متطلبات هذا السلام، في ذواتهم وفي الآخرين؟ فلتكن الصلاة من اجل السلام هاجسا يتخذ أحيانا صيغة تضرع واستغاثة، وأحيانا صيغة عتاب واستنجاد، وفي كل الأحوال "صرخة من الأعماق"!

آب - أيلول ١٩٨٧

العذراء مريم
أم المسيح وأمنا

عدد خاص

دأبت "الفكر المسيحي" في كل عام على إصدار عدد خاص يغطي شهرين ويتناول موضوعا له صلة وثيقة بحياة المؤمنين وأمانيهم. ومن الأعداد الخاصة الأخيرة التي تلقاها القراء بفرح وارتياح، نذكر على سبيل المثال: شخصية يسوع المسيح (١٩٨٠)، الاسرة المسيحية (١٩٨٣)، الشباب... وعي وطموح (١٩٨٥)، كنيسة العراق، ٢٠ عاماً بعد المجمع (١٩٨٦) .

وفيما كنا على أهبة لاختيار موضوع للعدد الخاص لهذا العام، فاجأنا البابا يوحنا بولس الثاني، ومنذ بدء العام، بإعلان "سنة مريمية" تحيي الذكرى الألفين لميلاد العذراء مريم، وتسبق الذكرى الألفين لميلاد المسيح والتي لم يعد يفصلنا عنها سوى ١٣ عاماً!

ان الإعلان عن سنة مريمية -وأكثر من سنة طالما انها افتتحت في ٧ حزيران الماضي، عيد حلول الروح القدس، وستختم في ١٥ آب ١٩٨٨، عيد انتقال السيدة- وصدور رسالة عامة بعنوان "أم الفادي" في ٢٥ آذار، دفعانا إلى تبني هذه الرسالة موضوعا للعدد الخاص، ولشهر واحد، وذلك مساهمة منا في احتفالات السنة المريمية، ورغبة منا في ان يكون للعذراء مريم، في "الفكر المسيحي"، عدد خاص، أسوة بيسوع المسيح.

كان بالإمكان أن ننكب على إصدار عدد خاص في العذراء يرسم ملامحها من مختلف الجوانب اللاهوتية والكتابية والروحية والفنية الخ... -ولكان، ولا شك، أكثر جاذبية!-، إلا أن اختيارنا اتجه صوب نشر نص الرسالة الكامل ليكون في متناول القراء، ولأن

الأب الأقدس تناول فيها ابرز الجوانب من حياة العذراء، مركزاً على دورها في سري التجسد والفداء، ومكانتها الفريدة في تاريخ الكنيسة ومسيرتها عبر الأجيال... هي التي، لكونها أم المسيح، أصبحت أم "شعب الله".

وفيما نأمل، قراءنا الكرام، ان تتلقوا بارتياح هذا العدد الخاص/الوثيقة في العذراء "أم الفادي" التي لا تخفى مكانتها في قلوب كافة المسيحيين العراقيين الذين ما انفكوا، منذ أجيال، يكرمونها بألف شكل وشكل، والتي قلما خلت مدينة أو قرية من كنائس ومعابد ومزارات على اسمها... يطيب لنا أن نقدم إليكم هذه الرسالة البابوية ببضع كلمات لا تغني البتة عن قراءتها والتأمل بها. وأملنا وطيد -أمل هو بمثابة دعوة- ان تضحي هذه الرسالة موضوع دراسات ومناقشات في نطاق الأخويات واللقاءات والندوات...

أيها القراء الأعزاء

كان من المتوقع جداً أن يخص يوحنا بولس الثاني العذراء مريم برسالة عامة -بعد أن خص المسيح "فادي البشر" برسالته العامة الأولى (١٩٧٩)- وهو الذي أصبح حبه "للسيدة" أم الفادي مشهوراً وتعلقه بها مضرب المثل، بحيث لا يخلو خطاب او عظة من ذكرها والاستغاثة بها، ولا تكاد رحلة من رحلاته تخلو من حج إلى احد مزاراتها الشهيرة (لورد، فاطما، كوادالوب...)، وفي مقدمتها "شيستوكوفا"، أعظم مزار في بولونيا- وقد زاره ثلاث مرات وهو بابا! ومما لا شك فيه هو أن اقتراب العام الألفين للميلاد حمل البابا على إعلان سنة مريمية، احتفاء بالذكرى الألفين لميلاد العذراء، ذكرى اغتنمها قداسته فرصة لاصدار رسالة عامة يرسم فيها وجه مريم، هذه المرأة التي عرفت يسوع معرفة عميقة وشاركته سره وما زالت تهبه للعالم، نوراً وحياة وفداء.

ففي هذه الرسالة التي مطلعها "أم الفادي"، يرسم يوحنا بولس الثاني مسيرة الكنيسة نحو ملكوت الله، مسيرة اتسمت بالإيمان والحب على شبه المسيرة التي قطعتها مريم، يداً بيد، مع ابنها يسوع، ومن ثم، يداً بيد، مع الكنيسة الناشئة. وهذه المسيرة الإيمانية تمت في حياة العذراء عبر ثلاث مراحل: فهي التي، منذ البشارة، دخلت في أعماق سر المسيح، وشاركته من ثم رسالته الخلاصية، فكانت ولا تزال "أماً"

و"وسيطة" و "مثالاً" للمسيحيين في مسيرتهم الإيمانية، عبر الأجيال. تلك هي الأقسام الثلاثة التي تضمنتها رسالة البابا:

۞ مريم في سر المسيح

تدخل العذراء في سر يسوع منذ ان دعاها الملاك، يوم البشارة، "ممتلئة نعمة"، وقبلت بإيمان وتواضع مهمة الأمومة لمن سيكون المسيح الرب، فصحّت فيها تهنئة اليصابات: "طوبى للتي آمنت". وان جواب العذراء "فليكن" إلى هذه الدعوة، هو الدليل على استعدادها للتعاون مع الروح القدس. وهذا الجواب سيقترن بقبول للألم الذي يرافق سر المسيح، هي التي ستقف عند أقدام الصليب بإيمان عميق لتصبح شريكة في الفداء، وهناك ستتقبل أمومة جديدة تجاه تلاميذ يسوع من خلال كلمته للتلميذ الحبيب "هذه أمك".

۞ مريم ترافق مسيرة الكنيسة

في القسم الثاني يشير البابا إلى مكانة العذراء في قلب الكنيسة الناشئة التي وُكلتْ إليها مهمة الشهادة. أوَليست العذراء، بصفتها أماً، خير شاهدة للمسيح الناهض من بين الأموات؟ وسينعكس إيمانها على إيمان شعب الله ويسنده، هي التي ستبقى أما لكل المؤمنين الذين يكرمونها في كل زمان ومكان.

من هذا المنطلق، أكد قداسته على دور العذراء في الحركة المسكونية: فإذا سعى كل المسيحيين إلى تعميق إيمانهم، على مثال مريم، ازدادوا وعيا بضرورة العمل على استعادة الوحدة بينهم. ويختم البابا هذا القسم بتأمل في نشيد العذراء "تعظم نفسي"، مبرزاً موقع الفقراء والمتواضعين في ملكوت الله.

۞ مريم وسيطة شعب الله

وتبرز، في القسم الثالث والأخير، وساطة مريم في الكنيسة، وساطة مستمدة من أمومتها من دون أن تنال من وساطة المسيح. وهذه

الوساطة تمارسها العذراء تجاه شعب الله بقوة تلك الشفاعة التي لها لدى ابنها، هي التي نالت مجداً بانتقالها إلى السماء وأصبحت "ملكة الكون".

وفيما تبقى العذراء مريم صورة للكنيسة التي عليها أن تضطلع بمهمة الأمومة تجاه البشر -وكلهم مدعوون إلى أن يؤلفوا شعب الله- يمضي الأب الأقدس في إبراز العلاقة الشخصية التي يجب ان تربط كل مسيحي بالعذراء. وتتخذ هذه العلاقة بُعداً خاصاً بالنسبة للمرأة، وهي مدعوة إلى عيش انوثتها ودعوتها النسوية دون انتقاص.

قراءنا الكرام

ان هذه الرسالة البابوية العامة -وقد قام الأب ألبير أبونا مشكوراً بنقلها إلى العربية خصيصا للفكر المسيحي- ستغذي ولا شك تفكيركم وتأملكم في العذراء مريم، وتسند صلاتكم لها وتشفعكم بها طيلة هذه السنة المريمية. وإذا كانت لنا أمنية نطلبها من تلك الأم الحنون، أم الفادي وأمنا، فليس هناك اعز علينا من نعمة السلام لعراقنا الحبيب، نرفعها إلى "سلطانة السلام" لتستمدها لنا من ابنها يسوع "رب السلام". ففيما نبتهل إلى الرب يسوع، بشفاعة أمه، كي تكون هذه السنة المريمية سنة سلام، نتبنى الصلاة التي ختم بها البابا رسالته العامة: "يا أم الفادي القديسة، يا باب السماء المفتوح، يا نجمة البحر، هلمّي إلى نجدة الشعب الذي سقط وهو يحاول النهوض...".

بمناسبة الذكرى العشرين على
الرسالة العامة "في تقدم الشعوب"

التقدم، الاسم الجديد للسلام

سيبقى هذا الشعار الذي أطلقه البابا بولس السادس، قبل ٢٠ عاماً، برنامجاً يجب ان تسعى إلى تحقيقه كافة الدول، سواء من العالم الأول كانت أم من العالم الثالث. ذلك لأن السلام ليس هو حالة استقرار وطمأنينة، بقدر ما هو حرب على الجوع والفقر والمرض والتخلف بكل أشكاله. فلو تفحصنا جيدا أسباب الحروب والنزاعات بين الشعوب، لوجدنا أن المظالم تحتل المرتبة الأولى: فالتفاوت المادي بين الدول وتخلخل التوازن الاقتصادي بينها يفرزان حالات من التوتر سرعان ما تتحول إلى حروب دامية.

وازاء التخلف الذي تعاني منه شعوب برمتها، فيما يشكو غيرها من التخمة، ارتفع صوت الكنيسة بفم بولس السادس عبر رسالته الشهيرة "في تقدم الشعوب" التي أصدرها عام ١٩٦٧ -وكان المجمع المسكوني قد رسخ الوعي بدور الكنيسة في عالم اليوم- وأرادها نداء يتوجه إلى كل ذوي الإرادة الصالحة ويهدف إلى حملهم على تحقيق "نماء كامل للإنسان" و"تنمية متضافرة للإنسانية". ولما كان ولا يزال لهذه الرسالة العامة وقع كبير في ضمير الدولِ والشعوب، يطيب لنا، في الذكرى العشرين على صدورها، أن نذكر بابرز الطروحات التي تقدمت بها والتي لم تفقد شيئاً من جدّتها.

"لا ينحصر الترقي في مجرد النمو الاقتصادي. فلكي يكون صحيحا يجب ان يكون كاملاً، اي أن يشمل كل إنسان والإنسان كله". من هذا المنطلق عرضت الرسالة رؤية مسيحية للتقدم والنمو تقوم في السعي إلى تنمية لا يغيب عنها البعد الروحي، إذ أن "الحصول على أكثر ليس هو، للشعوب كما للأفراد، غايتهم القصوى". فالنمو الحقيقي هو ذاك الذي يتيح للإنسان أن يصبح "أكثر إنساناً"، وللإنسانية أن "تعبر من أوضاع أقل إنسانية إلى أوضاع أكثر إنسانية"، أعني من أوضاع البؤس والحرمان والظلم والتعسف التي تنوء تحتها

الشعوب، من جراء تجاوزات الملاكين أو السلطة، إلى أوضاع أكثر إنسانية تتيح لهذه الشعوب أن تحظى بالحرية والكرامة والعدل والسلام...

ومثل هذا النمو الأمثل الذي تصبو إليه البشرية يفرض، في نظر البابا الراحل، عدداً من المستلزمات: فالأرض وخيراتها هي لخدمة جميع الناس، ويجب ان تتوزع بمقتضى العدل؛ والملكية الخاصة "لا تولي أحدا حقا غير مشروط، وليس لأحد ما يبرر احتفاظه لنفسه بما يفيض عن حاجته، عندما يكون الآخرون بعوز إلى الضروري"، وتقضي المصلحة العامة أحيانا بانتزاع الأملاك الواسعة غير المستثمرة... وفيما تشجب الرسالة مساوئ الرأسمالية الحرة التي تولد "امبريالية المال"، تثني على عملية التصنيع بصفتها علامة النمو وأحد عوامله البارزة، شريطة أن يكون "في خدمة الإنسان"...

ان الأوضاع المتردية في العالم، من جراء التفاوت الصارخ بين الذين يزدادون ثراء والذين يزدادون فاقة، تهدد بالانفجار والنزوع إلى استخدام العنف... وأصبح من الضروري أن يوضع حد لبنى الظلم، والإسراع في عملية التنمية عبر مناهج وخطط تكون بعيدة عن الارتجال أو التعسف... وإذا كان من الواجب، في نظر بولس السادس، ان تهدف التنمية إلى "أنسنة" الإنسان في كل أبعاده، فهذه "الأنسنة" يجب أن تشمل الإنسانية كلها. ومن هنا دعا قداسته إلى تضافر الإنسانية في عملية التنمية انطلاقا من مبدأ الاخوة بين البشر، والتي تفرض ثلاثة مطاليب: "حق التماسك، ويقضي على الأمم الغنية بان تمد العون إلى البلدان النامية؛ وحق العدالة الاجتماعية، ويقضي بتقويم العلاقات التجارية المتأوّدة بين الشعوب القوية والشعوب الضعيفة؛ وحق المحبة الشاملة، ويقضي ببنيان عالم أكثر إنسانية للناس قاطبة، فيه يعطي الجميع ويأخذون، ولا يكون تقدم البعض عقبة دون ترقي الآخرين"...

ويتوسع بولس السادس في كل من هذه المحاور: ففي باب العون، يدعو إلى محاربة الجوع واجتثاث أسباب البؤس و"استخدام فائض البلدان الغنية في البلدان الفقيرة"... ويقترح بالتالي إنشاء "صندوق عالمي" يتغذى بجزء من النفقات العسكرية ويكون في خدمة الشعوب الأكثر حرماناً -وغني عن القول بان مثل هذا العون يجنّب من خطر "الاستعمار الجديد" الذي تمارسه بعض الدول تحت ستار المساعدات

أو القروض. وبشأن الاستواء في العلاقات التجارية، يحذر البابا من اللعبة التي تنطوي على علاقات غير مستقيمة بين البلدان، حين تشعر البلدان الفقيرة بأن" ما يأتيها بيد تذهب به اليد الأخرى"، بحكم عدم التكافؤ في الأسعار بين المواد الخام والسلع المصنّعة... ويناشد إلى تخطي الليبرالية في العلاقات التجارية بين الدول، حين يؤدي تذبذب الأسعار إلى" نتائج أثيمة" بحق الدول النامية: " ان اقتصاد التبادل لا يمكن أن يقوم من بعد على قاعدة المنافسة الحرة وحدها والتي كثيراً ما تُفضي إلى دكتاتورية اقتصادية"، وإنما عليه أن يخضع لمقتضيات العدالة الاجتماعية، عبر اتفاقيات دولية تأخذ بعين الاعتبار وضع البلدان ذات الاقتصاد المتخلف. واما بشأن المحبة الشاملة التي تفتقر اليها الشعوب، فيقول البابا بأن مرض البشرية كامن في فقدان الاخوة بين الشعوب أكثر مما في عقم الموارد؛ ومن ثم فهو يوقظ ضمير البشر على بعض أبرز واجبات المحبة تجاه اللاجئين والمشردين ولا سيما الأحداث والعمال... ويلفت انتباه الخبراء والفنيين كي يضعوا خبراتهم في خدمة النمو ويتصرفوا، لا كأسياد، بل كمساعدين ومعاونين... ومثل هذا التضامن يسهم ولا شك في عملية "حوار الحضارات"، حوار "مركز على الإنسان أكثر مما على الحاصلات أو وسائل التقنية"، ويعجّل في عملية السلام.

"التقدم... هو الاسم الجديد للسلام"! تلك هي الخلاصة التي يخرج بها بولس السادس، ويقينه أن الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الشعوب تخلق التوترات وتهدد السلام: "فالسلام لا يقوم على غياب الحرب، لأنه لا يكون حينذاك إلا ثمرة التوازن بين القوى، وهو على الدوام قيد الزوال؛ ولكنه يُبنى، يوماً بعد يوم، بنشدان النظام الذي أراده الله، ومن مقوّماته عدالة أكمل بين الناس". فتكون المعادلة: انك إذا أردت السلام فاعمل من اجل التنمية، وإذا سعيت إلى التنمية سعيت إلى السلام!

وفيما نحيي ذكرى هذه الرسالة، لا يسعنا إلا أن نثمّن خطط التنمية التي بادر إليها العراق وعرّضتها الحرب، في السنوات الأخيرة، للتعثر. لذا فالحرب عندنا حربان: حرب على كل أوجه التخلف من اجل بناء عراق جديد، وحرب على الحرب كي تتواصل عملية التنمية التي بدأها العراق. عسى يستجيب العالم نداء العراقيين الذين رفعوا ويرفعون هذا الشعار: إذا كان التقدم هو الاسم الجديد للسلام، فالسلام هو السبيل الوحيد للتقدم!

تشرين الثاني ١٩٨٧

هوذا الرب آتٍ: هللويا!

للاحتفال بميلاد يسوع، في كل عام، معنى عميق يتخطى المعنى الذي نضفيه على احتفالاتنا بأعياد الميلاد، حين نطفئ شموعاً عن سنين مضت ونوقد شمعة لسنة تبدأ! ذلك لان ميلاد يسوع هو أكثر من ذكرى، كونها تتجاوز أحداث الطفولة لتلتصق بذكرى أكثر أهمية وأعمق مغزى، هي ذكرى موت يسوع الفدائي وقيامته الخلاصية والتي هي في أصل الاحتفال بميلاده.

ان الرسل، بعد أن "نالوا قوة بحلول الروح القدس" عليهم، أصبحوا "شهود" يسوع الناهض من بين الأموات، وراحوا ينادون: يسوع قام... ونحن شهود! ولم يخطر ببالهم أن ينادوا ببشرى الحبل به أو بميلاده أو بطفولته... وحين اخذوا يروون إيمانهم بيسوع الناصري، ذاك "الإنسان الذي أيده الله بالعجائب والمعجزات والآيات التي أجراها على يده"، وجعله من ثم "رباً ومسيحاً" (أعمال٢:٢٢-٣٦)، كان لا بدَّ لهم أن يقدموا صورة متكاملة ليسوع، "الكلمة الذي كان منذ البدء"، مرسل الآب إلى العالم، ابن داود، ابن الإنسان، ابن الله... وحين اخذوا يكتبون الإنجيل -وهو بشرى أُعلنت قبل أن تُدوَّن- فكر بعضهم في الارتقاء إلى بدايات يسوع وتجذره الإنساني وأصوله الإلهية. ومن بين هؤلاء "الشهود"، متى ولوقا، اللذان رسما لنا لوحة عن نسب يسوع والحبل العجيب به وميلاده "الخلاصي"... وكلاهما لم يعرضا لنا تسجيلاً للأحداث، بقدر ما أرادا أن يقدما شهادة عن إيمانهما وحصيلة لخبرتهما وخبرة الجماعة المسيحية الأولى بيسوع. ومن هنا يتضح أن روايات الطفولة، لدى الإنجيليَّين متى ولوقا تنتمي إلى التفكير اللاهوتي أكثر مما إلى التاريخ بحصر المعنى، وانها بمثابة خلاصة إيمانية تصدرت "رواية الأحداث" لتقول لنا، ومنذ البدء، من هو يسوع.

فمتى الإنجيلي (الفصلان الأولان) يقدم يسوع بصفته ابن داود، ابن إبراهيم الخ... ليدلل على انتمائه إلى "شعب الله" الذي تلقّى المواعيد المسيحانية، وإلى سلالة داود بالذات الذي من نسله ومن مدينته (بيت لحم) "يخرج زعيم يرعى الشعب"، هو "يسوع" -ويدل اسمه: الله يخلص-، وهو "عمانوئيل" -الله معنا- كما أنبأ اشعيا من قبل. ومتى، اذ يوجه إنجيله إلى يهود متنصرين، سيبقى، في روايات الطفولة (قلق يوسف، زيارة المجوس، الهرب إلى مصر، مقتل الأطفال، العودة إلى الناصرة)، ملتصقاً باستشهادات من العهد القديم ليبرهن بالتالي بأن يسوع هو المسيح، موسى الجديد، الآتي باسم الرب لينجز المواعيد ويفتتح عهداً جديداً...

أما لوقا، رفيق بولس رسول الأمم، -ويكتب لوثنيين مهتدين-، فيعرض لنا في "إنجيل الطفولة" (الفصلان الأولان) مقدمة لاهوتية يوجز فيها مسبقاً ابرز المواضيع التي سيتناولها كتابه ذو الجزئين (الإنجيل وأعمال الرسل)، وخلاصتها أن الله ذكر عهده وأرسل منقذاً ومخلصاً في شخص يسوع، الإنسان الإله، ابن داود وابن الله، كما جاء على لسان الملاك البشير: "يكون عظيماً وابن العليّ يدعى، ويعطيه الرب الإله عرش داود أبيه... ولن يكون لملكه انقضاء". هو الذي يهيئ مجيئه أناس مغمورون، فقراء ذوو ارادة صالحة، من أمثال زكريا ويوحنا المعمذان ومريم والرعاة وسمعان الشيخ الخ... ويحاول لوقا، في روايته لأحداث الطفولة، أن يوجز تاريخ الخلاص الذي شاء الله أن يحققه بيسوع، والذي تعلنه ثلاثة أناشيد ذات فن أدبي مستوحى من العهد القديم، جاءت على لسان العذراء وزكريا الكاهن وسمعان الشيخ، وكلها تذيع مجد الله الذي افتقد شعبه وأجرى لهم خلاصاً سيشمل جميع الناس: "أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: اليوم... ولد لكم مخلص، هو المسيح الرب".

وازاء الخلاص الذي تم بموت يسوع وقيامته -هو الذي جعله الله رباً ومسيحاً- لا عجب إذا حمل لوقا الملائكة والرعاة، بالتناوب، على التبشير بميلاد المخلص: فالملائكة تعلن "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام، وللناس الذين بهم المسرة"، والرعاة يخبرون بما أطلعهم عليه الرب... وهنا يكمن المغزى العميق من كل هذه الرواية والتي يبدو فيها لوقا لاهوتياً وواعظاً: أي موقف يتخذ الناس من الخلاص الذي تم

بيسوع، وهو ذاك الذي قال عنه سمعان الشيخ "جُعل لسقوط ونهوض كثيرين"؟ فالرعاة هم صورة للمرسلين الذين ينادون بالكلمة التي ينقسم تجاهها الناس: منهم "يعجبون" على مثال الذين سمعوا ما تكلم به الرعاة- وليس في إعجابهم ما يحمل على التجاوب! ومنهم مَن "يحفظون" الكلمة ويمضغونها كما حفظتها مريم وتأملت بها في قلبها، فكانت أولى المؤمنات!

وهكذا نحن مدعوون، في كل ميلاد، إلى سماع "الكلمة" واتخاذ موقف منها يحدد علاقتنا بذاك الذي جاء لكل الذين كانوا ومازالوا ينتظرون "خلاص الله"، بالحب والإيمان والفرح: ولد لكم اليوم مخلص! وعلى مثال الرعاة نمضي لنسمع "كلمة" لُفِظَتْ، فنرى من ثم "كلمة" حدثت: "والكلمة صار جسداً وسكن في ما بيننا"!

قراءنا الأعزاء

فيما نرفع إليكم أجمل التهاني بميلاد المخلص، نبتهل إليه -هو الذي منح السلام للأرض- أن يمنّ على عالمنا المضطرب بنعمة الأمن والسلام، ويهب أبناء عراقنا الحبيب -وقد ثقلت عليهم وطأة حرب توغلت في عامها الثامن- أعز أمنية على قلوبهم، ألا وهي نعمة السلام.

ليكن ميلادك يا رب، هذا العام، ميلاد السلام.

١٩٨٨

للحصول على ٣٠٠ مشترك جديد!

ذلك هو شعار الحملة التي أطلقتها "الفكر المسيحي" لهذا العام عبر "الفولدر" الذي حملته إليكم، قراءنا الأعزاء، ولنا اليقين انكم سعيتم وما زلتم تسعون للتعريف بها، وحمل الكثير من أصدقائكم ومعارفكم على المشاركة فيها، فتعم فائدتها وتقوى بالتالي على تحقيق المزيد من طموحاتها وتطلعاتها، على صعيد التحرير والطباعة والإخراج...

ان لمحدودية رقعة انتشار "الفكر المسيحي" أسباباً كثيرة، وليس من أقلها شأنا بداءة أساليب التوزيع وتعثر الخدمات البريدية وانحسار مراكز الاشتراك... ولهذا الانحسار بالذات أسباب، وفي مقدمتها ان المجلة كانت وما زالت موضع صراع بين الذين يؤيدون خطها التجددي ويختارونها لتوجهاتها وطروحاتها، والذين يقفون منها موقف اللامبالاة، إن لم نقل المعاداة، ويكيلون لها التهم جزافا!

لسنا نريد هنا أن نفتح "ملفات المرافعة" لنَزِنَ قيمة ردود الفعل والمواقف التي يتخذها تجاه المجلة مؤيدوها أو معارضوها، فذلك أمر نتركه لحكم التاريخ. إلا أن ما يهمنا الآن، ونحن في معرض الحديث عن محدودية انتشار المجلة، هو ان نلفت الانتباه إلى واقع أليم ونسعى إلى معالجته، وهو أن "الفكر المسيحي"، وبعد ٢٤ عاماً على صدورها، ما زال هناك أناس حتى اليوم يجهلونها أو لم يتسن لهم بعد أن يشتركوا فيها، وقد يكون السبب كسل ذهني يضاف إليه كسل نعاني منه جميعنا حين ننتظر اللقمة عند مدخل أفواهنا!! وفي انتظارها لا نحرك ساكناً! وتضاف إلى هذا الواقع عوامل أخرى كثيرة تحدّ من انتشار

المجلة، ونخص منها بالذكر قلة المراكز -عدا بعض المكتبات التي يتاح للمجلة فيها ان تباع بالمفرد- وكان بوسع الكنائس أن تتبنى هذه الطريقة؛ إلى جانب محدودية عدد "وكلاء المجلة" الذين اتخذوا ويتخذون هذه المهمة بصفة التزام، مساهمة منهم في عملية التثقيف المسيحي. ولِمَ لا نقولها صريحة: أليس توسيع رقعة انتشار المجلة رهنا بمساهمة قرائها أنفسهم، إذا ما سعى كل واحد منهم إلى "كسب" مشترك جديد واحد على الأقل؟! ناهيك عن المشتركين الذين بوسعهم ان يتحولوا إلى صفوف "الوكلاء"، إذا ما سعى بعضهم إلى تسجيل ١٠ مشتركين جدد وتعهدوا بإيصال الأعداد إليهم!

ان ما يدفعنا إلى تكثيف حملة الاشتراكات لهذا العام هي قناعتنا من أن بوسع "الفكر المسيحي" ان تبلغ إلى ١٠٠٠٠ مشترك -وهو حد أدنى لموازنة تكاليفها التي تتصاعد باطراد- وان تحقيق هذه الزيادة (٣٠٠٠ مشترك جديد) لا يكلف جهداً فوق الطاقة، وهو رهن بهمة ٣٠٠٠ من المشتركين القدامى الذين نأمل أن تكون، أيها القارئ الكريم، من بينهم! كما اننا ننطلق في هذه الحملة من يقيننا بان "للفكر المسيحي" قراءً هم على أهبة الاستعداد للمشاركة، وينتظرون من يطرق أبوابهم؛ ولِمَ لا تكون، أيها القارئ الكريم، أول من يطرق الباب؟! أَوليست توقعاتنا في تحقيق هذه الزيادة هي في أصل قرار الإبقاء على بدل الاشتراك، بينما كانت الظروف تقضي بارتفاعه؟!

قراءنا الأعزاء...

مع هذا العام تدخل "الفكر المسيحي" عامها الرابع والعشرين، ولم يعد يفصلها سوى عام واحد عن اليوبيل الفضي الذي نأمل أن نحتفل به مع اكبر عدد ممكن من القراء الجدد! وإذا كان يحق لنا أن نُسَرّ لهذا الشوط الذي قطعته المجلة، بثمن مثابرتها وعزيمتها وصمودها، إلا ان الفضل الكبير في هذا الصمود يرجع، ومن دون شكّ، إلى همة وكلائها الغيارى وأمانة قرائها ومناصريها الكثر الذين اعتبروا دوما "الفكر المسيحي" أمانة في عنقهم، طالما انهم رأوا فيها "لسان حالهم"، وأداة إعلامية ثقافية لا غنى عنها لكنيسة العراق. أليس ذلك عاملاً إضافياً يحمل كافة المسيحيين على السعي، كل من موقعه، إلى جعل عدد المشتركين يتجاوز الـ ١٠٠٠٠ مشترك!!

ولا بدّ لنا من التحقق هنا، ومن دون ادّعاء، بان من ابرز العوامل التي أسهمت في ديمومة "الفكر المسيحي" هو التصاقها بحاجات القراء وتطلعاتهم، من دون الانسياق في تيار الإثارة أو الابتذال... مع حرصها الشديد على توسيع آفاقهم وتنمية الوعي لديهم بمسؤولياتهم، كمؤمنين ومواطنين، وتشهد على ذلك أبوابها وزواياها الثابتة أو الدورية، وقد نُشرت تحتها أبحاث ودراسات وتحقيقات وتقارير اتصفت بالانفتاح والجد والجرأة والرصانة؛ وكان هناك خيط واحد يساعد القارئ على النهل من روحانية الإنجيل: في الحدث كما في المقالة اللاهوتية، عبر التحقيق والمقابلة أم عبر الريبورتاج والتراجم، في صفحات الكتاب المقدس وقضايا الساعة، كما في الأمثولة والخاطرة والفكاهة...

وإذا كان لنا أمنية لهذا العام، فإنما هي نداء إلى كل ذوي الأقلام، اكليروسا وعلمانيين، كي يطعّموا المجلة بنتاجاتهم التي تدعم بالتالي رسالتها في خدمة كنيسة العراق. فالفكر المسيحي كانت وستبقى المجلة المسيحية التي تؤمن بتعددية الآراء ضمن وحدة الإيمان، وتتوجه من ثم إلى كل المسيحيين على اختلاف طوائفهم ومللهم.

وختاماً، فيما نعتذر عن التأخير الذي طرأ ويطرأ على ظهور الأعداد، ولأسباب لم تعد خافية -ولا يسوغ بالتالي أن يحجم البعض عن الاشتراك بسبب هذا التعثر!- نأمل أن تفلح الجهود التي ستبذلونها لتوسيع رقعة انتشار المجلة. وإليكم جميعاً، قراءنا القدامى والجدد، أجمل التهنئات بعام ١٩٨٨، ونتمناه يكون عام خير وبركة واستقرار وسلام.

كانون الثاني ١٩٨٨

قصة العيد ... آن لها أن تنتهي!

ما أن تنقضي فترة أعياد الميلاد، وآخرها الدنح -وهو من الأعياد العريقة في الشرق (٦كانون الثاني) للاحتفال بظهور المسيح واشراقة عبر ميلاد وعماده-وإذا بالمؤمنين من مختلف الطوائف يطرحون السؤال: متى يبدأ الصوم؟ ويندس في سؤالهم تساؤل آخر أكثر أهمية، يعكس مرارة طالما ذاقوها، ويفتح جرحاً طالما تجدد، كل مرة جاءهم الجواب خجولاً: بيننا اسبوع هذا العام! وسيان إن كان الفرق اسبوعا ام اسبوعين ام خمسة أسابيع، طالما لا نصوم سوية وبالتالي لا نحتفل بالعيد سوية! وللحال تنهال ردات الفعل المألوفة: لماذا هذا الفرق؟ أليس مسيحنا واحداً، فكيف يُصلب مرتين ويقوم مرتين؟! إلى متى نبقى منقسمين؟ لقد اصبحنا موضوع هزء وسخرية! لِمَ لا يتفق رؤساؤنا على توحيد العيد، على أية صيغة كانت؟ الخ...

مثل هذه التساؤلات التي تعكس أمنية عزيزة على قلب كل مسيحي، تعود بنا إلى "القصة" التي بدأت عام ١٥٨٢ حين أصلح البابا غريغوريوس ١٣ التقويم اليولياني، وكان العلماء قد اكتشفوا نقصا في احتساب السنة بمعدل يوم لكل ١٢٩ سنة -وكان الفرق آنذاك ١٠ أيام أضيفت إلى التقويم، وقد أصبح هذا الفرق حاليا ١٣ يوماً، وسيصبح بعد بضع سنوات ١٤ يوماً! وهكذا نشأ الاختلاف في عيد الميلاد والقيامة وسائر الأعياد والأصوام بين الطوائف التي تبنت الإصلاح الغريغوري والتي ما تبنته. فهل ننحي باللائمة على هذا الإصلاح الذي لولاه لما اختلف عيد الميلاد (من ٢٥ كانون الأول إلى ٧ كانون الثاني، أي بإضافة ١٣ يوماً)، ولما حدث تفاوت في عيد القيامة وما يتبعه من أعياد! علما بان هناك عاملاً إضافيا يزيد من هذا التفاوت بحكم القاعدة التي أثبتها مجمع نيقية (٣٢٥) -وكان هدفها قطع الصلة مع الدين اليهودي- وبموجبها يكون العيد في الأحد الذي يلي اكتمال البدر (١٤ من الشهر القمري) من بعد الاعتدال الربيعي، على ألا يلتقي

مع فصح اليهود. وهكذا فان الاختلاف في تثبيت العيد ناتج عن تطبيق قاعدة المجمع على "الحسابين"، بعد الإصلاح الغريغوري أو من دونه.

هذا العرض السريع للاختلاف بين الطوائف في تثبيت عيد القيامة هو جواب إلى التساؤلات الكثيرة التي يطرحها المؤمنون، وهم لا يجدون مبرراً لهذا الاختلاف الذي أصبح جرحاً أليماً ينفتح كل عام، ما خلا العام الذي يتوافق فيه "الحسابان" بفضل القمر! وأمام هذه التساؤلات والمطالبات الملحة التي تقترن بها، نجدنا وكأننا مكتوفو الأيدي، وليس في يدنا حيلة سوى أن نردد بأن أسباب الخلاف تعود إلى قضية حسابية، ليس للعقيدة فيها شأن؛ وان الوفاق في هذا الأمر يتعلق بعوامل كثيرة وفي مقدمتها اتفاق يجب أن يتم بين كافة الكنائس المسيحية، سواء على صعيد عالمي أم إقليمي أم قطري؛ وان من أكثر العقبات وبالاً تلك العقدة التي ما زلنا نعاني منها جميعنا: من يتبع من؟! وكأن القضية هي قضية تنازلات أو مساومات...!

لقد سبق لنا مراراً أن تناولنا بالبحث هذه المشكلة، على صفحات "الفكر المسيحي" ومن هذا المنبر بالذات (راجع افتتاحية نيسان ١٩٨٣)، حتى أصبحنا نشعر وكأننا نصرخ في صحراء! وإذا عدنا إليها اليوم، فلأننا أخذنا نيأس من توحيد قريب -سيما ونحن لا نرى تحركا جادا في هذا الاتجاه- فأصبح لزاما علينا أن نحيط قراءنا علما بملابسات القضية كي لا تدغدغهم آمال سرعان ما تتلاشى، وقد تحملهم خيبة الأمل المريرة إلى تراشق التهم...

ودفعاً للالتباس والشك في النوايا، وتجنبا للتوترات التي قد تثيرها هذه القضية، نقول بان هناك حلولاً كثيرة، وان حالت دونها عراقيل كثيرة: فعلى الصعيد العالمي، هناك مساعٍ تبذل لتثبيت العيد في احد من نيسان، دون الأخذ بقاعدة المجمع النيقاوي؛ هذا الحل، وان كان سليما، تضع حياله العقبات العديد من كنائس الروم الأرثوذكس وغيرها، فضلاً عن صعوبة الحصول على إجماع بين مختلف الكنائس والمذاهب البروتستنتية. أما على صعيد الشرق الأوسط مثلا، ففي وسع بطاركة الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية أن يتفقوا على احد الحلول المطروحة (عودة إلى التقويم قبل الإصلاح، تبني التقويم الغريغوري، تثبيت أحد من نيسان الخ...)، إلا انها تؤدي إلى سلخ

الشرق عن الاحتفال بالعيد مع العالم الأرثوذكسي أو الكاثوليكي والبروتستنتي!

وهنا يطرح السؤال نفسه: لِمَ لا يتم التوحيد على صعيد العراق؟ هذا التوحيد يصطدم هو الآخر بعين العقبات وعين المحاذير. ولا شك في ان تبنّي الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية (منذ العشرينات) والكنيسة الشرقية (في الستينات) التقويم الغريغوري، جعل أغلبية المسيحيين العراقيين يحتفلون بالعيد في يوم واحد -ما عدا السريان الأرثوذكس وعدد من الآثوريين الذين تضمهم "الكنيسة الرسولية الجاثليقية القديمة". وازاء هذا الواقع يبدو من الصعب الوصول إلى حل مرضي تنتفي منه عقدة التنازل من جانب او من آخر! فإذا بدا ان الحل الأفضل هو في تثبيت العيد في احد من نيسان، الا انه يصطدم بصعوبات يعتبرها بعضهم "لاهوتية"، فضلاً عن انه يعزل كنيسة العراق عن العالم المسيحي، بشطريه الغربي والشرقي. لذا لزم القول: ان توحيداً للعيد لا يشمل كافة الطوائف، أيا كان حجمها، لا يؤدي الهدف المنشود، ويسفر عن تجزئة اكبر وبالاً، إذ قد يصبح لنا ثلاثة أعياد بدلاً من عيدين!!

ان جُلَّ همنا من هذا الحديث الذي يثير شجوننا هو الا يعلّق المسيحيون العراقيون أهمية فوق العادة على توحيد العيد -وهي قضية حسابية لا تمس جوهر إيماننا- بينما هناك قضايا ومشاكل أكثر أهمية وإلحاحاً في حياتنا ومستقبل كنيستنا العراقية... فنحن ندعو إلى التضامن والتنسيق والتعاون بين الطوائف في مجالات كثيرة: مثل هذا التعاون الصادق، في قضايا هي على جانب كبير من الأهمية، قد يهيئ الطريق للوصول يوما إلى الاحتفال سوية بعيد القيامة!

شباط - آذار ١٩٨٨

قام المسيح ... حقاً قام

تلك صيغة كان المسيحيون، حتى عهد قريب، يتبادلون بها التهنئات بعيد القيامة؛ وكانت ولا شك هتافا أطلقه الرسل وتناقله المسيحيون الأولون كونه يوجز إيمانهم بيسوع، ذاك المعلّم الذي أحبوّه وتتلمذوا له ووضعوا عليه كل رجائهم. وهذا الهتاف هو خلاصة الكرازة التي نادوا بها على رؤوس الملأ، وكلهم إيمان بأن حدث القيامة أقامهم شهوداً ليسوع الناصري "ذلك الإنسان الذي أيّده الله بالعجائب والمعجزات والآيات... وأقامه، ساحقا قيود الموت...".

ان حدث القيامة كان، في فكر ووجدان الرسل والمسيحيين الأولين، الأساس المكين لإيمانهم بيسوع والمنطلق الأكبر لكرازتهم. ولقد عكست كتاباتهم الأولى -سواء كانت رسائل بولس أم "أناجيل" متى ومرقس ولوقا ويوحنا- هذه الحقيقة: ان القيامة جعلت من يسوع "مسيحاً" و"رباً" و"مخلصاً"... فمن هذا الحدث الذي أدخل يسوع في "مجد" الله، انطلق فهمهم ليسوع، واتضحت رؤيتهم له، وترسخت خبرتهم الإيمانية به -وقد زادتهم المنصرة فهما بعد ان نالوا "الروح القدس" الذي وعدهم به يسوع- فاخذوا يدركون كنه رسالة يسوع ويفهمون الأقوال التي فاه بها والمواقف التي اتخذها والآيات التي صنعها، ويربطونها بما جاء عنه في الكتب. ولقد لخص يوحنا الإنجيلي هذا الإدراك المتأخر لدى التلاميذ الأولين حين كتب في أعقاب الحفاوة التي لقيها يسوع يوم السعانين: "... ولم يفهم تلاميذه ذلك، بادئ ذي بدء، ولكنهم، لما مُجّد يسوع، تذكروا ان ذلك كُتب عنه وانه صُنع له".

ان ما يهمنا، ونحن في معرض الحديث عن القيامة، هو ان نكتشف كيف أعلن الرسل "شهود" القيامة هذا الحدث، وكيف عبّروا عنه في كرازتهم واحتفالاتهم وكتاباتهم -وغني عن القول انهم نادوا بإيمانهم بقيامة الرب واحتفلوا بها في اجتماعاتهم قبل ان يرووها

كتابة. وخير ما يساعدنا على الاهتداء إلى إيمان المسيحيين الأولين بيسوع الناهض من بين الأموات، تلك الخطابات التي نقلها وقدّمها لوقا في سفر أعمال الرسل -هذا السفر الرائع الذي اراده لوقا بشكل مع "إنجيله" كتابا واحداً بجزئين- والتي تركز على حقيقة واحدة ذات ثلاثة أوجه: فهي تنطلق من "حدث" يسوع، ولا سيما من موته وقيامته، لتكشف عن ان لهذا الحدث مكانته في التدبير الإلهي، ومن ثم تدعو إلى التجاوب مع ما تفرضه حقيقة يسوع الحي. هذه الحقيقة سيوجزها القديس بولس بقوله: "إذا اعترفت بفمك ان يسوع هو رب، وآمنت في قلبك ان الله قد أقامه من بين الأموات، نلت الخلاص".

لقد عبّر التلاميذ الأولون عن هذا الحدث الأساس لإيمانهم، بصيغ عديدة وصور مختلفة، تعكس كلها صدق شهادتهم عن يسوع المصلوب الذي "أقامه الله... وجعله رباً ومسيحاً... ونحن شهود". هوذا متى ومرقس يرويان قصة القبر المفتوح ويضعان على لسان الملاك: "تطلبن يسوع الناصري المصلوب! انه ليس ههنا. قد قام كما قال. انظرن المكان الذي وضعوه فيه...". وهكذا فعل لوقا، ولكنه جعل رجلين، بثياب بّراقة، يطمئنان النسوة: "لماذا تطلبن الحيّ بين الأموات؟...". بينما عكس يوحنا دهشة المجدلية من رؤيتها القبر الخالي وتوجسها من أياد أثيمة وتحقق الرسولين بطرس ويوحنا من خلّو القبر. فالإنجيليون، وبولس من قبلهم، حاولوا أن يعبروا عن سّر القيامة بأساليب مختلفة، فيؤكدوا بان يسوع عاد إلى الحياة بعد موته، من جهة، ومن جهة أخرى انه رُفع ومُجّد. وكثيراً ما تداخلت هذه الصور، مشدّدة أحيانا على هذا الجانب أو ذاك، ولكنها في كل الأحوال عكست خبرتهم الإيمانية بذاك الذي صُلب ومات ودخل إلى مجده: "أما كان ينبغي للمسيح أن يكابد هذه الآلام ويدخل إلى مجده؟".

هذه الخبرة الإيمانية بيسوع الناهض والممجّد كانت في أصل "الروايات" التي سجلها الإنجيليون للتعبير عن إيمانهم بقيامة الرب، والإجابة إلى حاجة الجماعات المسيحية الأولى إلى مزيد من الاطلاع على معنى الحدث -وغني عن القول ان قيامة الرب بحد ذاتها لم يكن لها شهود عيان كما كان لحياته ومعجزاته ولاسيما لموته على الصليب الذي سجّله التاريخ كحدث لا مجال للشك فيه... فإذا أجمع الإنجيليون على الانطلاق من رواية "القبر الفارغ" للتعبير عن قيامة الرب، فلأن هذه

الرواية نشأت في أعقاب حج المسيحيين الأولين إلى قبر يسوع الفارغ، فكان لا بد لتساؤلاتهم الكثيرة أن تجد لها أجوبة تعطي لحدث القيامة كل أبعاده. ولعل رواية مرقس هي من أكثر الروايات بساطة، ولكنها تكشف بعمق عن ان قيامة الرب حققت "عبوراً" من الظلام إلى النور، من قبر مغلق إلى قبر منفتح على الحياة... فالشاب "الجالس عن اليمين" والمتشح بالبياض يوحي بالوجه الجديد ليسوع الناهض والممجَّد الذي يحول أنظار النسوة من جثة جثن ليحنّطنها، إلى بشرى يحملنها فيحصلن على "رؤية" جديدة ليسوع... وتجدر الإشارة إلى أن "الترائيات" التي يرويها الإنجيليون ويعكسون فيها "ظهور" يسوع للأحد عشر، إنما هي للتدليل بان يسوع هو الذي أقامهم شهوداً له، ذلك لأن حدث القيامة لا يمكن أن يعلنه وينادي به إلا من كان "شاهداً" ليسوع -وهل هناك من هم أجدر من الرسل بهذه الشهادة لذاك الذي أقامه الله ومجده، وأصبح بمقدوره من ثم ان يوفدهم للتبشير به: "وتكونون لي شهوداً...". وسيكتب بولس في معرض حديثه عن قيامة الأموات: "إن كان المسيح لم يقم، فكرازتنا إذن باطلة، وإيمانكم أيضا باطل، بل أصبحنا شهود زور لله لأنّا شهدنا على الله بانه أقام المسيح وهو لم يُقِمْهُ..."!

وكما كانت قيامة الرب للرسل سرًّا كشفه لهم روح يسوع وقبلوه في الإيمان، ستبقى لنا نحن أيضا سراً نتلمسه في الإيمان الذي ألهم وما زال يلهم كل الذين، منذ عشرين قرناً، رأوا ويرون في يسوع "ربًا ومخلصاً"... وهو الذي استطاع أن يقول عن نفسه: أنا القيامة والحياة! هذه الحياة ننالها بالإيمان بيسوع الحي والذي لا يزال حياً في ما بيننا بألف شكل وشكل، وبوسعنا ان نختبر اللقاء معه.

فإلى مثل هذه الخبرة الإيمانية التي عاشها المسيحيون الأولون من قبل، نحن مدعوون في ذكرى قيامة الرب، قيامة تتجاوز الماضي فتنعش الحاضر وتمتد إلى المستقبل، بفعل الرجاء الذي أنبتته فينا. فلتكن قيامة الرب هذا العام مبعث رجاء بعودة السلام إلى ربوع وطننا الحبيب!

نيسان ١٩٨٨

بمناسبة يوم الدعوات

ها أنا ذا يا رب ...

الأحد الثالث بعد القيامة اختارته الكنيسة يوما عالميا للصلاة من اجل الدعوات الكهنوتية والرهبانية، وفيه ترتفع الأيادي مبتهلة ضارعة إلى رب الحصاد "كي يرسل فعلة إلى حصاده": فالحقول قد ابيضّت للحصاد، وهي على أهبة لتمنح فرحاً وعزاءً الزارع والحاصد معاً! ذلك هو احد أوجه الاستعارة -وما أكثرها في الإنجيل- التي استخدمها يسوع للتعبير عن حاجة ملكوت الله إلى "فَعَلَة"، يكون لهم قدر كبير من الحب والسخاء مما يتيح لهم أن يشهدوا له في العالم، وإلى أقصى حدود الشهادة. ولقد نقل لنا الإنجيليون استعارة أخرى بليغة للتعبير عن دعوة يسوع ومضمونها: "اتبعاني فأجعلكما صيادي بشر"! "أنت منذئذ صياد للناس"! هذه الدعوة التي عرضها يسوع على الاثني عشر ولبوها بحب وفرح، ما انفكت الكنيسة، منذ أيامها الأولى وحتى اليوم، تعرضها وتنتظر الجواب إليها من ذوي القلوب الكبيرة والنفوس السخية التي يهمها ألا يبقى الفعلة قليلين، بينما الحصاد كثيرا ولنا في قصة اختيار متيا الذي أُحصي في عداد الرسل الاثني عشر -"ليقوم بالخدمة والرسالة مقام يهوذا الذي تولى عنهما"- الشروط التي يجب أن تتوفر في من يدعوه الرب للشهادة: "يجب اختيار واحد من هؤلاء الرجال الذين صحبونا طوال المدة التي قضاها الرب يسوع بيننا، منذ أن عمده يوحنا إلى يوم رُفع عنا، ليكون شاهداً معنا على قيامته" (أعمال ١ : ٢١).

لقد أدركت الكنيسة الناشئة، منذ العنصرة، أن الروح هو الذي سيمكنها من الشهادة ليسوع الناهض من بين الأموات، وسيمدها بالقوة والجراة لتقوى على حمل بشرى قيامة الرب إلى العالم اجمع: "ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض" (أعمال ١ :٨).

وهذه الشهادة ستمر عبر مواهب وعطايا يمنحها روح يسوع لبنيان الكنيسة، فيجعل واحداً يتلقى كلام الحكمة، وآخر كلام المعرفة، وسواه الإيمان، وآخر التكلم بلغات، وسواه ترجمتها..." (١قورنتس ١٢: ٧...)

ومما لا شك فيه ان هذه المواهب المختلفة -وهي اليوم قابليات وطاقات وتوجهات ومبادرات والتزامات...- هي للخدمة وبنيان جسد المسيح، وليس للافتخار أو التباهي أو التنافس... وعليها من ثم ان تؤول إلى امتداد ملكوت الله في ما بين البشر: "ان التبشير بالإنجيل ليس لي موضوع افتخار، وإنما هو ضرورة موضوعة عليّ، والويل لي إن لم أبشّر"!

وإذا كانت مسؤولية الشهادة للمسيح "ضرورة" موضوعة على كل المؤمنين به، إلا أن هناك نداء يتوجه بنوع خاص إلى بعض من الذين يختارهم يسوع، ويلبونه بحب وإيمان وفرح، ويستقطب من ثم حياتهم كلها بما فيها من مشاعر وأحاسيس، من طاقات وإمكانات. وهؤلاء هم أولئك الرجال والنساء الذين أوقفوا حياتهم للرسالة والخدمة بمختلف صيغها وأشكالها وامتداداتها: من الراهب المعتكف في صومعته، وكاهن الرعية الذي يحمل مسؤولية ابناء رعيته... إلى الراهبة الموظفة أو تلك التي تبدو وكأن لا عمل لها، والأسقف الذي يخال انه "مدير أبرشية"، والكاهن او الراهب اللذين يقومان بنشاطات لا تظهر صلتها المباشرة ببشرى الإنجيل... والغريب أن المؤمنين قلما يدركون دعوة هؤلاء "الشهود" وطبيعة رسالتهم وما تتسم به حياتهم من صلاة وعبادة وتجرد وزهد وبذل وعطاء وخدمة الخ... ويحزّ في نفسنا أن يكون هؤلاء "الشهود المكرَسون" من رجال ونساء، موضوع انتقاد وتندُر: فتجسّم أخطاؤهم ونقائصهم، وتُلصق بهم التهم، وتُكال بحقهم الأحكام الباطلة والتي غالباً ما يكون دافعها تفاوت بين النموذج الذي ألفوه، ولم يعد يعكسه الكهنة والرهبان والراهبات اليوم! ولنقلها بصراحة: ألا تشكل هذه الأحكام والافتراءات التي تلحق بالكهنة والرهبان والراهبات وبرسالتهم وشهادتهم، عقبة أمام العديد من الشبان والشابات الذين يهمهم أن تستمر عملية بناء ملكوت الله؟!

ان يوم الصلاة من اجل الدعوات الكهنوتية والرهبانية هو لكنيستنا العراقية بمثابة الناقوس الذي يدعونا، كل عام، إلى إعادة

النظر في ما نُعِدّ أو لا نعد لكنيسة الغد؛ علماً بان كنيستنا، على اختلاف طوائفها، تواجه أزمة على صعيد النوعية أكثر منها أزمة على صعيد الكمية! وغني عن القول أن حيوية كنيسة ما وإشعاعها وفاعليتها منوطة بنوعية الدعوات التي تنشأ فيها، وبقدرة تلك الكنيسة على احتضانها. فان كنيسة لا تنبت فيها الدعوات وتتنوع وتتألق... هي كنيسة تعمل على تعجيل أجَلها! وان كنيسة لا تجد في ذاتها القدرة على إيقاظ الدعوات وتعهّدها لتأمين حاجتها الحاضرة والمقبلة، هي كنيسة لم تعد تنظر إلى المستقبل، وهي بالتالي كنيسة ترجع القهقرى! ولنا في تاريخ كنيستنا صفحات ناصعة عن خصوبة الدعوات عبر تلك الأديرة المنتشرة في طول البلاد وعرضها والتي كانت مراكز صلاة وإشعاع، استطاعت أن تحفظ الإيمان المسيحي حيًّا طيلة أجيال.

ويطيب لنا أن نشهد اليوم ارتفاعاً ملحوظاً في الخط البياني للدعوات في العالم. كما يسرّنا ان نكتشف في كنيستنا العراقية إرادة صالحة واستعداداً طيبا لدى العديد من شبابنا وشاباتنا الذين يرتضون أن يقولوا للرب: "ها أنا ذا..."، ويضعون يدهم على المحراث، ولكنهم سرعان ما يصطدمون بعقبات كثيرة تحول دون تلبيتهم نداء الرب، وليس من اقلها شأنا الافتقار إلى المكان المناسب وغياب المناخ الملائم لتحقيق آمالهم وتطلعاتهم إلى حياة الشهادة والخدمة في الكهنوت أو الرهبنة؛ فإذا كنا ننحي باللائمة على الوالدين الذي يضعون العراقيل بوجه أبنائهم أو بناتهم الذين يرغبون في تخصيص ذواتهم لخدمة الرب وكنيسته، أفلا ينبغي لكنيستنا أن تنكبّ، وبشكل جاد يتخطى التمنيات والنوايا المهزوزة، على معالجة موضوع الدعوات وتهيئة كوادر كفوءة لاحتضانها ورعايتها، فلا تُحرَم كنيستنا في الغد من كهنة ورهبان وراهبات يواصلون حمل مشعل الإيمان في عراقنا الحبيب، ويجعلون بشرى الإنجيل تعمل فيه فعل الخميرة في العجين!

أيار ١٩٨٨

سأبقى أحبك يا وطني

حب وطني ليس لي فيه خيار! فلقد رضعته مع الحليب منذ نعومة أظفاري، ونشأت عليه وأنا على مقاعد الدراسة، حين كنا نرفع علَم الأمة باعتزاز عبر أناشيد تذكرنا بأمجاد الماضي، وترسّخ في عبر كنيسة عرفت أن تزرع فينا حبه والتعلق به، بتناغم وانسجام مع حب الله والقريب... ألم يصبح حب الله وحب الوطن، في فكرنا ووجداننا، وجهين لعملة واحدة؟ ولطالما عَلِقَتْ في ذاكرتنا هذه المقولة: من لا يحب وطنه لا يحب ربه! وبالتالي فهو غير قادر على الحب، أيا كان موضوعه! ذلك لأن الحب واحد مهما اختلف موضوعه وتعددت أشكاله وتنوعت صيغه وأساليبه... أليس الحب هو ذاك التيار العارم الذي يحمل المرء، بكل قلبه وجوارحه، على الخروج من ذاته والارتماء في أحضان الآخر، في ثقة تامة وعطاء مقدام وبذل سخي...؟

هناك ولاشك وحدة في الحب، سواء اتجه نحو الله أو نحو القريب. تلك هي إحدى أبرز التوجهات التي التزمها المسيحيون الأولون في إثر معلمهم يسوع، وعكستها كتاباتهم الأولى، سواء كانت رسائل بولس أم الأناجيل الأربعة أم سفر أعمال الرسل أم رسائل يوحنا الحبيب... وتتلخص هذه الوحدة بين اتجاهي الحب على النحو التالي: من يحب الله، فليحب قريبه؛ حب الله يقودنا إلى القريب، وحبنا للقريب هو الطريق إلى الله! من قال: اني أحب الله وهو يبغض أخاه، فهو كاذب... من يحب قريبه -بكل ما يفرضه هذا الحب من متطلبات والتزامات- برهن على انه يحب الله، وكانت له ضمانة بان الله يقيم ويثبت فيه...

فما يقال عن وحدة الحب تجاه الله وتجاه البشر، يقال، وبأولى حجة، عن الترابط والتلاحم في الحب تجاه الله وتجاه الوطن. أليس الوطن تجسيداً لما يمثله القريب، كونه يجمع في أحضانه هذه الأسرة

الكبيرة من الرجال والنساء الذين تشدنا وإياهم أواصر الأرض والتاريخ والحضارة واللغة...؟ ومن هذا المنطلق يمكننا القول، ومن دون اية مبالغة: من يحب الله فليحب وطنه! حب الله يحملنا على حب الوطن، وحبنا للوطن -بكل ما يمثله من قيم وتطلعات، وما يفرضه علينا من واجبات والتزامات- دليل على حبنا لله. ولسنا نغالي إذا ذهبنا إلى القول: من يدّعي انه يحب الله وهو لا يحب وطنه -وحب الوطن يفترض الثقة به، والولاء له، والتفاعل مع تطلعاته، والحرص على استقلاله وسيادته، والعمل على تقدمه وازدهاره، والالتزام بخدمته وخدمة أهدافه والسخاء في الذود عنه...- فهو كاذب، وهو، في أقل تقدير، لا أبالي، يتنصل من المسؤولية المناطة به كمواطن، أو أناني، لا يهمه من الوطن سوى مصالحه الشخصية الضيقة! فإذا كان للمواطن حقوق في وطنه، فعليه تجاه وطنه واجبات: ومن الأنانية ان يتمتع الإنسان بحقوق ويأبى أن يلتزم بواجبات! ومن اللامعقول أن يأخذ الإنسان ويأبى من ثم أن يعطي! أوَليس الحب عطاء متبادلاً: نأخذ بقدر ما نعطي! وقد يذهب بنا السخاء إلى أن نعطي أكثر مما نأخذ، وأحيانا أن نعطي دون أن نأخذ "لأن العطاء أكثر غبطة من الأخذ"، وفق ما نسبه القديس بولس إلى الرب يسوع (أعمال ٢٠:٣٥).

هكذا يضحي حب وطني واجبا مقدساً، لا بل حاجة في أعماق كل مواطن صالح... حاجة إلى الحب هي أشبه بالحاجة التي تشدّني إلى الله أبي، وإلى الإنسان أخي، سواء كان ذاك الذي تربطني به أواصر القربى أو الصداقة أو الحب... أو ذاك الذي يبقى "قريبا" لي مع كونه بعيداً عني، بحكم حواجز الدين أو اللغة أو القومية أو الطبقة الاجتماعية أو المذهب السياسي الخ... وكلما انتصبت أمامي صعوبات أو عقبات تضعف من انطلاقتي في حب وطني، وتحدّ من اندفاعي في خدمته والدفاع عنه، وكلما تعثر التزامي بالمسؤوليات والالتزامات التي يضعها علي وطني، أو اهتز تفاعلي مع الآمال العظيمة والطموحات الشامخة التي تبتسم له... أجد في نفسي حاجة إلى شحن هممي وترسيخ قناعاتي من ان الآمال الكبيرة لا تتحقق إلا بالآلام والتضحيات، وان لا شموخ للوطن إلا ويمر عبر الصليب! ولي في استذكار الماضي ما يؤيد هذه المقولة ويؤكد صحتها: أليست الانتفاضات والثورات بعد أجيال من القهر والذل، تحت حكم التتر والمغول والعثمانيين والانكليز، أوصلت

العراق إلى ما هو عليه، وجعلت منه: عراقاً واحداً لا يتجزأ، سيداً على أرضه، مستقلاً في سياسته، أبياً في توجهاته الوطنية، رائداً في مسؤولياته القومية، صامداً في دفاعه العنيد عن ثرواته ومكتسباته، طموحاً في تطلعاته الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الخ...

في تموز من هذا العام يحتفل عراقنا الحبيب بذكرى مرور عشرين عاماً على ثورة ١٧-٣٠ من تموز الخالدة التي كانت وما تزال ثورة على كل أشكال الظلم والبؤس والتخلف الخ... التي ورثها العراق من عهود الظلام. وهذه الثورة كانت وما زالت اكبر ثورة واشملها عرفها العراق في تاريخه المليء بالانتفاضات -بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي مضت ثلاثون عاما على اندلاعها- لأنها حققت للعراق نقلة نوعية لا تضاهى في مختلف المجالات. وإذ لا يسعنا، في هذه الذكرى العزيزة، إلا أن نستذكر باعتزاز المنجزات الباهرة التي حققتها ثورة ١٧-٣٠ من تموز المجيدة بقيادة الرئيس المناضل صدام حسين (حفظه الله)، نأمل أن تسفر الانتصارات الساحقة التي أحرزتها قواتنا المسلحة، في المعارك الأخيرة، عن السلام الدائم الذي طالما طالب به العراق وسعى إليه، والذي تاق ويتوق إليه كل العراقيين بكل جوارحهم. فيا وطني، اسمح لي، في الذكرى العشرين على ثورتك المباركة، أن استعير لغة الغزل لأقول لك: احبك يا وطني

كلما شاهدتك تصر على مواصلة عملية التحول والبناء، بالرغم من سنوات الحرب وافرازاتها.

وكلما لمست في توجهاتك وخططك ان عملية البناء لديك لا تنفصل عن عملية بناء الشخصية العراقية...

وحين أجدك تسعى إلى تحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين... على اختلاف أديانهم وقومياتهم.

الموصل في ٣٠ حزيران ١٩٨٨

طبول الحرب...
وأجراس السلام

في أيلول القادم تكون الحرب قد قطعت ثماني سنوات! ومن كان يصدق، في أيلول ١٩٨٠، ان المناوشات على الحدود العراقية-الايرانية ستتحول إلى حرب طاحنة لا هوادة فيها؟ وهل خطر على بال احد ان يتحول النزاع إلى ساحات قتال واسعة امتدت على جبهة من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، وتوغلت في عمق البلدين عبر "حرب المدن"...؟ وغني عن القول ان هذه الحرب التي نُسجت أيامها بمعارك ضارية، جواً وبراً وبحراً، لم يكن يخيل لأحد، بادئ ذي بدء، انها ستدوم ثمانية أعوام، أسالت الدماء البريئة من كلا الجانبين، وخلفت في كلا البلدين ويلات ومآسي أليمة، وكان لها في كلا الشعبين مردودات سلبية لا تخفى.

ولكن من كان يصدق أيضاً أن يفاجئنا السلام بغتة -وان انتظرناهُ طويلاً- في ليلة الثامن من آب ١٩٨٨، شهراً واحداً قبل الإجهاز على العام الثامن من الحرب! هكذا، إذن، بزغ النور الساطع، نور النصر والسلام على الحياة العراقية العامة، في منتصف ليلة ٩/٨ من آب الحالي، حين نشرت إذاعات وتلفزيونات بغداد بصوت هادر ومتهدج من التأثر والنشوة، بيان البيانات -وهو البيان العسكري الوحيد، خلال ٨ سنوات، الذي لم يحمل رقماً- أعلن فيه سكرتير عام الأمم المتحدة خافير بيريز دي كويلار وقف إطلاق النار بين العراق وايران، وعيّن يوم السبت، العشرين من آب ١٩٨٨، يوم وقف إطلاق النار الرسمي والفعلي الكامل بين البلدين، ويوم الخميس ٢٥منه، موعداً لبدء المفاوضات المباشرة بين العراق وإيران... وإبلاغ مجلس الأمن الدولي بموافقة كل من إيران والعراق على بنود هذا الإعلان وتطبيق فقرات قرار مجلس الأمم المتحدة رقم ٥٩٨ تطبيقاً كاملاً، بحسب تسلسلها وورودها الفعلي.

وهكذا أصبح السلام ثمرة -طالما اشتهاها العراقيون- آن قطافها، وأصبح طريق عودة الأسرى والمفقودين سالكاً... وأبناؤنا وإخواننا في القوات المسلحة الباسلة مكللين بالغار والنصر. هذا النصر العراقي الأكبر الذي أسكر العراقيين ثلاثة أيام بلياليها، ولا زلنا تحت نشوته العارمة، انما هو فعل هذا الجيش الذي استبسل وأبى إلا أن يعود من ساحات المنازلة ظافراً مرفوع الرأس. وهو فعل تلك النفوس الأبية الخالدة، شهدائنا الأكرم منا جميعاً، الذين دفعوا دماءهم الزكية ثمناً ودية لهذا اليوم الأفضل من كل الأيام.

فهنيئاً لهؤلاء الأبطال المزومين

وهنيئاً للقائد الشهم صدام الذي ما انطفأ وهج النصر والعزة من قلبه، فحُقّ له أن يُدْعى بطل النصر والسلام.

هنيئاً لشعب العراق بنصره وحياته الجديدة، هذا الشعب الذي لا يريد سوى أن يعيش بسلام وأمان وتعاون مع جيرانه... ومع إيران بالذات.

من المفارقات ان تكون الحرب قد كشفت لنا عن المعنى العميق للسلام. فكما يشعر المرء في أعماقه، ازاء مرض الآخرين أو موتهم، بقيمة الصحة ومنّة الحياة، هكذا أخذنا، ازاء الحرب والمآسي التي اقترنت بها، نقيّم السلام وندرك أبعاده ونعتبره أعظم نعمة يمن بها الله على بلدٍ ما. ومن هذا المنطلق، يسوغ لنا أن نقول: لولا الحرب لما عرفنا قيمة السلام؟

لسنا هنا في معرض النقاش حول الأسباب البعيدة او القريبة للحرب بيننا وبين إيران، كما لسنا بصدد الدخول في مجادلات بيزنطية حول المسؤوليات التي تقع على طرفي النزاع وعلى الأطراف الأخرى التي عملت على تغذية الحرب، عبر ما قدمته من أشكال الدعم والإسناد بالمال والسلاح... وإنما جُلّ غايتنا من هذا الحديث هو أن نزداد قناعة من بشاعة الحرب، اية كانت، ومن مسؤولياتنا جميعاً في تأجيج نارها؟ كما اننا نهدف إلى ترسيخ الوعي لدينا بمسؤولياتنا في صنع السلام واستتبابه.

وإذا كنا حقاً نؤمن بان الحياة أقوى من الموت وان السلام أعظم نعمة في حياة الشعوب والبلدان، فلا بد لنا من أن نرى في هذه الحرب "فرصة" لإعادة النظر في الكثير من مواقفنا، كمواطنين ومؤمنين، والانطلاق في "حرب" على الذات لاجتثاث الدوافع والنزوات التي هي في أصل نزاعاتنا ومشاحناتنا. ومتى استطعنا أن ننزع عنا كبرياءنا وغرورنا ومطامعنا، فضلاً عن أحكامنا المسبقة ونوايانا العدوانية وأحقادنا المتبادلة، نكون قد اعددنا طرق الوفاق والمصالحة والسلام بيننا كمواطنين، وبالتالي بيننا كشعبين استسلما لحرب دامية.

فحين نقول أن لنا كمواطنين، مسؤولية في الحرب، فنحن نقصد أن في علاقاتنا غيوماً من جرى اختلافاتنا العرقية والقومية والسياسية والدينية، حتى انها أصبحت تشكل عقبات تحول دون الاخوّة بيننا، في حين كان بوسع هذه الاختلافات أن تصبح عوامل ثراء وحوار في خدمة هذا الوطن الحبيب الذي يحتضننا جميعاً، عرباً وأكراداً، مسلمين ومسيحيين. أليس التعصب الديني، من جانب أو من آخر، هو في أصل التجاهل الذي يجعل مواطنين، من بلد واحد، يحذر بعضهم بعضاً ويخطئ بعضهم بحق البعض...؟

وهكذا حين نقول بان لنا، كمواطنين، التزامات في صنع السلام وترسيخ خطاه، فكل مرة سعينا إلى تقليص الهوة التي تفصل بين المواطنين، على صعيد القومية أو الدين أو الطائفة أو الطبقة... وعملنا على إشاعة التقارب والتعاون، نكون قد خطونا خطوة على طريق المحبة والاخوة والسلام. ومتى تجاوزنا شرعة "العين بالعين"، وتخلصنا من عقدة المكابرة والاستعلاء، واتّصفنا بروح التسامح والمصالحة، نكون قد قضينا على الكثير من أسباب الخلافات والمشاحنات التي هي في أصل الحروب...

تلك هي بعض الدروس التي تلقيها علينا الحرب. إلا أن أكثر هذه الدروس بلاغة هي ولا شك تلك الدماء الزكية المهدورة التي، بعد أن روت أرض البلدين الجارين، انبتت لنا السلام! فلتهنأ تلك النفوس الشهمة بوجه ربها، ولتنل لنا منه وهج السلام الدائم!

الموصل في ٣٠ آب ١٩٨٨

آب – أيلول ١٩٨٨

الأب جرجس القس موسى

للدخول في عالم الأطفال

عدد خاص

الطفل؟ يا له من "عالم صغير"! عالم قائم بذاته، يجمع من التناقضات أغربها وأجملها... وإذا كان هذا العالم لا يمثل إلا ٣٥٪ من سكان الأرض، إلا انه، من جانب آخر، يخضع للكثير من الحرمانات، ويتعرض لأشكال الانتهاكات والاستلاب التي تمارس بحقه، وعلى مختلف الأصعدة. والغريب فينا، نحن الكبار، اننا قلما نُعير هذا العالم الصغير ما يستحقه من الاهتمام والرعاية، لأننا نجهله ونشعر بصعوبة الدخول إلى مقدسه للإصغاء إلى أنينه... ذلك لأن لنا، نحن معشر البالغين، نظرة أحادية إلى الأطفال تجعلنا لا نراهم ولا نتعامل معهم إلا من وجهة نظرنا، وهي غالباً ما تستوحي الماضي وقلما تستشف المستقبل وما ينتظرهم فيه من مهام ومسؤوليات...

تلك هي المشكلة التي كانت دوما وما زالت وراء ما يسمى بـ "صراع الأجيال"! صراع طبيعي لو اعترف الطرفان بان لكل منهما عالمه الخاص، وحاول كل منهما أن يتحسس ويتفهم ما للعالم الآخر من سمات ومفاهيم، إلى جانب ما يعيشه من حرمانات ومشاكل... وهكذا يتواصل الصراع بين الجيلين، وبحجم قد يكون أكثر وطأة مما كان عليه في الماضي القريب، إذ ان التطور السريع عمّق التفاوت بين ما عشناه في طفولتنا وما يعيشه أطفالنا اليوم.

هذا الصراع يشمل، وإن بدرجات متفاوتة، حياة الأطفال ضمن الأسرة والمجتمع والكنيسة، حيث يتعرض الأطفال في كل هذه المرافق لممارسات تمس حرياتهم وحقوقهم، وقد تكبر حيناً وتصغر حينا آخر، وقد تتأزم أحيانا وتُحتوى أحيانا أخرى... إلا انها في كل الأحوال تُعَدّ

جرحاً يطبع آثارا عميقة في نفوس هؤلاء "البراعم" الذين دُعُوا إلى الحياة لينعموا بالحب والثقة والاحترام، ويعيشوا في أجواء من السعادة والحرية والسلام. وغني عن القول ان هذه الجروح قد تكون بليغة تجعل الأطفال يتحولون سريعا من عالم البراءة والصدق والاستقامة والشفافية والطيبة، إلى عالم الخبث والكذب والمراوغة والعدوانية والحقد وكل أنواع العنف...

لسنا نريد ان "نسوّد" الصفحة في مفتتح هذا العدد الخاص عن الطفل! فإذا لفتنا الانتباه إلى معانيات الأطفال، من جرى التجاوزات على حقوقهم والاستلاب التي يخضعون لها، فلكي تتضح أمامنا ملامح طفولة نريدها تحظى بالحب والاستقلال والثقة وكل صنوف الاهتمام والرعاية. ففي نطاق الأسرة، نطمح ان يُنجَب الأطفال بروح الأبوة والأمومة المسؤولتين، بحيث يكونون "مرغوبين"، يحترم حقهم في الحياة وفي حياة حرة كريمة، بعيداً عن وصاية لا تعرف الحدود! كما نتمنى أن ينموا في مناخ من الثقة والتفهم والتوجيه السديد، بما يجيب إلى انتظاراتهم العميقة، ويمكنهم بالتالي من أن يمسكوا بأيديهم زمام مستقبلهم. وفي نطاق المجتمع بشكل عام، والمدرسة بشكل خاص، نتطلع إلى تربية رصينة متماسكة تكون قادرة على ان ترعى نمو الأطفال الخلقي والاجتماعي، بما يحقق لهم شخصية مستقلة طموحة؛ فتُزرع فيهم -إلى جانب الثقافة والعلم- القيم والمثل الإنسانية العليا، مما يؤهلهم لأن يكونوا أعضاء نافعين في المجتمع وقادرين أن يسيروا به نحو الأفضل. وفي نطاق الكنيسة، نصبو إلى تربية مسيحية مستنيرة جديرة بان تنمي في الأطفال بذرة الإيمان الراسخ، عبر مسيرة طويلة تتعهد خلالها الجماعة المسيحية خطواتهم نحو اكتشاف المسيح واللقاء به والصداقة معه والشهادة له...

كانت الأمم المتحدة قد خصصت عام ١٩٧٩ عاماً دولياً للطفل، احتفاء بالذكرى العشرين على إعلان "شرعة حقوق الطفل" التي سبق أن أقرتها عام ١٩٥٩. ولما كنا على عتبة الذكرى الثلاثين لهذه الشرعة، طاب لنا أن نسبقها بعدد خاص عن الطفولة يكون مكملاً للعدد الخاص عن الأسرة (١٩٨٣) -سيما وان العدد الخاص للعام المقبل سيكون احتفاء باليوبيل الفضي للفكر المسيحي (١٩٦٤-١٩٨٩)! ففيما نضع بين ايديكم هذا العدد الذي لا يدعي انه يحيط بموضوع لا تطاله مجلدات -وقد سبق للفكر المسيحي ان عالجت جوانب عديدة منه- نأمل

انـه سيلتقي مـع انتظـاراتكم، ويجيـب إلى العديـد مـن تسـاؤلاتكم. ويطيـب لنـا ان نسـتعرض وإيـاكم ثلاثـة محـاور حامـت حولها المقـالات والمساهمات:

كان لا بدّ ان تنطلق أولى المقالات من محور "الطفل الإنسان" لتتناول الطفل بصفته (هدفا وأملا) وليس وسيلة للتحكم والسيطرة، وتنكـب مـن ثـم الدراسـات علـى (نمـوه الاجتمـاعي) وترسـم ملامـح (أخلاقيته) وفق مقاييس تربوية تستند إلى أسس علمية رصينة. ولبقيت اللوحة ناقصة لو لم تكملها مقالتان أكدت إحداهما على دور (أوقات الفراغ) في بناء شخصية الطفل، فيما أيقظت الأخرى الوعي بشأن (الحس الفني) الذي يضفي على حياة الطفل لمسات من الجمال والإبداع.

وكـان لا بـدّ لهذا المحـور الـذي تنـاول الطفـل مـن وجهـة نظـر إنسانية أن يجد لـه امتداداً في محور يتناولـه مـن وجهـة نظـر مسيحية، بصفته "ابـن الله". وهكـذا انطلقـت المقـالات بمحاولـة لاهوتيـة بعنـوان (كينونة الطفل الإنجيلية) اعتمدت نظرة انتروبولوجية تلتقي مع النظرة الإنجيلية. وفيمـا سُلط الضـوء علـى (التوجّهات الدينيـة) التـي تنمـو مـع الأطفال، ولفتت الأنظار إلى (دور الأسـرة في التربيـة المسيحية) بصـفتها المدرسـة الأولى للإيمـان، أكـد مقـال (الطفـل ابـن الكنيسـة) علـى المسؤوليات التي تضطلع بهـا الكنيسـة -جماعـة المؤمنين- في مواكبـة مسيرة الأطفال الإيمانية.

وفي محور ثالث وأخير، وتحت عنوان "الطفل في المرآة"، كان لا بـدّ أن يوضـع الطفـل في مـرآة ذاتـه وفي مـرآة الآخـرين: ففيمـا مُـنح الكـلام لآبـاء وأمهـات ليعكسـوا عـبر (طاولـة مسـتديرة) خـبراتهم التربوية... كان من الضروري، وبأولى حجة، أن يُمنح الكلام لأطفال يعبرّون عن ذواتهم ويعكسـون عـبر (أحاديـث) مـا يحملونـه مـن مفـاهيم وآراء وما يعيشونه من معانيات وآمال. ولعل أجمل هدية زفها هذا العدد للأطفال هي الملزمة الوسطية (١٦ص) التي، وللمرة الأولى، توجهت إليهم ونقلت أمانيهم ومطالبيهم، إلى جانب نتاجاتهم ورسومهم.

وسيكون هذا العدد قد أصاب المرمى إن هو ساهم في إسقاط العديد من الأحكام المسبقة والأفكار الخاطئة حول عالم الطفل، وما يكتنفه من أسرار وتناقضات وسمات ومعانيات... كمـا انـه سيكون قد بلغ الهدف إن هـو أيقـظ الـوعي لـدى الوالـدين والمربين حـول حقـوق الطفل الأساسية، وفي مقدمتها حقـه في الحـب والاحترام والاستقلال، وحقه في مناخ من الحرية والثقة والأمن والسلام...

ميلاد السلام ... انتصار الحب

"ليكن ميلادك، يا رب، ميلاد السلام"! تلك كانت خاتمة افتتاحية الميلاد للعام الماضي. ونريدها، هذا العام، فاتحة سلام دائم وشامل نبنيه في عراقنا الحبيب الذي سيحمل وزر السنوات الثمان من حرب خلفت مآسي كثيرة، وعلى أكثر من صعيد، وعليه من ثم أن يجاهد ليوطد أسس الأمن والاستقرار ويواصل عملية التنظيم والبناء. فإلى ان يستتب السلام الدائم عبر معاهدة صلح بين البلدين الجارين، تسفر عن تنفيذ كامل لقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ بجميع بنوده، سيبقى صنع السلام مسؤولية جسيمة نضطلع بها جميعا، كل من موقعه.

وميلاد هذا العام يتزامن مع الذكرى الأربعين لميلاد "شرعة حقوق الإنسان" التي أقرّتها الأمم المتحدة في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨، في أعقاب الحرب العالمية الثانية التي كانت هي الأخرى قد خلفت مآسي وويلات عديدة لم تُمحَ آثارها حتى اليوم. وان الإعلان عن هذه الشرعة كان ثمرة قناعة ببشاعة الحرب تأصلت لدى ممثلي الدول الإحدى والخمسين الذين أعلنوا غداة الحرب (٢٦ حزيران ١٩٤٥) في ديباجة الميثاق: "نحن شعوب الأمم المتحدة، آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي جَلَبت على البشرية، مرتين خلال جيل واحد، آلاماً لا توصف...". وغني عن القول أن هذه القناعة قابلتها قناعة بضرورة السلام وإلزامية السعي إلى بنائه بكل الوسائل -وهل من وسيلة أكثر فاعلية في صنع السلام واستتبابه، من الالتزام، على الصعيدين الوطني والدولي، باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية؟ وهكذا كان بوسع هذه الشرعة الدولية أن تصبح عاملاً بارزاً من عوامل السلام، وأداة فعالة في صنعه وديمومته، شريطة ألا يكتب عليها، كما هي الحال في العديد من بلدان العالم: ليست للتطبيق!! (اقرأها في عدد تشرين الأول و تشرين الثاني ١٩٨٤).

إلا أن شرعة حقوق الإنسان سبقتها بألفي عام "شرعة" كان قد نادى بها يسوع الناصري في "خطبة الجبل"، ألهمت ولا شك واضعي

الشرعة الدولية، وكانت وما زالت مصدر الهام للعديد من التشريعات والمؤسسات والحركات الإنسانية... التي تناضل دفاعا عن حقوق الإنسان وحرياته، وتسعى إلى خير الإنسان وسعادته، كما تسهم في بناء السلام في العالم، وفي رقي الشعوب والعدالة بين الأمم...

ففي ذكرى ميلاد رسول الحب والسلام، يطيب لنا أن نعيد إلى ذاكرتنا كلماته التي رددت صداها هضاب الجليل والسامرة واليهودية... ونصغي من جديد إلى ذاك الصوت الذي ارتفع لينادي بكرامة الإنسان ودعوته السامية. ذلك ان الإنسان، في نظر يسوع، هو كل إنسان خلق على صورة الله ومثاله، أيا كان جنسه واصله وعرقه وانتماءاته الحضارية والدينية والاجتماعية، مع أولوية للإنسان الذي تُمتهن كرامته وتنتهك حقوقه وتسلب حرياته... ألم يكن يسوع نصيراً ومنقذاً ومحرراً لكل أولئك المساكين والمرهقين والمأسورين والمستغلين والمظلومين والمضطهدين والمعذبين بشتى الأمراض؟ وسيبقى يسوع ذاك المعلم الأكبر للبشرية، وقد كشف بعمق عن أبوة الله وعن الاخوة بين البشر، وجعل مفتاح الحياة رهنا بالحب الصادق لله، عبر الحب الواجب للقريب، وذلك من خلال وصية واحدة أرادها أساساً للعلاقات بين البشر وطريقا إلى الله: الله محبة، ومن أحب أخاه أقام الدليل على انه يحب الله! ولقد أراد يسوع أن يكون هذا الحب شبيها بحبه هو: حباً نزيهاً، مجرداً، سخياً، معطاء... حباً لا يعرف الحساب ولا الحدود، حبا شاملاً يتجه نحو كل إنسان ويبلغ إلى بذل الذات وبذل الحياة حتى الموت، بل موت الصليب! ألم يكن الصليب ثمن الحب والسلام؟ فالحب والسلام حقيقتان، تعكس إحداهما الأخرى، وتكمل إحداهما الأخرى: فمتى ساد الحب توطدت أسس السلام.

والحب الذي يدعو إليه يسوع هو حب ذو أوجه عديدة وانعكاسات لا تحصى: فهو حق يُصان وحرية تُحترم وعدل يُوطد ومساواة تسود...! وهو ظلم يُفضح ورذائل تُعرّى وظلمات يُسلط عليها الضوء وتجاوزات يُندد بها...! وهو في الوقت ذاته جوع يُسدّ وعري يُكسى وعطش يُروى وألم يُفهم... كما هو إغاثة تُمنح وعلاج يُؤدّى ودموع تُكفكف وقلوب تُعزّى الخ... وكل ذلك لأننا نعيش في عالم من الانقسامات والمشاحنات والحروب... عالم يسوده العنف بكل أشكاله، ولم يبق فيه مكان للحب! عالم لم يعد جديراً بسكنى الإنسان، بعد ان تضاءلت فيه علامات الأمل!

يا لَلإنسان من بائس! ونحن نعاين كرامته تُهدر وحقوقه تُمتهَن، وليس له في ذلك لا حول ولا قوة: فأن تسيل دموعه سُدى،

وتنزف دماؤه عبثا، وينام على الضيم وليس من نصير، ويسكت عن الأذى وليس من مجيب... أفليست هذه الاستلابات والتجاوزات دليلا على أن البشرية تعود القهقرى إلى عصور التخلف والوحشية؟ فما اتعس الإنسان، وقد أصبح ألعوبة تحركها أصابع خفية تجرده من أقدس ما يملك: حقوقه وحرياته! أو قصبة مرضوضة تحركها رياح الأهواء والمصالح بعد ان جعلت منه الايديولوجيات المختلفة "شبه إنسان"، لا صورة له ولا صوت!! ومع ذلك، فما أعظم الإنسان حين لا يكون جائعا إلى الخبز وعطشان إلى الماء حسب، وإنما عطشان إلى الحق والحرية والحب... وجائعاً إلى الكرامة والعدل والسلام...

"في البدء كان الكلمة... فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس... أتى إلى خاصته وخاصته لم تقبله، أما جميع الذين قبلوه فقد آتاهم سلطانا أن يصيروا أبناء الله..."! بهذه الكلمات أوجز يوحنا الإنجيلي تأمله العميق في سر "الكلمة المتجسد" الذي جاء إلى أرضنا ليحمل النور إلى كل إنسان، مذكرا إياه بدعوته السامية، ومجيباً إلى تطلعاته العميقة في الحب والحياة، ومضفيا عليها أبعاداً إلهية تجعله يصبح أكثر إنسانية. فإلى الإنسان الذي أرهقته العبودية بكل أشكالها... وكبلته الايديولوجيات بقيود جعلت منه "رقما" في برامج الكومبيوتر... ذاك الإنسان الذي مرّسته المظالم الصارخة على الصمت عن مضض... وأفقدته الانتهاكات والتجاوزات، على حقوقه وحرياته، قدرته على الاحتجاج... إليه يُعيد يسوع الأمل بالحياة، شريطة ان يدرك بان له في كل إنسان أخا، وان له في كل البشر اخوة مدعوين وإياه إلى أن يصبحوا أبناء الله! ومتى امتدت "حضارة المحبة" إلى كل بقاع الأرض، ساد العدل واستتب السلام، وعادت الأرض صالحة لسكنى الإنسان ولسكنى "ابن الإنسان" في ما بين البشر -وهو الذي كانت سكناه في ما بيننا مبعث "مجد في العلى" و "سلام في الأرض"!

فمتى استطاع الحب أن يوطد أسس الحق والعدل والحرية بين البشر، وتلاشى كل ظلم وتعد وغبن وحقد وعداوة وعنف بين الأفراد والشعوب، بسبب العرق أو الدين أو الحضارة أو القومية الخ... كان السلام على الأبواب! وكان بمثابة أعظم نصر يحرزه الإنسان! وهل من نصر أعظم من انتصار الحب على الحقد والعدل على الظلم والسلام على الحب؟

فليكن ميلاد "رب السلام" هذا العام نصراً للحب والعدل والسلام! وهنيئا لكل الذين ساهموا ويساهمون في صنع السلام وتوطيده في العالم: طوبى لفاعلي السلام، فإنهم أبناء الله يدعون!.

كانون الأول ١٩٨٨

١٩٨٩

السلام مهمة الجميع

وتمر الأعوام، والأحداث تتوالى، ويختلط حلوها بمرها، ويقترن المبهج فيها بالمأساوي: فمن النزاعات والحروب إلى مشاريع التنمية، ومن الفيضانات والزلازل -ومحنة أرمينيا من أشدها وطأة- إلى تضافر عمليات الإغاثة، ومن الانتفاضات والانقلابات إلى مبادرات التفاوض والحوار، ومن أعمال العنف والتخريب إلى انتصارات العلم والتكنولوجيا، ومن كل أشكال المظالم إلى مساعي العدل والسلام... أحداث تؤلف شريطاً متشابكاً تستعرضه لنا وسائل الإعلام عشية العام الجديد، ونصوغ ابان استعراضه هذه الأمنية: أن تذهب إلى غير رجعة أحداث العام المنصرم التي جلبت، هنا وهناك، الحزن والألم والشقاء. والغريب في هذه الأمنية انها تقترن بنبرة التشاؤم: هل سيكون العام الجديد خيراً من سابقه؟! وما هذا الشعور سوى حصيلة خبرة تكشف عن ان المآسي التي تعرضت وتتعرض لها الإنسانية، هي في معظمها من إفراز المظالم والتجاوزات والمطامع بين الدول! أوَليست كل المؤشرات إلى جانب التشاؤم، طالما لا يركن إلى التعقل أرباب العالم وأولئك الذين بيدهم وسائل القوة؟ أوَليست الحروب والويلات اللاصقة بها وكل أنواع التفرقة والقمع، وكل أشكال التخلف والبؤس الخ... نتيجة بنية سياسية واقتصادية واجتماعية مهزوزة لا تقيم وزناً لقيم العدل والحق والحرية والسلام؟

وما يقال عن المظالم والتجاوزات والانتهاكات التي تدوس حقوق الإنسان وتسخر بحرياته، على الصعيد الدولي والعالمي، يقال في العلاقات بين الأفراد على صعيد الأسرة والمجتمع، كما بين أعضاء الجماعات البشرية على الصعيد الوطني، وعلى مختلف المستويات الحضارية والايديولوجية والقومية والاجتماعية والدينية والطائفية...

أَلا تتراقص في ذاكرة كل منا، عشية العام الجديد، أحداث جرحتنا في الصميم -وكان اثر بعض هذه الجروح عميقاً!- إلى جانب أحداث أخرى كانت أقل وطأة أو أكثر عزاء؟ وإزاء هذا الشريط الآخر المنسوج، في معظمه، من المشاجرات بين الأسر والجماعات البشرية، والذي يعكس مظاهر التفرقة والمكابرة والنفاق والحسد والجشع وكل أشكال المظالم والتعديات... نتساءل في حيرة وشكوك: هل سيكون العام الجديد خيرا من سابقه، طالما شهدنا ونشهد غياب عنصر العدل والحب والاحترام بين الناس!

وفي غمرة هذا الاستعراض، تنتصب أمامنا تساؤلات جادة: لماذا تتناحر الأمم والشعوب، وتبقى الحرب وكأنها وسيلة "التفاهم" الوحيدة؟ ولماذا لا يُحترم حق الشعوب في السيادة والاستقلال، وتبقى دول تمارس كل أشكال السيطرة والاستغلال بحق دول أخرى؟ لماذا تستخدم حكوماتٌ أساليب القمع والقهر، فيضطر مواطنون إلى اللجوء إلى أعمال العنف والتخريب؟ ولماذا تنفق دول مبالغ باهضة على التسلح، بينما تبقى شعوب برمتها تعاني من الفاقة والبؤس؟ وتجد هذه التساؤلات وغيرها امتداداً لها في الحياة اليومية: لماذا تعكر المشاجرات والمشاحنات صفاء الحياة العائلية، من جرى وصاية تجاوزت الحدود، أو مشاكسة وعنف ونكران جميل لدى أبناء نزعوا عنهم الحب والاحترام؟ ولماذا تسود العلاقات بين الأسر المنازعات والمنافسات وكل أشكال الحسد والطمع والحقد والقطيعة...؟ لماذا يبقى الجشع وراء التعامل التجاري بين الناس، وتسفر عنه مظالم صارخة، فيزداد الأقوياء والظالمون ثراء، بينما يزداد المستضعفون والمظلومون فقرا وبؤساً؟ ولماذا تبقى فئة، بحكم تفوقها العددي أو "العضلي"، تمارس أنواع الظلم والعنجهية والاستهتار، بحق فئة تسكت على الضيم عن مضض؟ وبوسعنا ان نطيل قائمة التساؤلات... إلا ان التساؤل الجوهري الذي يحق لنا، بل يجب علينا أن نطرحه، كي يتسنى لنا ان نلج العام الجديد بابتسامة أمل، هو: متى يدرك البشر انهم اخوة، وتدرك البشرية كلها انها أسرة واحدة، وان الأرض وخيراتها هي للجميع، وان من حق الشعوب أن تعيش بكرامة وعزة وعدالة وحرية وأمن وسلام...؟

"ماذا بأيدينا نحن؟" عبارة نطلقها من أعماقنا، وبشعور من العجز، وهي بمثابة ذريعتنا لرفع المسؤولية عن كواهلنا ووضعها على

كاهل رؤساء الدول وقادة الشعوب، متناسين ان السلام مسؤولية يتقاسمها كل البشر، أفراداً وجماعات، شعوبا وحكومات، وهو مشروع يبنى على يد الجميع وبمساهمة الجميع. إلا اننا ما ان عرفنا بان لنا في صنع السلام يداً، سرعان ما نطلق عبارات هي الأخرى بمثابة حجج نتذرع بها للتنصل من مسؤولياتنا ووضعها على رقاب الاخرين: "من لا يريد السلام؟ هل هناك أطيب من المحبة؟ ما ألذ الانسجام والتفاهم..."!! متناسين، بقصد أم بغير قصد، اننا في علاقاتنا اليومية، كثيرا ما نؤجج نار الفتنة عوض عن أن نسعى إلى الوفاق، واننا غالباً ما نذكي أسباب الشقاق والشجار والضغينة عوض عن أن نتجاوز الخلافات ونطمر الأحقاد ونصفي الأجواء الخ...

فالسلام الذي نصبو إليه، ينسجه سلوكنا اليومي، والمحبة التي نتمنى ان تسود، تتحقق عبر المواقف التي نتخذها في تعاملنا اليومي، وفي كل مرافق الحياة. فمن يقول "أريد السلام"، عليه أن يسلك سبل السلام! ومن يقول "ما أطيب المحبة"، عليه أن يقبل ما تفرضه عليه من عطاء وبذل والتزام! وقد يكون الاحترام الواجب تجاه حقوق الآخرين وحرياتهم هو الدعامة المتينة للمحبة والسلام، في نطاق الحياة اليومية، كما على صعيد المجتمع الوطني والدولي. وغني عن القول ان هذا الاحترام يجب أن يمتد إلى كل البشر، بالرغم من كل الفروقات الحضارية والعرقية واللغوية والقومية والدينية والسياسية والاجتماعية... أليس إلى "احترام الأقليات" دعا يوحنا بولس الثاني في رسالته بمناسبة يوم السلام العالمي لهذا العام: "احترام الأقليات حجرة في بناء السلام"؟

وفي مفتتح هذا العام الجديد، يطيب لنا أن نرفع الشكر لله الذي مَنَّ على وطننا الحبيب بنعمة السلام، بعد ثماني سنوات من الحرب، متمنين أن تتواصل عن كثب عملية السلام، وتسفر عن اتفاقية سلام عادل ودائم وشامل. كما يطيب لنا ان نفتتح هذا العام من حياة "الفكر المسيحي" -وهو عام اليوبيل الفضي- بتأدية آيات الحمد لله الذي منحنا أيدَه وقدّرنا على خدمة الكلمة في كنيسة العراق طيلة ٢٥ عاماً. ويسرّنا أن نتقدم بالشكر لكم، قراءنا الأعزاء، الذين واكبتم مسيرة "الفكر المسيحي" -ولولاكم، لما استطاعت أن تبلغ هذا الشوط- آملين أن تتجندوا هذا العام في حملة واسعة النطاق تزيد من انتشارها، وتمكنها بالتالي من مواصلة رسالتها الإعلامية والثقافية في عراقنا الحبيب، ولكم منا سلفاً أعمق الشكر!

كانون الثاني ١٩٨٩

صراع بين النور والظلمة

حين كتب يوحنا الإنجيلي: "على هذا تقوم الدينونة: ان النور قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلمة على النور"، فهو إنما أراد أن يوجز الصراع الذي كان وما زال يقسم البشر إلى فئتين: فئة تتوق إلى النور وتسعى إليه وتقبله بطيب خاطر... وفئة لا تأبه بالنور ولا تبحث عنه، وقد تذهب إلى رفضه والتصدي له! هذا الصراع نُسج منه تاريخ شعب العهد القديم في مختلف مراحله وحقباته، وكأني به كان تاريخ خيانات متتالية، تجاه أمانة الله، من جانب الأغلبية، ازاء حب وأمانة من جانب "بقية" ثبتت على العهد وصمدت بوجه المصاعب والشدائد! هذا الصراع ذاته برز بشكل جليّ في زمن يسوع، ذاك الناصري الذي ما ان باشر رسالته، حتى انقسم تجاهه الناس: منهم من كان يقول: انه صالح! ومنهم: لا، إنما هو يضل"الخلق! منهم رأوا فيه "النبي" الآتي، ومنهم ذهب بهم التعامي إلى القول: انه ببعلزبول يخرج الشياطين! أليس إلى هذا التضاد في الموقف أشار يوحنا الحبيب في فاتحة إنجيله: "أتى إلى خاصته وخاصته لم تقبله، أما الذين قبلوه فقد آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله"؟ أوَليس إلى هذا الانقسام الذي سيحدثه يسوع بين الناس، أشار لوقا الإنجيلي حين وضع على لسان سمعان الشيخ هذه العبارة: "ان هذا الولد قد جُعِلَ لسقوط ونهوض كثيرين في إسرائيل، وهدفاً للمخالفة"؟!

ان كُنهَ الصراع الذي يشدّد عليه الإنجيليون، يكمن في قبول أو رفض الإيمان بيسوع الذي "مرّ بين الناس يصنع الخير"، ذاك "الإنسان الذي أيده الله بالعجائب والمعجزات والآيات..."، و يسميه القديس بطرس "رأس الزاوية" الذي رذله البناؤون وأنكروه وأسلموه إلى الصلب، لكن "الله أقامه... وجعله رباً ومسيحاً... وما من خلاص بأحد غيره..." (اقرأ أعمال الرسل: فصل ٢-٥).

وهذا الصراع بين الذين يؤمنون بالمسيح والذين لا يؤمنون به، بين الذين يقبلونه والذين يرفضونه، إنما هو في الواقع صراع بين الذين "يعملون الحق" والذين "يفعلون الشر". فالذين "آثروا الظلمة على النور"، قال عنهم يوحنا الحبيب: "لان أعمالهم كانت شريرة: لان كل من يفعل الشر يبغض النور ولا يُقبل البتة إلى النور لئلا تفضح أعماله؛ أما من يعمل الحق، -فانه يُقبل إلى النور لكي يتبين ان أعماله مصنوعة في الله" (يوحنا٣:١٩-١٢). فلا عجب، إذن، إذا ما قامت الدينونة، في آخر الأمر، على الموقف الذي سيتخذه الإنسان تجاه النور وما يمثله النور من صنوف البر: فمن يتوق إلى النور ويسعى إليه، فهو إنما يقبل الحقيقة في كل أبعادها، ويرتضي بطيب الخاطر أن يتجاوب مع كل متطلباتها، حتى وان ذهبت به بعيداً في مسالك الحب والعطاء والبذل وكل أشكال الخير... أما من يتعامى عن الحق ويرفض البحث عنه، فهو إنما ينغلق على ذاته ويتستر في الظلام ويؤثر البقاء بمنأى عن النور لئلا تُفضح أعماله...

والصراع بين النور والظلمة، يعيشه اليوم، بألف شكل وشكل، كل أولئك المؤمنين الذين يوجدون أمام خيارات عديدة متناقضة، حيث يختلط الخير بالشر ويقترن الحق بالباطل... حيث يتشح الضلال بوشاح الحق، ويظهر الشر بزي الخير... فيخبو العدل أمام الظلم والاستغلال، وتبدو المحبة مرادفاً للضعف، والتسامح رديفاً للخنوع، وتضحي الاستقامة والنزاهة والصدق والأمانة والقناعة الخ... مُثُلاً متغربة عن واقع مجتمع، تفرض "ضروراته" وسبل النجاح فيه مقاييس تتمثل في الكذب والمراوغة والاحتيال والابتزاز والجشع الخ...! وازاء هذه الفوضى في المقاييس والمعايير، لا عجب إذا ما وجد المسيحي نفسه ممزقاً ومنقسماً على ذاته، تتقاذفه التيارات المختلفة، وتستميله يمنة ويسرى الدوافع المتناقضة... فيُخيل إليه انه أضحى "قصبة" تحركها الريح، أو "ألعوبة" بيد الأهواء والغرائز! وقد يتسرب آنذاك إلى ذهنه هذا التساؤل الخطير: إلى متى ابقى أسيرُ ضد التيار؟ وهل من جدوى في مسيرة لا يُلمس فيها النجاح؟ أوَيُكتب عليَّ أن أكون دوماً "صوتاً صارخاً في البرية"؟!

لست هنا في معرض الإجابة على هذه التساؤلات العميقة التي تتطلب إعادة نظر جادة في معنى الإيمان والالتزام المسيحي والسلوكية

الإنجيلية... وإنما جُلّ ما ابغي من وراء هذا الحديث الذي يتزامن مع فترة "الصوم الكبير"، هو أن يكون زمن الصوم هذا، زمن عودة إلى الينابيع، يسفر عنها اختيار مجدد لمن هو النور والذي بنوره نعاين النور! فزمن الصوم هو بالتالي زمن الصراع بين النور والظلام، ذلك لان المسيحي يدرك جيداً انه لن يبلغ إلى نور القيامة إلا عبر ظلمات الصليب، وان الشرط الوحيد لقيامته مع المسيح الناهض هو صراعه مع الموت ومع ما يمثله الموت من ظلمة وشر... ومما لا شك فيه ان صراع المؤمن مع قوى الظلمة والشر سيفتح له جبهات عديدة وعلى مستويات مختلفة، فلا يكاد أي مجال من مجالات الحياة يخلو من حرب يتحتم عليه ان يشنها بوجه كل أشكال الظلم والاحتيال والمراوغة والقهر والاستغلال والجشع الخ... إلا ان يقينه، طيلة هذا الصراع، والذي يزداد مع الأيام عمقاً ووطأة، سيبقى معلقاً بإيمانه الوطيد بذاك الذي قال: "أنا نور العالم، من تبعني لا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة"، كما سيبقى يقينه ملتصقاً دوماً بثقته الراسخة بذاك الذي أعلن: "ثقوا، أنا غلبت العالم"!

شباط - آذار ١٩٨٩

قيامة المسيح ... حياة دائمة

"قام المسيح... حقاً قام"! كان هذا ولا شك أول هتاف أطلقه الرسل والمسيحيون الأولون للتعبير عن إيمانهم بقيامة الرب يسوع، "ذاك الإنسان الذي أيّده الله بالعجائب والمعجزات والآيات... الذي أُسلم بحسب مشيئة الله وعلمه السابق... وأقامه الله ساحقاً قيود الموت... وجعله رباً ومسيحاً" (أعمال الرسل ٢: ٢٢...). وهذا الهتاف، إنْ هو سوى خلاصة مكثفة للكرازة التي نادوا بها على رؤوس الملأ وحملوها "بشرى" (إنجيل) فرح وسلام، لكل أولئك الذين كانوا "ينتظرون خلاص الله"، يهوداً كانوا أم وثنيين؛ ويقينهم أنهم أُقيموا "شهوداً" ليسوع الناهض من بين الأموات، بفعل موهبة الروح التي أفيضت فيهم يوم العنصرة: "ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض".

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في معرض الحديث عن القيامة هو: كيف تم هذا الحدث؟ أين ومتى تم؟ وعلى مشهد من؟ الخ... إلا ان مثل هذه الأسئلة تحصر حدث القيامة في حدود الزمن والتاريخ، وتخفي من ثم أبعاده الكونية وتعتم مغزاه العميق! فالسؤال الجوهري الذي يحق لنا ويجب علينا أن نطرحه هو: كيف عبّر المؤمنون الأوائل عن حدث القيامة؟ ما هي الصيغ والصور التي استخدموها للتعبير عن سر القيامة؟ وما معنى انهم أُقيموا "شهوداً" ليسوع الناهض من بين الأموات؟

جولة سريعة في رسائل القديس بولس -وهي أولى الكتابات المسيحية- والأناجيل وأعمال الرسل، بحثا عن التعابير التي تروي حدث القيامة، تكشف لنا عن ان تلاميذ يسوع لم يكتفوا بصيغة "قام من بين الأموات" التي تعكس حقيقة النهوض والاستيقاظ من رقاد الموت، وإنما استخدموا صوراً أخرى كثيرة للتعبير عن هذا الحدث الكبير الذي عليه رسى الإيمان المسيحي برمته. ذلك لأنهم أدركوا أن صورة

"الانبعاث" و"العودة إلى الحياة" لا تفي حدث القيامة حقه، ولا تؤدي المعنى العميق الذي تنطوي عليه حقيقة القيامة. لقد كانوا على معرفة ببعض الموتى الذين أقامهم يسوع (ابن أرملة نائين، ابنة يائير، لعازر) - ولم يقل أحد عنهم انهم بقوا أحياء، وإنما عادوا فماتوا -، ولم يكن من الممكن ان تكون قيامة يسوع شبيهة بتيامة هؤلاء المحظوظين الذين أنهضهم يسوع من رقاد الموت. فكان عليهم أن يجدوا صوراً أخرى أكثر دلالة عن قيامة يسوع، يكون بوسعها ان تبرز كل ابعادها اللاهوتية. وهكذا اخذوا يقولون عن يسوع الذي "أقامه الله من بين الأموات... وأنهضه في اليوم الثالث": "انه حي"، وانه "ارتفع بيمين الله"، وان "الله مجّد فتاه" و"جعله رباً ومسيحاً"، و"رفعه بيمينه رئيساً ومخلصاً" و"وهب له اسما يفوق كل اسم" الخ...

ولقد اقترنت هاتان الصورتان -العودة إلى الحياة والدخول في المجد- في فكر الرسل والمسيحيين الأولين، وترددت على لسانهم وعكستها أقلامهم: فعبارة "قام" توحي بان يسوع استيقظ من "رقاد الموت"، مستعيداً حياته السابقة، بحيث يمكن للذين عرفوه قبل موته أن يعرفوه كما هو بعد قيامته. وعبارة "رُفع" و"مُجِّد" نوحي باننا لسنا ازاء مجرد عودة إلى الحياة، لأن يسوع أُدخل في المجد وحصل على مزيد من الحياة، وأصبح بوسعه أن يمنح الحياة للذين يؤمنون. وهكذا يتضح باننا، على الأقل، ازاء طريقتين في التعبير عن القيامة، وان صورة "القيامة" تبقى ناقصة إن لم ترافقها صورة "الرفع" و "الدخول في المجد" و"الصعود" و"الجلوس عن يمين الله"... فنحن إذن أمام وجهين لعملة واحدة: فحين نقول ان يسوع "قام"، نقصد انه نهض من الموت، وعاد حيا كما كان من قبل وسيبقى حياً ابد الدهر... ولكننا نقصد في الوقت ذاته بأنه "رُفع" و"مُجِّد" و"صعد" لأنه أُدخل إلى حياة جديدة هي حياة الله ذاتها، وهذه الحياة هي فاتحة عهد جديد للإنسانية. ولعلّ لوقا، أكثر من سائر الإنجيليين، شعر بالحاجة إلى استخدام هذين الصنفين من الصور للتعبير عن سر القيامة، فوضعهما جنباً إلى جنب، هو الذي ما انفك يضع على لسان يسوع: "أما كان ينبغي للمسيح أن يكابد هذه الآلام ويدخل إلى مجده؟".

إلا ان السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: كيف أصبح الرسل "شهود القيامة"، ونحن نعلم أن حدث القيامة في حد ذاته لم يكن عليه

شهود عيان؟! هذا السؤال يحملنا ولا شك على إعادة النظر في "التراثيات" التي يرويها الإنجيليون في محاولة لإدخالنا في سر القيامة. فالمقصود من سرد هذه التراثيات، ليس ان يسوع تجلى أمام تلاميذه بصورة منظورة يمكن التقاطها، وإنما التأكيد بان يسوع يبادر إلى الكشف عن ذاته، وانه هو الذي "يُظهر" نفسه للتلاميذ ليمكنهم من ثم أن يصبحوا شهوداً له، أمام الذين خفيت عنهم حقيقته. وما التعابير التي استخدمها الإنجيليون في هذه التراثيات سوى للدلالة على ان هؤلاء الشهود لم يكونوا عرضة لوهم جماعي، وانهم اختبروا حقيقة الناهض من بين الأموات، وان بوسعنا نحن أيضا أن نختبر، بالإيمان، فرح القيامة، كل مرة اكتشفنا حضور يسوع في ما بيننا، وكل مرة التقينا به على دروب الحياة: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا"!

لقد كان حدث القيامة وما زال موضوع إيمان! وهذا الإيمان هو أشبه بخبرة يمنحها الناهض من بين الأموات لكل الذين يرتضون ان يروا فيه "رباً ومسيحاً"، "سيداً ومخلصاً"، "قائداً ودليلاً"... فهو الذي "يُظهر" نفسه لمن شاء ومتى شاء، عبر خبرة باطنية لا تقل واقعية عن خبرة الرسل -ولنا في الإنجيل، بصفتها "شهادات"، خير دليل إلى هذه الخبرة الإيمانية. أليست مسيرة تلميذي عماوس هي مسيرة كل مؤمن نحو اكتشاف يسوع الناهض من بين الأموات واختبار اللقاء به حياً وحاضراً في كل إنسان -ولاسيما ذاك الغريب الذي نصادفه في الطريق- وفي الأسرار، ولا سيما الاوخارستيا حيث نعيش حضور الرب الحي في ما بيننا ونحيي ذكرى موته وقيامته...؟ ولعل أعظم خبرة نحصل عليها عن يسوع الحي، هي حين نكون شهوده في العالم، فنجعل من قيامته حياة دائمة: انا القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا!

وإليكم، قراءنا الأعزاء، أجمل التهنئات بعيد قيامة الرب، طالبين لكم من يسوع الحي أن تكون لكم باسمه الحياة وتكون لكم بوفرة!

نيسان ١٩٨٩

الروح يَهُبُّ حيث يشاء

"من آمن بِي فستجري من جوفه أنهار ماء حي"! آية نقلها يوحنا الإنجيلي، موضحاً بان يسوع قالها عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين أن يقبلوه، ومضيفاً بان "الروح لم يكن بعدُ قد أُعطِيَ، لان يسوع لم يكن بعدُ قد مُجِّد" (٧:٣٨)! مثل هذا السرد يكشف ولا شك عن الرؤية الجديدة التي اكتسبها المسيحيون الأولون عن يسوع، في أعقاب حلول الروح القدس عليهم وامتلائهم منه. وهذه الرؤية هي التي مكنتهم من قراءة جديدة، بنور الروح، لكل ما قاله وعمله يسوع؛ كما أتاحت لهم أن يقرأوا، بعيون جديدة، أسفار العهد القديم على ضوء خبرتهم الإيمانية بقيامة الرب يسوع، وذلك بفعل الروح الذي منحهم فهما عميقا لكل الأبعاد التي انطوت عليها القيامة، بصفتها حدثاً إيمانياً يخرج عن نطاق الخبرة الملموسة. ألَم يكن خطاب القديس بطرس، يوم العنصرة، إعلانا صريحا لحقيقة القيامة: "... فيسوع هذا قد أقامه الله ونحن جميعا شهود بذلك، وإذ قد ارتفع بيمين الله واخذ من الآب الروح القدس الموعود، أفاض ما تنظرون وما تسمعون" (أعمال الرسل ٢:٣٢).

هناك علاقة وثيقة بين حدث العنصرة وما رافقه من "خوارق"، وبين التفسير الذي أعطاه له بطرس والمغزى العميق الذي استخرجه منه. فظاهرة "التكلم بالسنة" طرحت على السامعين سؤالاً، وحملت بعضهم على الانذهال والتساؤل، فيما دفعت البعض الآخر إلى الاستهزاء بالرسل والقول بأنهم "امتلأوا سلافة"! وكان خطاب بطرس جوابا لهؤلاء وأولئك، جوابا هو بمثابة التفسير الذي يقدمه الإيمان لهذه التساؤلات. وغني عن القول ان التفسير الإيماني الذي ينطلق من الحدث ويتجاوزه، هو الذي يحتفظ به الإنسان ويلتصق به، ويكون له نقطة انطلاق إلى الإيمان والالتزام: أليس الإيمان ثقة نمنحها للشهود الذين يضعهم الله على طريقنا؟ ألَم يُعْطِ يسوع الطوبى للذين يؤمنون ولم يروا؟!

وهنا يطرح السؤال نفسه: ما هو مضمون التفسير الذي يقدمه الإيمان، من خلال الخطاب الذي وضعه لوقا على لسان بطرس في سفر أعمال الرسل -والأجدر بنا أن نسميه سفر الروح القدس-؟ وهذا المضمون مُعلَن في نبوءة يوئيل التي استشهد بها هامة الرسل: "وسيكون في الأيام الأخيرة، يقول الله، اني أفيض من روحي على كل بشر... وأجري عجائب في السماء من فوق، وآيات على الأرض من أسفل... قبل أن يأتي يوم الرب العظيم المجيد...". فيوم الرب، في نظر بطرس والمسيحيين الأولين، قد أتى في يسوع "الإنسان الذي أيّده الله بالعجائب والمعجزات والآيات"، الذي بعد أن كابد الآلام والموت على الصليب، "أقامه الله ساحقاً قيود الموت"... وهو الذي بعد أن دخل إلى مجده، "اخذ من الآب الروح القدس". وتجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود اعتقدوا بان الروح كان قد توقف عن العمل في القرون الأخيرة، وكانوا ينتظرون حلوله من جديد لدى مجيء المسيح! ألسنا، إذن، ازاء اكتمال الأزمنة المسيحانية التي أنبأ بها يوئيل؟ ألسنا ازاء تحقيق شامل لعهد جديد قطعه الله مع البشرية، بيسوع الذي "جعله رباً ومسيحاً"، والذي "ما من خلاص بأحد غيره"؟!

وليس من قبيل الصدف أن يتم "نزول" الروح على "أبناء الموعد" يوم العنصرة وهو العيد الذي كان اليهود يحتفلون به ٥٠ يوماً بعد الفصح، إحياءً لعهد سيناء وتجديداً له. فبعد أن مجد يسوع، أصبح بوسعه أن يرسل روحه إلى الكنيسة كي يتسنى لها أن تواصل عمله في العالم. وروح يسوع، كما جاء في إنجيل يوحنا، هو ذاك "المحامي" (الفارقليط) الذي يقيم مع التلاميذ، ويعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل قاله لهم: "روح الحق" الذي يشهد ليسوع و"يرشدهم إلى الحقيقة كلها". وككل تجليات الروح في العهد القديم وما رافقها من ظاهرات تتمثل في الريح والنار والرعود الخ...، يصف لوقا حلول الروح على الرسل عبر "صوت من السماء كصوت ريح شديدة"، وعبر "ألسنة منقسمة كأنها من نار": ألسنا ازاء سيناء جديد وعهد جديد وشريعة جديدة لشعب جديد تلقى رسالة تمتد إلى شعوب الأرض كلها؟ أليس "امتلاؤهم جميعا من الروح القدس" و "تكلمهم بلغات أخرى" علامة أكيدة بان الروح استولى على هذا الشعب الجديد ليجعل منه شعبا يشهد ليسوع الناهض من بين الأموات: "ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم فتكونون لي شهوداً... إلى أقاصي الأرض"؟

لقد كانت العنصرة منعطفاً هاماً جعل الكنيسة الفتية تخرج من عزلة العالم اليهودي، لتصبح كنيسة كل الشعوب، كنيسة جامعة... والذي دفعها إلى ذلك هو الروح القدس! فهو الذي قاد خطواتها الأولى وألهمها توجهاتها الأساسية، وعمل وما زال يعمل فيها ليجعل منها كنيسة تشهد دوما للرجاء الذي أنبتته فيها قيامة الرب. وإذا كانت المعجزات، في الماضي، هي التي تطرح السؤال -كما في العنصرة-، فنحن اليوم ازاء "علامات" أخرى عديدة للروح تطرح بدورها السؤال، وعلينا أن نفسرها في ضوء الإيمان: أليست شهادة كنيسة حية، نشطة، متجددة أبداً، يغذيها الإيمان والرجاء والمحبة... دليلاً على ان الروح ما زال يعمل في الجماعة المؤمنة، كما كان يعمل من قبل في الكنيسة الناشئة؟ أليست التوجهات الجريئة والممارسات الديناميكية لكنيسة تعرف ان تصغي إلى آلام وآمال عصرنا، وتكتته فيه "علامات الأزمنة"، دليلاً على ان الروح ما زال حيا ونشطاً؟ أليست المحاولات اللاهوتية والمواقف النبوية التي يتخذها أبناء الكنيسة، من أعلى السلم إلى أدناه، في كل زمان ومكان، ازاء مختلف القضايا الراهنة، مؤشرا إلى ان روح يسوع ما زال حاضرا وفاعلاً؟ الخ...

وستطول بنا قائمة التساؤلات ان نحن أردنا أن نبحث عن علامات حضور الروح أو غيابه في كنيسة الله المنتشرة في المسكونة، أو أردنا أن نستجلي عمله في جماعاتنا المؤمنة، ونقف على ما يواجهه من قبول أو رفض، من تجاوب أو عناد... وإنما نكتفي، في ما يخص كنيستنا في العراق -وهي في منعطف دقيق من تاريخها- أن نتحقق من انها أمام خيارين يتعلق بهما مصيرها ومستقبلها: فاما ترضى البقاء بمنأى عن تيار الروح، بعيداً عن مواقع الشهادة التي هي مدعوة إلى أدائها في هذا الوطن الحبيب، فترى أجَلها آتياً لا محالة، لا سمح الله! واما تذهب بجرأة في البحث عن تجليات الروح وما يرافقها من نداءات ملحة، وتقبل، بطيب الخاطر، ان يعصف تياره في كل جنباتها، فيسفر عن عنصرة جديدة تكون لها عامل أصالة وتجدد وديناميكية وعطاء...

عيد العنصرة ١٤ أيار ١٩٨٩

أيار ١٩٨٩

٢٥ عاماً في خدمة كنيسة العراق

من دواعي الفرح العميق أن تتزامن، مع أعياد تموز، احتفالات "الفكر المسيحي" بيوبيلها الفضي (١٩٦٤-١٩٨٩)، المجلة التي يطيب لنا ان نعتبرها رسالة خطية من كنيسة العراق! وإلى كنيسة العراق، رسالة هي صدى أمين للإنجيل في كل أبعاده. وحين نقول ان "الفكر المسيحي" هي صدى للإنجيل، فلأنها سعت وتسعى إلى الالتصاق به وبث توجهاته العميقة، مع كل ما تحمله من بشرى فرح وعدل وتحرير ومحبة واخوة وتضامن وسلام. انها، بفضل طابعها الشمولي، تعكس وجه المسيح الحاضر في كل الحضارات والفاعل في كل الشعوب، بما تنقله من خبرات وتجارب ومعانيات وآمال لدى كنائس الله في المسكونة؛ كما انها، بحكم طابعها العراقي، تعمل على إشاعة القيم الإنجيلية والإنسانية والوطنية، فتسهم من موقعها، كأداة إعلامية ثقافية مسيحية، في بناء الإنسان العراقي والمسيحي بنوع خاص وتمكنه من تحقيق ذاته واثبات هويته وتحمله من ثم على الاضطلاع بمسؤولياته كاملة في حياة الكنيسة والوطن.

ان اليوبيل الفضي هو وقفة قصيرة ذات نظرتين في اتجاهين معاكسين: نظرة إلى الماضي، نتوخى منها قراءة جادة للشوط الذي قطعته الفكر المسيحي طيلة ربع قرن: قراءة يقترن فيها التقييم بالنقد وتمتزج فيها المعانيات والإخفاقات بالأفراح والتعزيات؛ ونظرة باتجاه المستقبل، نتوخى منها قراءة على ضوء الماضي والحاضر لما نريد أن تكون عليه "الفكر المسيحي" مستقبلاً: قراءة تقترن فيها الطموحات على قدر الإمكانات، وقد تصطدم الآمال بالحدود!

فالقراءة الأولى، آمل أن تقوموا بها انتم، قراءها وأصدقاءها ومناصريها، سواء واكبتم مسيرتها منذ بداياتها المتواضعة عام ١٩٦٤، أم لحقتم بها في سنواتها التالية. ولا شك انه من العسير ان يحيط المرء

بأكثر من ٩٠٠٠ صفحة دبجتها أقلام الكتّاب على مدى ٢٥ سنة، وقد شملت مقالات وأبحاثا وطروحات ومعالجات ومحاولات الخ... على الصعيد اللاهوتي والكتابي والراعوي والاجتماعي والتربوي والأدبي... كما انه من الصعب جداً أن يلم المرء بكل ما عكسته "الفكر المسيحي"، عبر أبوابها الإعلامية الثابتة، من أحداث وقضايا وشؤون ومعضلات من حياة الكنيسة في العراق والعالم؛ وهيهات ان يستطيع المرء الاحتفاظ في ذاكرته بكل الوجوه التي رسمت ملامحها "الفكر المسيحي"، وأعني بها أولئك الاعلام في الكنيسة الجامعة الذين أصدت المجلة لكتاباتهم وأعمالهم الجليلة في مختلف الحقول والميادين...

وفيما نستعرض في ذاكرتنا السنوات التي قطعتها المجلة من مسيرتها الصحافية، نرفع آيات الشكر للرب الذي قدّرنا على خدمة الكلمة بين مسيحيي العراق، عبر هذه الوسيلة الإعلامية الثقافية التي تنقل إليهم، بأمانة وموضوعية، كل ما تعيشه الكنيسة الجامعة من معضلات ومعانيات، إلى جانب ما ينفتح أمامها من آمال وتطلعات. ففي هذا العام اليوبيلي الذي لم يكن يُخيَّل إلينا اننا سنصله، يطيب لنا أن نقول:

- إذا استطاعت "الفكر المسيحي"، عبر ما قدمته لقرائها من ثقافة مسيحية أصيلة وإعلام جاد ونزيه، أن توسع آفاقهم وترسخ قناعاتهم بكلمة الإنجيل المحرِّرة، فنحن شاكرون للرب ومسبحون له.

- وإذا استطاعت "الفكر المسيحي" أن تخلق لدى مسيحيي العراق وعيا بتأصلهم وتجذرهم العميق في تربة هذا الوطن وهذه الكنيسة ذات الجذور الرسولية، فنحن شاكرون للرب ومسبحون له.

- وإذا أسهمت "الفكر المسيحي"، من موقعها، في إشاعة الألفة والمحبة والحوار بين المسيحيين من مختلف الطوائف، سبيلاً إلى الوحدة المسيحية الشاملة، فنحن شاكرون للرب ومسبحون له.

وإذا لفتت "الفكر المسيحي"، ضمن حدود رسالتها، انتباه قرائها إلى مسؤولياتهم الجسيمة في حياة كنائسهم، وحملتهم على الاضطلاع بمهمة الشهادة للمسيح في مجتمعاتهم، فنحن شاكرون للرب ومسبحون له.

أما القراءة الثانية باتجاه المستقبل، فهي منوطة بعوامل كثيرة، وفي مقدمتها ضرورة تضافر الإرادات الصالحة لدى الجميع، هيئة تحرير ومحررين ومساهمين ومناصرين ومشتركين وقراء، من أعلى السلم إلى أدناه... ذلك لأن "الفكر المسيحي" قامت على سواعد متطوعين من الكهنة، وانتشرت بفضل سخاء متطوعين من الشبان والشابات، واستمرت بفضل تجاوب القراء وأمانتهم لها وحرصهم عليها، والشباب منهم بنوع خاص! فبقدر ما تتضافر الجهود لجعل "الفكر المسيحي" أكثر التصاقا بحاجات كنسية العراق، وأكثر تحسسا لمعاناتها وطموحاتها، بقدر ذلك تضمن لنفسها، لا البقاء والديمومة حسب، وإنما التطور الدائم والسير الحثيث نحو الأفضل! وهنا أيضا نصوغ أمنيات عزيزة علينا:

- سنكون سعداء إذا استطاعت "الفكر المسيحي" أن تبقى أمينة لأهدافها، وفي مقدمتها كونها "مجلة مسيحية تؤمن بالوحدة المسيحية فوق الفوارق الطائفية والعقائدية" وتسعى إلى توطيد أسس الحوار المسكوني.

- وسنكون سعداء إذا تمكنت "الفكر المسيحي" من الاحتفاظ بطابعها المميز في كونها "مجلة مسيحية ليست لسان الكنيسة الرسمي"، وإنما لسان حال المسيحيين العراقيين، مجلة تؤمن بتعددية الآراء والمحاولات ضمن وحدة الإيمان.

- وسنكون سعداء جداً إذا ما استمرت "الفكر المسيحي" تشير إلى مواقع الشهادة للإنجيل في العالم، فتحمل قراءها على اكتشاف علامات الأزمنة في المواقف النبوية، باتجاه العدالة والتحرر والنماء الإنساني والسلام... التي يتخذها مسيحيون آخرون في العالم، بوحي من الإنجيل وفي ضوء توجهات المجمع المسكوني.

وسنكون أكثر سعادة إذا دأبت "الفكر المسيحي" تشير دوماً إلى الأولويات في كنيستنا العراقية، لا بقصد الإساءة أو الهدم، وإنما بهدف المعالجة والبناء، يدفعها حبها العميق لهذه الكنيسة ورغبتها في ان تراها كنيسة حية، متجددة، سخية، معطاء، فيها من الأصالة ما يحملها على التجدد، ومن الديناميكية ما يدفعها إلى الشهادة.

وفيما نوقد الشمعة الخامسة والعشرين من عمر "الفكر المسيحي"، نسأل الرب نعمة واحدة:

أن تبقى "الفكر المسيحي"، ولسنين مديدة، شمعة موقدة دوما في كنيسة العراق!

الموصل في ٧ تموز ١٩٨٩

بدء احتفالات اليوبيل الفضي

حزيران - تموز ١٩٨٩

وذهبت الحرب إلى غير رجعة

يوم السلام"، "يوم الفرح"، "يوم النصر"... ولعل "يوم الأيام" من أبلغ ما وُصف به يوم ١٩٨٨/٨/٨ الذي فيه أزيح كابوس الحرب من فكر العراقيين وذاكرتهم وأحلامهم... وفيه تنفسوا الصعداء! وعادت إليهم الابتسامة، بعد أن غادرتهم طيلة ثماني سنوات، وعاد معها الأمل بالعراق العظيم الذي كان ولا يزال، وبالرغم من محنة الحرب، يعانق أكبر الآمال ويتطلع إلى أضخم الانجازات!

اذكر بمرارة أيام كنت ادبج افتتاحيات، اضمّنها معانيات الشعبين الجارين اللذين جعلت الحرب بينهما عدوين لدودين استسلما للاقتتال والتطاحن دون هوادة، واعكس فيها تطلعات الشعبين وآمالهما بانتهاء الحرب وعودة السلام... ولَكَم استعرت لسان العراقيين في مناشدة قادة الشعوب وكل ذوي الإرادة الصالحة في العالم للسعي الجاد إلى وقف سيلان الدم ووضع حد للويلات والمآسي التي أفرزتها الحرب على الصعيدين البشري والمادي! ولَكَم توجهت إلى ضمير المواطنين وحملتهم مسؤوليات جسيمة في صنع السلام، كل من موقعه، قناعة مني بان السلام مهمة تقع على عاتق الجميع، من أعلى السلم إلى أدناه.

وبعد نشوة الأيام الأولى التي تلت ذلك اليوم الخالد، وبعد عام بالتمام من الإعلان عن وقف إطلاق النار، تتسرب إلى قلوبنا الشكوك حول وقف للعمليات العسكرية لم يسفر عن تنفيذ كامل لبنود القرار٥٩٨، تمهيدا لمعاهدة سلام دائم بين البلدين. ففيما نعبر عن اعتزازنا بيوم النصر الأغر، وفيما تلهج قلوبنا وشفاهنا بآيات الشكر لرب السلام، يحق لنا ان نتساءل: هل سيكون يوم النصر يوماً للسلام الدائم، فيه يحتفل العراقيون والإيرانيون معا بزوال شبح الحرب وفتح صفحة جديدة في العلاقات على أساس الاحترام المتبادل؟

هذا التساؤل الجوهري طرحه الرئيس القائد صدام حسين في الرسالة التي وجهها إلى شعب العراق وأبناء الأمة العربية، في الثامن من آب، حين لفت سيادته الانتباه إلى أن "يوم الأيام" هو يومان: "يوم للتضحية والجهاد والفداء، ويوم للعمل والتطلع والأمل والبناء"، مؤكداً بأن عملية إعادة بناء ما دمرته الحرب، هي اليوم بعين الهمة التي اتصفت بها المنازلة ابان الحرب، وذلك سواء في ميدان (البنى الارتكازية في البصرة) أم في (إعادة بناء الفاو) أم في (حملة اعمار جبهة مدينة الموصل). ففي خضم هذه الأعياد، تضعنا رسالة الرئيس القائد ازاء حقيقة لا مناص منها: "ان وقف إطلاق النار ليس هو الحصن للسلام، وإنما اتفاقية سلام شاملة وكاملة وواضحة تتحدد فيها الحقوق المشروعة والواجبات، هي ما نصبو اليه". وهذا التمني هو حصيلة قناعة عميقة من جانب العراق، بان وقف القتال -وهي خطوة رغب فيها العراق بصدق طيلة الحرب، فيما رضخت لها إيران في آخر الأمر عن مضض- لا يعني بالضرورة استتباب السلام، ما لم ترافقه وثيقة سلام شاملة تعفي الشعبين وكافة دول المنطقة من "حساب أسوأ الاحتمالات" الذي يعرقل ويشل حركة الحياة. وتخلص الرسالة إلى مناشدة ذات وجهين: سعي حثيث إلى "ظروف سلام تتحقق فيه فرص التعامل مع الحياة"، بعيداً عن الحذر والهواجس والتحسبات، ومعالجة نزيهة لقضية الأسرى عبر "تبادل شامل وكامل" من منطلق الإحساس العميق بالمسؤولية الإنسانية. وهذا الوجه الأخير جعله السيد الرئيس محكاً لحسن النوايا ودليلاً على الرغبة الصادقة في السلام: "ان من يرغب في سلام حقيقي عليه ان يعالج قضية الأسرى، ولا يضعها في إطار مساومات رخيصة".

ان رغبة العراق في التعامل مع السلام، "كحالة نهائية"، تحملنا على التطلع بأمل إلى ذلك اليوم الذي يتجاوز، في معناه وبُعده، يوم النصر، لأنه سيكون "يوم الوفاق" "ويوم العناق" و "يوم السلام الأكبر"! وهل من نصر اكبر وأعظم من انتصار السلام على الحرب؟ إلا أن الإعداد لذاك اليوم الذي تذهب فيه الحرب إلى غير رجعة، ويوقع فيه البلدان الجاران اتفاقية السلام، يتطلب منا، كمواطنين ومؤمنين، جهوداً استثنائية نبذلها على مدى السنوات المقبلة، من أجل إعادة مناخ من الطمأنينة والفرح إلى قلوب كل الذين جرحتهم الحرب في الصميم!!

لسنا بصدد استعراض للمسؤوليات التي تضعها علينا مرحلة ما بعد الحرب، وإنما يطيب لنا هنا أن نلفت الاهتمام إلى مشكلة واحدة يعاني منها مجتمعنا، ومجتمعنا المسيحي بنوع خاص، ألا وهي مشكلة المسرّحين من الجنود والمقبلين على الزواج، نطرحها عبر هذه التساؤلات: متى يدرك الوالدان أن الزواج مشروع حياة يتضامن في تحقيقه ذوو الشاب والشابة، بعيدا عن المساومات المالية التي تمس أهدافه في الصميم؟ هلا كفت الفتيات عن الحلم بشبان يحققون لهن كل مطاليبهن، وهم بعد في بدء حياتهم المهنية أو الوظيفية؟ وهل يصح ان يبقى الشاب يفترض في الشابة مواصفات ومزايا لا تتوفر إلا في نفر قليل من المحظوظات؟! وإلى متى تعدل الفتاة وذووها عن المطالبة بشروط تعجيزية وفي مقدمتها كمية الذهب التي لا يقوى على تجهيزها سوى نفر من الأثرياء؟! أما حان الوقت كي يرتضي العريسان وذووهما باحتفال زفاف يتسم بالبساطة مع الذوق الرفيع، بعيداً عن نفقات السهرات في النوادي والفنادق...؟!

بمناسبة اليوبيل الفضي

الفكر المسيحي: ربع قرن

عدد خاص

كان لا بدّ أن يكون للفكر المسيحي بالمناسبة عدد خاص! أليست ٢٥ سنة من العمل الصحافي الدؤوب، في خدمة الكلمة، جديرة بان يحكي عدد خاص ما تخللها من أضواء وظلال، وما رافقها من نجاحات وإخفاقات، وما علق بها من ذكريات مشرقة، إلى جانب ذكريات أخرى أقل إشراقاً!

وقد يكون من قبيل الادّعاء والإحراج معاً أن نرسم لوحة للفكر المسيحي التي كانت وما تزال مثار التساؤلات بين قراء لا يجدون أنفسهم فيها، فيما رأى ويرى آخرون فيها جوابا إلى حاجاتهم وصدى أمينا لآرائهم وتطلعاتهم... إلا أن المنعطف الذي بلغت إليه يحتم علينا، ومن موقع المسؤولية بالذات، أن نقوم وإياكم، قراءنا الأعزاء، بقراءة جادة وصريحة لما كانت عليه طيلة ربع قرن، وما نريد أن تكون عليه في الشوط التالي من مسيرتها التي نتمنى وتتمنون ان تطول -وكلنا يعلم انها، بفضل إرادة عنيدة استطاعت أن تصمد بوجه المصاعب بمختلف أشكالها، وتبلغ الخامسة والعشرين من عمرها، وهو عمر لم تبلغ إليه مجلة مسيحية عراقية من قبلُ!

والقراءة التي نريد أن نقوم بها وإياكم، من هذا المنبر بالذات، وفي هذا المنعطف من حياة الكنيسة العراقية، تتعدى كونها استعراضا يحمل على التلذذ بما حققته "الفكر المسيحي" طيلة ٢٥ عاماً -وتلك مهمة يليق بكم انتم قراءها أن تقوموا بها- لتكون قراءة في الخط الذي تبنّته المجلة وعكسته صفحاتها، وفي النهج الذي سارت عليه، وان اختلف معها عليه قرّاء رسموا لها في ذهنهم صورة لم تلتق دوما مع الصورة التي

عكستها، ولا عجب من ثم اذا ما شعروا بأنها خيبت آمالهم وانتظاراتهم...

الفكر المسيحي: مجلة ملتزمة

ومن دون أن نفتح سجل المرافعة، نرى لزاما علينا أن نضع أهداف المجلة على المحك، لنكون وقراؤنا على بينة، فلا نطالَب بمهمات ليست من صلب مهماتنا الصحافية، ولا نحاسَب على تجاوزات أو انحرافات ليست كذلك... كما لا نرضى أن تُقيَّد حريتنا في التعبير عما نعتبره حقا من حقوقنا، ونرفض الانقياد لمواقف تجعلنا نخون رسالتنا الصحافية، أو نخلّ بمسؤولياتنا الإعلامية والثقافية في كنيسة العراق.

فمتى تحدد الاسلوب الذي انتهجته "الفكر المسيحي"، وتجلى الخط الفكري الذي سارت عليه، وبرزت ملامح المناخ اللاهوتي الذي تسبح فيه... كان لها آنذاك "قراؤها" الذين اختاروها ويختارونها بوعي وإدراك، لأنها تعكس قناعاتهم العميقة وتتجاوب مع أعمق ما لديهم من آمال وطموحات، وتدلهم على المواقع الأصيلة التي يتحقق فيها انتماؤهم الإنجيلي ويتجسد من ثم في الواقع اليومي... وبالمقابل يتخلى عنها "قرّاء" لم يكونوا قراءها البتة، لانها لم تُخلَق أصلاً لهم، ولم تتوخَّ يوما أن "تكسبهم" لخطها بثمن تنازلات من أي شكل كانت!

في خط المجمع المسكوني

ليس من قبيل الصدف أن تكون الفكر المسيحي قد التزمت السير في خط المجمع، منذ نشأتها عام ١٩٦٤ -وقد تزامنت مع فترة انعقاده (١٩٦٢-١٩٦٥)-، ذلك لان توجهاته التقت بتوجهات أصحابها ومحرريها وكتّابها وقرائها... فكان همها، منذ البدء، الاصداء لوثائقه وبثّ روح التجدد الذي افتتحه، والدعوة إلى إصلاح البنى وتطوير الأساليب والصيغ الكنسية التي أرسى أسسها...

ومن هذا المنطلق وضعت الفكر المسيحي -سلسلة ومجلة- الاصبع على الكثير من الجراح التي عانت وتعاني منها كنيستنا، بصفتها تحمل بنية تقوم على التشتت والانقسام والضعف، وذلك عبر تحليلات جادة ودراسات مكثفة رسمت لوحة عن الواقع الكنسي، في محاولة للكشف عن المردودات السلبية التي يلحقها بها الجمود في الفكر والممارسة، إلى جانب الإمكانات التي تزخر بها والتي بوسعها ان تحملها على المضي في رحاب التجدد والبناء والعطاء... فلَكَم أيقظت الفكر المسيحي قراءها على معضلات راعوية ومسكونية وروحية واجتماعية وخلقية الخ... تطلبت وتتطلب حلولاً جذرية؟ ولَكَم دعتهم إلى الاستفاقة من سباتهم وايقظت لديهم الوعي بمسؤولياتهم الإنسانية والمسيحية، من أجل بناء المجتمع العراقي الجديد، ومن اجل بناء كنيسة عراقية حية، نشطة، متجددة...؟ ولَكَم سعت إلى تنقية الأجواء وخلق مناخات من التعاون بين المسيحيين العراقيين، هي التي شاءت دوماً أن تكون لسان حالهم، بمختلف مللهم وطوائفهم؟

ولْنَقُلْها صريحة: إن الخط المجمعي الذي سارت عليه "الفكر المسيحي" وتجاوزته أحياناً -وقد مضى على انعقاده أكثر من ربع قرن!- خلق يقظة لدى القراء استكثرها البعض عليهم، متناسين أن الجهل هو أكثر أشكال التخلف وطأة وخطراً على الكنيسة، ومتجاهلين اننا في عصر اتسم بالشفافية وأصبح فيه حبل الصمت أو الكذب أو التمويه قصيراً!

في خط الدفاع عن حقوق الإنسان

وان التزام المجلة بخط المجمع المسكوني وروحه حملها على التزام الدفاع عن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. وهذا الالتزام بالإنسان ينبع من القناعة العميقة بان البشر اخوة، أية كانت انتماءاتهم العرقية والحضارية والقومية والوطنية والدينية والسياسية والاجتماعية...، كما ينطلق من كون البشرية كلها أسرة واحدة، مدعوة إلى العيش بحرية وعزة وكرامة وسلام، بعيداً عن التفرقة أيا كان أساسها، وعن كل أشكال التفاوت بين الشعوب...

ومثل هذه المنطلقات تبنتها المجلة، إيمانا منها بان صفة المسيحية تخلع عليها التزاماً اكبر بالإنسان ومعضلاته الحيوية، وفي مقدمتها حقوقه وحرياته. كما انها تضفي على التزامها بُعداً روحياً عميقاً، طالما ان قيم الحق العدل والحرية والاخوّة والتضامن والسلام الخ... تلتقي في جوهرها مع القيم الإنجيلية الأصيلة. فكل القضايا التي تتناول معانيات الإنسان من جرى الاستلابات التي يتعرض لها، أو المظالم التي يخضع لها، بسبب البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهزوزة، هي بالتالي قضايا يدعمها الإنجيل، طالما انه بشرى فرح وتحرير وأمل وسلام! وكل الآمال والطموحات التي تراود البشر وتحملهم على الكفاح من اجل مجتمع ينعم بالاستقرار والعدل والمساواة والرقي الخ... ومن اجل عالم ينتفي منه التفاوت الصارخ وكل أشكال التمييز والقمع والعنف والتخلف هي آمال وطموحات يتبناها المسيحيون في ضوء توجهات الإنجيل النبوية، طالما انه "كلمة الحياة" التي لها ثقلها في مجمل النشاط البشري وعلى مختلف الأصعدة؛ وقد يذهب بهم التزامهم إلى الانحياز إلى جانب الإنسان -والإنسان المظلوم والمستضعف والمقهور بنوع خاص- كلما أُنتهِكَت حقوقه أو مسَّت حرياته.

أليست الطروحات والمعالجات التي تتناولها "الفكر المسيحي" وتفضح فيها الظلم، من أية جهة جاء، تعكس هذا الانحياز إلى جانب الإنسان، في كل مكان من العالم؟ أليست الأنباء التي تنقلها ترجّع صدى المواقف النبوية التي يتخذها مسيحيون، في العالم أجمع، إلى جانب الحق والعدل والحرية والمساواة...؟ ألا تصدي الدراسات والتحليلات، والملفات الإعلامية بنوع خاص، للتوجهات التي تجعل المسيح حاضراً وفاعلاً في قلب الصراعات والتوترات بين الشعوب؟

... ضمن نهج صحافي متميز

هذه التوجهات عكستها وتعكسها "الفكر المسيحي" ضمن نهج صحافي التزم مهمتين: إعلامية وثقافية. وإذا كانت المهمة الثقافية قد أخذت الأولوية في سنوات "السلسلة" الست، وفي سنوات المجلة الست الأولى -وهي مهمة قامت بها بطيب الخاطر، إيماناً منها بحاجة قرائها إلى ثقافة مسيحية أصيلة، وانطلاقاً من كونها المجلة المسيحية الوحيدة

على الساحة العراقية-، إلا انها لم تهمل مهمتها الإعلامية التي هي الصفة المميزة لكل مجلة تريد أن تلبي حاجة قرائها إلى الاطلاع، وتأخذ بالتالي مكانها في عالم الصحافة. فمنذ عام ١٩٧٧ أخذت المجلة تولي النهج الإعلامي أهمية اكبر، وتخصص له مكاناً أوسع، وستبقى قصوى رغبتها إضفاء نهج صحافي متميز على المضامين التي تتناولها من خلال أبوابها الثابتة أو المتحركة، وذلك عبر التصاقها بالقضايا الراهنة التي تستجد في مختلف الحقول والميادين اللاهوتية والكتابية والراعوية الخ... من جهة، وعبر الاسلوب الصحافي الذي يجب أن تتسم به المقالات كافة، بعيداً عن اسلوب التعليم والكرازة والوعظ، من الجهة الأخرى.

وغني عن القول أن النهج الصحافي الذي يعطي الأولوية للمهمة الإعلامية، بمفهومها الواسع، هو بالتالي النهج الذي يلتقي بالا كثر مع انتظارات القراء وحاجاتهم. ذلك لان القراء لا يأخذون مجلتهم بدافع التعمق في الإيمان -وتلك مهمة ملقاة على عاتق الكتب والنشرات والمجلات المتخصصة التي نترقب ظهورها بفارغ الصبر!- بقدر ما يأخذونها بدافع الاطلاع على ما يجري في الكنيسة، في العراق والعالم، من أحداث، وما يستجد فيها من قضايا ومعضلات... فمن دون أن يُسخَر الإعلام في أهداف تبشيرية قد تشوه الأحداث وتجعلها تبدو، لا كما هي بل كما يُراد لها أن تكون (١)، بوسع القراء أن يحصلوا على الثقافة المسيحية من طرف خفي، عبر العديد من الأبواب والزوايا التي تتخذ المهمة الإعلامية من خلالها طابعا ثقافيا -ويكفي أن نشير إلى ما تحدثه "الأنباء" و"الملفات الإعلامية" و"شؤون راهنة" من وعي لدى القراء حين تحملهم، من طرف خفي، على عيش متطلبات الإنجيل في محيطهم ومجتمعهم.

وإليكم حصيلة ٢٥ عاماً!

لقد شئنا أن يكون العدد الخاص لهذا العام بمثابة خاتمة للاحتفالات والنشاطات الثقافية والفنية التي أقيمت بمناسبة اليوبيل الفضي للمجلة، والتي كانت آخرها الحلقة الدراسية، في أيلول الماضي، التي جمعت الكتّاب والمحررين. وأردناه يكون أشبه بطاولة كبيرة، يدلي فيها كتاب وقراء من مختلف الفئات، آراءهم وانطباعاتهم، تقييمهم ونقدهم، انتظاراتهم وتمنياتهم، إلى جانب ردود

فعلهم المتسمة أحيانا بخيبة أمل... ذلك لأننا نؤمن بان التقييم الجاد والنقد البنّاء قادران أن يفتحا أمام "الفكر المسيحي" آفاقا جديدة، وعلى مختلف الاصعدة. ولا نخفي ان هذا العدد الذي نزفه إليكم بمناسبة العام اليوبيلي قد رسم لوحة تجانست فيها الألوان وتآلفت وانسجمت أحياناً، وأحياناً أخرى تنافت وتباعدت وتناقضت... ولكنها بالتالي لوحة عكست واقع "الفكر المسيحي" في نظر القراء، من أقصى المؤيدين إلى أقصى المعارضين، مروراً بجمهور كبير يجد ذاته فيها ولا غنى له عنها!

نحن ندرك جيداً ان مجلة كالفكر المسيحي ليس بوسعها أن ترضي كل الأذواق من جميع الأعمار والفئات، أو تجيب إلى كل الانتظارات التي يضعها عليها قراؤها -وهي التي لها، بدورها، آمال وطموحات كثيرة تصطدم بحدود-؛ وإنما يهمنا أن نبقى نلتزم أمانتين ونحرص، ويحرص معنا قراؤنا، على الأمانة لهما: أمانة لكلمة الله التي "لا تُقيَّد"، وأمانة لطبيعة العمل الصحافي في كل مقوّماته وأسسه وأساليبه.

إليكم أخيراً، قراءنا الأعزاء، هذا العدد الذي هو حصيلة ٢٥ عاماً من الصمود في خدمة كنيسة العراق: فسواء عبر استعراض لحركة النشر المسيحي، ام عبر تحليلات جادة لبعض أبواب "الفكر المسيحي" والقضايا التي تناولتها، وسواء من خلال لقاءات مع كتّاب ومحررين، أم من خلال آراء القراء ومقترحاتهم، عبر الاستفتاء أو الطاولة أو الأسئلة الموجهة الخ...، مروراً بمجموعة من العروض والخلاصات التي تناولت مسيرة المجلة من مختلف الجوانب... يحاول الجميع أن يقولوا، بصيغة أو بأخرى، أن "الفكر المسيحي" طبعت مرحلة في تاريخ كنيسة العراق، وانها كانت وما زالت صوتا متميزاً يعتز به مسيحيو العراق من مختلف الكنائس...

وقصوى آمالنا أن يبقى هذا الصوت -حتى وان خدش أحياناً بعض الآذان!- مدوّياً أبداً، حرّا، جريئاً، بنّاءً، ينادي ويناشد تارة، ويصرخ ويستنكر تارة أخرى... وفي كل الأحوال لا ينى يعلن كلمة الحق من دون خوف أو تزلف أو مساومة، أيا كان الثمن... فيوقظ الوعي ويشحذ الهمم ويحمّل المسؤوليات، وفي مقدمتها مسؤولية الشهادة للإنجيل في عراقنا الحبيب!

الميلاد بشرى أمل

لعلّ أجمل صفة خلعها المسيحيون الأولون على يسوع، هي صفة "المخلص"! ولعل لوقا كان أكثر الإنجيليين تحسسا لمدلول هذه الصفة، في إطار الواقع الاجتماعي والنفسي والديني والسياسي لكلا العالمين اليهودي والوثني؛ لذا جاء "إنجيله" بشرى سارة بالخلاص والتحرير، حتى انه سمي بحق إنجيليّ "المخلص". ألا يعكس إنجيله شهادة إيمان بذاك الذي كان مبشرا بعهد جديد لكل الذين كانوا ينتظرون خلاص الله، مع ما تحمله هذه البشرى من أمل بحلول أزمنة العدل والحرية والسلام... بشرى هذا موجزها: الخلاص آت... الرب آت... ملكوت الله آت...

وسواء، عبر نشيد العذراء أم عبر نشيد زكريا، وسواء عبر بشرى الملاك للرعاة (ولد لكم مخلص...) أم عبر دعاء سمعان الشيخ... تتردد كلمة "الخلاص" وكأنها لازمة ترافق البشرى بميلاد ذاك الذي انتظرته الأجيال وتاقت إلى رؤيته ربوات من الآباء والأنبياء والملوك ومتقي الله، طيلة تاريخ شعب العهد القديم. ذلك لأن المؤمنين الأوائل رأوا في يسوع "مخلصاً" جاء يحررهم من العبوديات بكافة أشكالها. ويحمل إليهم الأمل بأرض جديدة يسكن فيها الحب والسلام. ويبشرهم بأزمنة جديدة تزول فيها المظالم والمخاوف، وتُدفَن فيها الحروب والنزاعات وكل أشكال العنف والمذلة... أزمنة يعود فيها البشر "أولاد" لله واخوة بعضهم لبعض... "أزمنة يسكن فيها الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي" (اشعيا ١١: ٦)!

وسيصبح هذا الخلاص واقعا ملموسا في حياة الناس حين سيختصّ يسوع لنفسه، في مجمع الناصرة، نبوءة اشعيا، مؤكدا انها "تمت" اليوم: "روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين، وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، وأطلق المرهقين أحراراً،

وأعلن سنة نعمة للرب". (لوقا ٤: ١٨). ومنذئذ سيبدو يسوع، في تعليمه ومواقفه ومعجزاته، لا بل في موته وقيامته، منقذاً يهرع لنجدة الإنسان، والإنسان المضطهد والمظلوم والمقهور بنوع خاص؛ كما سيبدو للمرضى والمصابين بالعاهات والخطأة ذاك المخلص الذي لا يني يقول لهم بان الله يحبهم، وبأنهم ما زالوا جديرين بالرحمة والحنان، ومدعوين إلى الحرية والكرامة؛ وسيدل تعامله مع الناس بأنه محرر يفضح الظلم، أينما كان، ومن أية جهة جاء، ويعري الظالمين، أيا كانوا: أليست كلماته الرقيقة، مع وإلى جانب النساء والأطفال والمستضعفين، دعوة إلى الاعتراف بكرامتهم المهانة وحقوقهم المسلوبة؟ ولعل أعظم تحرير سيحققه يسوع هو حين سيصلح ملامح وجه الله الذي تَشوّهَ بفعل عقلية جعلت منه إلهاً بعيد المنال، هو بالمرصاد لكل زلة، سريع العقاب وشديده... بينما يعكس يسوع وجه اله-أب، كله حب!

لقد كان ميلاد المخلص وسيبقى بشرى أمل ورجاء لإنسانية ما زالت تئن تحت وطأة الاستبداد والظلم والاستلاب والقمع والعنف والقلق... ففي كل عام يطل علينا عيد الميلاد حاملاً رسالة أمل بعالم أراده يسوع عالما يؤمن بالحب ويرسو على العدل، يسوده الحق وترفرف عليه الحرية ويستتب فيه السلام... ورسالة الميلاد هذا العام ذات نكهة عذبة، ونحن نشهد ولادة أمل بعهد جديد لشعوب ظلت طيلة سنين تعاني من وطأة أنظمة استبدادية اتخذت القمع اسلوباً في الحكم... وكانت الشرارة الأولى قد انطلقت من الاتحاد السوفييتي، حين افتتح ميخائيل كورباشوف سياسة "البيروسترويكا"، والتي سرعان ما سرت، وبجرأة منقطعة النظير، إلى شعوب بولونيا والمجر وألمانيا الشرقية وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا -وكلها بلدان كانت قد وضعت ثقتها المطلقة في الحزب الشيوعي القائد، وها هي اليوم تتخلى عن دوره القيادي! والغريب ان أحداث الانتفاضة الشعبية تلاحقت وبسرعة تكاد لا تُصدّق، لتتمخض عن قيام حكومات ديمقراطية تؤمن بتعددية الأحزاب وبالحريات الأساسية لشعوبها... إلا ان المعجزة في كل هذه التحولات انها جرت في مناخ سلمي، بفضل صمود الشعب وعناده ومرونة القادة وحكمتهم! ولكانت اللوحة في منتهى الروعة لو لم ترافق انتفاضة رومانيا -أكثر الأنظمة الاشتراكية استبداداً وعنفاً- أعمال قمع وحشية رهيبة نفذتها جيوب المقاومة الموالية للطاغية.

وازاء هذا المناخ من الانفتاح والحرية الذي عاشته هذه البلدان في خريف وشتاء ١٩٨٩ -بعد ٢١ عاماً على "ربيع براغ"!- لا يسعنا ألا نرى اوجه الشبه بين هذا التحرر وذاك الخلاص الذي أنذر به الملاك ليلة الميلاد! فميلاد هذا العام هو لكل هذه الشعوب ميلادان: ميلاد المخلص الذي كان وسيبقى رجاء هؤلاء الذين لم تُثْنِهم الاضطهادات والمضايقات عن الأمانة له؛ وميلاد أزمنة الخلاص والتحرر والديمقراطية التي كانت أملاً غذّته سنوات من الصمود، وفجرته سنوات من القمع طفح به الكيل! وكان سقوط حائط برلين علامة لزوال "الستار الحديدي" الذي ظل مُسْدَلاً أكثر من ٤٠ عاماً على بلدان لم تعد تستطيع السكوت على الضيم!

إلا أن هناك شعوبا في العديد من بلدان العالم ما زالت في انتظار أزمنة الانفراج... وأقربه إلينا ولا شك شعب لبنان الجريح... وشعب فلسطين، موطن المسيح، الذي تدخل انتفاضته، عبر "حرب الحجارة"، عامها الثالث، لتقول على مسامع العالم ان لهذا الشعب حقا في الوجود وتقرير المصير... فليكن ميلاد هذا العام لفلسطين، ميلاد التحرر، وللبنان، ميلاد الاستقرار وإعادة البناء، وللعراق والعالم أجمع، ميلاد مزيد من العدل والحرية والتضامن.

كانون الأول ١٩٨٩ — الموصل في ٢٧ كانون الأول

١٩٩٠

حين تصحو الشعوب وتشرق الحرية

حين يطل علينا عام جديد، يتقاسمنا شعوران: أن ندفن إلى غير رجعة أحداث العام المنصرم، سيما إذا كانت قد حملت إلينا من المآسي والآلام أشكالاً، ومن المتاعب والمظالم ألواناً... أو أن ننتقي من أحداثه ما يصلح أن نجعل منها عبرة أو منهاجاً للعام الجديد الذي يحمل، هو الآخر، في طياته، مفاجآت سيكون بعضها مليئاً بالأمل، إلى جانب أخرى حبلى بالمعانيات. ومن أكثر الأحداث وقعاً وأعظمها أبعاداً على مستقبل البشرية، كانت ولاشك يقظة الحرية التي شهدتها شعوب المعسكر الاشتراكي، والتي غطت على أخبار العالم طيلة الأشهر الأخيرة من عام ١٩٨٩، منذ انتخاب كوربا تشوف، في أيار، رئيساً للدولة في الاتحاد السوفييتي، والتحركات المتلاحقة التي شهدها عهده؛ وصعود مازوفسكي إلى رئاسة حكومة بولونيا في آب؛ وحتى انتفاضة شعب رومانيا التي، في ثمانية أيام، أسفرت عن إزالة شاوشيسكو من الوجود؛ مروراً بتظاهرات تشيكوسلوفاكيا وفتح حدود المجر وهجرة الألوف من شعب ألمانيا الشرقية وفتح حائط برلين وسقوط جيفكوف بعد ٣٥ عاماً من الحكم في بلغاريا...

ولقد احتلت هذه الأحداث المكثفة والمتراصة مكان الصدارة في كل وسائل الإعلام العالمية، واكتسبت أولوية في مجمل اهتماماتنا، ليس لأنها تمخضت عن حرية ظلت، قرابة نصف قرن، مقيدة ومستلبة لدى شعوب عرفت من قبلُ طعم الحرية حسب، وإنما لكون هذه التحولات أسفرت عن تخلخل في الموازين والقياسات، وستتمخض بالتالي عن سلام يفرض ذاته عنوة عن العالم، بعيداً عن سياسة توازن القوى عبر الأحلاف المتناحرة والسياسات الدفاعية أو المساومات الاقتصادية والأيديولوجية... ولِمَ لا نقولها بصراحة: أليس هذا الانفتاح الذي شهدته دول أوربا الشرقية مؤشراً إلى أن سياسة كبت الحريات وممارسة القمع التي تنتهجها أنظمة، في أماكن أخرى من العالم، لم يعد لها خبز؟!

وهل نكشف سراً إذا قلنا: أليست هذه الانقلابات دليلاً على تراجع الشيوعية، وعلامة فجر جديد من الحرية الدينية لم تعد أية قوة في العالم قادرة على تقييدها أو الحد منها؟!

وفي استعراضنا شريط الأحداث لعام ١٩٨٩ لا يسعنا أن نغض الطرف عن أولى التظاهرات الطلابية في بكين، منذ نيسان، والتي أسفرت عن قمع قاس لها في حزيران؛ إلى جانب اضطرابات ونزاعات عانت وتعاني منها شعوب شرقي آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، ولاسيما في بانما والسلفادور ونيكاراغوا وشيلي... في حين لا يمكننا أن ننسى انسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان، ومؤتمر فيينا حول الأمن والتعاون في أوربا الذي أسفر عن مفاوضات، في آذار، لخفض التسلح، وعن سحب ٥٠٠ من الصواريخ النووية السوفييتية في أيار، وتكلل بلقاء القمة التاريخي "بوش-كورباتشوف" في مالطة في ٢ كانون الأول -وكان لقاء تاريخي آخر قد سبقه بيوم: "كورباتشوف- يوحنا بولس الثاني"!

إلا أن هذه الأحداث المتلاحقة، لا ينبغي أن تعتّم على أحداث لبنان الذي شهد جلجلته طيلة العام والأعوام الخمسة عشرة الماضية، وفلسطين التي لا تني تحكي للعالم قصة ٤٠ عاماً من الاحتلال الصهيوني، وما رافقه من انتهاكات صارخة وأعمال قمع وحشية... فيما نبقى، في العراق وإيران، في انتظار اتفاقية سلام دائم تسفر عن تطبيق كامل لبنود قرار ٥٩٨، وفي مقدمتها قرار تبادل الأسرى، هذا المطلب الإنساني الأكثر إلحاحاً لكلا البلدين!

وإزاء هذه الأحداث التي يقترن حلوها بمرها، يحق لنا، ونحن في مطلع عام ١٩٩٠، أن نطرح، في ضوء رؤية إيمانية عميقة، هذه التساؤلات: إلى متى يفهم الحكام في كل الأنظمة الاستبدادية أن الظلم لا يمكنه أن يعمّر طويلاً، وان القمع لم يكن يوماً اسلوباً ناجحاً في الحكم... فلا بدّ للحرية أن تشرق، ولا بد للديمقراطية أن تثبت دعائمها؟! متى يدرك قادة الشعوب أن "الحق في تقرير المصير" والسيادة الوطنية، هما مطلبان لا بد أن يستجيب لهما الطامعون منهم في التوسع وبسط النفوذ؟! ألا يستفيق تجار الأسلحة على هذا الواقع المرير: الـ ٩٠٠ مليار دولار التي تنفق سنوياً للأغراض العسكرية، بوسعها أن توضع في خدمة العديد من خطط التنمية، ولمكافحة مختلف الآفات، ومعالجة معضلات الجوع والمرض...؟!

أما حان لنا جميعاً أن نؤمن بالإنسان ونضعه فوق كل الاعتبارات، ونجعل من صيانة حقوقه وحرياته هدفاً أساساً لكل السياسات والأيديولوجيات والأديان والمذاهب...!

الموصل في ١ كانون الثاني ١٩٩٠

البيريسترويكا في الكنيسة

قالها صاحب مكتبة حسبته أولا بائع صحف ومجلات لا غير، قبل أن يتبين لي انه قارئ من طراز خاص: يمضغ جيدا ما يقرأ، وله نظرة نقدية حول ما يقرأ، ولا يخشى أن يجاهر برأيه بثقة... "البيريسترويكا الدينية"! قالها الرجل عن "الفكر المسيحي"... وهو يعي ما يقول، مدركاً ما ينطوي على هذه التسمية من معان وأبعاد! وكم امتلأت غبطة وعزاء حين علمت أن "الفكر المسيحي" كانت قد أخرجت الرجل من "عقدة الدين" -وهو يقصد تلك التركة الثقيلة التي أصبح الدين بموجبها شكلاً من أشكال الاستلاب والتخلف- لأنها، على حد تعبيره، قدمت له الإيمان في أصالته، وكشفت عن أبعاده وانعكاساته في الحياة اليومية، وبرّزت ما يضعه على كاهله من التزامات، وفي مقدمتها التزام الشهادة للإنجيل...

وحين يقول الكُتبي عن "الفكر المسيحي" أنها حققت "البيريسترويكا" (إعادة البناء) في الكنيسة، فهو يقصد انها أزالت تلك الهالة التي كانت تحيط الكنيسة وتحوّط رجالها وتضعهم بمنأى عن كل نقد أو مطالبة أو محاسبة... كما انه يقصد أنها استطاعت أن تستقطب قراءها وتجعلهم يختارونها فعلاً، كونها "مجلة منفتحة"، بعيدة عن التزمت الديني المقيت والتعصب الطائفي البائد، وقد استطاعت أن تتوجه إلى كل المسيحيين العراقيين على اختلاف مللهم وطوائفهم. إلا انه لا يجهل أن "البيريسترويكا" الفعلية تقع بالتالي على كاهل كل أبناء الكنيسة، من أعلى السلم إلى أدناه، فيما تبقى رسالة المجلة في حدودها: إشاعة اليقظة وتنمية الوعي وشحذ الهمم ودعم المساعي الخيرة، مع النظرة النقدية والرؤية النبوية! وهل يُخشى من نقد بنّاء متى توفرت النوايا السليمة؟

مثل هذا الحديث يدخلنا تواً إلى واقع كنيستنا العراقية التي سئم أبناؤها طول انتظار البيريسترويكا -والأحرى أن نقول الـ "اجيورنامنتو" التي كان قد أطلقها يوحنا٢٣، قبل كورباتشوف بـ٣٠ عاماً، وتعني عملية التجديد والتحديث والعصرنة... والتي كان لا بدّ للكنيسة أن تقوم بها لتحافظ على مصداقيتها، وهي على عتبة الألف الثالث. ولقد كان لما يُدعى "اجيورنامنتو" ولا شك، بعد المجمع المسكوني، فعل نقطة الزيت، حين امتدت رياح التجديد إلى كل جنبات الكنيسة، فأنجزت نهضة منقطعة النظير في التاريخ الكنسي، فاقت في حينها ما أنجزته البيريسترويكا في دول أوربا الشرقية!

أما نهضة كنيستنا في العراق، فما زلنا نتطلع إليها بشوق وأمل -وان سبقتنا إليها معظم كنائس الله في العالم- وما ذلك إلا لأننا نؤمن يقينا بان الروح ما انفك "يكلّم الكنائس"، وان شرارة المجمع ما زالت على أهبة لإضرام نار الروح ونوره، وان الأفضل لنا بالتالي أن نبدأ بعملية التجديد متأخراً، من الا نبدأ أبداً! وان ما يحملنا بالأكثر على الأمل بنهضة كنيستنا هو، من جهة، إصرار شعبنا المسيحي بأن يرى كنيسته ذات التاريخ المجيد تتجدد وتزدهر وتشمخ... ليزداد إشعاعها وتنمو فاعليتها باطراد، فتتوطد بالتالي مصداقيتها لدى المجتمع العراقي الجديد؛ وهو من جهة أخرى، انتخاب بطريرك جديد للكنيسة الكلدانية، قبيل قرابة عام، وما أنبته هذا الانتخاب من آمال عظام بتنا نترقب نتائجها بلهفة -وليس من يجهل مكانة من هو بحق عميد كنيسة العراق، والذي يعلق عليه المسيحيون العراقيون أجمل الآمال وأكبرها...

ومن بين الآمال التي عقدناها في عهد البطريرك الجديد مار روفائيل الأول بيداويد، ولمسنا أولى ملامحها، مشروع إنشاء "مجلس للأساقفة" نتمناه يكون ذا شقين: مجلس لأساقفة العراق من مختلف الطوائف، ومجلس للأساقفة الكاثوليك؛ كما نتمناه ينطلق في أعقاب دراسة وافية لأسسه ونظامه واسلوب عمل لجانه وصلاحياتها وحدودها...

إن الـ "اجيورنامنتو" التي نطمح إليها تتجاوز ولا شك مشروع "مجلس الأساقفة" الذي يسرنا انه خطا أولى خطواته. ولكننا إذا وضعنا هذا المشروع بين الأولويات في كنيستنا وعلقنا عليه أعظم الآمال،

فلأننا نرى فيه مفتاحاً للتجديد المنشود، وعلى مختلف الأصعدة، إذا ما انطلقت اللجان المختلفة في إعداد مسودات مكثفة -وان استغرق إعدادها عدة أشهر- في القضايا الملحة التي تعاني منها كنائسنا، شريطة أن تطرحها بشكل جاد، وتستقصي مسبباتها العميقة، وتحيط بكل جوانبها وملابساتها، وتقدم لها من ثم الحلول المناسبة...

ففي انتظار جهد متميز لوضع هذا المشروع الكبير على قدميه، نرفع الأدعية إلى الروح "الذي ابتدأ هذا العمل... كي يواصل تتميمه" (فيلبي ١ : ٦)، وحينذاك تتحول الـ "اجيورنامنتو" إلى عنصرة، تجعل من الكنيسة العراقية شاهدة أصيلة للإنجيل في عراقنا الحبيب. فلتكن فترة الصيام فرصة لكنيستنا للانكباب على ذاتها، والإصغاء بعمق إلى نداءات الروح، والتجاوب السخي مع "ما يريد الروح أن يقوله" لها!

آذار ١٩٩٠

قام المسيح
شهادة للرجاء الذي فينا

حين يجري اليوم حدث هام، تتهافت وسائل الإعلام، بأجهزتها كافة، إلى مكان الحدث للكشف عن وقائعه، في محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟... وللحال تبثه للجمهور الذي لا يسعه أن يشك في خبر مدعوم بالصوت والصورة!

وإزاء قيامة المسيح، سنذهب في متاهة لو تخيلناها بهذه الصورة، وهي حدث من نوع خاص لم يكن له، في حد ذاته، شهود عيان؛ كما وليس بوسع القبر الفارغ، بحد ذاته، أن يشكل برهاناً قاطعاً عليه! فمن العبث أن نبحث عن برهان "تاريخي" لحدث القيامة، خارجاً عن "شهادة" أدلى بها شهود مميزون، أكدوا أنهم "رأوا" يسوع حيا بعد أن تحققوا من موته؛ وقد لاقوا، هم أنفسهم، صعوبة في التعبير عن حقيقة القيامة التي تتجاوز الخبرة الحسية، كونها خبرة إيمان هي من قبيل الخبرات الوجدانية (انظر الملف).

إن الواقع التاريخي بحصر المعنى لهذه الخبرة الإيمانية يكمن في حدثين: الأول يسبق القيامة، وهو صلب يسوع الذي خلدته الوثائق المكتوبة، اليهودية والرومانية؛ والآخر يعقب القيامة، وهو نشأة جماعة مسيحية يسكنها إيمان راسخ بيسوع الناصري الذي "أقامه الله... وجعله رباً ومسيحياً"، حدث هو الآخر أثبتته المصادر التاريخية، ومازال، بعد عشرين قرناً، في شخص المسيحيين، خير دليل عن القيامة: "إن كان المسيح لم يقم، فكرازتنا باطلة وإيمانكم باطل، ونصبح شهود زور لله...! (١قورنتس ١٥: ١٤).

إن قيامة المسيح كانت وستبقى موضوع إيمان لا يخضع للبرهان الحسي: فلا الرسل ولا النسوة ولا المجدلية ولا تلميذا عماوس ولا توما ذاته... آمنوا لأنهم لمسوا الناهض من الموت، وإنما لأنهم تلقوا وحياً جعلهم "يرونه" بأعين الإيمان ويلمسونه بحس الخبرة الإيمانية. فعلى

شهادة إيمانهم، نحن أيضاً نؤمن دون أن نرى -أو بالأحرى نرى لأننا نؤمن!-، وسيتجسد إيماننا بالقيامة عبر خبرة واقعية يُشعرنا بها لقاؤنا بيسوع الحي وحضوره فينا، خبرة تبلغ ذروتها حين نؤدي "الشهادة" لربنا، بالقول والفعل، على خطوات أولئك الشهود الذين أرسلهم الروح القدس وأيدهم: "ما من أحد يستطيع أن يقول (يسوع رب) إلا بالروح القدس"! (١قورنتس ١٢: ٣).

وكما غيرت القيامة نظرة الرسل إلى يسوع ونظرتهم إلى أنفسهم وإلى العالم، كونها حققت نقلة في الحياة غيرت وجه التاريخ، هكذا ستكون مبعث أمل ورجاء لنا نحن الذين آمنا ونؤمن بان الله "أحيانا مع المسيح وأقامنا معه"، واننا في المسيح أصبحنا "خليقة جديدة". فنحن، إذن، إزاء عالم جديد افتتحه يسوع بقيامته المجيدة من بين الأموات التي هي "فصح" جديد، أنجز للإنسانية "عبوراً" لا رجعة فيه، من الموت إلى الحياة، والحياة الجديدة: تلك هي شهادة الإيمان التي أعلنها الرسل، بعد أن علموا يقيناً أن يسوع الذي رأوه ميتاً هو الآن حي إلى الأبد! وذلك هو اليقين الذي نحن مدعوون إلى إعلانه على رؤوس الملأ: أن يسوع الأناجيل حي فينا بالإيمان، وعلينا من ثم أن نجعل العالم يراه حياً أبداً، من خلال الشهادة التي نؤديها "للرجاء الذي فينا" (١بطرس٣:١٥).

إن الصفحة الجديدة التي فتحها يسوع بقيامته في حياة البشرية، سبقت أن عكستها حياته التي رسمت الأناجيل ملامحها: أليس هو الذي بشّر الفقراء بالخلاص... وأطلق المرهقين أحراراً... وأعطى الطوبى للباكين والمضطهدين، للودعاء وأنقياء القلوب... للجياع والعطاش إلى البر...؟

وإزاء "فشل" الصليب، أليست القيامة دليلاً على أن الله وقف إلى جانب "عبده المتألم"، إذ "أنهضه من بين الأموات"، و"رفعه بيمينه"، و"مجّده"، و"أجلسه عن يمينه"... بحيث أصبح يقيناً بأن "ما من خلاص بأحد غيره"، طالما أنه هو "القيامة والحياة"؟ ذلك ان قيامة يسوع هي الأمل الوطيد بحياة جديدة لإنسانية متجددة.

فبيسوع أصبح لكل شيء في الحياة معنى، وأصبح الإنسان مدعواً إلى أن "يجعل كل شيء جديداً". فبقدر ما نؤمن بقيامة يسوع،

بقدر ذلك يجب أن نؤمن بحياته، هو "الإنسان الكامل" الذي جسّد في ذاته كل آمال البشرية وأحلامها وطموحاتها -وبخلافه نكون "قَتَلَة" لرب المجد من جديد! كما أن إيماننا بالمسيح الظافر والممجد لا يجد معناه العميق إلا إذا وضعنا كل طاقاتنا في تجسيد مسيرته الإنسانية واقتفاء آثاره التي رسمها الإنجيل. فمن العبث أن نؤمن بقيامة المسيح في سماوات بعيدة، ما لم نسْعَ ونناضل، برجاء ثابت وعنيد، لإعداد "أرض جديدة" يسكن فيها البر والحب والعدل والسلام... وفي هذا الإطار سيكون إيماننا بقيامة المسيح إيماننا بنهوض البشرية ومجيء عالم أفضل -ومثل هذا الإيمان لن تلتقطه وسائل الإعلام، كونه يخرج عن نطاق الخبرة الحسية، وإنما يلتقطه ويلمسه أولئك الذين لهم حس مرهف للنظر إلى ما وراء الظواهر، ولرؤية "ما لا يرى" إلا بأعين الإيمان!

نيسان ١٩٩٠

الكنيسة والوطن أمانتان

كثيراً ما تنتابني الكآبة وأنا اسمع كهنة وعلمانيين يفصحون عن خيبات آمالهم بشأن حاضر كنيستنا، ومستقبلها بالأخص! وقد يذهب التشاؤم ببعضهم إلى "تسويد" اللوحة بأكملها، ومن مختلف أوجهها، إلى حد أنهم لا يترددون من القول بصوت عالٍ: عبثاً نتعب في كنيسة لا تعرف أن تقيِّم الجهود، وتتململ في اتخاذ المبادرات، ولا تُحسن استقطاب الطاقات واحتضانها... ويتسرب اليأس إلى بعضهم، وهم يشاهدون العديد من أبناء الكنيسة لا مبالين، إن لم نقل سلبيين، تجاه مبادرات النهوض والتجدد التي تجري هنا وهناك! والأنكى من ذلك أن أولئك الذين منُّوا النفس بنهضة كنيستنا، أخذ منهم الشك مأخذاً، فلم يعودوا يؤمنون بأيام مشرقة تستعيد فيها كنيسة العراق أمجادها السابقة؛ وأخذت تشق الطريق إلى نفوسهم تساؤلات خطيرة توحي بعزمهم على "رمي السلاح": إلى متى نصرخ في صحراء؟ وصراخنا ونداءاتنا وجهودنا... هل ستلقى أرضاً خصبة بعد كل هذا الجفاف؟ أليس الأجدى بنا أن نكفّ عن مقارعة الهواء ونذهب ننادي بملكوت الله لدى امة تستثمره؟!

والغريب أن مثل هذه التساؤلات أخذت تطرحها العناصر النشطة والديناميكية في كنيستنا، من كهنة وعلمانيين على حد سواء -هم الذين نتوسم فيهم خيراً ونتطلع من خلالهم إلى مستقبل مشرق لكنيسة هي على عتبة الألف الثالث. وإن ما يزيدنا شعوراً بالألم، هو أن هذا الإحباط الذي يُصاب به أحياناً عدد من المسيحيين العراقيين، يذهب بهم إلى التشاؤم والانهزام ونسيان هذه الحقيقة التي لا يحق لنا البتة أن نتجاهلها: كنيسة العراق أمانة في عنق أبنائها، من أعلى السلم إلى أدناه!

والتساؤل الخطير الذي نطرحه اليوم على مسامع كل الذين يهمهم مستقبل "كنيسة الله التي في العراق" هو: هل يحق للملتزمين من أبنائها أن يتخلوا عنها وهي في منعطف يستدعي بقاءهم إلى جانبها، ويستوجب نضالهم وتحدياتهم من أجل عزتها وسيادتها واستقلالها وشموخها؟! أليس هذا المعطف الدقيق من تاريخ المسيحية في الشرق الأوسط يفرض عليهم مضاعفة الجهود، لمعالجة رصينة وفعالة للظاهرات الخطيرة التي يتعرض لها الشباب من أبنائها وبناتها، ولدرء خطر الاستضعاف والتمزق والاضمحلال الذي يهددها أبداً؟! وهل ينسى أو يتناسى هؤلاء الذين نعلق عليهم أجمل الآمال أن مجد كنيستنا العراقية هو بفضلهم، وحيويتها من حيويتهم، ومكتسباتها هي بفضل عطائهم وسخائهم... كما أن جمودها يرجع إليهم، وأمراضها هي من جرى تذبذبهم، وموتها -لا سمح الله- هو بسبب أنانيتهم وتهربهم من المسؤولية... وغني عن القول أن هذه الكنيسة التي ترقى إلى الأجيال الأولى للميلاد، لم تقطع هذه المسيرة الطويلة من تاريخها بالسلام والطمأنينة والرخاء، وإنما بفضل إيمان راسخ وثقة وطيدة بذاك الذي وعدها انه "يكون معها كل الأيام إلى انقضاء الدهر"، وبثمن صمود عنيد عرضها لتضحيات جسيمة... وهل هناك أثمن وأروع من شهادة الدم؟ أليست دماء شهدائها على مر الأجيال كانت بذراً صالحاً لأجيال من المسيحيين العراقيين؟

نحن لا نخفي بان الشعور بالإحباط سرعان ما يقترن بالميل إلى رمي السلاح والتخلي عن الالتزامات... كما يقترن أحياناً برغبة مكبوتة في الهرب، تدغدغ أولئك الذين يرون مستقبلهم في البعيد المجهول! وهم إنما يُخفون انهزامية وتنصلاً من المسؤولية لن يكونوا قادرين على تحملها في مكان آخر وظروف أخرى! وسيان بين من يهرب إلى عوالم أخرى، ممنياً النفس بوطن أفضل وكنيسة أكثر حيوية، وبين من يعرف واقع وطنه وكنيسته -بأضوائهما وظلالهما- ولا يحرك ساكناً!

لا شك انه يحق لكل مواطن أن يحلم بوطن ينعم بالاستقلال والسيادة والسلام... تُصان فيه الحقوق والحريات... كما يحق للمواطن -والمسيحي بشكل خاص- أن يرى أحلامه تتحقق في مجتمع يسوده العدل والمساواة والتضامن، وتنتفي منه الأحقاد بسبب التعصب

والتزمت، ويغيب عنه الغبن والظلم والجشع... وتزول الامتيازات التي ينعم بها نفر بحجة تفوّق مزعوم أياً كان دافعه الخ... ومن جهة أخرى، يحق للمسيحي أن يعيش في حضن كنيسة تحتفظ باستقلالها بوجه أي تدخل، فتصبح قادرة على التكلم بلغة نبوية. كما يحق له أن يحلم بكنيسة تعرف أن تتجاوز تعددية طوائفها، بمواقف موحدة في القضايا المصيرية التي تخص حياة المؤمنين وحقوقهم وحرياتهم، أو التي تتعلق بمستقبل الوجود المسيحي، فيتسنى لها أن تشهد للإنجيل، بحرية وجرأة... وغني عن القول أن مثل هذه الأحلام -شريطة أن تقترن بالتصميم والعمل- تتطلب من كل المسيحيين العراقيين أن ينكبوا على اكتشاف ما في وطنهم وكنيستهم من قدرات وإمكانات، إلى جانب ما يعترضهما من حدود ومعوقات، فيضعوا طاقاتهم كلها في دعم ما ينبغي دعمه وإصلاح ما ينبغي إصلاحه وتطويره... وإذا قال الكتاب: "إن لم يبنِ الرب البيت، فعبثاً يتعب البناؤون"، إلا أن ذلك لا يعفينا من أن نكون بُناةً نضع أيدينا بأيدي الرب، ونمدها إلى كل ذوي الإرادة الصالحة في مجتمعنا وكنيستنا: فلا التصفيق يتم بيد واحدة، ولا البناء يُنجَز بسواعد مبتورة!

كنيسة الله التي في العراق"! قلتها أعلاه عن كنيسة "مابين النهرين" التي ولدت يوم العنصرة، وترعرعت بين سهول وجبال هذه الأرض الشماء، وكان تاريخها الطويل سلسلة صعود وانخفاض... كنيسة شهدت للمسيح الحي في جماعاتها -واستشهدت من أجله- وعليها أن تدرك بأنه أقامها على هذه الأرض لتشهد دوماً "للرجاء الذي فيها"، وانها تخون "ربها وإلهها" -وتلك شهادة إيمان توما مؤسسها!- إن هي تخلت عن مسؤوليتها في الشهادة له لدى كافة مواطني هذا البلد الحبيب، وبمختلف أشكال الشهادة وصيغها، هو الذي يطالبها دوماً أن تكون فيه "خميرة في العجين"! وما أعظم الالتزامات التي تترتب على كنيسة ترتضى أن تصغي إلى نداء معلمها، وتقبل أن يخرجها من عزلتها وضعفها وتشاؤمها ومخاوفها وتردداتها وتذبذباتها... فإلى "عنصرة" جديدة، نحن! ولمنعطف هام من تاريخنا نستعد! وإلى وجه مشرق لكنيستنا نتطلع!

أيار ١٩٩٠

ما يُقال ... وما لا يُقال !

في مجتمعنا أفكار ثابتة نخضع لها جميعنا، ولا يروق لنا أن نتخلى عنها، ولأسباب ودوافع عديدة... ومن بين هذه الأفكار المقولة التالية: هناك ما يقال وما لا يقال... ما يُكتب وما لا يكتب... ما يُسمح به إلى حد ما وما لا يسمح به البتة... ما يفهمه البعض وما لا يستطيع أن يفهمه البعض الآخر... ما يُعلَن للبالغين والراسخين في العلم، وما ينبغي أن يبقى خفياً عن الصغار والبسطاء والجهال... ومثل هذا المفهوم قد يبدو لنا منطقيا لأول وهلة بحكم التفاوت بين الناس في العمر والثقافة والتربية والخبرة... متناسين أن الحقيقة واحدة، وإن اختلفت أساليب التعبير عنها وتعددت طرق عرضها لمختلف الفئات والمستويات. لذا كان لزاما علينا أن نحذر من أن يذهب بنا ترددنا في إعلان الحقيقة -دون مساومة أو تحجيم، ومن غير تظليل أو تمويه- إلى الكذب لا أكثر ولا أقل!! والغريب أن الكذب في أيامنا أصبح، لا حلالاً حسب، وإنما حاجة وضرورة!!

وما يصح في العديد من مجالات الحياة، يصح في المجال الديني، وهنا بيت القصيد! ألسنا نميل إلى وضع الحواجز والقطيعة بين الجهل والمعرفة، نحن أولياء الأمور والذين بيدهم مفاتيح المعرفة، على صعيد الأسرة والكنيسة، عبر هذه التساؤلات: ماذا يجب للمسيحي أن يعرف، وماذا لا يحسن له أن يعرف؟ ماذا يحل أن يقال له وماذا ينبغي أن لا يقال له؟ ما هي الأسئلة التي يحق له أن يطرحها، والتي يُحظر عليه طرحها؟... وقد لا يجد بعضنا حرجا في القول: أليس الأولى بالمؤمن ألا يتساءل؟ أليس الأجدى له ألا يتلقى الجواب؟ ألا تذهب به بعض الإجابات إلى الشك وفقدان الإيمان؟

مثل هذه التساؤلات توجز ببلاغة الأيديولوجية والإستراتيجية اللتين تختفيان وراءها: فحين تفتح المعرفة ذهن المؤمن وتكشف له ما

ينطوي على إيمانه من أبعاد وما يفرضه عليه من التزامات... فقد تصبح هذه المعرفة عاملاً في قلق أولي الأمر -والدين ومربين، أساقفة وكهنة- طالما أنها تضفي على مسؤولياتهم مهمات جديدة كانوا بغنى عنها! والغريب اننا جميعاً، بدلاً من أن نواجه هذه المعرفة الإيمانية، بصيغها المتعددة، ونقبل بطيب الخاطر ما خلقته وتخلقه، ولاسيما لدى أبناء الجيل الجديد، من وعي ويقظة وحميّة والتزام... ننحي باللائمة على هذه التعددية في الرؤية الإيمانية، ونشجب كل الذين سعوا إلى إشاعتها عبر مختلف الوسائل، ونتباكى على أزمنة غابرة يخيل إلينا أن الإيمان كان فيها أكثر قوة وعمقاً وبساطة، وقد نعلن أحياناً حالة "الطوارئ" إزاء ما نتصوره يشكل "خطراً" على الإيمان!

إن جوهر القضية التي نحن بصددها يكمن في هذا التساؤل الخطير: أي إيمان نريد أن "ننقل"، أو بالأحرى أن "نشهد" له لدى الجيل الجديد من المسيحيين الذين سيتوقف عليهم مستقبل المسيحية في هذا الوطن الحبيب؟ فإذا كان يحق لنا أن نصف إيمان الأجداد بالقوة والبساطة والصمود... فيجب أن يتصف إيماننا اليوم بالعمق والرؤية المستنيرة والالتزام الواعي والشهادة الحية. وغني عن القول أن مثل هذا الإيمان لا يمكنه أن يستغني عما أحرزته العلوم الإنسانية من تقدم في المعرفة الإيمانية، وما حققه علم اللاهوت المعاصر من تغيير في المفاهيم والطروحات، وما أنجزه علم الكتاب المقدس من قفزات في ميدان الأساليب الأدبية ومضامين الأسفار المقدسة ومرامي مؤلفيها... فعوضاً عن أن نطرح السؤال بصيغة (ما نقول وما لا نقول)، يتحتم علينا اليوم أن نطرحه، وبلسان كل الذين في عنقهم أمانة الإيمان، وبالشكل التالي: هل يحق لنا أن نبقى نردد مقولات "إيمانيه" لا تخدم الإيمان بقدر ما تسيء إليه؟ هل يحق لنا أن "ننقل" للنشء الجديد تعليماً مسيحياً لم يتطعم بكل ما بلغ إليه علم اللاهوت والكتاب المقدس من معطيات، حتى وان أحدثت رجة في المفاهيم الموروثة والقناعات المكتسبة؟ باسم أية مبادئ نخفي عن مؤمنينا -والشباب بنوع خاص- أبعاداً للإيمان، بوسعها أن تحملهم على مزيد من النضوج الإنساني والصفاء الإنجيلي والعمق الروحي والغيرة الرسولية...؟

إن الصراع الذي نعكسه هو صراع بين الحقيقة الإنجيلية في أصالتها، وبين ما لبسته خلال أجيال من موروثات وترسبات: فلَكم

هزلت بعض الحقائق الإيمانية، بفعل تحديدات عقائدية هي بدورها حصيلة ذهنية دفاعية؟ ولَكم حُجّمت بعض أسرار الإيمان وأُفرغت من مضامينها، بفعل الركود والطمأنينة المزيفة؟ ولَكم أصبحت بعض الوصايا والتوجيهات الكنسية مجرد أوامر لا روح فيها ولا حياة؟! وهذا الصراع هو بالتالي صراع بين "المحدثين" الذين تجتاحهم رغبة عارمة في إشاعة رؤية إيمانية مستنيرة، وبين "التقليديين" الذين يرومون أن تبقى الأمور على عواهنها! انه الصراع بين الذين يبحثون عن الحقيقة بنزاهة وجدية، حتى وان تزعزعت قناعاتهم السابقة، وبين الذين يخافون مغبة البحث ويؤثرون الحفاظ على طمأنينتهم، حتى وان كانت أقدامهم على أرض رخوة!

إن السؤال الذي يجب أن يُطرح اليوم هو: هل يحسن أن يُضحّى بالحقيقة لحجة من الحجج، أية كانت مقوماتها ودوافعها؟ وهكذا فان كل أشكال الصمت والتمييع والتعتيم والتمويه والمماحكة... وكل أشكال الطعن بالطروحات الإيمانية الجديدة، والتنديد بمبتكريها من اللاهوتيين وعلماء الكتاب المقدس، وإشهار الحرب على نوايا مؤيديها وناشريها... إنما هي أساليب يستخدمها "التقليديون" -وهم من كل الأعمار والثقافات والمناصب- تحت شعار "تحويط إيمان الصغار والبسطاء والجهال... ووقايته"! وبحجة الخوف عليهم من "التشتت والفوضى والضياع"! وبهدف "الحفاظ على وديعة الإيمان"!... بينما الإيمان نبع ديناميكي يفجره الروح في قلب كل مؤمن! الم يرفع يسوع هذه الصلاة: "أحمدك يا أبتاه، لأنك أخفيت هذه الأشياء عن الحكماء والأذكياء وكشفتها للصغار..."؟

فإذا كان الروح هو الذي نطق في أنبياء العهد القديم، وإذا كان الروح هو الذي نطق في الرسل والتلاميذ الأولين وحملهم على الكرازة بالإنجيل "إلى أقاصي الأرض"، فهذا الروح عينه هو الذي ينطق في كنيسة اليوم، وهو الذي يلهم أبناءَها ليشهدوا، من دون خوف وتردد، للإيمان الذي يغذيهم وللرجاء الذي يسكنهم وللمحبة التي تضطرم فيهم... وحذار من أية محاولة لإسكات الروح!

حزيران - تموز ١٩٩٠

تعليم مسيحي أم كرازة إنجيلية

نحن على عتبة سنة دراسية جديدة، وسيجلس مئات الألوف من الطلبة على مقاعد الدراسة لينهلوا من ينابيع العلم والمعرفة... ومن بين المواد التي سينكب على دراستها الطلبة في المراحل الأولى "مادة الدين" -"مادة" لن تكون ملزمة للطلبة المسيحيين إلا في المدارس التي يشكلون فيها أغلبية! ويحق لنا هنا، عَرَضاً، أن نتساءل: إلى متى تلتفت وزارة التربية إلى هذا الوضع، وتُقِرّ "مادة" الدين للطلبة المسيحيين أية كانت نسبتهم، فلن يعودوا يشعرون بالغبن أو الانتقاص.؟

لسنا بصدد مناقشة حق كل مواطن في الحصول على تربية دينية وفق دينه ومعتقده وقناعته -ولا شك أن الدستور الجديد سيولي أهمية لهذا الحق المشروع الذي تضمنته المادة ٣٨ من مشروع الدستور، وقد أكدت على كون المواطنين "متساوين في الحقوق والواجبات"، وعلى ضمان "تكافؤ الفرص" لهم-، كما لسنا بصدد مناقشة الطرق والوسائل التي استخدمتها الكنائس لضمان "تعليم مسيحي" لأبنائها الذين لا يحظون بهذا التعليم في المدارس. إن هدفنا من هذا الحديث ذي الشجون الذي كلما طرقناه فتح جروحاً لم تلتئم بعد، هو أن نلقي الضوء على مضمون "التعليم المسيحي" الذي نقدمه لطلبتنا من مختلف المراحل الدراسية، ونكشف عن المناخ الذي تسبح فيه المبادئ والمفاهيم والمفردات التي تشكل لحمته وسداه.

لن نكشف سرا إذا قلنا بان ما حدا بنا إلى طَرْق هذا الموضوع، هو المشروع الذي خرج به مجمع عقيدة الإيمان الروماني بشأن "تعليم مسيحي شامل" أراده خلاصة للإيمان والسلوكية، وبمثابة "دليل" لكافة مناهج التعليم المسيحي في العالم الكاثوليكي، وهو دليل انتهج المخطط التقليدي (قانون الإيمان، أسرار الكنيسة، وصايا الله) الذي هيمن على كل الكتب المنهجية منذ المجمع التريدنتيني، وكان حجم الفاتيكاني الثاني فيه ضئيلا! (راجع ف.م. نيسان ١٩٩٠).

نحن لا ننكر على السلطة الكنسية العليا حقها في تعميم "دليل" يكون مرجعاً لمناهج التعليم المسيحي، شريطة ألا يُحجّم المسيحية إلى مجموعة مبادئ وتحديدات عقائدية ومسلكية، تعيد إلى ذاكرتنا تلك السلسلة من "الأسئلة والأجوبة" التي كنا "نختم" بها الإيمان المسيحي!! وإنما مأخذنا الأكبر على مثل هذا المشروع الذي نخشى أن يُمَرَّر، دون الالتفات إلى التحفظات التي أبداها العديد من اللاهوتيين، وعبرت عنها مجالس أسقفية كثيرة -وترقى جذورها إلى سينودس الأساقفة العام فوق العادة عام ١٩٨٥ حين اخذ الجناح التقليدي في الكنيسة يخشى مغبات الانفتاح الذي خلقه الفاتيكاني الثاني، في أعقاب ٢٠ عاماً على اختتامه- هو أنه، شاء أم أبى، سيضع بنود الإيمان في قائمة "المعلومات"؛ ويعطي من ثم الأولوية لما ينبغي أن يعرفه المسيحي، أكثر مما ينبغي عليه أن يعيشه! وبكلمة، فقد يحجب مثل هذا "التعليم المسيحي" الكرازة الإنجيلية، إن لم يصبح أحياناً حاجزاً دونها! فالسؤال المطروح سيكون حينذاك: أليست حاجتنا أكبر إلى "تعليم مسيحي" يكون امتداداً للكرازة بكل ديناميكيتها، بصفتها بشرى تُعلَن وتعاش وفق متطلبات كل زمان ومكان؟

لا ضير -لا بل من الضروري- أن يكون في متناول الأساقفة وواضعي المناهج والمعلمين دليلاً يحيط بالخطوط العريضة والجوهرية للإيمان المسيحي في أبعاده اللاهوتية والروحية والرسولية والأخلاقية... اما أن يكون هذا الدليل "قاعدة" لا تحيد عنها المناهج، وأداة بيد الأساقفة للحكم على "صحة" التعليم أو إدانته... أو أن يكون تعليماً منتمياً في الكثير من فقراته (٤١٢٦ فقرة!) إلى خط يضع في الظل توجهات للجمع المسكوني، ويكون من ثم تعليماً "شاملاً" يفرض توجيهاته التقليدية على الكنائس المحلية كافة -وهي مدعوة إلى الشهادة للإنجيل في واقع حضاري خاص يفرض حاجات ومتطلبات خاصة-، فتلك مسألة يجب أن تطرح للحوار والنقاش على صعيد الكنيسة الجامعة، في القمة والقاعدة، وقد يتطلب البت فيها عدة سنوات...

ولا بدَّ لنا هنا من أن نتساءل عن مضمون "التعليم المسيحي" لدينا. فسواء إزاء المناهج التي أقرتها الوزارة (للابتدائية) -وقد مضت عليها عدة سنوات، واتسمت، منذ إنشائها الأول، بطابع التقليد والجمود

والهزال- أم إزاء المناهج المختلفة التي تعتمدها مراكز التعليم المسيحي، لقد آن لكنيستنا المراقية أن تنكب على إعادة النظر في مضمون التعليم المسيحي الذي تقدمه للناشئة والذي يعكس غالباً المخطط التقليدي السقيم (ويظهر ذلك بوضوح في بعض دورات التناول الأول)؛ كما آن لها أن تلتزم عملية التثقيف المسيحي بشكل جاد، ولكل مراحل الدراسة -وتلك أمانة بعنقها يتوقف عليها مصيرها ومستقبل أبنائها!- فتضع خطة على المدى البعيد، وتعهد إلى اختصاصيين بمهمة إعداد كتب عصرية مشوقة، تهدف إلى إعلان "بشرى" أكثر مما إلى نقل "مادة"، على ألا يكون همها الإحاطة بكل مفردات الإيمان المسيحي، وإنما الانطلاق من القضايا التي ترسو عليها الكرازة الإنجيلية في جوهرها.

وإذا كان لنا كلمة نقولها للعاملين في حقول التثقيف المسيحي، كهنة كانوا أم راهبات أم علمانيين، فهي انهم ليسوا "معلمين" ينقلون معلومات، وإنما هم "رسل" يعلنون بشرى ويشهدون لها، بالقول والفعل، أمام مسيحيين "صغار" مدعوين إلى أن ينموا في الإيمان والرجاء والمحبة، ضمن جماعة مسيحية حية ونشطة تشهد لعمل الروح فيها.

الحركة المسكونية مسار لا رجعة فيه

عدد خاص

"كان إنسان أُرسل من قبل الله اسمه يوحنا"! قالها بطريرك القسطنطينية اثيناغوراس عن البابا يوحنا ٢٣ الذي جلس شيخاً على كرسي روما، ولم يتحمل أن تبقى أبواب الكنيسة ونوافذها موصدة بوجه الرياح، ويقينه أن تياراً عنيفاً يعصف بها خير من مناخ يخنقها! كان ذلك حين أعلن عزمه على عقد مجمع مسكوني.

وكان ما كان من توجهات جريئة ومبادرات رائعة، ولا سيما في مجال العلاقات المسكونية التي لم نكن نحلم بها... قادتها طيبة يوحنا ٢٣ ملهم المجمع وبادؤه عام ١٩٦٢، وكللتها حكمة مُسَيِّر أعماله حتى اختتامها عام ١٩٦٥، بولس السادس الذي، مع اثيناغوراس، انطلقا ليتبادلا قبلة السلام والمصالحة في أورشليم مدينة السلام، في أعقاب ٩ قرون من القطيعة بين روما و القسطنطينية!

٢٥ عاماً تفصلنا اليوم عن مجمع كان ولا يزال نقطة انطلاقٍ لحركة مسكونية عارمة بقيادة الروح القدس، دخلت في تيارها أخيراً الكنيسة الكاثوليكية التي كانت مواقفها، حتى عهد قريب، تتسم بالتحفظ -وكانت الكنائس البروتستنتية والأرثوذكسية قد سبقتها إليها! ألسنا نعجب اليوم حين نعلم بان رسالة عامة للبابا بيوس ١١ عام ١٩٢٨ شجبت بقوة الحركة المسكونية الناشئة، وأوقفت انطلاقة بعض روادها الأوائل؟! ألا تأخذنا الدهشة حين نعلم بان روما انتظرت عام ١٩٤٩ لتسمح ببعض بوادر الحوار المسكوني، واضعة له شروطاً وقيوداً...؟! ويسعدنا أن يكون الفاتيكاني الثاني قد خرج، عام ١٩٦٤، بقرار "في الحركة المسكونية" كان له فعل نقطة الزيت. ذلك

لأنه، مع مجمل الوثائق المجمعية، أرسى أسسا للحوار المسكوني لا رجعة فيه، وهي التي أسفرت، في ما بعد، عن قبول مبدأ الوحدة في التعددية، و إن مع بعض التحفظات. فلَكَم اغتنى البحث المسكوني، على الصعيدين اللاهوتي والراعوي، طيلة ٢٥ عاماً، شهدنا خلالها تقدماً ملموساً في مسيرة الكنائس المشتركة باتجاه وحدة كما أرادها ويريدها المسيح، وحدة شبيهة بوحدته مع الآب: "ليكونوا واحدا كما نحن واحد".

وإذا كنا قد أسرعنا في التخلي عن التراشق بصفات "الهراطقة والمنشقين"، واستبدلناها بصفة "الاخوة المنفصلين"، فالأولى بنا اليوم أن نتجاوز هذه الصفة أيضا ونعتبر أنفسنا جميعا "منفصلين" بعضنا على بعض و"منقسمين" بعضنا عن بعض، فنجتهد في "حفظ وحدة الروح برباط السلام... لان الرب واحد والإيمان واحد والمعمودية واحدة..." (افسس٤: ٣)، مصغين إلى تساؤل القديس بولس: "هل تجزأ المسيح؟"، طالما أن انقساماتنا تمزق جسد المسيح الواحد وتوحي بأننا قد وضعنا المسيح طرفاً في النزاع بين بولس وأبولس وبطرس الخ... فمن منطلق شركة تامة في المسيح الذي لا يتجزأ، لن تكون الوحدة التي نسعى إليها انصهار كنائس في كنيسة، أو اضمحلال كراس لحساب كرسي، أو تلاشي طقوس ولغات كانت ولا تزال علامة تجذر الإنجيل في الحضارات الإنسانية المختلفة...، وإنما مسيرة نزيهة وحثيثة تقوم بها "الكنائس الشقيقات" كافة، بحثا عن "شركة" تامة في ما بينها، شركة يقودها إنجيل المحبة والمصالحة، وتوثق عراها الاوخارستيا - وهي سر الإيمان والشركة في جسد المسيح-، وتبرهن على ديناميكيتها الشهادة للمسيح الحي والفاعل في جماعتنا المسيحية، على اختلاف تسمياتها وانتماءاتها...

مثل هذه الشراكة لم تنقطع أبداً، في نظرنا، من كنيسة المسيح الواحدة، وإن تعددت أوجهها وتنوعت تقاليدها. لا بل انها قائمة بالرغم من الانقسامات الماضية وما رافقتها من حرومات متبادلة، وبالرغم من اتساع حجم الاختلافات المسلكية بين الكنائس في الشرق والغرب، بحكم أجيال من التجاهل والتباعد والتناحر... وذلك لان المسيحيين جميعا، في أي مكان من العالم، وأية كانت انتماءاتهم الطائفية، ومهما اختلفت نظرتهم اللاهوتية إلى المسيح وتباعدت

مفاهيمهم في الكنيسة وتباينت توجهاتهم وممارساتهم... فكلهم يعلنون بقلب واحد وصوت واحد إيمانهم بيسوع "ربا ومخلصا"، وكلهم يمنحونه حبهم وولاءهم ويضعون عليه كل رجائهم، وكلهم يعون مسؤولياتهم الجسيمة في الشهادة له بالقول والفعل. أليست هذه هي خلاصة البشرى التي حملتها الكنيسة الأولى إلى العالم غداة العنصرة؟ ولكن هيهات لهذه البشرى أن تبلغ إن هي خلَتْ من تلك العلامة التي أرادها يسوع تميز تلاميذه: "سيعرف الجميع أنكم تلاميذي إذا أحببتم بعضكم بعضاً". وهكذا كانت المحبة وستبقى السبيل الوحيد لهذه الشركة التي نتطلع إليها بأمل، ونطمح أن تتأصل في كنيستنا، إن نحن -من أعلى السلم إلى أدناه- جعلنا منها الهدف الرئيس في كل توجهاتنا ومساعينا ومبادراتنا، إن لم نقل هاجسنا الأول والأخير. وحذار من أية خطوة تشكل شهادة مضادة لإنجيل المحبة!

قراءنا الأحباء

فيما كنت أدبج هذه الكلمات، انتقلت بي الذاكرة إلى البوادر المسكونية التي نسجت منها الـ ٢٥ سنة الماضية -وقد رأينا أن نصدّر بها صفحات هذا العدد!- وقد توزعت على ثلاث مراحل، يمكن أن نصف المرحلة الأولى بالأزمنة "النبوية" في الستينيات، طالما أنها تميزت بمبادرات روّاد هم أشبه بأنبياء! أعقبتها مرحلة من "التأرجح" في العلاقات المسكونية في السبعينيات -وقد شهدت وفاة اثيناغوراس (١٩٧٢) وبولس السادس(١٩٧٨)- استيقظت خلالها مخاوف وتحفظات من طرف أو من آخر. وفي الثمانينات، في زمن يوحنا بولس الثاني، شهدنا ومضات واشراقات إلى جانب تعثرات وسكنات، تمثلت بشكل خاص في تململ أعمال لجان الحوار اللاهوتي أكثر مما في لقاءات القمة بين أقطاب الكنائس؛ وغني عن القول أن مَرَدّ هذا "السكون" أو "التراوح" في الحركة المسكونية، مخاوف "الفوضى" من جانب الكثلكة، في أعقاب المد المسكوني -اقترنت لديها بمخاوف أخرى وعلى أكثر من صعيد-، بينما يرجع إلى يقظة "الحذر" لدى الكنائس الأرثوذكسية من المفاهيم الرومانية للوحدة، وإلى شعور "الانتقاص" لدى الكنائس البروتستنتية من مصداقية طروحاتها وأصالة ممارساتها... ولا نخفي أن هذا السكون -كي لا نقول "الردة"- أية كانت أسبابه ودوافعه، هنا وهناك، يرجع بالتالي إلى غياب "أنبياء" يوقظون الحركة

المسكونية من غفوتها، ويمنحونها زخماً جديداً، لتنطلق أكثر عمقاً وديناميكية. انه "مسار لا رجعة فيه"!

ها قد تخللت الظلال اللوحة التي رسمناها! وهي تعكس ولا شك جانبا من "خيبات الأمل" التي يُمنى بها أحيانا مسيحيونا في العراق، حين لا يلمسون انعكاسات الحركة المسكونية في واقع كنيستهم، ليس على صعيد توحيد الأعياد فقط -وقد أخذوا يدركون ضآلة أهميته بجانب ضرورات التعاون والتضامن والتنسيق في مجالات هي من الأولوية بمكان. وما هذا العدد الذي يحتفي بذكرى ربع قرن على اختتام المجمع المسكوني -هي بالأحرى ذكرى ربع قرن من العلاقات المسكونية المكثفة- إلا ليمنح الحركة المسكونية في كنيستنا دفعة إلى أمام! ذالك هو الخيط السري، في هذا العدد، الذي قاد أقلام كل الذين ساهموا في تحريره، أساقفة وكهنة وعلمانيين من مختلف الكنائس، والذين نسوق إليهم أعمق مشاعر الامتنان.

و"الفكر المسيحي" التي واكبت المسيرة المسكونية على مدى ٢٥ عاماً -وقد آلت على نفسها أن تكون مجلة مسيحية لا طائفية "تؤمن بالوحدة المسيحية... وبتعددية الآراء ضمن وحدة الإيمان"- يطيب لها أن تفاخر بأنها كانت وما زالت المكان الذي يلتقي حوله كل المسيحيين العراقيين ويجدون فيه أنفسهم، وتطمح أن تبقى، بإذن الله، أداة لدعم الحركة المسكونية في كنيسة العراق! ذلك كان دأبها، وهو قصوى مناها!

طوبى لفاعلي السلام

تحت هذا الشعار عقد، ولأول مرة، في بغداد السلام، مؤتمر مسيحي للسلام كان أشبه بتظاهرة عراقية مسيحية استقطبت وسائل الإعلام، وكان لها أطيب الأثر في نفوس العراقيين جميعا، والمسيحيين منهم بشكل خاص. ذلك لأنها المرة الأولى يتم في العراق تجمع "مسكوني" بهذا الحجم، ويتم إجماع بين الكنائس المسيحية كافة - في ظروف يخيم فيها القلق من نشوب حرب مدمرة تنبئ بأقسى الويلات، ليس للعراق حسب وإنما للعالم أجمع- وقد هبت كلها لتقول بصوت واحد: "لا" للحرب! "نعم" للسلام! (انظر التقرير عن المؤتمر في باب "أنباء").

"طوبى لفاعلي السلام، فإنهم أبناء الله يدعون"! ما أجملها تطويبة فاه بها ذاك الذي، من على الجبل، منذ ألفي عام، منح العالم شرعة جديدة قوامها الحب والسلام... وما أجمله شعاراً اتخذه هذا المؤتمر الخطابي ليعكس توجهات الكنائس المسيحية في خضم الصراعات والتوترات بين الشعوب، ويعلن على رؤوس الملأ مواقف الإنجيل الجريئة بوجه كل الذين في العالم يعتبرون أن السلام لا يستتب إلا بالقوة، أو اقله بتوازن القوى، أو يخيل إليهم أن القوة هي السبيل الأخير لتصفية النزاعات بين الأمم، وفق هذا المنطق الأخرق: إذا أردت السلام فاستعد للحرب!! بينما يرتفع صوت المسيح ليقول للعالم بان فاعلي السلام والساعين إليه هم وحدهم جديرون بأن يدعوا أبناء الله —وهو محبة وفرح وحق وسلام. فالذين يريدون أن يصبحوا أبناء حقيقيين لله، وجب عليهم أن يكونوا، بين الناس، صانعي سلام، ويجندوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم في بناء السلام وتوطيد أسسه بين الشعوب.

إن كانون هذا العام، كان وسيكون، بإذن الله، كانون السلام! فلقد بدأ بمؤتمر سلام، وتراءى السلام فيه بذكرى ميلاد رب

السلام! وستبقى شرعة حقوق الإنسان (١٠ كانون الأول) نداء دائماً إلى السلام الذي لن يتم إلا باحترامها! كما سيبقى اليوم الأول من العام الجديد (يوم السلام العالمي) ناقوسا يرن في ضمائر قادة الشعوب الذين آن لهم أن يستجيبوا لصرخة السلام المدوية التي تتعالى من أفواه كل الذين في العالم عرفوا ويعرفون ماذا تعني الحرب، وذاقوا ويتذوقون طعم السلام! فإذا كان لنا أن نوجز الدعوة إلى السلام التي خرج بها المؤتمر المسيحي للسلام، ابان أقوى صراع عاشه ويعيشه العراق -وقد أصبح بإزاء تحد جريء، كما أصبح العالم اجمع إزاء خيار مصيري- فهي مناشدة صادقة وملحة لكل ذوي الإرادة الصالحة في العالم بالا يكون هناك معياران في الحكم على الشعوب، والا تكون المصالح هي المقياس للرحمة أو الإدانة بحق الأمم: كأن يكون هناك تواطؤ ومؤامرة صمت وتمرير مخططات...، بينما تقوم الساعة هنا بحق شعب صمم أن يضع حداً للابتزاز والاستغلال والهيمنة...! ويحق لنا أن نتساءل، وبصريح العبارة، ومن هذا المنبر بالذات: كيف يمكن أن تبقى إسرائيل تسخر بقرارات مجلس الأمن التي لا تحصى -قرارات بقيت حبرا على ورق- وقد أصبح احتلالها للأراضي العربية قضية مزمنة اقترنت به أشكال التعديات والانتهاكات والجرائم، وآخرها جريمة المسجد الأقصى وقرار الكيان الصهيوني بتهويد القدس... بينما لم يأل هذا المجلس ذاته جهداً في استصدار القرارات التعسفية بحق العراق وفرض العقوبات الاقتصادية عليه -اقترنت بها مردودات أليمة على حياة الأطفال والمرضى والفقراء- وإجازة استخدام القوة العسكرية ضده...؟!

وإزاء هذا الموقف الانتقائي لمجلس الأمن الذي يبدو مرناً شفوقاً تجاه إسرائيل، وحازما وصارما تجاه العراق، جاءت مبادرة السيد الرئيس القائد صدام حسين، في ١٢ آب الماضي، لتطالب العالم بالتزام معيار واحد في حل كافة الاحتلالات والنزاعات والتوترات والصدامات بين الشعوب. انها مبادرة سلام جادة جاءت في إطار البحث العالمي عن سلام عادل ودائم وشامل، لا يكون فيه لدولة كبرى، مهما عظمت، قدرة على فرض هيمنتها بأية من وسائل الضغط أو الاستضعاف؛ ولا يكون فيه لقوى كبرى، بحكم تكتلات وتحالفات، قدرة على استغلال قوى صغرى والتلاعب بمصيرها وزعزعة أمنها ومستقبلها. مثل

هذا السلام الذي تصبو إليه البشرية ويسعى إليه ذوو الإرادة الصالحة في كل مكان، لن يتم إلا إذا نزع قادة الشعوب عن ذواتهم النزعة إلى الصلف والعناد والاستعلاء والمكابرة...، وراحوا يفكرون بمصالح شعوبهم، ويعملون على استقرارها ورخائها -وغني عن القول أن لا بناء ولا تقدم ولا استقرار ولا رخاء بدون سلام! عسى يستجيب قادة العالم لنداء السلام، فيجلسون إلى طاولة "مؤتمر دولي للسلام" تُصفّى فيه كل القضايا العالقة، وفي مقدمتها "قضية فلسطين" التي لها، شاءوا أم أبوا، صلة مباشرة مع "قضية الخليج"، ولن يكون هناك حل مرضي ما لم يبدأ بالقضية الفلسطينية...

إن نداء السلام كان ولا يزال هاجس كل المسيحيين في العالم، هم الذين انطلق إيمانهم بالمسيح، ببشرى سلام، حمل في طياته بشرى تحرير وفرح وأمل ورجاء... ألم تهتف الملائكة بنشيد سلام بمولد رسول السلام: "المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام، للناس الذين بهم المسرة"؟! ألم يحمل الملاك البشير إلى رعاة فلسطين، ومن خلالهم إلى كل الذين انتظروا بشوق خلاص الله، بشرى فرح عظيم بانقضاء أزمنة القهر والذل والظلم والقسر والتعسف: "ولد لكم اليوم مخلص..."؟!

إلا أن السلام الذي أعطي للبشرية بميلاد المخلص "المسيح الرب"، هو سلام ذو متطلبات ملحة وقاسية، وفي مقدمتها إرادة حازمة للتصدي لشريعة الغاب ولكل أعمال العنف، أياً كان اسمها: انه سلام ينفي الاستسلام ولا شك، ولكن من دون أن ينفي قدرة الإنسان على الحب والتسامح والغفران...، انه سلام لا يرضى بالظلم ولا يسكت عنه، ولكنه قادر أن يندد به، بحب عميق يكون قادراً أن يزيل الغماوة عن أعين الظالمين! انه سلام لا يضع في حساباته، لحظة واحدة، إمكانية استخدام القوة، وإنما يبقى يؤمن، وبإصرار، بقدرة الحوار على حل النزاعات مهما عظمت، ويؤمن بالأكثر بان للحوار فاعلية لا محدودة! فإلى مثل هذا السلام يسعى ذوو الإرادة الصالحة في العالم، هؤلاء الذين تصح فيهم الطوبى التي أعطاها المسيح لفاعلي السلام.

كانون الأول ١٩٩٠ الموصل في ١٥ كانون الأول ١٩٩٠

١٩٩١

... وأنت يا كفرناحوم ألعلّك ارتفعت إلى السماء؟

... وقُدّر لنا أن نفتتح العام السابع والعشرين من مسيرة "الفكر المسيحي" - في أعقاب عشرين عاماً على ظهورها كمجلة- بافتتاحية تعكس معانيات شعب مستضعف، ومدن كانت هدفاً لغارات قاسية، وجيش لم يبقَ له لا حول ولا قوة... وبعد شهرين على تلك الاعتداءات الهمجية التي اجتمعت لتنفيذها دول كبرى طالما رفعت راية حقوق الإنسان عالية -ويبدو أن هناك تمييزا بين إنسان وإنسان!- يخيل إلينا أننا كنا في حلم هو أشبه بكابوس، ونأبى اليوم أن نصدق ما قد حدث، وكأننا نريد أن ننسى كل الخوف والرعب اللذين عشناهما وعاشهما بنوع خاص أطفالنا وشيوخنا ومرضانا، لدى كل صفارة إنذار ولدى كل غارة جوية رافقت نهارنا وليلنا!

ألا يشقّ علينا اليوم أن نستذكر عدد الشهداء الذين ذهبوا ضحية الغدر، من مدنيين وعسكريين، سواء في المدن الآمنة أم في ساحات العمليات؟ أوَ لا يعز علينا اليوم أن نشاهد ما خلفته تلك الغارات المدوية من خراب ودمار، ليس على المنشآت العسكرية وحسب، وإنما على المنشات الاقتصادية والمؤسسات الخدمية والأحياء المدنية؟ وستبقى الغارات على كنيسة مار يوسف ومدرسة الطاهرة والدور المجاورة لها، وعلى حي وادي العين في الموصل، و ملجأ العامرية في بغداد الخ... خير شاهد على البطش والبربرية! وَلَكَم تألمنا حين كنا نتلقى إعلاماً منتقصاً عن حقيقة ما كان يجري، وَلَكَم تساءلنا: هل كان الرأي العالمي يطلع بموضوعية على ما كانت تنفذه "الطلعات" الألفية لطائرات التحالف الدولي من أهداف، ليس على بغداد وحسب، وإنما على كافة مدن العراق، وبشكل لم يسبق له نظير في الحروب! وقد كانت حرباً

شاملة، جواً وبراً وبحراً، وُضّفت فيها التكنولوجيا المتقدمة لخدمة التدمير!!

لسنا هنا في موقف لتقصي الأسباب القريبة أو البعيدة، الخفية أو العلنية، لنشوب هذه الحرب الهوجاء. إلا اننا من منطلق المواطنة الصالحة، وبدافع من الروح الإنسانية، ووفق توجه مسيحي جاد، نلقي وإياكم، قراءنا الأعزاء، نظرة فاحصة، في ضوء الإيمان، على الأحداث التي شهدناها، سيما وكلنا يعلم أن الضحية الكبرى في كل هذه الحرب البشعة هو شعب العراق الذي كان ولا يزال المنسي الأكبر! ولِمَ لا نقولها صريحة: ألَيس الفقراء والمعدمون هم أول ضحايا هذا العنف، سواء اتخذ اسم الحصار الاقتصادي أم اسم البطالة والجوع والبؤس والجريمة والانحراف...

سَمِعْتُ، ابان الحرب، من إحدى الإذاعات هذا القول: من يقتل شخصا واحداً يُعَدّ قاتلاً! ومن يقتل ١٠ أشخاص يُعَدّ بطلاً! ومن يقتل الألوف يُعَدّ "كلي القدرة"!! فقلت في سري: يا له من منطق أخرق: طالما ينبغي للمرء، كي لا يعد قاتلاً، أن يقتل الألوف ليتحول من منزلة البطولة إلى "القدرة اللامتناهية"! ألَيس بهذا المنطق تعاملت الولايات المتحدة وحليفاتها مع شعب العراق حين انقضت طائراتها المقاتلة، قبيل فجر ١٧ كانون الثاني الماضي، على بغداد وسائر المدن العراقية؟ ولماذا الحرب بهذه القسوة؟ وهل حقا نفدت كل وسائل الحوار؟ ألَم تختف وراء قرار الحرب بالذات نزعة إلى فرض الصمت، من جانب العفريت الأكبر، على كل دولة تكسر عصا الطاعة، أو تسعى إلى انتزاع سيادتها بشموخ؟ أوَليس استخدام القوة بتلك الضراوة على أهداف لم تكن وقفا على التصنيع العسكري، هو شكل من أشكال القتل بالجملة، سرعان ما تحوّل فيه معنى الكلمات من القتل، إلى البطولة، إلى القدرة على كل شيء! وإزاء هذه القوة "القادرة على كل شيء" -ولم يعد لها من منافس على الساحة الدولية- كيف يمكن، من بعد، لدولة من دول العالم الثالث أن ترفع الرأس أو تناصب العداء؟ فيا له من وقع علينا ذلك التعبير الذي أطلقه يسوع على كفرناحوم: ألعلك ارتفعت إلى السماء، ستهبطين إلى الجحيم؟! إلا أن التساؤل الكبير هو باتجاه تلك الهيمنة البغيضة التي امتدت خيوطها إلى كل جنبات العالم حتى اقتحمت جدران الأمم المتحدة! ولَكَم تساءلت وتساءل معي كثيرون في

العالم: كيف أجاز مجلس الأمن الدولي، في القرار ٦٧٨، استخدام القوة بحق العراق؟ ومن كان وراء استصدار هذا القرا، وما سبقه من قرار لفرض العقوبات الاقتصادية؟ وهل "استخدام القوة" كان يعني حربا مجهزة بأعلى التقنيات، لا تبقي على ماء ونور، ولا يسلم منها سلك أو برج؟! والأنكى، حين جهزت هذه الحرب الضروس على جسور آمنة وعلى جنود منسحبين!!

أنه حديث ذو شجون سنبقى نجتره في ليالينا التي لا يغمض لنا فيها جفن، لان الألم الذي ذقنا مرارته قد بلغ إلى أعماق أعماقنا، ولأن "راحيل" ستبقى، في كل عراقي وعراقية، "تبكي على بنيها وتأبى أن تتعزى لفقدهم"! فهيهات لدموعنا أن تجف ولجروحنا أن تندمل ولتصدعاتنا أن تلتئم... وسنبقى سنين طويلة نجاهد ونناضل من اجل إعادة بناء عراقنا الحبيب الذي استهدفته هذه الحرب المدمرة...

ولما كنا على عتبة أسبوع الآلام، لا يسعنا إلا أن نضم، إلى آلام المسيح، آلامنا ومعانياتنا، تضحياتنا وجروحنا. وبنظرة ملؤها الأمل والرجاء، سنبقى نتطلع إلى عراق جديد نعود فنبنيه بكل طاقاتنا، متكاتفين متعاضدين، عربا وأكراداً، مسيحيين ومسلمين، لأننا جميعا نريد لعراقنا وحدته وحريته وسيادته، كرامته وعزته وإباءه، سلامه واستقراره وتقدمه... فلتكن قيامة المسيح من بين الأموات مدعاة إلى الأمل بإمكانية النهوض والبناء، ودافعا إلى مزيد من الحياة والمجد.

الموصل في ١٥ آذار ١٩٩١

كنت جائعاً فأطعمتموني...

... وكم طرح الناس عندنا، وهم يبحثون عن لقمة العيش -وبكم من الجهد والثمن!- هذا السؤال: أكان ينبغي أن تنقض علينا تلك الحرب الضروس لندرك ما معنى البطالة والفقر والجوع والفوضى والغلاء والاستغلال والجشع الخ...؟ ألم نكن بغنى عن كل هذه المآسي التي أفرزتها تلك الحرب الهوجاء التي خاضها العراق مع دول التحالف، فتركته مهشماً، فقيراً، أعزل؟!

مهما يكن من أمر هذه الحرب وملابساتها ومخلفاتها، فقد أصبحنا إزاء واقع مرّ خضع ويخضع له الملايين من العراقيين الأبرياء الذين أصبحوا لا يحلمون إلا بما يسد جوعهم إلى القوت اليومي، ويعيد بعض الدم إلى وجوههم الشاحبة، وبخاصة إلى عروق أولئك الأطفال والرضع الذين أبصروا النور في عام سيظلون يأسفون أنهم ولدوا فيه! طالما سيحملون، وإلى سنين مديدة، لقب "أبناء الحرب"!

ومع ذلك، فلولا الحرب لما عرفنا الحب! ولولاها لما عرفنا معنى الاقتسام والمشاركة! قد يبدو هذا التعبير، لأول وهلة، محملاً بالتضاد والمغالطة واللامنطق، ومتسما بتفاؤل يتجاوز الحدود، قد يكون أقرب إلى السذاجة منه إلى الفلسفة! ولكنها رؤية يمليها علينا الإيمان وتدعمها الخبرة الحياتية التي عشناها في هذه الأشهر الأخيرة. ولَكَم اقترنت هذه الرؤية، في ذهني، بصرخة إيمان القديس اوغسطينوس الذي لم يتردد في معرض حديثه عن خطيئة آدم من القول: يا لها من خطيئة سعيدة استحقت لنا المخلص! ولَكَم قلت في سري، يشاركني في ذلك كثيرون: لولا الحرب لما اكتشفنا بعمق ماذا تعني المحبة، وماذا يتطلب التضامن، وماذا يُلزم الاقتسام... ولولا الحرب لما عرفنا بأن الإيمان لا قوام له، إن لم يتجسد في أعمال، كما جاء في رسالة القديس يعقوب: "أي منفعة لمن يقول أن له إيماناً ولا أعمال له؟ ألعلّ

الإيمان يقدر أن يخلصه؟" (٢: ١٤)... ولولا الحرب لما أدركنا جيداً بأن المحبة هي كمال الشريعة، وانها، في ثلاثية "الإيمان والرجاء والمحبة"، الوحيدة الباقية: "لان الله محبة، ومن ثبت في المحبة ثبت في الله وثبت الله فيه" (١ يوحنا ٤: ١٦).

قد يخيل للبعض أني اذهب بعيدا في رؤيتي للحرب من زاوية الإيمان... إلا ان هذه الرؤية، إن هي سوى انعكاس لشفافية الإيمان وعودة إلى ينابيعه الأصيلة: فكما أن لا إيمان بدون محبة، فكذلك المحبة تنبع من أعماق الإيمان... ألَم يكتب القديس بولس في نشيده الرائع عن المحبة: "لو كان لي الإيمان كله حتى لأنقل الجبال، ولم تكن فيّ المحبة فلست بشيء" (١ قورنتس ١٣: ٢)؟ ذلك لان إيماننا يأبى أن يكون مجموعة شرائع وقوانين- وإنما لقاء شخصيا مع الله ينعكس في العلاقات بين البشر- سرعان ما بمسي "قضية حب" تأسر قلب الإنسان، فلا يعود يبحث عن الله في سماوات بعيدة، وإنما في وجه كل إنسان ولاسيما الفقير والمقهور والمظلوم والمستغل والمستضعف... وكله ثقة من انه يستطيع، في وجه كل إنسان، أن يرى ويتأمل وجه الله! ولا اخالني بحاجة إلى إقامة الدليل على ما أقول، ولدينا في الإنجيل المقدس تلك الكلمات الرائعة الملزمة التي سيسمعنا إياها يسوع متى جاء في مجده: "كنت جائعاً فأطعمتموني... كل ما صنعتموه إلى واحد من إخوتي... فالي صنعتموه" (متى ٢٥: ٣٥)، كلمات رجّع صداها يوحنا الصليبي حين قال: في غروب حياتنا سنُدان على المحبة!

لولا الحرب لما عرفنا الحب! قلتها أعلاه وأنا أدرك بأن الحرب جعلت مئات الألوف من العوائل الفقيرة، ذات الدخل المحدود، تبلغ إلى الحضيض في عوزها إلى الحاجات الأساسية؛ ولكنها في الوقت ذاته أيقظت فينا نداء ملحاً إلى التضامن والمشاركة، ليس بروح العطف أو الصدقة، وإنما بروح المحبة والاقتسام. وان ما يُثلج الصدر أن العطاء، بمختلف أشكاله، قِيْسَ بمكيال المحبة، فاتسم بصفات الشركة الشمولية، انطلاقا من ذلك اليقين بأن لا معنى للعطاء إن هو خلا من المحبة، كما كتب بولس في نشيده: "ولو بذلت جميع أموالي إحسانا ولم تكن في المحبة فلا أنتفع شيئاً"! ولَكَم اتخذ ويتخذ هذا العطاء بُعداً إيمانيا، إن هو اتصف بسمات السخاء والخفاء والمجانية، وتجرد من كل ما يُشتَمُّ فيه رائحة التباهي أو الترفع أو المحاسبة، بحيث يصبح عطاء

متواضعاً تمليه المحبة والعدالة والمساواة... ويضحي بالتالي "أكثر غبطة من الأخذ" (أعمال٢٠: ٣٥)! ألا تفرض نفسها هنا عبارة القديس امبروسيوس (القرن ٤) الذي قال: "أنت لست من مالك تجود على الفقير، وإنما تردّ له ما هو له"! عبارة سيرجّع صداها القديس منصور دي بول (القرن ١٧) بقوله: "عليك أن تعتذر للفقير عن الخبز الذي تعطيه إياه"! فيا لعمق المحبة متى تسامت! لأنها ستثبت مشاعر الاعتذار والشكر والفرح...

فبروح المشاركة التي أخرجتنا من أنانيتنا الضيقة التي ربما كنا منغمسين فيها، انطلقت، منذ بداية الحرب، استضافة العوائل الهاربة من الغضب الآتي، فكانت شهادة حية للشركة والاقتسام! وبروح التضامن الأخوي الذي ينفي الاكتفاء واللامبالاة هُرع إلى حماية ونجدة المتضررين بأعمال العنف والشغب...! وبروح الحب الصادق الذي يعتبر العطاء قضية حق وعدل والتزام، شاركنا، كل من موقعه، وعبر مختلف المبادرات الخيرة، في إغاثة ومساندة الذين وضعتهم الحرب على أبوابنا... وسنبقى مُطالَبين بهذه المحبة وهذا الالتزام طالما سيبقى أناس ينامون على الطوى، بينما يعاني غيرهم من السعة! وستبقى نداءات التضامن والاقتسام مدوّية في آذاننا، طالما سيكون هناك معوزون إلى لقمة العيش وجائعون إلى الحب والأمل والحياة -والحياة الحرة الكريمة!

الموصل في ١٢ أيار ١٩٩١

كشاف العقد الثاني

عدد خاص

... كانت أعداداً طالما انتظرنا ظهورها كل شهر! ولَكم استمتعنا يومها بالعدد الجديد الذي كان يتمخض به ذاك الشهر، وكأنه المولود الجديد الذي أبصر النور بعد "عملية قيصرية"! إلا أن الفرق هو أن مولودنا شهري، وانه وُلد بعد "تمام" شهره بأيام، بل بأسابيع أحيانا!! وكانت هناك متطلبات ومعاتبات هي ولا شك دليل حرص القراء على مجلتهم وتعلقهم بها -وقد تجاهلت أن حرباً بائسة واكبت مسيرة "الفكر المسيحي" في سنواتها العشر الأخيرة. ألَم يبدأ الاختزال في وتيرة الأعداد، والتأخير في مواعيد ظهورها، مع بداية الثمانينات، حين كانت الحرب العراقية-الإيرانية حامية الوطيس وكانت مردوداتها السلبية تنعكس على الأعمال والحياة العامة -وكان لنا منها نصيب على صعيد الكلفة المتصاعدة!

وفي أعقاب "العقد الثاني" من المسيرة، نجدنا إزاء عدد/كشاف يضم بين دفتيه أعداد السنوات العشر، بعناوين مقالاتها، مبوبة، مفهرسة، وعلى مستويين: الموضوعات والكتّاب -وكان قد سبقه كشاف وثّق أعداد السنوات العشر الأولى (١٩٧١-١٩٨٠) مِن شوط "الفكر المسيحي"، منذ أن أصبحت مجلة ذات أبواب متعددة وزوايا منوعة... فمع هذا الكشاف الثاني الذي نضعه بين أيديكم، قراءنا الكرام، أصبحنا وإياكم أمام موسوعة من ٢٠ مجلداً بلغ مجموع صفحاتها ٩١٠٢ -منها ٤٤٤٨ص للعقد الثاني من عمرها، كان بالإمكان أن ترتفع إلى حوالي ٧٠٠٠ص، لو لم تعمد المجلة إلى استخدام حجم من الحروف حقق اختزالاً كبيرا في عدد الصفحات، ولكنه كم أثار احتجاج ذوي النظر الضعيف الذين يحق لهم أن يطالبونا بأثمان نظاراتهم!!

كان الكشاف الأول -وقد صدر في أيلول ١٩٨١دون أن يحمل رقماً- قد رسم تاريخاً للفكر المسيحي، منذ بداياتها المتواضعة:

"سلسلة" (٦٠ عدداً بحجم١٢×١٦سم بين ١٩٦٤-١٩٧٠، وكان قد طرا توقف بعد ظهور عدد كانون الثاني ١٩٦٩ -الحلقة السادسة- وعاودت الظهور في كانون الثاني ١٩٧٠)، ومجلة طيلة عشر سنوات، رافقتها اشراقات لا تُخفى، إلى جانب تعثرات وأزمات، وعلى أكثر من صعيد، خرجت منها قوية المراس، شديدة البأس، لتواصل المسيرة الصحافية بعزم وعناد... وما السنوات العشر الأخيرة إلا قلادة ثانية زيّنت مجلتكم التي يحق لها أن تفاخر أنها أصبحت واحدة من أقدم المجلات العراقية وأكثرها ثباتاً واستمرارية، إذ انها بلغت شوطا لم تسبقها إليه مجلة في تاريخ الصحافة المسيحية في العراق! وغني عن القول أن لهذه المثابرة وهذا الصمود أسبابا ودوافع كثيرة، ليس من اقلها شانا تعلقكم بها انتم، قراءها، وأمانتكم لها... إنها خُلقت لكم، ويسرها أنها أجابت إلى حاجاتكم والتقت مع انتظاراتكم وتطلعاتكم... وإنْ كان لها في ذلك آمال وآمال يصطدم بعضها بحواجز أو حدود!

ومن حسن الصدف أن تكون الأعوام العشرة الأخيرة من المسيرة قد تكللت عام ١٩٨٩ بالذكرى الخامسة والعشرين على ظهور "الفكر المسيحي" -طالما انه العام الذي كانت فيه تَطوي ٢٥ عاما من نتاجها الفعلي، باستثناء عام احتجابها-، فكان عاما يوبيليا مشهودا في تاريخها، تميز باحتفالات هي أشبه بمهرجانات، حُفرت ماجرياته المتعة في ذاكرة كل الذين أحبوا الفكر المسيحي وكلفوا بها... احتفالات دينية وثقافية وفنية استقطبت مواهب وهمم الكثيرين من أصدقائها في كل مكان، ولاسيما في الموصل وبغداد حيث أقيمت معارض فنية رائعة، افتتحت في٧ تموز بقداس شكر رئسه سيادة المطران عمانوئيل بني صاحب امتياز المجلة والذي برعايته جرت احتفالات الموصل...، وتواصلت في بغداد بين ٢١- ٢٨ تموز، وبرعاية غبطة البطريرك روفائيل الأول بيداويد (وقد شاءت ظروف أن تغيبه عن الاحتفال!) افتتحت ببرنامج صلاة في كاتدرائية القديس يوسف التي احتضنت قاعاتها الفسيحة معارض ذات مستوى رفيع -ولم تغب عن الاحتفالات فعاليات موسيقية ومسرحية! (راجع عدد آب-أيلول ١٩٨٩).

وكان لا بدّ للعدد الخاص في العام اليوبيلي أن تكون "الفكر المسيحي" ذاتها موضوعه، وتحت شعار "ربع قرن في خدمة الكلمة"! وكان عدداً استعراضياً حكى، وبأشكال عديدة وأساليب مختلفة، قصة هذه "الصحيفة" وما تخللت مسيرتها الطويلة من أضواء وظلال، وما رافقتها من نجاحات وإخفاقات، وما علق بها من ذكريات مشرقة إلى جانب أخرى اقل إشراقا (راجع عدد تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٨٩). وقد يكون من أطرف ما حمله ذاك العدد الخاص -إلى

جانب الدراسات والتحليلات واللقاءات والآراء التي خرج بها محررون وكتاب وقراء من كل المستويات والمواقع- تلك الخلاصة عن معرض المجلة الذي كان قد أحاط بمسيرة ٢٥ عاماً من العمل الصحافي الدؤوب في خدمة الكلمة، عبر "جداريات" قصت تاريخ المجلات المسيحية في العراق وحكت من ثم "قصة الفكر المسيحي"، سلسلة ومجلة، وذهبت في عرض مضامينها عبر "كشاف" وثق مقالاتها، وفق تبويب محكم، كما وثق أنباءها وفق تصنيف بحسب البلدان. وبعين المنوال عرضت "ملفات الفكر المسيحي"، الإعلامية والدراسية، وظهرت على خارطة العالم البلدان التي تناولتها المجلة، سواء عبر الملفات أو التقارير... ولم تغفل تلك الجداريات اسلوب العمل الصحافي الذي يعتمد "أرشفة" الصحف والمجلات، العربية والأجنبية، عبر الفيشة والقصاصة، ويولي أهمية كبرى لأرشيف الصور المنسقة بحسب موضوعات أو أعلام... كما أصدت "لصناعة" المجلة والمراحل التي يمر بها كل عدد قبل أن يصل إلى القارئ، ولم تنسَ المطابع التسع التي استضافتها طيلة ٢٥ عاماً! وعكست الجداريات أخيراً وتيرة الاشتراكات وإدارتها على مدى ربع قرن، ومساهمة "الوكلاء" الثمينة في نشرها، ونسبة انتشارها في المحافظات العراقية.

ولست اكشف سراً إذا قلت بان هذا الكشاف الذي بين يديك، أيها القارئ الكريم، هو حصيلة عمل كان قد بدأ منذ سنوات، وكان يقوم باستلال المقالات وتصنيفها بحسب الأبواب أو الموضوعات، وحفظها في أضابير... وفي سنة اليوبيل الفضي أثبتت عناوين المقالات المستلة منذ علم ١٩٨١، وفق التبويب المعتمد مع أول كشاف؛ وكان ينبغي انتظار نهاية عام ١٩٩٠ لاستكمال المواد وإعادة النظر في تبويبها وإعدادها للنشر -وكان لنا في هذا العمل المضني معاونات لهن عميق شكرنا-، وأملنا الا نكون قد تعرضنا لأخطاء كثيرة، ونرجو أن نُعذر عن كل خطا أو سهو صدر عنا.

قراءنا الأحباء

فيما نزف إليكم هذا العدد الكشاف الذي يغطي مواد عشرة أعوام (١٩٨١-١٩٩٠) -عدا الأنباء التي يعد توثيقها وتصنيفها ترفاً؟- يروق لنا أن ندلي ببعض الخواطر والملاحظات، آملين الا تعتبروا هذا العدد مدعاة لنا للافتخار أو العجب بقدر ما هو مرجع ثمين لنا جميعاً، محررين وقراء، فلا نعود نكرر ما سبق لنا أن كتبنا! ولا تعودون تطالبون بمواضيع سبق أن عولجت! وأول ما يتبادر إلى الذهن سؤال عن وتيرة الاشتراكات وبدلاتها: ففي مقدمة كشاف ١٩٨١ كنا قد أعلنا بان زيادة ملحوظة في عدد المشتركين قد تحققت في ذلك العام،

إذ تجاوز عددهم ١٤٣٠٠! ومنذئذ استمر التصاعد ولاسيما بين الأعوام ١٩٨١-١٩٨٥ حتى استقر عدد المشتركين عام ١٩٩٠ حول الرقم ١٧٥٠٠! وإذا كان هذا الرقم دون مستوى الطموح -سيما وان الفكر المسيحي مازالت المجلة المسيحية الوحيدة على الساحة العراقية- إلا أن تعزيتنا تكمن في كون هذا الرقم يحقق لها قراء يقدرون بـ٢٥٠٠٠ شخص!

أما بدل الاشتراك السنوي، فلقد كان دينارين عام ١٩٨١ وارتفع ببطء، بالرغم من ارتفاع الكلفة، إلى ثلاثة دنانير عام ١٩٨٤، فأربعة عام ١٩٨٦، ولم يبلغ الخمسة إلا عام ١٩٨٩! ويسرنا أن ارتفاع بدل الاشتراك الذي فرضه ارتفاع الكلفة قد رافقه تحسن مطرد في الطباعة والإخراج، كان قد بدأ منذ عام ١٩٧٨ حين اعتمدنا الطباعة بالاوفسيت، و أضفى علية المزيد التنضيد التصويري الذي بدأ عام ١٩٨١، وان من دون استمرار، إلى ان اعتُمِدَ بشكل دائم منذ عام ١٩٨٥ -ولسنا نُغالي اذا قلنا بان مضمون المجلة قد قفز، بفضل التنضيد الالكتروني، بنسبة ٧٠٪ عمّا كان عليه في السبعينات، مع احتفاظها بـ ٤٨ صفحة منذ عام ١٩٧٥! فباعتزاز وغبطة نستذكر السنوات السِّمان لدى كل من مطبعة الرشيد وثويني واليرموك... إلى أن استقرت الطباعة مع مطلع عام ١٩٩٠ في رعاية شركة مطبعة الأديب الكريمة.

ومن الشؤون الإدارية والفنية إلى شؤون التحرير: فلو تركنا جانباً -وبسبب ظروف الطباعة العسيرة- اضطرار المجلة، منذ عام ١٩٨٣، إلى اختزال عدد من أصل ١٠ أعداد لكل عام، فسنجدنا إزاء نتاج دسم اتسمت به الأعوام العشرة، من حيث المضمون الثقافي الديني الجاد من جهة، ومن الجهة الأخرى من حيث النهج الإعلامي المتميز الذي أضفى على المقالات وما زال يضفي طابعا صحافيا لا غبار عليه - وقد اتضح هذا النهج بنوع خاص عبر المادة الصحافية التي تمثلت بالأنباء والملفات الإعلامية والتقارير الموسمية والمقابلات والتحقيقات... فضلاً عن الاستفتاءات وأسئلة المناقشة والطاولة المستديرة...

لقد اكتنه المتتبعون من القراء مسار هذا التوجه والنهج منذ عام ١٩٧٧ حتى اتخذ انطلاقته الكبرى في الثمانينيات، حين استُحدثت أبواب جديدة اتسمت بالديناميكية وحركة الحياة، والالتصاق بالواقع الحياتي، نخص منها بالذكر: شؤون راهنة (١٩٧٧)، أبتِ هذه مشكلتي (١٩٨٠)، ركن الأسرة (١٩٨٥)، مزارات شهيرة (١٩٨٦)، بين الماضي والحاضر (١٩٨٨)... بالإضافة إلى أبواب ثابتة كانت قد ترسخت مكانتها منذ السبعينات وما زالت، وفي مقدمتها: افتتاحية، همسات، سؤال وجواب، من وحي الإنجيل، من جعبتي، فضلاً عن

زوايا كان للقراء معها موعد بين حين وآخر، بدءا بالتراجم والوثائق والتحقيقات، وانتهاء بالمقابلات واللقاءات والاستفتاءات، مرورا بالمحاولات اللاهوتية والدراسات الكتابية والإسهامات الثقافية والتربوية والاجتماعية والأدبية...

وحين نتحدث عن المضمون، تنتصب أمامنا تلك "القلادة" التي ترصع صدر "الفكر المسيحي"، الا وهي أعدادها الخاصة. فعلى مدى عشرة أعوام، ظهرت عشرة أعداد خاصة كان أولها الكشاف (١٩٨١) وتوالت من ثم الأعداد، تتنافس في دسامة الطروحات وجاذبية المواضيع وعمق المعالجات: فمن "الكتاب المقدس" (١٩٨٢) إلى "الأسرة المسيحية" (١٩٨٣) إلى "الإنسان... على صورته ومثاله" (١٩٨٤) إلى "الشباب... وعي وطموح" (١٩٨٥) إلى "كنيسة العراق: ٢٠ عاما بعد المجمع" (١٩٨٦). وإذا كان العدد الخاص لعام (١٩٨٧) رسالة عامة عن العذراء بعنوان "أم الفادي"، فقد تميز عدد "الأطفال... أمل المستقبل"(١٩٨٧)، فيما قص عدد اليوبيل مسيرة "ربع قرن في خدمة الكلمة" (١٩٨٩)، وتكللت سلسلة الأعداد الخاصة بعدد "الحركة المسكونية: ٢٥ عاماً بعد المجمع" (١٩٩٠) الذي جسد مسيرة "الفكر المسيحي" المسكونية طيلة ربع قرن -وقد كانت وستبقى لسان حال المسيحيين العراقيين على اختلاف طوائفهم.

... وإليكم هذا العدد-الكشاف!

لقد كان أمامنا خيارات حين وطدنا العزم على إصدار هذا الكشاف، إلا أننا آثرنا، بروح التواصل مع الكشاف السابق، أن نبقي على التبويب الذي اعتمدناه آنذاك: فصنفنا الموضوعات كافة في أبواب رئيسة تضمنت أقساما فرعية، وأدرجنا في أقسام مستقلة الأبواب التالية: افتتاحيات، همسات، سؤال وجواب، أبت هذه مشكلتي، من نتاج القراء، خواطر وشذرات؛ فيما أدرج "من وحي الإنجيل" ضمن باب الكتاب المقدس، وأدرجت "مزارات" و"بين الماضي والحاضر" في باب "الكنيسة في العراق". وبهدف لفت الانتباه، أفرزنا مكاناً خاصاً للملفات والمقابلات، إلى جانب "استفتاءات/ طاولات/ أسئلة للمناقشة". غير أننا عدلنا، من جهة أخرى، عن توثيق ما نُشرَ تحت باب "من جعبتي" و"ركن الأسرة" اللذين تضمنا أعمدة كثيرة شارك في كتابتها عدد كبير من المحررين والقراء -ونستميحهم عذراً- فضلاً عن أعمدة أخرى أثبتت فيها أقوال أو كتابات لمشاهير...

وإلى جانب فهرس الموضوعات، كان لا بدَّ لنا أن نلحقه بفهرس "الكتّاب"، سواء كتبوا خصيصاً للمجلة، أو نقلت مقالاتهم إلى العربية -وقد وضعنا أمام أسمائهم إشارة (◆). غير اننا اضطررنا، بغية

الإيجاز، إلى إسقاط أسماء الذين أرسلوا بمساهماتهم ونشرت تحت زاوية "من نتاج القراء" أو غيرها من الزوايا. وفيما عمدنا، في "فهرس الموضوعات"، إلى إثبات عنوان المقال في حقل، واسم كاتبه أو معربه في حقل ثان، والشهر والسنة وأرقام الصفحات في حقل ثالث، معتمدين في الأولوية التسلسل الزمني لظهور المقالات... عمدنا في "فهرس الكتاب" إلى إثبات المقالات تحت اسم كتابها مع زمن ظهورها، واشرنا إذا كان المقال في باب "سؤال وجواب" (س.ج) أو في باب "من وحي الإنجيل" (إنجيل) أو كان "ملفاً" أو "شؤون راهنة" (ش.ر.)... ولم نغفل أحياناً عن تصنيف مقال واحد في مكانين أو أكثر لتسهيل العثور عليه -ومعلوم أن هذا الاحتمال وارد بالنسبة إلى كثير من المقالات، ولكننا غالباً ما أحجمنا عن ذلك بهدف الإيجاز.

قراءنا الأعزاء

ها نحن نزف إليكم هذا العدد-الكشاف الذي هو أشبه بموسوعة في مختلف أوجه الحياة المسيحية، تجاورت فيها المحاولة اللاهوتية مع التحقيق الممتع، والمعالجة التربوية مع الخاطرة المرحة، والدراسة الكتابية مع القصة أو القصيدة... وكثيرا ما تم ترابط وتداخل وتآلف بين العرض الموضوعي والممارسة الميدانية، بين الطرح المثالي والمعالجة الواقعية، بين العقيدة والحياة، بين الواقع والطموح... فإذا كنتم من بين أولئك الذين واكبوا "الفكر المسيحي" منذ سنواتها الأولى، فستجدون ولا شك في هذا الكشاف متعة، طالما انه سيذكركم بما سبق لكم أن قرأتموه، وقد يجدد لديكم القناعة بأن "في الإعادة إفادة"! أما إذا كنتم من الذين لحقوا بها في سنواتها الأخيرة، فستجدون فيه ما فاتكم من المعارف والمعلومات، قد تكونون في أمس الحاجة إليها: أليست قراءة العناوين حافزا لكم إلى استعارة أو اقتناء ما فاتكم من إعداد؟!

فلئن كان هذا الكشاف قد جعلنا جميعا، قدامى وجددا، نحيط بكل ما دبجته أقلام المحررين في شتى الحقول والميادين التي لها صلة بالإيمان المسيحي في كل مظاهره وأبعاده، ولئن بدا لنا لأول وهلة أننا نقرأ عناوين وأسماء تحمل على الملل، إلا انه سيصيب الهدف إن هو حملنا على العودة إلى الأعداد التي وثق مضامينها ومحتوياتها! أليس الكشاف مرجعاً نعود إليه كلما دعت الحاجة! وكفاه أن يكون مرجعاً! -ومرجعاً ثميناً ولا شك!

الموصل في ١٠ حزيران ١٩٩١

عبد المطلب العراقية

أيلول ١٩٩١

"جلاء" ...
وأي جلاء

كلنا يعلم الكارثة التي عرفها اليهود حين جُلُوا إلى بابل عام ٥٨٧ ق. م.، وكم كان شوقهم عظيما للعودة إلى أورشليم... وكان لهم ما أرادوا حين وقّع قورش الفارسي عام ٥٢٨ ق. م. على منشور يأذن لهم بالعودة إلى ديارهم. ولَكَم رأوا في هذه العودة من الجلاء خروجا ثانيا هو أشبه بخلقة جديدة!

وابان الحرب العراقية-الإيرانية، جُلي أسرانا إلى إيران وجلي أسرى إيران إلى العراق، وبأية مشاعر من الذل والبؤس والخذلان... وبعد انقضاء الأزمة، بأية مشاعر من الوطنية والتعلق بالأرض والحب والوفاء، تم تبادل الأسرى بين البلدين، ولَكَم كان مؤثرا منظرهم وهم يتمرغون بتراب الوطن ويقبّلون أرضه بخشوع العبادة!

صورتان للجلاء، أحداهما من ماض سحيق ظلت أحداثه خالدة في ذاكرة اليهود وأصدت لها أسفار العهد القديم، والأخرى من ماض قريب ما زال الكثيرون منا يذكرون ماجرياته بتفاؤل كبير، لو لم تَحِدّ من اندفاعه أزمة أخرى لم تكن في الحسبان! وإزاء هاتين الصورتين، تنتصب صورة لجلاء من نوع غريب ذهب بكل قيم الحب والوفاء وكل مثل الأمانة والالتزام... إنها "الهجرة"! عرفناها فيما مضى، ولكننا لم نعرفها قط بهذا القدر من التسرع واللامسؤولية وعدوى التبعية في أعقاب "حرب الخليج"!

وشتّان بين جلاء وجلاء! فما يلفت النظر في هذا "الجلاء" الأخير هو كونه نفيا ذاتيا، وفي الوقت ذاته لا واعياً ولا مسؤولاً، ويتحصن من ثم وراء دوافع هزيلة تنقصها الحجة ولا تستقيم مع الرؤية العميقة للأمور.

وإذا كان هناك وجه شبه بين الصور الثلاث من حيث الاغتراب، إلا أن هذا الاغتراب الجديد لا أثر فيه لألم التغرب أو غبطة العودة!!

وإنما يبدو الناس راغبين فيه بطيب الخاطر، ويبذلون من أجله تضحيات طائلة وجهودا استثنائية! ففي ظاهرة الهجرة، كما نشاهدها اليوم، لا ينتصب سوى هدف واحد تقوده عاطفة هوجاء، ويختفي وراءه حلم يلامس الخيال، تنقصه الرَوِيّة والحكمة: إنها النزعة إلى الهرب بالنفس من "الغضب الذي أتى أو سيأتي"، بأنانية لم تُحِطْ بكل الحسابات.

نحن لا نجهل أن لهذه الظاهرة المجنونة خلفيات وأسبابا أخرى عميقة هيأت لها أحداث وظروف ومواقف، في الماضي البعيد أو القريب، وفي مقدمتها ما خلفته "الحربان"، في غضون عشر سنوات، من مردودات سلبية وعلى أكثر من صعيد. فلا عجب إذا ما أخذت حجما بات يدعو إلى التساؤل والقلق والخوف... سيما وان هذا التيار العارم قد امتد إلى شرائح عديدة من المواطنين، مسلمين ومسيحيين، سئموا حالة الحرب التي استطالت، وراحوا يُمَنّون النفس بمكان في العالم ينعمون فيه بمناخات من الأمن والسلام والحرية والطمأنينة ورغد العيش والعيش الكريم... -وحذار من حجج القيود على الحريات الدينية التي يتذرع بها بعضهم لتبرير انهزاميته!

وكان لا بدَّ لنا، ومن هذا المنبر بالذات، أن نقول كلمتنا في هذا التيار المحموم، مع إدراكنا بأنها قد لا تلقى أذنا صاغية لدى من تأصلت لديهم فكرة "السفر" بأي ثمن! أنها كلمة نريدها نبوية، تسمي الأشياء بأسمائها، وتنطلق من روح الإنجيل لتتوجه إلى كل الذين، في عراقنا الحبيب، تهمهم إعادة بنائه على أسس جديدة من الديمقراطية الفعلية، وتضطرم في قلوبهم محبة صادقة، ويسكنهم حرص شديد في أن يروا كنيسته حية، نشطة، فاعلة، بمقدورها أن تشهد للرجاء الذي فيها -وقد تأصل منذ العنصرة حين كان لنا فيها من "بين النهرين" شهود!

فمع تفهمنا لبعض دوافع "المسافرين" الذين يحق لهم أن ينظروا باتجاه واحات الأمن والطمأنينة، بعيداً عن الحروب ورائحة القنابل وصوت الانفجارات، وبعيداً عن "الغموض" الذي يلف المنطقة كلها وينبئ بالفوضى وعدم الاستقرار لفترة قد تطول؛ ومع إدراكنا العميق مشروعية تطلعهم إلى العيش في أجواء تصان فيها الحقوق وتحترم الحريات كافة، وبقدر اكبر وأكثر ديمومة، يحق لنا أن نطرح بعض التساؤلات الجادة،

وننتظر، لا تبريرات واهية، وإنما إجابات تنبع من رؤية مكتملة ومن ضمير مستنير، يقيم وزنا للالتزام المصيري والمسؤوليات التاريخية:

- عاش المسيحيون في العراق قرابة ٢٠ قرنا عرفوا خلالها أنواع المضايقات والاضطهادات، فكان لهم في كل جيل شهداء! ألا يليق بنا نحن أبناءهم -ودم الشهداء بذار- أن نواصل الشهادة للإنجيل أيا كان الثمن، وهل من ثمن سوى بطولة الصمود؟ وهل يمكن للصعوبات والمحن الحاضرة -ومعظمها من إفراز مؤامرات القوى الكبرى- أن تجعلنا نحجِّم حضور المسيح في أرض كان للمسيحيين فيها حضور فاعل، على مر الأجيال وعلى الأصعدة كافة، الروحية والثقافية والحضارية والاجتماعية الخ...

- وجودنا المسيحي كان ولا يزال عامل أخوة وتضامن وسلام في خضم الصراعات الدينية والقومية؛ كما كان حضورنا ولا يزال شهادة حية للقيم الإنجيلية الحقة -فعله فعل الخميرة في العجين- فهل يحق لنا أن نتنصل من هذه المسؤولية الرسولية، ونحن نعلم ماذا تكون النتيجة لو غابت عن المجتمع العراقي المثل المسيحية الأصيلة في العدالة والمحبة والإخلاص والنزاهة...؟ وحذار أن تدغدغنا أحلام الشهادة في مكان آخر غير الذي أرادنا ويريدنا فيه المسيح!

- كل مسيحي، أيا كان موقعه في السلم الاجتماعي، له مكانته ودوره في الكنيسة، جماعة المؤمنين: وجوده غنى وقوة، وغيابه فقر وضعف، سيما ونحن في وطن نشكل فيه نسبة ضئيلة. ألا يخلق غياب عدد كبير منا، ولا سيما بين صفوف الشباب، اختلالاً في التوازن على الصعيد البشري يتمخض عن أزمات خلقية، ترافقها مآسٍ أليمة؟ ناهيك عن تبعات هذا الاختلال على مستقبل المسيحية في العراق!

تساؤلات خطيرة هي أشبه بنداء من شأنه أن يحمل كل المسيحيين على أن يفكروا ألف مرة ومرة قبل أن يستسلموا لحل السهولة!

الموصل في ٤ أيلول ١٩٩١

ميلاد الشركة والاقتسام

في ميلاد ١٩٩٠ خيّمتْ علينا مخاوف من احتمال وقوع حرب، شكّك بعضنا آنذاك في اندلاعها، ليقينهم أن التعقل، من جانب أو من آخر، كان لا بد أن يتغلب على لغة العنف والسلاح! وذهبت أدراج الرياح وساطات القادة السياسيين ومناشدات القادة الروحانيين وصرخات الجماهير في عواصم العالم التي خرجت إلى الشوارع لتنادي: "الإنسان أثمن من البترول"! وكان ما كان!! وسنبقى طويلاً نبحث عن جواب لبعض التساؤلات المحيرة، وسيبقى الجواب يلفه التردد والغموض.

وإذا كان الخاسر الأكبر، في هذه الحرب الهوجاء، شعب العراق، إلا أن الرابحين الحقيقيين كانوا أولئك الذين تركوا جانباً المهاترات السياسية، وراحوا يرون المآسي التي خلفتها لدى "المغلوبين على أمرهم" عنجهية الساسة ولا أباليتهم الباردة وعنادهم الأخرق، سيما حين يعلم جيداً ذوو العقول المستنيرة والقلوب المرهفة أن القرارات التعسفية التي أصدرتها الأمم المتحدة بحق العراق، والإجراءات العقابية -وفي مقدمتها الحصار الاقتصادي- التي نفذتها وتنفذها بحق شعب العراق، لا تنال بالتالي إلا من شعب أعزل لا حول له ولا قوة، وبخاصة من تلك الشريحة الكبيرة المتمثلة بالفقراء والمعدمين والشيوخ والأطفال والمرضى وكل المعوزين إلى القوت والكسوة... وفوق كل ذلك إلى الحب والحنان والرعاية والرحمة!!

في ميلاد هذا العام نحن بإزاء جمهور غفير من المعوزين الذين مستهم الحرب في كرامتهم وعزتهم وإبائهم ورخائهم وطمأنينتهم، هم الذين لم يسبق لهم أن جاعوا كما جاعوا اليوم إلى القوت الكفاف، ولم يتعلموا يوما أن يبسطوا يدهم كما بسطوها ويبسطونها اليوم، ولم يعانوا في ما مضى كما يعانون اليوم من "ضيق ذات اليد" من انحسار سبل الكسب وفوضى الأسعار وشحة المواد أو غلائها الفاحش الخ... وكَم انتصبت أمامي صورة يسوع بإزاء الجموع التي أدركها المساء وهي تصغي

إلى كلام المعلم، وكيف أمر تلاميذه قائلاً: "أعطوهم انتم ليأكلوا"! وهو يعلم أن رصيدهم من الغذاء خمسة أرغفة وسمكتان! (متى ١٤: ١٦). فإزاء الحاجات الماسة التي تنتصب أمامنا وتكتنفنا من كل جانب، لا بدَّ لنا من عيون تبصر وترأف، وآذان ترهف السمع وتجيب، وقلوب تعطي قبل الأيدي... وإزاء النداءات الملحة والملزمة التي تتوجه إلينا من كل صوب إلى النجدة والإغاثة، حذار من أن تكون ردات فعلنا شبيهة بردات فعل التلاميذ: من أين لنا في هذا القفر خبز يشبع مثل هذا الجمع؟! (متى ١٥ :٣٢).

نحن عاجزون ولا شك عن سد كل الثغرات التي فتحتها شناعة الحرب وفظاعتها، وليس بغريب أن ينتابنا إحساس عميق بالصغر والضعف وعدم المقدرة، ونحن نلمس عن كثب ما خلفته الحرب من مآس وويلات تعجز عن معالجتها مؤسسات برمتها، وما خلفته من أزمات، وعلى أكثر من صعيد، لا تقوى دول برمتها على حلها... ذلك لأن الحل لا يقوم في كثرة الموارد والمواد والإعانات التي توضع في خدمة الحاجات التي لا تحصى، وإنما هو، أولاً وآخراً، في ذلك التيار العارم من الحب والتضامن والاقتسام الذي يجتاح ذوي القلوب الكبيرة الذين، بدافع الشركة، يَهُبّون إلى حيث الحاجات، وسرعان ما تتسع القلوب على قدر اتساع الحاجات! أليس بروح التضامن والشركة دعا بولس الرسول كنائس مقدونية إلى نجدة كنيسة أورشليم (٢قورنتس ٨)؟ أوليس بهذا الروح عينه تحركت كنائس العالم لنجدة شعب العراق؟ وتحركت كنائسنا، جماعات وأفراداً، إلى خلق مبادرات خيرة لإغاثة المنكوبين والوقوف إلى جانب الذين هم في عوز أو فاقة؟

فان نقول: من أين لنا خبز يشبع هذا الجمع، مع يقيننا بالعجز عن سد الحاجات التي لا حد لها، فمن شان هذا اليقين ذاته أن يحملنا على ألا نقف مكتوفي الأيدي، فنمتثل أمر المعلم: "أعطوهم أنتم ليأكلوا"! وما أن بدأنا بالعطاء، فستحدث المعجزة، بقوة تيار الحب الذي إذا ما اجتاح الإنسان حوّله إلى صانع معجزات! وسيولد العطاء عطاءات كثيرة تسد الحاجات وتفيض!! وَلَكم سيصبح العطاء أكثر غبطة من الأخذ"... وَلَكم سيخلق من التنافس في السخاء... وَلَكم سيتخذ من أشكال: من استضافة معوزين، إلى مقاسمة ثياب، إلى حرمان بروح التضامن من مباهج

مشروعة الخ... ولَكَم سينبت من مشاعر الشكر والفرح لدى الآخذين والمعطين...

ليس من قبيل المغالاة إذا قلنا بان الظروف المعاشية القاسية التي يمر بها شعبنا، تحت وطأة الحصار الاقتصادي المفروض، كانت لنا فرصة للاهتداء أو العودة إلى إنجيل الحب والشركة والاقتسام، وقد أدركنا جيدا أن الحب الذي نحن مطالَبون به تجاه الله، هو بالتالي أن "نكسر خبزنا" مع الجائع ونروي العطشان ونكسو العريان ونأوي الغريب، ونحمل الرجاء لليائس والفرح للكئيب والسند للمقهور والمظلوم والدعم للمنكوب أو المتضرر والرعاية لليتيم والأرملة... أَلَيست المحبة والشركة ميزة الجماعة المسيحية الأولى: "... وكان كل شيء مشتركا فيما بينهم... ولم يكن فيهم محتاج" (أعمال ٤: ٣٢)؟ أوَلَيس الإنجيل كله موجزاً في محبة قادرة على اقتسام لا يعرف الحواجز والحدود والفوارق؟

إن ميلاد ١٩٩١ هو ميلاد ينعشه تيار الشركة والاقتسام في أعقاب حرب ذهبت بأيام الرغد والرخاء... أوَلَيس الميلاد في جوهره اقتساماً مع كل الذين سكن يسوع فيما بينهم، ومر بهم يصنع الخير...؟ أوَلَيس هذا الميلاد بالتالي هو الميلاد الحقيقي، طالما انه استطاع أن يلدنا للحب الذي هو شركة واقتسام؟ فنحن في الميلاد: عندما نسقي عطشان كاس ماء... عندما نكسي عريان ثوب حب... عندما نكفكف الدموع في العيون... عندما نفرش القلوب بالرجاء...!

فليكن لنا ميلاد هذا العام ميلاداً نقتسم فيه "الخبز والملح" مع كل المعوزين إلى القوت والكسوة... ولاسيما إلى الحب والحنان!

الموصل في ١ كانون الأول ١٩٩١

١٩٩٢

إلهنا ... إله الحرية

سنة كاملة مضت على حرب بشعة شنتها على العراق ٣٣ دولة سارت في ركاب الولايات المتحدة، فأضفت على هيمنتها المقيتة "شرعية" سيبقى العالم كله، لفترة طويلة، يعاني من أخطارها ومساوئها... ألَم يتحجم دور العديد من الدول، فلم يعد لها صوت؟ ألَم تتحول شعوبها إلى خراف، وأصبح قادتها أقزاماً؟!

لقد كان العراق طيلة عام ١٩٩١ وما يزال هدفاً لأبشع مخطط، نفذه بشعبه الأبي التحالف الدولي الذي كان له ولا يزال في المنطقة مطامع ومصالح لا تحصى... وسيبقى هذا العام الذي طويناه عاماً مطبوعاً بالويلات والمآسي والإفرازات التي تمخضت بها الحرب، وفي مقدمتها اهتزاز الوضع الأمني وهبوط العملة والغلاء الفاحش والبطالة والفقر والجوع، وتدنّي الأخلاق في مسالك الغش والمضاربة والجشع والابتزاز والانحراف والجريمة... وفقدان قيم العدل والمساواة، وضياع مُثُل الحق والعزة والكرامة...

في عشية العام الجديد، انتصبت أمامنا مشاهد الألم والبؤس هذه، وكل المعانيات النفسية والجسدية التي كنا لها شهوداً أو ضحايا؛ وَلَكَم تساءلنا في سرنا: لماذا يبقى الأشرار ينعمون بالطمأنينة وكل الخيرات، بينما الأبرار تصيبهم النوائب والبلايا؟ ولماذا يبدو الشر منتصراً أبداً؟ ومتى يوضع حد للظلم والطغيان والفساد؟ هذه الشكوى وهذه التساؤلات، سبق لأيوب البار أن طرحها على إلهه، ولم يسمع لها جواباً إلا في إيمان عميق وثقة راسخة وحب صامد لم ينحنِ أمام الصعوبات، ولم تُثنِهِ المصائب عن الأمانة لذاك الإله الذي اسمه "الحب"! أوَليست الصعوبات والمصائب محكاً للإيمان والمحبة والرجاء؟ ولكن

حذار من تلك النغمة المخدرة التي تضحي التجارب بموجبها امتحاناً قاسياً يختبر فيه الله محبتنا! وقد سبق القديس يعقوب، أول أسقف لأورشليم، أن كتب: "لا يقولن احد إذا ما جُرِّب، إنما الله يجربني، فان الله غير مجرِّب بالشرور، وهو لا يجرب أحداً..."¹ فعوضاً عن أن نلصق بالله المحن والكوارث والحروب التي تحل بنا، أو ننسب إليه المعضلات والمآسي والشرور التي تصيبنا -والله براء منها، لأنه الخير المطلق الذي "من لدنه تهبط كل عطية صالحة" (يعقوب ١: ١٧)- علينا بالأولى أن نبحث عنها في أعماق الإنسان، حيث تجد "الشهوة"، بأشكالها، مكانا لها! دون أن نغفل دور القوانين الطبيعية في الكثير من هذه الكوارث والشرور... وإلا فكيف يُعقَل أن يمتحننا الله بقسوة بلغت حداً لا يطاق، تمثلت في تلك المآسي البشعة التي نُسجت منها أيام العام المنصرم، بدءًا بالقصف الجوي الشرس والجائر... وانتهاء بالأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية والنفسية...

ولَكَم اتجهت أيادينا، طيلة العام، في شبة صلاة يائسة وثقة مهزوزة وشعور عميق بالعجز، إلى ذاك الإله الذي شوهت مفاهيمُنا الخاطئة وجهَه المشرق، فحوّلته من اله كله حب وحنان ورحمة وأمانة وحق وحرية وعدل واستقامة، مع قدرة وصبر وطول أناة ورأفة... إلى اله متعال ومخيف ومنتقم، يبعث من التجارب أثقلها ومن العقوبات أقساها، ويسخِّر الأشرار في تنفيذ "أقداره" على بني البشر، فيزيدونهم شقاء وبؤساً، ويزدادون هم ثراء وخبثا وعنجهية! -وغني عن القول أن بوسع هذا المنطق الأخرق أن يذهب بنا إلى أن نحمِّل الله مسؤولية شرورنا وانحرافاتنا وكل تجاوزاتنا! وهكذا نصبح مجردين من الحرية، وبمأمن عن كل مسؤولية!! وحينذاك أي معنى يبقى لإنسانيتنا؟!

ها نحن في قلب معضلة فلسفية لاهوتية عويصة أسالت الكثير من الحبر على مر الأجيال، بشأن الحد الفاصل بين إرادة الله وحرية الإنسان! معضلة لن تجد لها جواباً شافياً إلا في إيمان مستنير يدرك أن إلهنا هو غير الإله الذي طالما تخيلناه -سبحانه- "شرطياً" متربصاً بالإنسان، أو "حاكماً" لا يني يدين ويفرض العقوبات! بينما هو اله عجيب، مذهل، محيِّر، اسمه الحب -الله محبة- وأن السير وراءه هو

أشبه بمغامرة، وما أجملها مغامرة! ففي بدء هذا العام الجديد، حري بنا أن نقف وقفة إيمان ملؤها الحب والرجاء، تجاه هذه الإله الذي آن لنا أن ندرك انه "عمانوئيل" -الله معنا- وان له وجهاً بشرياً تجلى في يسوع "الابن الوحيد في حضن الآب" الذي أخبر عنه! إلا ان إلهنا هذا سيبقى محيرا وبعيدا، إن نحن أردنا أن نحصره في قوالب منطقنا، أو أن نحجّمه على قياس قامتنا، أو أن نحشره في تفاهاتنا وصغاراتنا! وسنبقى نحن أيضا حائرين إزاء التناقضات الكثيرة التي تسد علينا كل محاولة للفهم أو الإدراك:

- انه الحب... وها هو يدعنا نتعرض للتناسي والخيانة والتخلي!
- انه الوجود... ونخاله غائبا أبداً، ونعجز عن رؤيته أو سماعه أو لمسه!
- انه القداسة... وها أن الأرض مليئة بالأشرار -ويبدون أحسن حظاً!
- انه العدالة... وها هو يترك الظالمين يقترفون من المظالم أشكالاً!
- انه السلام... فكيف يسمح أن ننساق إلى الحروب ليفني بعضنا بعضاً!
- انه السعادة... ولا نني نتجرع شتى الآلام ونتعرض للموت البطيء!
- انه الرحمة... ونتناسى بأن المعوزين إلى الحب والحنان هم أدلاؤنا إليه!

وما كل هذه التناقضات إلا دليل على ان إلهنا هو، أولا وآخراً، اله الحرية الذي خلقنا أحراراً ولا يني يحترم حريتنا، ويدعونا إلى أن نوطد أسسها في الأرض كي تصبح جديرة بسكنى الإنسان، ويصبح الإنسان جديراً بإنسانيته وبنوته لإله الحرية...

هذا السؤال الخطير في الحرية، نطرحه في ذكرى العدوان الثلاثيني على العراق، وكلنا أمل أن تتوقف كل أشكال الضيق والحصار والحرب والبلاء والعنف والقمع... فتشرق على أبناء العراق شمس الحرية، بقوة الرجاء بذاك الذي استطاع أن يقول دوماً: "إذا حرركم الابن صرتم أحراراً بالحقيقة"!

الموصل في ١٧ كانون الأول ١٩٩٢

... وانفتحت أعينهما وعرفاه

إن رواية تلميذي عماوس هي أروع ما خلفته ريشة لوقا الإنجيلي! ولعلها تحتل المكانة الأولى بين سائر الروايات الإنجيلية عن قيامة المسيح، سواء كانت روايات "القبر المفتوح" أم روايات "التراثيات" للأحد عشر... وتكمن عذوبة هذه الرواية في كون لوقا أبى إلا أن يشركنا في الفرح الذي اختبره الرسل بقيامة الرب، وذلك عبر مسيرة إيمانية يتعرض خلالها رجاؤنا -كما تعرض رجاء التلميذين- لخيبات أمل، قبل أن نبلغ إلى الاكتشاف العميق الذي بوسع الروح أن يوصلنا إليه، شريطة أن نستمر في البحث، ببساطة وانفتاح، ونكون مستعدين للتخلي عن مفاهيمنا متى ما انكشفت لنا مقاصد الله وتجلى لنا وحيه... ذلك لأن قيامة يسوع من بين الأموات هي وحي تلقاه الرسل وعاشوه في الإيمان، وهي بالتالي حدث لا يقوم على البرهان المادي -فلا القبر الفارغ ولا التراثيات تشكل برهاناً قاطعاً!-، وإنما يستند إلى خبرة إيمانية كان لها وما يزال "شهود"...

وتحتل رواية تلميذي عماوس مكان القلب من الفصل ٢٤ الذي يعرض فيه لوقا حدث القيامة عبر لوحات ثلاث، في إطار يوم فصحي واحد طويل، يبدأ برواية "القبر المفتوح" فجر الأحد، وينتهي "بالرفع" أو الصعود، تتوسطه لوحة التلميذين العائدين إلى عماوس... وتقترن بها لوحة التراثي لهما وللأحد عشر المجتمعين في أورشليم! وسيكون من النافل أن نبحث في هذه اللوحات الثلاث عن تحقيق مباشر -ولوقا يكتب إنجيله في الأعوام ٨٠ إلى ٩٠، أي بعد القيامة بحوالي ٥٠ إلى ٦٠ عاماً- أو عن تتابع زمني للأحداث، بينما هي في الواقع شهادة حية لخبرة إيمانية عميقة ترتكز على "معرفة" يسوع الناهض من بين الأموات، معرفة ستتحول تدريجياً من رجاء ميت إلى إيمان حي بذاك الذي كان ولا يزال حياً وسط جماعته. أليس إلى مثل هذا الإيمان وجه

الملاكان بحث النساء عن "جثة"، حين قالا لهن: "لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات:"؟ أليس إلى مثل هذه الخبرة الإيمانية نحن مدعوون، كل مرة نجتمع "لكسر الخبز"، أو ننكب على قراءة الأسفار المقدسة، أو نلتقي "الغريب" الذي يختفي وراءه الرب -وكثيراً ما "تتحجب أعيننا عن معرفته"؟! أوليس إغفال لوقا عن ذكر اسم التلميذ الآخر، مع قليوفا، دعوة إلى أن نأخذ مكانه، في مسيرة إيمانية شاقة تبلغ بنا بالتالي إلى "معرفة" يسوع الحي، وإلى رؤيته بعيون الإيمان والحب...؟

لقد كان لقليوفا ورفيقه "المجهول" فكرة عن يسوع، سرعان ما خيبها موته على الصليب... ومع ذلك يقدمهما لنا لوقا "يتباحثان ويتجادلان"، لعلهما يجدان معنى لحدث يسوع الناصري "النبي المقتدر بالقول والعمل"... وحين يلحق بهما يسوع على الطريق، لم يعرفاه، لأنهما ظلا سجينَي مفهوم عن المسيح لا يلتقي مع ما لقيه يسوع من آلام، وذلك بالرغم من علمهما بأن نساء وبعض التلاميذ تحققوا من "القبر الفارغ"! فكان على يسوع، لا أن يحولهما عن الرجاء الذي وضعاه فيه، "... وكنا نرجو..."، وإنما أن يضفي على هذا الرجاء معنى، "بتفسيره ما يختص به في الكتب"، فيدركان أنه "كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام فيدخل إلى مجده"، ويستذكران ما أحدثه المسيح الناهض في أعماقهما: "أما كان قلبنا متقدا في صدرنا حين كان يحدثنا في الطريق ويفسر لنا الكتب؟".

إن قيامة يسوع من بين الأموات هي الحدث المؤسس لإيماننا، وهي في الصميم من كل توجهاتنا الروحية والمسلكية والرسولية... وسيبقى السؤال المهم الذي يجب علينا أن نطرحه: ماذا نعني حين نعلن أن "المسيح قام"؟ وسيكون بوسع الجواب الذي نعطيه أن يغير نظرتنا إلى أنفسنا وإلى العالم والتاريخ... فحين نعلن أن المسيح قام، فإنما نقوم بفعل إيمان مفاده ان يسوع الذي بدا موته على الصليب فشلاً ذريعاً، قد وقف الله إلى جانبه وأعطى لموته معنى، إذ "أقامه من بين الأموات" و"رفعه بيمينه" و"ادخله في المجد"... وهكذا ندرك بأن ملك الله قد حل بين الناس بقيامة يسوع من بين الأموات، ودُشِّنَ عالم جديد أصبحت فيه الحياة أقوى من الموت، وفيه اتخذ الوجود البشري معنى جديداً، طالما

أن الموت في المسيح لم يعد نهاية قاتمة للحياة، وإنما بدء حياة جديدة وعربون حياة أفضل! ذلك لان الذي أقام يسوع من بين الأموات قد "أحيانا معه وأقامنا معه وأجلسنا معه" (أفسس ٢: ٥).

فقيامة المسيح علامة لنا بأن كل شيء قد تم، واننا أصبحنا في نهاية التاريخ، طالما أن يسوع يجسد في ذاته حياة بشرية ناجحة كما حلم بها الله في بدء الخليقة... إلا أن كل شيء ما زال قيد التحقيق، لأن ما تم بيسوع يحثنا إلى العمل على تغيير مجرى التاريخ، بقوة ذاك الرجاء الذي زرعته القيامة فينا. وهكذا يصبح الإيمان بقيامة المسيح مشروعا دائما للرجاء الذي يعطي للحياة كل معانيها، وللنضال من اجل حياة أفضل كل أبعاده، ويجعل الثقة بمستقبل أكثر إشراقاً للإنسانية أمراً ممكناً!

فإلى مثل هذا الأمل بعالم جديد يستتب فيه سلام دائم، وإلى مثل هذه الثقة بإمكانات الإنسانية في الارتقاء نحو مزيد من الحب والحياة، وإلى الشهادة لمثل هذا الرجاء الذي أنبتته فينا قيامة المسيح من بين الأموات، نحن مدعوون!

قام المسيح... حقاً قام! فليشرق نور قيامته على كل الجالسين في الظلمة وظلال الموت!

الموصل في ٣ نيسان ١٩٩٢

الكنيسة التي أؤمن بها...

الأمور التي يؤمن بها الإنسان ويمنحها كل ثقته وولائه، قليلة بالنسبة إلى تلك التي لا يوليها سوى قدر محدود من الحب والثقة! ذلك لان للإنسان، بالرغم من مزاجه وتأرجحاتِه، قدرة على التمييز بين الأساسي والثانوي، بين الجوهري والعرضي، فضلاً عن قابلية على التنسيق والتوحيد بين مختلف الحقائق والقيم والمبادئ والآراء... يجسد منها ما له صلة وثيقة بالحياة، ويتفاعل مع ما يحمله منها على العيش في وحدة الذات، بعيداً عن التقلب والرياء. ولا شك أن هذه النزعة إلى الوحدة، في الفكر والروح والعيش والممارسة، هي الصفة التي يتسم بها كل امرئ نزيه، مخلص، مستقيم... وهي ذاتها تجعل من المؤمن إنساناً صادقا مع ذاته ومع الآخرين، وبالتالي مع الله! أوليست تلك ميزة المسيحي بنوع خاص، وهو الذي أدرك جيدا أن الأولوية في ملكوت الله هي "لمن يسمع كلام السيد ويعمل به"، وعلم يقينا أن "من فيضان ما في القلب يتكلم اللسان"!

في ضوء هذه الصفة المميزة للمسيحي، قادتني مشاهداتي لأوجه عديدة في كنيستي، ودفعتني أحاديث متشعبة -بعضها ذو شجون- مع مؤمني كنيستي، في القمة والقاعدة، وحملتني توجهات مختلفة في كنيستي، من أكثرها تحفظا وحذرا إلى أكثرها انفتاحا وجرأة... إلى أن استعير لسان من هم في القاعدة من كنيستي، غير أن عيونهم شاخصة أبدا إلى فوق، وما زالوا يحلمون بكنيسة حية يدفع بها الروح القدس إلى منابع النور والخصب، كنيسة "عروس" كالتي رسم بولس ملامحها: "كنيسة سَنِيّة، لا دنس فيها ولا تغضّن ولا ما أشبه ذلك، بل مقدسة بلا عيب".

ففي أجواء العنصرة، ومن وحي رؤيا يوحنا الذي دعا الكنائس السبع إلى "أن تسمع ما يقوله الروح" لها، اطرح، من هذا المنبر، تصورات مؤمن ملتزم للكنيسة كما يراها، وانا على يقين من أن حبه لكنيسته وتعلقه البنوي بها أمليا عليه ما يؤمن وما لا يؤمن به:

- لا أؤمن بكنيسة تتحالف مع ذوي الجاه والمال والسلطة... فتتواطأ مع الأقوياء وتنحني أمام الظالمين وتساير ذوي الثروة، بعلم أو بغير علم... وسرعان ما يخفت صوتها عن كلمة الحق، ولا تجرؤ على الوقوف إلى جانب الفقراء والمظلومين والمقهورين...

* أؤمن بكنيسة زجها الروح يوم العنصرة نحو العالم، لتذهب فتبحث، في كل مكان، وفي كل أمة وشعب، عن "المخلصين"... لا بكنيسة "قسطنطينية" أخرجت من الدياميس وأغدقت عليها الامتيازات، فراحت تبحث عن الجاه والشموخ، متناسية أن الروح لا يفعل إلا في الضعف والفقر والهامشية...
* لا أؤمن بكنيسة تفتقر إلى وسائل الإبلاغ، ولا تخصص لها إلا القليل من أرصدتها لتكرز بالكلمة، "في وقته وفي غير وقته... وبكل أساليب التعليم"؛ وكان عليها أن تحرص، عبر كافة وسائل النشر، أن تتوجه إلى شرائح مختلفة من المؤمنين، تحمل إليهم النور والحب، الفائدة والمتعة...
* أؤمن بكنيسة لا تستحي أن تؤدي الشهادة لربها أمام "من يطلب منها دليلا لما هي عليه من الرجاء"، وتسعى بكل طاقاتها وإمكاناتها إلى أن تجعل من قضية الإنجيل أولى الأولويات، وتتخذ من معلمها -"وكان يعمل ويعلم"- مثالا لشهادتها ورسالتها في كل مكان...
* لا أؤمن بكنيسة يهتم قادتها، بالبناء الشامخ تخليداً للذكرى، وبالسهر على الطقوس بدقة حتى الوسواس، وبتسيير دفة الأمور بحزم حتى القمع... وقد يتناسون أنهم، أولا وآخرا، خدام الكلمة وبُناة الروح، ورعاة يسيرون بشعبهم إلى المراعي الخصيبة حيث الحرية والفرح...
* أؤمن بكنيسة تعيش ما تبشر، فلا يكون الإيمان مجموعة حقائق لا صلة لها بالحياة، أو قناعات لا تتجسد في الواقع اليومي... ولا تكون المحبة كلمة على لسانها، وإنما خبزاً وماء وثوبا... تتقاسمه مع الجياع والعطاش والعراة... وسرعان ما يصبح نورا ونبعا ودفءا!...
* لا أؤمن بكنيسة تقف بالمرصاد تجاه حركات وسكنات أبنائها المؤمنين، أو تمارس وصاية مشددة عليهم بحيث لا تدع الروح يتكلم ويعمل... متناسية أنها أعطيت أن "تسمع ما يقوله الروح للكنائس" عبر الكلمة النبوية أو المحاولة الجريئة أو النغمة الشاذة...
* أؤمن بكنيسة لا يفتح كهنتها ومعلموها أفواههم إلا ليقولوا ما يفيد البنيان... فلا يليق أن يرددوا "الحكايات" القديمة العزيزة، عن المسيح والإنجيل والأسرار والوصايا... وكأن علوم اللاهوت والكتاب المقدس والكنيسة قد توقفت عند "تخرجهم"، بل يترتب عليهم أن يغرفوا منها ما يجيب إلى التساؤلات الجوهرية لبني جيلنا...

ففي زمن العنصرة تتجه أنظارنا وتلتهب قلوبنا وترتفع أيادينا لاستمطار "عنصرة" جديدة لكنيستنا، يَهُبّ فيها الروح، كما سبق ليوئيل النبي أن قال واستشهد بطرس بنبوءته: "... أفيض من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبانكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاما...". ألا تحولت الأحلام إلى حقيقة!

الموصل في ٢٤ أيار ١٩٩٢

الاوخارستيا ... خبز مكسور للجائعين

عدد خاص

"افخاريستو"! يقولها اليونانيون للتعبير عن شكرهم، تماما كما نقول نحن "شكرا"! فمهما سُمّيَ "عشاء الرب"، في الجماعات المسيحية، عبر الأجيال، فستبقى "الاوخارستيا" الاسم الذي يعبر بالأكثر عن معناه، طالما أننا فيه نرفع فعل شكر لله بيسوع المسيح.

ولكن ما معنى أن يكون عشاء الرب "اوخارستيا"، أي فعل شكر وبركة؟ وللإجابة إلى هذا السؤال، نعود إلى شعب العهد القديم الذي كان يؤدي صلاة "البركة"، مضمنًا إياها شكره العميق لله على أعماله وعطاياه، وفي قمتها الحدث الذي جعل منه شعباً مفتدى ومفتنى: حدث الفصح. ولَكَم اتخذت هذه البركة بعدا في العشاء الفصحي، حين كان يذبح الحمل تخليدا لذكرى الخروج، وما كانت تنبته من مشاعر التسبيح والحمد والحب والوفاء... وهكذا اتخذت "بركة" يسوع في العشاء الأخير صفة فعل شكر رفعه إلى أبيه، هو الذي، أمانة لحبه، ارتضى أن يبذل حياته من أجل خاصته "الذين أحبهم حتى النهاية"! فلا عجب من ثم أن يصبح الاحتفال بعشاء الرب أعظم فعل شكر يرفعه المؤمنون، باسم يسوع، للآب الذي أعطاهم ابنه، ومن ثم ليسوع نفسه الذي أعطاهم حياته... ولا عجب أن يصبح بالتالي إحياء لذكرى موت المسيح وقيامته، طالما أن موت يسوع -حمل الله- كان علامة تحرير وفداء، وطالما أن قيامته كانت بمثابة "فصح" جديد وعربون رجاء بافتتاح عالم جديد...

كان الاحتفال بالاوخارستيا قد تأصل في قلب الجماعات المسيحية واتخذ المكانة الرئيسة في اجتماعاتها، قبل أن نحصل على

نصوص تروي العشاء الأخير، مبرزة أفعالاً أربعة: اخذ وشكر وكسر وناول! ولا شك أن حركة "كسر الخبز" تدل على العطاء والاقتسام، وهي الحركة النبوية التي توحي بالمقاسمة وبذل الذات. كما أن حركة "المناولة"، مع الكلمات السرية المرافقة "هذا جسدي... هذا دمي للعهد الجديد"، هي استباق لعطية يسوع الذي سيكون موته ذبيحة واستشهاداً، في الشكر والأمانة للآب، وفي الحب والبذل حتى الموت من اجل إخوته. ولذا، فمنذ عهد مبكر من تاريخ الكنيسة، رأى المؤمنون في الاحتفال بتكرار هذه الأفعال والكلمات، علامة واقعية وملموسة لحضور المسيح الحي في وسطهم: "كأس البركة التي نباركها، أليست شركة في دم المسيح؟ والخبز الذي نكسره، أليس شركة في جسد المسيح؟" (١ قورنتس١٠: ١٦).

وحين كان المسيحيون الأولون يحتفلون بعشاء الرب، كانت هناك أربعة أفعال تنسج لقاءهم الاوخارستي: "وكانوا مواظبين على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أعمال ٢: ٤٢)، ذلك لأنهم، في الإيمان، وعبر هذه الأفعال، كان يتم لقاؤهم بيسوع الحي الناهض من بين الأموات... هم الذين كانوا يرون في قراءة الكتب المقدسة، على ضوء قيامة يسوع، ما يدلهم على أن يسوع هو "المسيح الرب"، وان ملكوت الله قد حل به. كما انهم كانوا على يقين من أن "كسر الخبز" ورفع "الصلوات" إلى الله، باسم يسوع، لا يجدان كل غناهما إلا عبر "شركة" عميقة في ما بينهم، تقوم على قيم الحب والمصالحة والتعاون والتضامن الخ... وهكذا سرعان ما فهموا مدلول معجزات تكثير الخبز، وأدركوا ماذا كانت تعني كلمة يسوع: "أعطوهم أنتم ليأكلوا" (الازائيون)، أو كلمته الأخرى: "اجمعوا ما فضَلَ من الكسر لئلا يضيع شيء" (يوحنا)!

وسرعان ما أيقنوا أن المحبة تعني الخدمة على مثال "السيد"، وتعني البذل بكل أوجهه... وان عليها أن تمتد لتشمل البشرية جمعاء! أَليس إلى هذه الخدمة دعا يسوع تلاميذه من خلال علامة "تغسيل الأرجل"، بحيث جعل إنجيل يوحنا هذا الحدث في قلب العشاء الأخير، فأغفل رواية تأسيس الاوخارستيا؟! أَلم يدعُ القديس بولس القورنثيين -وقد تحول لديهم عشاء الرب إلى فوضى وانقسام (١ قورنتس ١١-١٢)- إلى المشاركة الفعلية والتضامن الملموس مع المحتاجين، طالما أن "خبز

الحياة" هو طعام كل الجائعين إلى الخبز وإلى الحب، وطالما أنهم جميعا يؤلفون "جسد المسيح" الواحد؟ ألم يلفت انتباههم إلى كون الجلوس إلى مائدة الرب يفترض، في آن واحد، مشاركة واعية تعرف أن تميز جسد المسيح ودمه، مشاركة في "جسد المسيح" هي أشبه بالتزام تجاه أعضاء هذا الجسد؟

فمن هذه المنطلقات خرجت الاوخارستيا، في عهد مبكر، من نطاق الفعل الطقسي لتصبح عامل محبة ووحدة بين كل المؤمنين بالمسيح، وملتقى إيمانهم الواحد، ومحكا لمحبتهم للمسيح واخوته البشر، وامتحانا لالتزامهم بتجديد العالم في ضوء الإنجيل، ومنطلقا للشهادة لمسيح الحب والأخوة والرجاء...

❖ ❖ ❖

كان لا بدّ لنا -والاوخارستيا هي في القلب من الحياة المسيحية- أن نغامر في الولوج إليها، بما فيها من "سر"، ليس هو خفيا أو مكتوماً بقدر ما هو "علامة" ذات أبعاد ومعان عميقة وملزمة... ونحن على يقين من أننا لن نفيها حقها في عدد مهما تناهى في الحجم، فكيف إن هو لم يتجاوز ٤٨ صفحة؟! ومع ذلك فاننا نعتقد بان محاولتنا، في هذا العدد الخاص المتواضع، ستسهم في إسقاط العديد من المفاهيم التي، إن لم نقل شوهت وجه الاوخارستيا الوضاء، فأقله أنها حجّمت الكثير من معانيها وأبعادها، وتركت في الظل أبرز أسسها ومتطلباتها... فان وُفّقنا في ذلك، نرفع "الشكر الجزيل" (أفخاريستو يولي) للكتّاب والقراء معاً، وفوق الكل، للروح القدس الذي به ومعه نقيم الاوخارستيا، وهو ملهمها ومكمّلها!

منجرة في ١٥ آب ١٩٩٢
عيد السيدة

ميلاد الفقراء

في كل ميلاد تتراقص في مخيلتنا طفولة يسوع ممتزجة بذكريات طفولتنا! وإذا كانت ذكريات طفولتنا شاخصة، بكل عذوبتها وعفويتها، فان تصوراتنا لطفولة يسوع قد ترسخت هي الأخرى، بعد أن خُيِّل إلينا طويلا اننا بإزاء أحداث متتالية في الزمن، متناسين أن "روايات" الطفولة هي من قبيل فن أدبي استخدمه الإنجيليان متى ولوقا -ويجب أن نقرأ روايتيهما، كلاً بمفردها، من دون محاولة لصق أو مزج أو توليف- وقد ضمّناه فكراً لاهوتياً عميقاً، يكشف عن هوية هذا الطفل الذي ستجعل منه القيامة من بين الأموات "رباً ومسيحاً"! هو الذي، في ضوء القيامة، قرئت طفولته وحياته كلها، ولاسيما آلامه وموته. فما انكشف من صفات يسوع ما بعد القيامة، أُضفي على طفولة يسوع ما قبل القيامة! بحيث استطاع متى أن يجعل من يسوع "عمانوئيل" (الله معنا)، واستطاع لوقا أن يجعل منه "المسيح الرب" على لسان الملاك للرعاة! وهكذا تحولت خلاصة الإنجيل من الخاتمة إلى المقدمة، تماما كما يبدأ فيلم بمشهد الخاتمة!

فعوضاً عن أن نجعل من "روايات إنجيل الطفولة" حكايات تقوية ساذجة، علينا أن نتعامل معها تعاملاً يجعلنا نكتشف ما ينطوي عليها من أبعاد لاهوتية وإنسانية وروحية عميقة، ويقيننا أن الإنجيليَين متى ولوقا قدما لنا، في فاتحة إنجيلهما، لاهوتاً لا ينقص أصالة عن اللاهوت الذي عرضه إنجيل يوحنا حين أُفتُتِح بنشيد في "الكلمة" الذي "صار جسدا وسكن في ما بيننا"! وسيبقى المهم بالنسبة لنا "تأوين" البشرى (أن نجعلها حاضرة وآنية) التي يقاسمنا إياها الإنجيليون -وهدفهم أن يقدموا لنا تعليما لا "تاريخا"، أو أقله "تاريخاً" بقلم مؤمنين!- وهذا "التأوين" يتم حين نعتبر أنفسنا معنيين بالبشرى: "... ولد لكم اليوم مخلص...". وهكذا سرعان ما تتحول ذكرى الميلاد إلى نداء،

وسرعان ما يصبح النداء محمّلاً بالمعاني، وسرعان ما تتخذ المعاني شكل التزام، ولا يندر أن يحتل هذا الالتزام الأولوية في التزامات المؤمن...

قراءنا الأحباء

يطل علينا هذا العام -وهو الثالث بعد أزمة الكويت- ونحن نعيش أقسى محنة، من جرى الآثار السلبية التي خلفها التحالف الدولي على العراق، والتي تجسدت، بشكل خاص، في الحصار الاقتصادي الجائر الذي كان له على الشعب العراقي ولا يزال أكثر من وجه!! ولا شك أن أبشع وجه، يتجلى في ظاهرة تلك الألوف من الناس التي أخذت تمد يدها لتستعطي -ولم تكن تعرف ذلك من قبل! أو حين ينام بعضها على الطوى والفاقة، أو يلف بعضها القلق وعدم الاستقرار وغياب الاطمئنان على حياتها وممتلكاتها... فيما يعاني البعض الآخر من الغربة والتشرد والضياع... وقد ذهب يبحث عن الحرية والسلام في أرض بعيدة!! فالسؤال المطروح علينا في ميلاد عام ١٩٩٢ هو: لو وُلِدَ المسيح من جديد -وفي العراق- فهل سنعرفه؟ وهذا السؤال الخطير هو تحدٍ ومحك لإيماننا المسيحي!

ليس من دون قصد كتب لوقا بأن العذراء أضجعت مولودها البكر "في مذود"، لا في القصور! وجعل من الرعاة -وهم في قاعدة السلم الاجتماعي- أول المبشرين بالحدث السار! فقد أراد أن يجعل من ميلاد يسوع بشرى (إنجيلا) لكل الفقراء والمقهورين والمظلومين والهامشيين الخ... فتقول لهم: لتطب نفوسكم... هوذا الله يأتي ليخلصكم... لقد اقترب منكم ملكوت الحق والعدل والحرية والسلام! وبهذا المعنى نفهم التطويبة كما أوردها لوقا: "طوبى لكم أيها المساكين..."، لا بمعنى التخدير والوعد بسماوات بعيدة، وإنما بمعنى الأمل والرجاء بملك الله الآتي، بحيث لن يعود من بعد فقراء! وهكذا ينبغي أن نفهم أيضا معنى "... والمساكين يبشرون"، والمغزى العميق من اختصاص يسوع لنفسه نبوءة اشعيا: "... مسحني لأبشر المساكين...".

وحين نتحقق، بعد ألفي عام، من وجود الفقراء، ومن وجود المظالم التي تخلق الفقر والفقراء، لا ينبغي أن نتسرع في الحكم بفشل رسالة يسوع! وإنما علينا أن نفهم بان يسوع افتتح ملكوت الله، ووكل

إلينا بمهمة بنائه بين الناس! وإذا كان ولا يزال هناك فقراء ومظلومون ومستضعفون الخ... فلأننا نحن لم ننجز المهمة المناطة بنا، بحكم أنانياتنا وانحسار محبتنا وضيق قلوبنا وأيادينا... وتناسينا أن المحبة التي أوصانا بها المسيح هي دليلنا إليه: كنت جائعاً فما أطعمتموني... كنت عريانا فما كسوتموني... كنت بائساً فلم تهرعوا لنجدتي... كنت مظلوما فلم تقفوا إلى جانبي...! أَليست الدينيونة بالتالي تقوم على المحبة؟!

ميلاد ١٩٩٢... ميلاد الفقراء! ففيه ندرك أن للفقر اسما وللجوع اسما وللبؤس والقلق والكآبة وكل الآلام والمعانيات اسما! وهذا الاسم هو يسوع: الله يخلص! وسيكون لهذا الخلاص امتدادا حين نجسّد بين الناس حب يسوع وحنانه ويده وخبزه وثوبه... وأحيانا صراخه وسوطه! أَليس الميلاد في جوهره حباً وعطاء؟ أَوَليس الحب هو أن نكسر خبزنا للجائع ونكسو العريان... نحطم كل نير؟ الا تدوّي في آذاننا رسالة يوحنا الأولى: "من كانت له خيرات الدنيا ورأى بأخيه حاجة، فأغلق أحشاءه دون أخيه، فكيف تقيم فيه محبة الله"؟ أَليست شروط إتباع يسوع بالتالي هي المقاسمة مع المساكين، كما دعي الشاب الغني، وكما فعل زكا العشار؟ أَوَليست هويتنا المسيحية بالتالي تكمن في اكتشاف وجه المسيح في المساكين؟

فليكن هذا الميلاد ميلاد الحب والعطاء... ميلاد الشركة والاقتسام مع كل المعوزين -أيا كان دينهم أو لونهم- فهُم "مساكين الله"، وهم بالتالي ادلاّؤنا إلى طفل بيت لحم!

الموصل في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٢
عيد يسوع الملك

١٩٩٣

لعلها أحلام اليقظة

غالباً ما يحلم الإنسان في رقاده، وقد يحلم بالأكثر في يقظته! وأكثر الأحلام التصاقاً بالواقع هي تلك التي يستسلم لها المرء في "الوقت الضائع"، لدى عودته من العمل، أو حين يكون على قاب قوس من سنة جديدة يستقبلها غافيا لوحده!

لست أعلم تقنية التنويم المغناطيسي، وليست لي خبرة في التحليل النفساني الذي يقال أن المرء يبوح، من خلاله، بمكنونات قلبه! إنما اعلم أن صوراً عديدة مشتتة كانت قد انتصبت في مخيلتي... أهي أضغاث أحلام؟ أهي أحلام حقيقية؟ أهي حقائق في شكل أحلام -تلك التي يسمونها "أحلام اليقظة"؟ لست أعلم، إنما أعلم فقط أني استطعت أن أحفظها وأسجلها على الفور عشية العام الجديد!

- وجدتني في صالة دائرة حكومية لم أتبين اسمها، وشاهدت أن غمزات الناس كانت أكثر من كلامهم الصريح، وان الابتسامات التي تخفي أسرارا كانت أكثر من الابتسامات البريئة... وأدركت من ثم أن هناك شبكة من العلاقات تقوم على المصالح المتبادلة التي هيهات أن يكون للحق والعدل والاستقامة فيها مكان! وحينذاك فهمت ماذا يعني "الفساد" وكم يصعب استئصاله، بعد أن يكون قد تغلغل في التعامل بين الناس!

- وإذا بي في ممر طويل، مصطفاً خلف طابور من المعوزين إلى المواد الغذائية المخصصة للعوائل الفقيرة والمعدمة... فقلت في سري: انها الحاجة تخلق المعوزين... ولكني خشيت في الوقت ذاته أن يتحول "الشباعى" إلى صف "المحتاجين"، فتذهب العزة

والكرامة والصدق في إجازة... وتتقلص بالتالي حصة "الجياع" الحقيقيين!

* بعدئذ وجدتني بين حشد في كنيسة كبيرة لم أعرفها، وسمعت المحتفل بالقداس يفسر مثل "الغني ولعازر" قائلاً: لا تخف أيها الفقير المسكين، فإن فقرك في هذه الفانية -إذا تحملته بخضوع لإرادة الله- سينقلب في العالم الآتي إلى غنى... اصبر على المحنة حتى تنال المكافأة في أحضان إبراهيم...! وتمردت في داخلي لهذا التشويه الملحَق بمثل الإنجيل، وهو يهدف أصلاً إلى إخراج الغني من أنانيته ولامبالاته، ليعود فيرى في لعازر المسكين إنساناً يجب أن يتقاسم وإياه خبز المحبة والشركة. وتساءلت: ألا يكفي من تكرار الحكايات المخدرة التي تحجُم نصوص الإنجيل وتخفي أبعادها العميقة؟!

* ووجدت نفسي من ثم في مجلس بطاركة وأساقفة تعلو رؤوسهم قلنسوات متنوعة، وقد انقسموا إلى فريقين حيال موضوع "إلزام النساء بغطاء الرأس" واسلوب "التناول باليد"، إلى غير ذلك من الشؤون الراعوية... وجلت بنظري، فإذا بأكثر من نصفهم قد تجاوز السبعين! فتمنيت في سري أن يُحدَّد عمر الأسقف الجديد بين ٣٠-٥٠، وألا تتجاوز خدمته ٢٠ سنة! وسرعان ما أحسست بالتدخل في ما لا يعنيني!

* وفي حفلة عرس فخمة، وجدت على مائدة تضم مجموعة من الأثرياء كانوا يتبارون في الحديث عن حفلات زفاف سابقة ومقبلة... وسمعت إحداهن تقول أن عريس ابنتها قدم كيلوغراماً من الذهب! وأخرى تصرّح بأن "الغرفة" وحدها كلفت مئة ألف دينار! فيما كان أحدهم يمنّي النفس، في عرس ابنه، بدعوة كل البطاركة والأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات في البلد! فأطرقت متسائلا في نفسي: وماذا من أولئك الشباب الذين لا يسعهم أن يقدموا لعروستهم سوى "خاتم الخطبة" ودجاجة -عوض الخروف- تذبح عند أقدامها يوم الزفاف؟!

* وفي مقهى للشباب، سمعت شباباً في زاوية يتباحثون بسرية في "مشروع قتل" تلك التي لطخت سمعة أسرتها وقريتها... وفيما كنت أتسمّع مخططاتهم تساءلت: أليس هناك من حل لمثل هذه المشكلة؟ وهل تلك هي أنجع السبل لمواجهة قضية التحصن والدفاع عن الذات...؟

* وفجأة وُجدتُ مؤتمنا" على "أسرار" أفصح بها إليّ كاهن لم يعد قادرا على الصمت، فقال في ما قال: غريب هو وضع كنيستنا! فنحن لا نكف نعلن أن الكنيسة هي شعب الله، ولا ننى نرفض مشاركة المؤمنين في تشخيص المعضلات الهامة ومعالجتها، ونتعامل معهم وكأنهم "خراف" عليهم أن يمتثلوا أوامر "الرعاة"... والأغرب من ذلك أننا نحن معشر الكهنة لم يعد لنا صوت في دراسة المعضلات وصنع القرار، وكأنه كُتِبَ علينا أن نبقى "قاصرين" أبدا، فمنفذين دوماً... وبخلافه نُعَدّ "متمردين" لا شفاء لهم!

* ووجدتني أخيرا في عداد لجنة خيرية تجمع للمعوزين معونات مادية وعينية، وبضمنها ملابس مستعملة... وكان لنا قصة مع غني بخيل وفقير سخي. قال الأول: هل يوجد بعدُ فقراء إلى حد الجوع؟ أوَليس معظمهم من الكسالى الذين يأنفون العمل؟ ولماذا لا تباع أوقاف الكنائس وتوزع على المساكين؟... إليكم هذا الحذاء، وقد خدمني أعواماً كثيرة!! وقال الآخر: الفقير وحده يدرك هموم الفقراء... إليكم "يوميتي"، فلا شك أن هناك من هم أفقر مني! حينذاك فتحت عيني، فإذا بي جائع أبحث عن شيء آكله في بدء العام الجديد!

مع تمنياتي لك، قارئي العزيز، بأن تسهم أحلامك وأحلامي في رسم ملامح عام يكون أفضل من الأعوام السابقة الأخيرة!

الموصل في ٣١ كانون الأول ١٩٩٢

قيامة، صعود، عنصرة: حقيقة واحدة !

نحتفل بأعياد القيامة والصعود والعنصرة... ويا للتحجيم الذي نلحقه بها حين نحوِّل هذه الأحداث من مستوى الإيمان إلى مستوى الزمن، فتصبح أحداثا متتالية في الزمن، بينما هي في الواقع أحداث تتجاوز الزمن والتاريخ، طالما أنها أحدثت تغييراً جذرياً في الزمن والتاريخ، وإن تمت في قلب الزمن والتاريخ... ومن هذا المنطلق نكون على جانب كبير من السذاجة إن نحن بحثنا في الإنجيل عن قصة حياة يسوع، منذ الحبل به وحتى موته وقيامته وصعوده، متناسين أن ما دونه الإنجيليون -وهم لاهوتيون أكثر من كونهم روائيين أو مؤرخين- إنما دونوه بعد القيامة بسنوات، وفي ضوء إيمانهم بالقيامة، فأضفوا على الأحداث حصيلة خبرتهم الإيمانية بذاك الذي "أقامه الله وجعله رباً ومسيحاً" (أعمال ٢: ٣٦).

من هنا نفهم أن قيامة المسيح ليست حدثا يضاف إلى أحداث حياة يسوع، وإنما هي "الحدث" الفريد الذي كان وما يزال منعطفا حاسما في تاريخ البشرية الديني، طالما أن القيامة فتحت صفحة جديدة في علاقة الإنسان بالله! إذ جعلت من يسوع القائم من بين الأموات رجاءً وطيدا بعالم جديد وإنسانية جديدة، وفيه تجلت، على حد تعبير الأب شرينتييه، "حياة بشرية ناجحة كما حلم بها الله صباح تكوين الخليقة، أي إنسانا في صفاء تام مع نفسه، متجها في حياته اتجاها كليا نحو الله ونحو الآخرين"!

وإزاء حدث كبير بهذا المقدار من البعد والعمق، ألا ينتابنا الشعور بالخيبة، ونحن نسمع مقولات تحجِّم مضمون القيامة، حين تجعل منها خاتمة لاحداث حياة يسوع، أو معجزة في سلسلة معجزاته، وكأن قيامة لعازر وقيامة يسوع سيان -ويا للبون الشاسع بينهما! والانكى هو حين يردد بعضنا أن ذاك الذي "أقام الموتى، قد "أقام"

نفسه من القبر" في اليوم الثالث" بعد موته!! وقد تذهب السذاجة بالبعض إلى القول بان الذي صلب ومات يوم الجمعة، قام "في ثالث يوم"، ثم "صعد" إلى السماء بعد أربعين يوماً من قيامته، وأرسل الروح القدس بعد عشرة أيام من صعوده، وهو اليوم الخمسون لقيامته!! وهكذا، بوعي أو بغير وعي، نكون قد أغلقنا على حياة يسوع، وأبقينا في الظل ما ينطوي من معان وأبعاد على قيامته المجيدة، وهي مصادقة الله على حياة يسوع وعلى موته بنوع خاص، وهي التي أعطته بالتالي "اسماً يفوق كل الأسماء" (فيلبي ٢:٩-١١)، وجعلته "رباً ومخلصاً"، ومنحته قدرة وسلطاناً وسيادة وربوبية... إذ أدخلته في "مجد الله" وأجلسته "عن يمين الله"... ولم تعد من ثم صفة "الحي"، على مثال الله، تفارق اسمه: يسوع الحي - عيسى الحي-! أليس إلى هذه الحقيقة أشار الملاكان في رواية القيامة بحسب لوقا: لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات؟ أوَليس بحق وضع إنجيل يوحنا على لسان يسوع هذه الكلمات: "أنا القيامة والحياة، من آمن بي، وان مات فسيحيا..."؟ أوَليست القيامة بالتالي في القلب من الافخارستيا: "أنا الخبز الحي... من يأكل من هذا الخبز يحيَ إلى الأبد"؟

فإذا كانت قد علقت في أذهاننا صور متعاقبة لموت يسوع وقيامته وصعوده وحلول روحه، فلأننا أسأنا فهم معنى القيامة التي احتوت على مضمون عميق وخبرة إيمانية بليغة، حاول الرسل والمؤمنون الأولون أن يعبروا عنها بأوجه عديدة وبصيغ مختلفة؛ وقد أوجزها لوقا الإنجيلي في ثلاثة أوجه: فحددها "في اليوم الثالث كما في الكتب"، أي في تمام الأزمنة التي كملت بقيامة المسيح، وجعل من الصعود "ارتفاعاً" و"دخولاً في المجد" (سواء في يوم القيامة بالذات بحسب إنجيله، أم بعد ٤٠ يوماً بحسب أعمال الرسل! والمقصود في كلتا الحالتين أن يسوع أنهى حضوره الزمني ليبدأ حضوره الكوني الشامل، وان على التلاميذ أن يواصلوا رسالته، وقد أعدهم لها)، وجعل من العنصرة "في اليوم الخمسين" (وهو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بتجديد عهد سيناء) تجلياً لمجد يسوع الذي "نال من الآب الروح القدس الموعود به فأفاضه" (أعمال ٢: ٣٣) على الذين سيكونون شهودا لقيامته "حتى أقاصي الأرض". وغني عن القول أن هبة الروح هي علامة الخلاص والغفران اللذين حصلا بقيامة المسيح، وهي الحلقة الأخيرة من مخطط الله

الخلاصي: "... كُتِبَ أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الأمم، ابتداء من أورشليم" (لوقا ٢٤: ٤٦).

قام المسيح... حقاً قام! انه فعل إيمان عميق، وبشرى فرح نحملها للعالم، وتحمّلنا بالتالي مسؤولية توطيد ملكوت الله الذي حل بقيامة يسوع -مسؤولية لن نقوى على القيام بها إلا بروح يسوع الذي سيبقى يعمل فينا ما دمنا شهود القيامة والمحبة. أوَليست الشهادة للقيامة شهادة على المحبة؟ أوَليست الشهادة للمحبة هي في كل أنواع العطاء والبذل والاقتسام والتضامن...؟

قام المسيح... حقاً قام! انه فعل إيمان بلقاء يسوع الحي في شخص إخوته الصغار من الجياع والعطاش والعراة والبائسين والمقهورين والمظلومين... وكل الذين فارقت الابتسامة وجوههم، وانطفأ من عيونهم بريق الأمل! إنها بالتالي صرخة أمل بعالم جديد يعيش فيه كل إنسان بحرية وطمانينة، بعزة وكرامة، بفرح وسلام! عالم جديد يسعى المسيحيون إلى بنائه مع كل ذوي الإرادة الصالحة...

نيسان - حزيران ١٩٩٣

حلم في الظهيرة!

غالباً ما يُفرغ الإنسان، في عمله الأساس، كل قلبه وعقله وحواسه، وقد يلازمه هذا الاهتمام في يقظته ورقاده، في أحاديثه وأحلامه... ذلك هو بنوع خاص شأن الصحافي الذي يجعل من الأحداث خبز نهاره وليله، وهو الذي لا يني يفتح عينيه واسعتين لمراقبة الظواهر والوقائع، فيجعل منها زاداً لقرائه، يلهون به ويستمتعون... وقد يتغذون ويُغذون! ذلك كان شأني حين استسلمت للنوم في ظهيرة من تموز، فوجدتني في إحدى "كازينوات" انيشكي حيث كان الماء ينساب من تحت قدمي، كما كانت الكلمات تنساب من بين أصابعي على ورقة كنت قد كتبت في رأسها "افتتاحية"! ونزولا عند رغبة أولئك الذين طلبوا إلي أن أحلم دوماً، أنقل ما كتبته في حلم الظهيرة: إنها خواطر، من دون ترتيب، ضمتها تلك الورقة التي كان رذاذ الشلال يرشقها بين حين وآخر!

- تسمّعتُ يوماً إلى "درس دين" يلقيه معلم في عمر التقاعد، على طلاب مدرسة ابتدائية تمتعوا بقرار الـ ٢٥٪... وفيما تساءلت: وماذا لو كانت نسبتهم ٢٤٪ فما دون؟ وازدحمت في مخيلتي تساؤلات حول ما يحق أو لا يحق للمواطن بسبب دينه -والتعليم الديني حق للطلبة المسيحيين أسوة بإخوانهم المسلمين. وتوقفت عن استراق السمع لأطرح هذا السؤال من وحي هذه "المشاهدة": هل الدين المسيحي "مادة" تنقل أم شهادة حياة تقاسَم.

- سمعت يوما أحدهم يطرح على ضمير الكنيسة تساؤلا يحمل في طياته تساؤلات جادة: هل يجب بالضرورة أن يكون للكنيسة جواب على كل الأسئلة، في كل الأزمان وكل الظروف ولكلِ الناس، بدءاً بالله والحياة الأبدية، وانتهاء بجهنم والمطهر، مروراً بآلاف الأسئلة حول المواقف الحياتية بشأن الحب والجنس ووسائل

منع الحمل والتلقيح الاصطناعي الخ...؟ أولا يخشى أن تتغلق السلوكية المسيحية في مفاهيم الحلال والحرام على حساب الروح الذي هو وحده يُحيي؟!

- توقفت مشدوها أمام عبارة من رسالة كتبها لي "قارئ لا يريد ذكر اسمه" مفادها: "إلى متى تبقى كنائسنا تؤدي طقوساً أُفرغت من روحها، بسبب عائق اللغة وجمود الحركات وغرابة الرموز..."؟ وقلت في نفسي: انه الصراع الذي لم تُوفّق كنائسنا بعد في إيجاد حل مرضي له، عبر التوازن بين الأصالة والحداثة، بحيث نحافظ على ما في طقوسنا من غنى وثراء، فلا نبطل شيئاً ما لم نجد له بديلا أفضل... انه صراع لا يُحَلّ بإبقاء "القديم على قِدَمِه" ولا، بأولى حجة، بموقف "الردة" في أمور أصبحت "مكتسبات"!

- في أعقاب اجتماع ضم أساقفة وكهنة وعلمانيين، همس في أذني احد هؤلاء العلمانيين: ستبقى كنيستنا تعاني من التعثر والضعف والفوضى، طالما يبقى كهنتنا يعتبروننا قاصرين وغير جديرين بالثقة، حتى في الأمور التي هي من اختصاصاتنا، كأعمال البناء والصيانة -وصيانة الفن والتراث بنوع خاص! وطالما يُبعَدون هم أيضا بدورهم عن مواقع "صنع القرار"، ويطالَبون بالطاعة والالتزام بالتوجيهات... وفي أحسن الحالات بالتزام مبدأ "نفّذ ثم ناقش"!!

- أطلعني فريق من الشباب على "رسالة مفتوحة" قامت بمسح شامل للحاجات الماسة في كنيسة العراق، وقد تجاور فيها الاقتراح مع الأولوية الكبرى، ومواصفات الأسقف الجديد مع المشاريع الخيرية الخ... ولفت انتباهي في سلسلة تلك الحاجات: مكتب تشغيل العاطلين، دار عجزة تديره سيدات أو راهبات يؤمنّ بهذه الخدمة الجليلة، ترميم الأديرة الخربة وجعلها واحات صلاة، صندوق تضامن لمساعدة المقبلين على الزواج، وسائل نقل لطلاب دورات التعليم المسيحي والتناول الأول، دورات تأهيلية مكثفة للعاملين في مراكز التعليم المسيحي، أسواق خيرية للملابس المستعملة في خدمة ذوي الدخل المحدود، مكتب استشاري

لقضايا الأسرة ومشاكل الزواج، رابطة أطباء للمعالجة المجانية الخ... حاجات ملحة تستحق الدراسة والتنفيذ!

◆ سمعت تصريحاً رائعاً لمسؤول كنيسة بشأن القضية المسكونية، وسرعان ما كشف موقف عملي عن تزمته الطائفي! وقلت في نفسي: يا للمسافة بين ما نصرح وبين ما نعمل! وتمنيت في سري أن تقرن الكنائس المسيحية، كالمسيح، القول بالفعل، ولاسيما في القضايا الوحدوية... فالمناداة بالوحدة المسيحية تفرض خطوات عملية، وفي مقدمتها: احترام متبادل، واستقامة في النوايا، وتخل عن المكابرة، وعدول عن كل أساليب الكسب، وجرأة في المبادرات، وصمود في الخلافات...

◆ وسألتهما: لماذا كنتما تتهامسان ابان الموعظة؟ فقالا: أنتم معشر الكهنة تحمّلوننا نحن "الحاضرين" أخطاء "الغائبين"، وتتهموننا بما لا نفعل: تحذروننا من الإسراف في الإنفاق على الأعراس وحفلات التناول الأول... ونحن "استأجرنا ثوب العروس" و"تخلينا عن حفلة النادي" و "لم نقدم سوى لُقَم للمدعوين إلى التناول"!! وكم يحز في أنفسنا حين تنحون باللائمة على تقاعسنا في واجباتنا الدينية وعدم تضامننا مع المحتاجين... ونحن كنا دوماً في مقدمة الملتزمين!! ألستم تكرزون على "مهتدين"؟ ولماذا لا تبحثون عن وسائل لإبلاغ "كرازتكم" إلى جماهير "من عيد إلى عيد!"، شريطة أن تحذروا من كلمات التأنيب البالية، وتستبدلونها بكلام بنيان يحمل السامعين والمتلقين على "قبول بشرى"...

انه حلم! لا بل مجموعة أحلام! ولكن، أليس أجمل ما في الحلم تَحَوُّله إلى واقع؟

الموصل في ١٩ تموز ١٩٩٣

ميلاد الرجاء

في ميلاد ١٩٩٠، كانت تهديدات الحرب تعكر صفاء عيد جُعل ليذكّر العالم بالحب والأخوة والسلام... ولَكَم منّينا النفس آنذاك بعودة عظماء العالم إلى التعقل ونبذ لغة السلاح!

وفي ميلاد ١٩٩١ كان جمهور المعوزين يذكرنا بطفل بيت لحم، فكان عيد الشركة والاقتسام... وكأننا في زمن الكنيسة الأولى حين "كان كل شيء مشتركاً بينهم"! وَلَكَم أيقظ تيار الشركة الوعيَ العميق بالمسؤولية...

وفي ميلاد ١٩٩٢ كنا بإزاء شريحة كبيرة من المحتاجين لم يكن يخطر ببالنا يوماً انها ستمدّ يدها لتستعطي، فكان عيد التضامن: "كنت جائعاً فأطعمتموني..."! وَلَكَم أدركنا أن "العطاء أكثر غبطة من الأخذ"!

وفي ميلاد ١٩٩٣ أصبحنا نمنّي النفس بانفراج للمأساة، يضع حداً، لا للجوع والفقر والضيق حسب، وإنما للعديد من الأمراض التي أفرزتها تلك الحرب البشعة، وخلفها ويخلفها هذا الحصار الجائر: الأنانية والجشع، العنف والظلم، الفساد والابتزاز، الكذب والسرقة، الفوضى والانحراف... وأصبحنا بإزاء جروح ثخينة مست كيان الإنسان العراقي وبناءَه النفسي وقيمه العالية... وكم هو عسير علاج داء مستفحل! وكم هو صعب البناء أو إعادة البناء بعد تزعزع الأسس!

وفي غمرة القلق تجاه هذا الواقع المرير والمستقبل القاتم، تلوح لنا اشراقة الرجاء من بيت لحم، منذ أن دوّى فيها صوت البشير: "أبشركم بفرح عظيم... ولد لكم اليوم مخلص..."! فنتساءل: هل لهذه البشرى اليوم وقع على بني جيلنا الذين يواجهون من العذاب ألواناً،

ومن المعانيات أشكالاً؟ وهل لها اليوم صدى في ضيقاتنا وجروحنا، وقد أصبح في ما بيننا كثير من الفقراء والجائعين والمرضى والمعوقين...؟

وما دمنا بصدد بشرى الخلاص التي تلقاها الرعاة، يتعين علينا أن نعود إلى المناخ الذي دوى فيه صوت يسوع تجاه كل "المساكين": طوبى لكم أيها الفقراء... أيها الجائعون... أيها الباكون... ولا نعتقد أن هناك اليوم من يحمّل هذه التطويبة مشاعر التخدير أو الاستلاب، أو يمنّي، بواسطتها، هؤلاء "المساكين" بحياة سعيدة في عالم آخر أو سماوات بعيدة! ذلك لان كلمات يسوع لا تحمل سوى معاني الأمل والرجاء، لكل هؤلاء المعذبين والمقهورين والمعدمين: طوبى لكم... لأن أزمنة الفقر والجوع والبؤس والظلم والحرمان... قد انتهت، طالما أن ملكوت الله آت!

ان هذا الإيمان بمُلك الله النهائي، كان قد تغذى وترسخ طيلة تاريخ شعب العهد القديم، ولا سيما في أعقاب السبي إلى بابل (٥٨٧ ق. م)، فكان التطلع إلى "مشيح"، ابن لداود، يُحل البر والعدل في الشعب، ويكون صوت من لا صوت لهم، "يقضي للضعفاء بالبر ويحكم لبائسي الأرض بالاستقامة"، ويوطد أسس الحب والألفة والسلام بين الناس، "فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي" (اشعيا ١١)... وجاء يسوع يعلن هذه البشرى بأقواله وأفعاله ومواقفه... أليست تطويباته إعلانا بافتتاح ملكوت الله، ملكوت العدل والحب والحرية؟ أليست معجزاته علامة لأزمنة الخلاص والتحرير التي ترافق مجيء ملكوت الله؟ ألم يقل يسوع لموفدَي المعمذان اللذين سألاه إن كان هو "الآتي": "اذهبا واخبرا يوحنا بما سمعتما ورأيتما: العميان يبصرون، العرج يمشون، البرص يبراون، الصم يسمعون، الموتى يقومون، الفقراء يبشرون، وطوبى لمن لا أكون له حجر عثرة" (لوقا ٧:٢٢ =اشعيا ٣٥:٥ ؛ ٦١:١)؟

إلا أن السؤال يفرض نفسه هنا: إذا كان ملكوت الله قد حل حقا بيسوع، فلماذا لا يزال الفقراء والمظلومون والمستضعفون... كثيرين؟ ولماذا لا يزال العالم متخبطا في معضلاته ومظالمه التي تزداد عمقا واتساعا؟ ولماذا كثرت وتكثر في مجتمع اليوم أمراض ورذائل وتجاوزات وانحرافات لا حصر لها...؟ إن هذا السؤال، على حد تعبير الأب شربنتييه، يطرح في الواقع السؤال حول جدوى إيماننا: لقد انتظر

الناس من المسيح أن يفعل كل شيء هو وحده، لكن يسوع حررنا من هذا الإغراء المسيحاني. انه جاء ليؤسس بالفعل ملك الله... وقد افتتحه، وترك لنا أمر انجازه بأنفسنا. إن ملاحظتنا استمرار وجود الفقراء هو اعتراف منا بأننا لم ننجز عملنا!!

تلك هي المسؤولية الكبرى التي يضعها علينا ميلاد يسوع، وهو ميلاد الرجاء بعالم جديد! وتحمّلنا إياها تطويباته، وهي بشرى خلاص وتحرير لكل "المساكين"! ذلك لأن ملكوت الله الذي حل بيسوع يكشف لنا عن افتتاح عالم يسوده الحب والحق والعدل والسلام والألفة والسعادة... عالم يسعى إلى بنائه وتوطيده المؤمنون بيسوع، بالتعاون والتضامن مع كل ذوي الإرادة الصالحة، من كافة الأديان والمعتقدات. وسيُبنى هذا العالم، على هذه الأرض، ويتوطد في قلب الخبرات والنجاحات والمعانيات والإخفاقات التي يعيشها البشر، انطلاقاً من مبدأ أن الحياة شركة يتقاسمونها في الحب والعطاء والبذل والتضامن... وغني عن القول أن مثل هذه الشركة، في إطار الوضع الذي نعيشه، لا تقتصر على صدقات عابرة أو مبرّات آنية، وإنما تنطلق من حب عميق يسكن الإنسان، فيخرجه من أنانياته ليزجه في رحاب عالم تتعالى من أعماقه استغاثات من كل نوع، وتبرز على سطحه حاجات ملحة يشعر المرء إزاءها انه صغير وأعزل، لا حول له ولا قوة... ولكنه بقوة الحب يصبح قادرا على صنع المعجزات!!

إن عمل الخلاص والتحرير هو خلق جديد، وهو حب في مستوى القمة: "هكذا أحب الله العالم حتى انه جاد بابنه الوحيد..."! وهكذا يصبح التجند في عملية الخلاص والتحرير مشاركة في عمل الله ومسيحه... ألَم يقل يسوع: "من آمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أعمل، ويعمل أعظم منها"؟!

فليكن ميلاد ١٩٩٣ ميلاد الحب الذي يصنع المعجزات، فيكسر الحصار الجائر بقوة الحب الذي يشيع تياراً عارماً من الاقتسام والتضامن... وليكن ميلاد النور الذي يعيد للمراقيين رخاءهم، ويعيد لأطفال العراق أجواء الفرح والطمأنينة... وليكن، بنوع خاص، ميلاد الرجاء بعراق تعود إليه عافيته، بمساهمة كل المخلصين من أبنائه الذين يتطلعون بأمل إلى أزمنة الانفراج... وها هي آتية!

١٩٩٤

آمال وأمنيات لعام ١٩٩٤

عشية العام الجديد، تزدحم في قلب كل إنسان الآمال والأمنيات، كبيرة، شامخة؛ متناسيا، انه صاغ مثلها عشية العام المنصرم! وها هو ينكب من جديد على صياغة آمال، بعضها تمليه الحاجات الراهنة الملحة، فيما بعضها كان وسيبقى يدغدغ مشاعره، وان بدا له أكثرها بعيداً، عسير المنال -كي لا نقول مستحيلاً!

وأجمل ما في الإنسان انه يحلم، ولا يني يتمنى أن يترجم أحلامه في واقع؛ لا بل يؤمن بإمكانية تحقيق الآمال التي يحلم بها. وكثيراً ما يتجاوز المرء الإيمان بالممكن، إلى الرجاء الوطيد به والسعي إلى تحقيقه، حتى ولو بدت له بعض الآمال من قبيل المعجزات! أوَليس مثل هذا الإيمان يصنع المعجزات؟ أوَليست المعجزات نفسها هي فعل إيمان من نوع فريد؟ انه يعيش بالأملِ ومن الأمل! ومثل هذا الإيمان بالأمل هو الذي يعطي لحياته معنى، هلاّ علمنا أننا لولا الأمل لفقدنا القدرة على العيش، ولانغمسنا في ظلمة اليأس حتى الاختناق؟!

فمع ابتسامة الآمال الكبار، نقدم على طوي سنة لنفتتح سنة أخرى، نتقبلها بالشكر من يد الرب، وكأنها صفحة بيضاء نرسم عليها ما يختلج في قلبنا من الآمال والأحلام، من المشاريع والمخططات... وليسمح لي قرائي، في بدء عام ١٩٩٤ -وهو العام الثلاثون لظهور "الفكر المسيحي"- أن ارسم لوحة من الأمنيات انثرها في ثنايا عام أتمناه يحمل فيضا من النور للعالم والعراق وكنيسة العراق...

◆◆◆◆◆◆

❁ أحلم بعالم لا تكون فيه السيادة والهيمنة لدولة واحدة، مهما تناهت في القدرة والثراء والجاه والمجد... فكيف إن اتصفت

بالمكابرة والعنجهية وكل أشكال التجبر؟ أريد عالماً لا يكون فيه صنع القرار حكرا على دول يجعل منها اقتصادها المتنامي أداة للتحكم بمصائر الشعوب، بل أتوق إلى أن تكون هناك "هيئة أمم" تعمل بمنأى عن كل الضغوط، يشرف عليها "حكماء" عالميون، لا يميلون يمنة أو يسرة، ولا يكون بأيديهم مكيالان أو أكثر!

❁ وأتطلع إلى إنسانية تدرك بعمق معاني الحق والعدل والاخوة والتضامن والأمن والسلام... فلا يكون هناك، لشعب على شعب، تفوق عرقي أو قومي أو ديني... ولا يكون الحرب والعنف وسائل لحل النزاعات...، بل يكون بين الشعوب والأمم احترام وتعاون متبادلان، وتكون حقوق الإنسان وحرياته وحاجاته الأساسية أمانة في عنق الإنسانية جمعاء، فلا تصان هنا وتحتقر هناك!

❁ أتوق إلى أزمنة الانفراج لعراق كان مسرحاً للبربرية التي مثلتها عليه دول التحالف، وكان الحصار الجائر امتداداً لها، فخلف مآسي أليمة وافرز أمراضا ومعانيات لا تحصى، بدءاً بالأنانية والظلم والجشع، مروراً بالفساد الاجتماعي والاحتكار والمضاربة وكل أشكال السرقة والتعدي... -وغني عن القول أن التطلع إلى الانفراج هو تطلع إلى إعادة بناء الإنسان العراقي، في قيمه ومثله، ووضع أسس جديدة لمجتمع تعود إليه عافيته...

❁ أؤمن بعراق واحد موحد، من شماله إلى جنوبه، بعربه وأكراده وكل قومياته، بمسيحييه ومسلميه وكل أديانه... عراق لا يغادره أبناؤه ابان الشدة، وإنما يبقون صامدين ليشاركوا في عملية الاعمار، وعلى مختلف الأصعدة... عراق كان له العدوان الثلاثيني مؤشرا لقدراته البشرية والفنية والعمرانية... فنهض بهمة المخلصين من أبنائه الذين أرادوه ويريدونه حراً، سيداً، مستقلاً، أبياً، شامخاً، دائم العطاء...

❁ وأتطلع إلى عراق وطن للجميع، يجد فيه كل عراقي نفسه ويحقق ذاته وطموحاته... وطن يجمع أبناءه في وحدة الهدف والمصير، بالرغم من كل أنواع الفروقات الطبقية والقومية واللغوية والدينية والسياسية...، فلا يكون هناك مواطنون من درجة أولى وثانية وثالثة... بل يكون أحقهم في المواطنة أكثرهم حباً وغيرة والتزاماً وسخاء -وما ابعد حب الوطن عن كل أشكال العنصرية والشوفينية والادعاء السياسي والقومي وكل أنواع المكابرة الدينية والقبلية!

❁ أريد كنيسة عراقية لا تنسى ماضيها المجيد وما رافقته من خبرات ثرية ومحن قاسية... دون أن تجعل من التغني بالماضي خبزها اليومي الذي قد ينسيها الحاجات الماسة التي تفرضها الظروف الراهنة، أو يؤدي بها إلى تجاهل مسؤولياتها التاريخية في الشهادة للإنجيل، بلغة إنسان اليوم، عبر الالتصاق بتساؤلاته العميقة وحاجاته الحيوية...

❁ وأؤمن بكنيسة واحدة بالرغم من انتماء أبنائها إلى طوائف وطقوس ولغات مختلفة، إذ ليس بوسع الثراء المتمثل في تنوع التعبير الإيماني أن يحجب وجه المسيح الذي تقع مسؤولية إشعاعه على الكنائس كافة. وأتمنى عليها أن تقطع دابر الانقسام والتجزئة والتحزب، لوضع خطة عمل موحدة في ميادين تستوجب رص الصفوف وتوحيد المواقف... فهي كلها "كنيسة العراق"، ومصداقيتها تقوم بالتالي على المحبة!

❁ وأحلم بكنيسة وفق ملامح كنيسة المسيحيين الأولين، قبل أن يخرجها بيان ميلانو (٣١٣) من الخفاء ويصعدها إلى العروش! حين لم تكن الطبقية بين الاكليروس والعلمانيين قد ترسخت فيها بعد، بل كان التنافس في المواهب والخِدَم يجتاح الجميع... وأعني كنيسة "مشرقية" في بلاد ما بين النهرين، قامت على سواعد أبنائها المؤمنين، تحت رعاية أساقفة وبطاركة كانوا "يرئسون في المحبة"! فبكنيسة عراقية يتجنب مسؤولوها الانفراد في الحكم ويشركون كهنتها وعلمانييها في التخطيط وصنع القرار... أحلم، ويحق لي أن أتطلع وأدعو!

❀ ولا بدّ لي أخيرا من أن أصوغ أمنية للفكر المسيحي -وهي الأداة الإعلامية الثقافية في خدمة كنيسة العراق- أن تبقى، بعد مسيرة ٣٠ عاماً، "لسان حال المسيحيين العراقيين"، دائبة على تحسس معانيات كنيسة العراق، وساعية إلى إيقاظ الآمال الكبار فيها... وأن تضع نفسها دوما على طول موجة واحدة مع قرائها، فتخاطبهم بلغة يفهمونها، وتدلهم من ثم على المواقع التي يتجسد فيها الإنجيل عبر الأحداث والقضايا التي تجري في العراق والعالم وحتى أقاصي الأرض!

●●●

وفيما تقرأون، قرائي الأحباء، كل هذه الأمنيات، لا شك أنكم رحتم تصوغون، بدوركم، أمنياتكم -وقد تكون أكثر بلاغة وإلحاحاً! فلتكن لكل منكم "افتتاحيته"، يُضمّنها أحلامه للعام الجديد. ولتبتسم كل الآمال في كل عام وتخرج إلى حيز الواقع!

الموصل في ١٧ كانون الثاني ١٩٩٤

طوبى للذين يؤمنون ولم يروا

"... يسوع الناصري المصلوب... قام... هوذا المكان الذي وضعوه فيه"١ هذه العبارة التي وضعها الإنجيلي مرقس على لسان الملاك، لا تهدف إلى توثيق "إحداثيات" قيامة يسوع، بقدر ما تهدف إلى إعلان بشرى القيامة في مضمونها الإيماني العميق، كما كان الرسل والمسيحيون الأولون يعلنونها ويستحثون سامعيهم إلى قبولها... إنها صيغة إيمان مكثفة، استُخدمت في الكرازة الأولى للإعلان عن جوهر تلك الحقيقة الكبرى والفريدة التي أوحيت لهم في جو من الإيمان، وأدركوا مضمونها وأبعادها عبر خبرة إيمانية طويلة في نور الروح القدس. ولعل خير نموذج لمضمون هذه الكرازة، ما وضعه لوقا على لسان بطرس يوم العنصرة: "... إن يسوع الناصري، ذاك الرجل الذي أيده الله... فقتلتموه إذ علقتموه على خشبة... قد أقامه الله ونحن شهود..." (أعمال ٢:٢٢). كما ان لنا في رسائل القديس بولس -وهي أولى الكتابات المسيحية- خير شاهد على فحوى هذه البشرى: "...ان المسيح مات من أجل خطايانا كما في الكتب، وانه قبر وقام في اليوم الثالث كم في الكتب..." (١ قورنتس ١٥)، وهي تشدد على كون الله قد أقام يسوع من بين الأموات (غلاطية ١:١...) ورفعه إلى العلى ووهب له اسما يفوق كل الأسماء (فيلبي ٢: ٩) وجعله "رب المجد"، مخلصاً، سيداً، دياناً للأحياء والأموات...

ان هذه الصيغ الإيمانية الوجيزة التي ترجع إلى أقدم التقاليد المسيحية، وتعبر عن كل الإيمان المسيحي -والقيامة هي الحدث المؤسس له- أصبحت منطلقاً للروايات الإنجيلية التي تعلن، هي الأخرى، بإسهاب وعبر أسلوب روائي، حقيقة القيامة، وتتوسع في مضمون الكرازة، بقصد دعوة المؤمنين إلى التأصل في الإيمان بالرب القائم، واللقاء به في حياتهم اليومية. فإذا علمنا أن الروايات الإنجيلية لا تبغي

تقديم تقرير مباشر ومفصل لحدث القيامة -وهو حدث يخرج عن نطاق الرؤية الحسية- أدركنا أنها لا تطالبنا بتصديق ما ترويه لنا من "أحداث"، وإنما تطالبنا بأن نؤمن بقيامة الرب، ونقوم بدورنا، وعلى خطى الرسل، بخبرة إيمانية مماثلة تجعلنا أهلا لأن نصبح "شهوداً" للقائم من بين الأموات.

بهذا المنظار يجب أن نعيد قراءة روايات القيامة بحسب كل إنجيلي، وفي سياق إنجيله، كونها جزءا من كل -ولن تدهشنا حينذاك الاختلافات الكثيرة بينهم- وقد انطلقوا كلهم من قصة القبر الفارغ وأضفوا عليها نظرتهم اللاهوتية، وصولاً إلى "الترائيات" التي تعكس خبرة اللقاء بالمسيح الحي، وتشكل نقطة الانطلاق للرسالة.

لنتوقف لدى رواية القيامة بحسب إنجيل يوحنا -وبالتحديد عند مشهد توما "الذي لم يكن معهم حين جاء يسوع"١- وقد كتبت بهدف إيقاظ الإيمان بالرب القائم لدى مسيحيين تفصلهم عشرات السنين عن حدث القيامة، وقد تسرب إليهم الشعور بالانتقاص عن إيمان أولئك الرسل الذين عاشوا خبرة القيامة في عنفها وغناها... وهوذا الإنجيلي يجيب إلى اعتراضاتهم وشكوكهم وتردداتهم... ويمنحهم الإحساس العميق برؤية يسوع في الإيمان: رؤية بعيون القلب قد تكون بالتالي أكثر عمقا وقوة وديناميكية!

يُعدّ مشهد المجدلية، في إنجيل يوحنا، مشهد الترائي للتلاميذ المجتمعين حيث يتجلى يسوع المصلوب بذاته، في جسد يحمل آثار الجروح، هو "جسد ممجّد" قادر أن يخترق الحواجز! وللحال نجدنا بإزاء تلاميذ امتلأوا فرحاً بمشاهدة الرب الذي يمنحهم الروح القدس، ليتسنى لهم أن يشهدوا له في العالم، ويوزعوا غفرانه على البشر... ويأتي مشهد الصراع بين الشك واليقين، والذي يجسده توما، ذاك التلميذ الذي "لم يكن معهم حين جاء يسوع"، ليعكس موقف أجيال من المؤمنين الذين لم يعاصروا يسوع... فينساقون، على غرار توما، إلى القول: "إن لم أبصر أثر المسمارين في يديه، واضع أصبعي في مكان المسمارين، ويدي في جنبه، لن أؤمن"!!

ان موقف توما من شهادة الرسل الذين أعلنوا له بشرى القيامة بقولهم: "رأينا الرب" -عبارة تكشف ما يختفي وراء هذه الرؤية من

إيمان- هو موقف من لا يثق بشهادة الجماعة المؤمنة، ويطالب ببرهان خاص يمنحه اختباراً يكون منطلقاً لقناعة شخصية. انه موقف من يفرض على المسيح شروط إيمانه، ويرغب في أن يكون إيمانه قائما على برهان حسي؛ وينسى أو يتناسى أن هناك حقائق تخرج عن نطاق الخبرة الحسية، وفي مقدمتها حقائق الإيمان التي هي في مستوى وجودي، كالحب والخير والجمال... وهي لا تقل صدقا وواقعية عن الحقائق الملموسة!

ويواصل الإنجيلي الرواية ليكشف لنا عن تسامح يسوع مع هذا الرسول المتردد الذي، بالرغم من مظهره الارتيابي، هو إنسان يبحث عن الإيمان، عبر تساؤلاته العفوية: هوذا يسوع يأتي إلى التلاميذ مرة ثانية، بعد ثمانية أيام، وتوما معهم، وهو الذي يبادر إلى توما ويريه جروحه ويعطيه درسا في الإيمان لن ينساه: لا تكن غير مؤمن بل كن مؤمنا! انه درس يخفي ملامة ستحمل توما على القيام بفعل إيمان فريد هو قمة الإيمان المسيحي بسيادة يسوع الإلهية: "ربي والهي"! ألا تعيدنا هذه الشهادة الإيمانية إلى مقدمة إنجيل يوحنا التي تكشف عن هوية يسوع، كلمة الله الأزلية! ألا تعيدنا بالتالي إلى جوهر الكرازة الرسولية التي تقوم في الإعلان عن أن يسوع المصلوب هو المسيح الرب؟

وتبلغ الرواية ذروتها حين يقول يسوع لتوما: "ألانك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون ولم يروا". انه الجواب لكل الذين، طيلة أجيال، سيعلنون إيمانهم بالمسيح الحي القائم من بين الأموات، استناداً إلى شهادة الكنيسة حافظة الإيمان، وكلهم يقين من أن إيمانهم ذاته هو الذي يمنحهم عيوناً لرؤية الرب. وهكذا تنقلب الموازين: فلسنا نؤمن لأننا نرى، وإنما نرى لأننا نؤمن!! فإلى مثل هذه الرؤية يقودنا الإنجيلي، بصفته واحدا من الذين "رأوا الرب"! وإلى مثل هذه الخبرة الإيمانية يريدنا أن نبلغ، لنصبح قادرين على القول، في جو من الإيمان: رأينا الرب والتقينا به وتحدثنا إليه... وهو يحيا فينا!

ليكن احتفالنا بقيامة المسيح منطلقا لرؤية إيمانية، نتقاسمها مع كل الذين هم بحاجة إلى كلمة رجاء يقولها لهم المسيح الحي: "... أما أنتم فسترونني لأني حي، ولأنكم أنتم أيضا ستحيون" (يوحنا ١٤: ١٩)!

نيسان - حزيران ١٩٩٤

في البحث عن إيمان لعصرنا

عدد خاص

قصة "برج بابل" في سفر التكوين تطرح مشكلة "بلبلة" الألسنة، حين لم يعد الناس قادرين على التخاطب والتفاهم -وليست المشكلة في الأساس سوى مشكلة فقدان لغة مشتركة! وفي سفر أعمال الرسل، تُبرز رواية "العنصرة" التضاد بين ما جرى في بابل وما يجري في أورشليم! فلقد امتلأ الرسل من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغات مختلفة، "على ما وهب لهم الروح أن يتكلموا"، فكانت هناك لغة مشتركة! أولسنا إزاء معجزة "بشرى" خاطبت الناس وحققت بينهم شركة تمخض عنها شعب جديد "بقلب واحد ونفس واحدة"؟!

هذه "البشرى" تبدو اليوم وكأنها فقدت ديناميكيتها -كي لا نقول مصداقيتها- ولاسيما حين نلمس أنها لم تعد تستهوي بني عصرنا... وبالأكثر حين نتحقق أننا لم نعد نتخاطب بلغة واحدة مشتركة! ولكن مهلاً: هل هي بشرى الإنجيل لم تعد تخاطب إنسان اليوم؟ أم هي تلك "الموروثات" المكدسة التي لم نعد نتبين من خلالها صفاء البشرى وأصالتها؟! لنلقِ نظرة فاحصة إلى واقع البشرى في كنيسة اليوم ونتساءل:

- الإله الذي يرفضه أبناء عصرنا، أهو حقاً هذا الإله/الحب الذي كشف عن ذاته "كلمة" محرِّرة، وارتضى أن يقيم عهداً مقدساً... أم هو ذاك الإله "القوي الجبار..." الذي لا يني يأمر وينهى، ولطالما بدا "رقيباً" على الإنسان، وحُشر في حسابات الثواب والعقاب...؟!

- والكتاب المقدس، أهو حقاً "كتاب" أوحى به الله ليكون للمؤمن قاعدة للعقيدة ودستوراً للسلوك، وسرعان ما أصبح منبرا للاحتكام... أليس هو بالأحرى أسفاراً تعكس خبرة إيمان أناس كلفوا بالله -ولا سيما حين أصبح اسمه "الله يخلص"- فوجدوا لحياتهم معنى؟!

- ويسوع، المسيح، قبل أن يكون "ابن الله المتأنس... الاقنوم الثاني من الثالوث..."، أليس هو أولا "ذاك الرجل الذي أيده الله"، وصادق على حياته وموته على الصليب، فـ "أقامه من بين الأموات... وجعله رباً ومسيحاً"... فكان ذلك الإنسان الكامل والابن النموذجي الذي يتوجب أن نسمع له؟!

- والكنيسة، أهي حقا مؤسسة أنشأها يسوع لتحكم وتدين باسمه، وقد تتحكم، إن هي لم تكن على طول موجة تلتقط منها صوت "الراعي الصالح" الذي يجمع في الوحدة أبناء الله المشتتين! أليست بالتالي ذاك البناء الحي الذي أساسه المسيح، ونحن فيه "حجارة حية" نُشيدُ مسكناً لمن شاء أن ينصب خيمته في ما بيننا؟!

- والطقوس الكنسية، متى كانت صيغا وقوالب غير قابلة للتجديد؟ أليست هي "نتاج" خبرة روحية متجذرة في حياة مؤمنين، بحكم حضارتهم ولغتهم ومناخهم الثقافي...؟ ألا ينبغي عليها من ثم أن تجعل الإيمان حياً وناطقاً وفاعلاً، من جيل لجيل، وفي كل مكان وزمان؟!

- و"الخلقية المسيحية"، أليست قاعدتها شرعة المحبة التي بوسعها أن تملي على الإنسان ما يجعله يحيا بحسب إرادة الله -وإرادته هي في حب الإنسان لأخيه! فلا تذهب به الشرائع والأوامر والنواهي في متاهات ينتفي منها الروح، ونحن نعلم أن "الشريعانية" هي أبعد ما يكون عن روح الإنجيل!

هذه المفردات تعكس ستة أوجه للبشرى، نسلط عليها الأضواء من زاوية "المعاصرة" -ولا نقصد بالمعاصرة عملية تكييف أو تحديث أو عصرنة حسب، بل تتعداها إلى طرح التساؤلات الجوهرية: أي إله؟

أي كتاب؟ أي مسيح؟ أية كنيسة؟ أية طقوس؟ أية خلقية؟ وذلك وفق نهج علمي، وبدافع البحث عن "رؤية" للإيمان تكون قادرة أن تخاطب إنسان اليوم، وقلبه بالأخص، فتدخله في شبه مغامرة: أليست المسيرة الإيمانية في مجملها مغامرة باتجاه بشرى تأسر الإنسان وتعطي لحياته معنى؟

وهكذا تجسدت هذه المفردات في مقالات هي أشبه بدراسات معمقة: فكان المفتاح (افاق المعاصرة في اللاهوت) بحثاً عن لاهوت يعتمد الانتروبولوجيا. وكان السعي إلى (قراءة جديدة للكتاب المقدس) في ضوء العلوم والدراسات الحديثة. وكان تمحور (البشرى الإنجيلية لعالم اليوم) حول شخص المسيح، بشرى عهد جديد. وكان لا بدَّ للمقالات أن تتناول الكنيسة -وهي وجه يسوع الحي في الجماعة المؤمنة- لإبراز موقعها إزاء (تحديات العالم المعاصر)؛ فيما انكبت (طقوس حية معاصرة) على مسألة العصرنة في الطقوس، بين الأصالة والتجدد؛ وكشف تأمل في الإنسان (الإنسان المعاصر والخلقية المسيحية) عن أعماق السلوكية. وكانت -بمثابة "متنفس"!- إجابات حول بعض الجوانب من حياة الإيمان عبر (منتدى الآراء) وطروحات أدلى بها شباب في الإيمان والعلم والحب والجنس... عبر (طاولة).

قراءنا الكرام

إنها المرة الأولى يتخذ فيها العدد الخاص تشكيلاً يؤدي بضع وظائف: فكانت الملزمة الأولى بأبوابها الثابتة؛ وكانت ملزمة وسطية امتدت على ١٨ ص لتخلد ذكرى ٣٠ عاماً على ظهور "الفكر المسيحي" -وقد تزامنت مع انتقال تحريرها وإدارتها إلى الآباء الدومينيكيين (انظر كلمة التحرير في العدد ذاته)؛ وكانت ٣ ملازم (٤٨ ص) لمواد العدد الخاص الذي به اكتملت قلادة من ١٩ عقداً زينت صدر المجلة خلال الأعوام١٩٧٤-١٩٩٤.

وفيما نزف إليكم هذا العدد الدسم، بتشكيلته الجميلة، نأمل أن تتلقوا عملية "تسليم الراية" بالتفاؤل والأمل، سيما وأن هدفها الوحيد حرص على ديمومة "الفكر المسيحي"، في خدمة كنيسة عراقية أردناها ونريدها حية، ديناميكية، نبوية... قادرة أن "تعصرن" و"تؤون" بشرى (إنجيل)، نريدها تكون بشرى تحرير وأمل لمجتمعنا العراقي...

الموصل في ١٥ آب ١٩٩٤

من أجل ديمومة الفكر المسيحي

ملحق العدد الخاص

"المجلات تموت مع أصحابها"!! تلك مقولة طالما سمعناها بشأن العديد من المجلات الدينية التي ظهرت في كنيسة العراق، منذ "إكليل الورود"، أول نشرة نشأت في الموصل عام ١٩٠٢، وحتى أخريات المجلات التي انحجبت تباعاً: لسان المشرق (١٩٥٢)، الفداء (١٩٥٤)، النجم (١٩٥٦)، النور (١٩٥٦)، سواء بسبب مرض أو شيخوخة روادها، أم بسبب ارتقائهم أو وفاتهم...!

وشاءت "الفكر المسيحي" -وقد أبصرت النور عام ١٩٦٤- أن تشكك في صحة هذه المقولة التي تعكس واقع الانفراد أو اهتزاز العزيمة، أو ضعف التخطيط... وتبرهن أن بالإمكان أن يكتب لها الاستمرار، طالما انها شاءت أن تكون "صوتا" نبوياً في كنيسة العراق -ولا يحق من ثم لهذا الصوت أن يخفت أو يصمت، وليس بوسع أية ظروف أو عقبات أن تخنقه!

لقد كانت "الفكر المسيحي" وما زالت منبرا، ارتفع منه صوت اتخذ ألف نبرة ونبرة، ليبلغ إلى القراء، على اختلاف مللهم وطوائفهم وحتى أديانهم، كلمة أمل ورجاء، عبر موجات التقى معظمها مع الكثير من انتظاراتهم وحاجاتهم... وكان هذا الصوت هامساً تارة، وصارخاً تارات كثيرة؛ منبهاً مرة، وموقظاً وهازاً مرات عديدة؛ مدافعاً أحياناً، ومقتحماً أحياناً أخرى؛ يغلب عليه الهدوء والاتزان طوراً، ولا يخلو من نقد لاذع طوراً آخر؛ ترافقه إيماءات تخفي تارة ملامة خفيفة، وتكشف تارة أخرى عن دعوة حبلى بالثورة! وفي كل الأحوال، كان كلمة نبوية لا تهدف سوى إلى البناء -وإن خيل للبعض أنها "هدامة" أحياناً!- والبناء على أسس متينة، من أجل مستقبل مشرق

لكنيسة، لا نريدها تتغنى بأمجادها الغابرة ما لم تقوَ على مواصلة الشهادة للإنجيل، وبلغة اليوم، فتخاطب الإنسان العراقي، والمسيحي بنوع خاص، وتلتقيه وسط معاناياته وطموحاته، في عمق تساؤلاته وضياعاته...

إنها تجربة صحافية رائدة في كنيسة العراق، خاضتها "الفكر المسيحي" طيلة ٣٠ عاماً -وهو شوط لم تسبقها إليه مجلة عراقية من قبل!- هي التي انطلقت بمبادرة "كهنة يسوع الملك" الذين، غداة رسامتهم الكهنوتية، بادروا إلى عيش خبرة الحياة المشتركة، فكانت "الفكر المسيحي" ثمرتها "اليانعة"! وتواصلت صُعُداً، عاما بعد عام، مضمونا واسلوبا ونهجا وتوجهات، لتصبح اليوم "عروسا مجيدة" (افسس ٥: ٢٧).

وفيما نطفئ، هذا العام، الشمعة الثلاثين، يطيب لنا أن نلقي وإياكم، قراءنا الأعزاء، نظرة رضى وارتياح إلى المسيرة الطويلة التي نُسجت أعوامها وشهورها من أضواء، امتزجت بها أحيانا بعض الغيوم، رافعين آيات الشكر العميق للرب الذي مكننا، بالرغم من كل الصعاب، من خدمة الكلمة في ما بين مسيحيي العراق، ومتبنين كلمات المزمور ١٠٣: "باركي الربَّ يا نفسي... ولا تنسي جميع إحساناته... هو الذي يشبع سنيك خيراً فيتجدد كالعقاب شبابك"!

فلكي يتجدد شباب "الفكر المسيحي" وتزداد تألقاً وإشعاعاً... ولكي تستمر منبراً تلتقي عليه كل الأصوات الحرة التي تزرع الأمل في كنيسة العراق... ولكي تبقى شمعة موقَدة أبداً، تضيء الدرب لأجيال من المسيحيين الذين يبقون على أرض العراق الحبيب "ليشهدوا للرجاء الذي فيهم" (١ بطرس٢: ١٥)... ولكي يتسنى لها أن تواصل رسالتها الإعلامية الثقافية في ما بين مسيحيي العراق، بمختلف طوائفهم وإلى ما شاء الله... راح روادها الأوائل -وهم في أوج قدراتهم وعنفوان عطائهم- يبحثون عن سبيل لضمان الديمومة، وبالتخصيص عن "خلفاء" يسلمون إليهم الراية ويعهدون إليهم بالشعلة، ودافعهم العميق أنهم قطعوا في الخدمة الصحافية شوطا قد يتعرضون بعده لعوارض قد توقفهم عن العمل أو تجعل عملية التواصل صعبة، إن لم نقل مستحيلة! ولنقلها صريحة: ليس وراء عملية التسليم علاقة البتة بالأزمة المالية أو أية أزمة أخرى، وإنما هدفها الوحيد حرص على ديمومة هذا الصوت في قلب كنيسة التصق بها ورافقها في أكثر الحقبات دقة من تاريخها الطويل.

وكان البحث عن البديل قد بدأ غداة اليوبيل الفضي (١٩٨٩). وسرعان ما استقر الاختيار والاتفاق مع الآباء الدومينيكيين الذين تربطنا بهم وشائج متينة، والذين بوسعهم، لكونهم يتمتعون بعوامل البقاء، أن يخوضوا غمار هذه المغامرة الرائعة، وهي جديرة -بالرغم من التحسب لدواخلها ومفاجآتها- بان تستقطب طاقاتهم وتأخذ الأولوية في اهتماماتهم، سيما وانها "خدمة" من صُلب دعوتهم ورسالتهم، وهم أصلاً "خدام الكلمة"، ولهم في تاريخهم الغابر صولات في مضمار النشر والطباعة...!

قراءنا الكرام

فيما نحتفل هذا العام بالذكرى الثلاثين -وفيه تنهي "الفكر المسيحي" ٣٠ عاماً فعلياً من مسيرتها الصحافية، سلسلة بست حلقات، ومجلة بأربعة وعشرين عاماً- يسرنا أن نعلن عن تزامن هذه الذكرى العزيزة مع عملية تسليم الشعلة إلى الإخوة الدومينيكيين في بدء عام ١٩٩٥. ولقد أعدت عملية "التسليم" بجدية فائقة، وبدراسات إعدادية مشتركة على مدى سنة ونيف. وكان لا بدَّ لنا أن نفرز لهذا المنعطف بضع صفحات، نحكي فيها بإيجاز مغامرة خضناها على مدى ٣٠ عاماً، وما أجملها مغامرة، سيما ونحن نقيس، مع القراء الذين واكبوا مسيرتها منذ الستينات، المسافة التي قطعتها، وهي بالصفحات قرابة ١٠٠٠٠ص! وهكذا سيسجل عام ١٩٩٥ منعطفاً في تاريخ "الفكر المسيحي" ضمن التواصل والاستمرارية في الخط والنهج والمضمون... ونتمناه منعطفاً حافلاً بالمفاجآت السعيدة والتطورات الشيقة، وعلى كل المستويات. ويكفينا نحن تعزية أن نكون قد بلغنا بالفكر المسيحي إلى عمر النضوج، لنزفها عروساً متألقة، ونتمنى لها سنوات مديدة من العطاء في رعاية إخوة أعزاء نرافق خطواتهم الأولى على درب العمل الصحفي الشاق، ونمد لهم يد العون ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً...

وفيما نزف إليكم هذه الصفحات الـ ١٨ ضمن هذا العدد الخاص، نهيب بكم، قراء وكتابا ووكلاء ومناصرين، إلى البقاء أمناء على مجلتكم، فتُبدون لها كل علامات التعاون والدعم مع إدارتها الجديدة، وتكملون المسيرة بذات الحب والحماس السابقين. ولتعش "الفكر المسيحي" في خدمة كنيسة العراق، ولأعوام مديدة!

تموز – تشرين الأول ١٩٩٤

كشاف رقم ٣
(١٩٩١-١٩٩٤)

مع العدد الأخير من هذا العام الذي به تكمل "الفكر المسيحي" ٢٤ عاماً من مسيرتها كمجلة، يطيب لنا أن نزف إليكم، قراءنا الكرام، هذا الكشاف الذي يوثّق ويصنّف ما نشرته مجلتكم طيلة السنوات الأربع الأخيرة ١٩٩١-١٩٩٤.

لسنا بحاجة إلى إقامة الدليل على أهمية هذا الكشاف المصغر -وقد سبقه كشافان، غطى الأول السنوات العشر الأولى (١٩٧١-١٩٨٠)، والثاني السنوات العشر التالية (١٩٨١-١٩٩٠)، وكانا مرجعاً ثميناً للقراء جميعاً، وللمتتبعين منهم بشكل خاص- إلا أن السؤال يفرض نفسه: لماذا هذا الكشاف والمجلة في منتصف عقدها الثالث؟

إن استباق إصدار الكشاف في نهاية هذا العام بالذات يرجع إلى سببين: أولهما أن المجلة تنهي شوطا لتبدأ، مع مطلع عام ١٩٩٥، شوطا جديداً في عهدة الآباء الدومينيكيين الذين سيواصلون المسيرة. وثانيهما أنها خلال السنوات الأربع الأخيرة، لم تدرج فهرساً بالمقالات المنشورة طيلة السنة، كما كانت عادتها من قبلُ. وهكذا كان لزاماً علينا، قبل تسليم الراية، أن نكلل المسيرة بكشاف يغطي مواد السنوات الأربع -وقد امتدت على ٨٦٤ ص، بمعدل أربعة أعداد في السنة- ونكون قد أدينا لكم، قراءنا الأعزاء، خدمة كان يحق لكم أن تنتظروها منا، سيما وان مجلتكم هي على عتبة منعطف جديد، ويسرنا أن تتخذ لها فيه وجهاً جديداً...

وكان لا بدّ لنا من أن نعتمد، في هذا الكشاف، الأسلوب الذي اعتمدناه في الكشافين السابقين: فكان فهرس بالموضوعات تناول مختلف الحقول والميادين، وفقاً لتقسيماتها الرئيسة. وعمدنا إلى فرز مكان للأبواب الثابتة، دون أن نهمل تسليط الضوء، بشكل

خاص، على المقالات والملفات وأسئلة المناقشة. وفيما اضطررنا إلى العدول عن توثيق مواد "من جعبتي" ومساهمات "ركن الأسرة"، كان لا مناص من التضحية بفكرة توثيق "الأنباء" والتي تعد ترفا في هذا الظرف! وبالمقابل حرصنا على وضع فهرس بالكتاب الذين كتبوا خصيصا للمجلة، مسقطين الترجمات والمقتطفات ونتاجات القراء... ونعتذر عن كل سهو أو خطأ أو إغفال.

قراءنا الكرام...

نحن على يقين من أنكم ستجدون في هذا الكشاف متعة إلى جانب الفائدة! لا سيما وانه يضعكم، مع الكشافين السابقين، بإزاء نتاج دسم يبلغ بالصفحات أكثر من ١٠٠٠٠ص وأية صفحات! وبأولى حجة، يضع بين أيديكم أداة ثمينة للمراجعة والمتابعة، سواء كنتم ممن واكبتم المسيرة منذ انطلاقتها، أم لحقتم بها عبر الثلاثين عاماً!

مع العدد ٣٠٠ أي منعطف

أن تبلغ "الفكر المسيحي" عددها الـ ٣٠٠، فتلك نعمة كبرى في كنيسة قلما شهدت مشاريعها عمراً طويلاً! ولسنا نقول ذلك مكابرة، بقدر ما نكشف عما كان، في مسيرتها، ثمرة تخطيط وعزم وصمود؛ وبقدر ما نتطلع، بأمل وثقة، إلى مستقبل نتمناه زاهراً، مشرقا، يتسم بالعطاء الدائم والخدمة الدؤوبة، وإلى أعوام مديدة... وهل يكون من قبيل المغالاة إذا قلنا، ولِمَ لا: عقبال العدد ١٠٠٠! ونكون للحال على موعد مع العام ٢٠٦٤ إذا ما عادت تظهر شهرياً! ومن يدري؟ فقد يكون من القائمين اليوم -وهم في عمر الزهور- من سيعاينون مجلتهم في عامها المئة!

ومن الحديث عن الموت المبكر الذي كان نصيب معظم المجلات المسيحية العراقية، والحديث عن الشيخوخة السعيدة التي نتمنى أن تحظى بها "الفكر المسيحي" -شريطة أن تحتفظ بشبابها- ترشح قناعة عميقة بأن مشروعا يراد له طول العمر، يجب أن يحاط بعوامل البقاء، وأولها تمتعه بعلامات الصحة وتوفر سبل التواصل والديمومة... إنها الحياة! والحياة تتحدى الموت، ما دامت هناك طاقة لولادة تؤمّن استمرار الحياة. أليست كل ولادة -حتى وان سبقها مخاض عسير- تحدياً للشيخوخة والموت، طالما انها، في حد ذاتها، خلقاً جديداً يسفر عن غبطة المرأة التي تنسى شدتها حين تلد!

ذلك هو المغزى العميق من عملية "تسليم الراية" إلى الآباء الدومينيكيين العراقيين، وهي تنم عن حرص شديد على ديمومة مجلة ظلت ٣٠ عاما في عهدة روادها الأوائل، وقد أبوا إلا أن يكونوا الشهود على استمرار الحياة، سواء معهم أم بغيابهم! أليست هذه العملية أشبه بزفة؟! ألسنا على الفور في منطق أولئك الوالدين الذين، لدى زفاف أبنائهم أو بناتهم، يرتضون الانسحاب ليفسحوا المجال للحياة كي تبدأ

من جديد؟ ألا ينتصب للحال في ذاكرتنا مشهد المعمذان وهو يشير إلى ذاك "الآتي"، ويحمل تلاميذه على التخلي عنه وإتباع "المعلم": "عليّ أن أنقص وله أن ينمو"؟ أوَلسنا بالتالي إزاء مثل الإنجيل بشأن حبة الحنطة التي "إن ماتت أتت بثمر كثير"؟ وسيسعدنا نحن أيضا أن نقول: نموت وتحيا "الفكر المسيحي"!!

فليكن انسحابنا في الوقت المناسب -حتى وان خُيل للبعض انه مبكرٌ- فرصة لحملة الراية الجدد كي يذهبوا بها في رحاب مسيرة نتمناها طويلة وفريدة، ظافرة وصامدة... كما نأمل أن يتمخض هذا المنعطف الجديد عن ملامح جديدة تتخذها المجلة، وعن حلة تكتسبها لتصبح، يوما بعد يوم، أكثر تألقاً، وبثمن عزيمة لا تنثني ومثابرة لا تكل وصبر لا ينفد...

قراءنا الأعزاء،

بهذا العدد تكون مجلتكم قد أكملت ٣٠ عاماً فعلياً من عمل صحفي دؤوب، كانت لكم، في ما بين الأعوام ١٩٦٤-١٩٩٤، بمثابة الشمعة التي تنير الدرب، وتشير إلى "علامات الأزمنة"، وتضع الإصبع على الجروح... وهكذا وسمت بطابعها الفريد ونهجها المتميز -وقد اتسم بالتجدد والروح النبوية- كنيسة عراقية عاشت بين الستينات والتسعينات مرحلة دقيقة من تاريخها، هي مرحلة التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.

وها هي، في تمام أعوامها الثلاثين، تعلن مع بدء عام ١٩٩٥، عن ولادة جديدة ستسجل بدء شوط جديد نتمناه يكون، في توجهاته الرئيسة، تواصلاً مع الشوط الذي قطعته، لا بل تجاوزاً إياه باتجاه الأفضل، مضمونا وإخراجا... ونحن -وقد حرصنا، بمعية مجموعة من الكتاب والمعاونين، أن نكون وإياكم على طول موجة واحدة- إذ نضع بين أيديكم العدد ٣٠٠، نتطلع معكم إلى العدد ٣٠١ الذي سيرسم ملامح الشوط الجديد الذي نتمناه مليئا بالانتظارات والمفاجآت والتعزيات...

وفيما ندبج افتتاحيتنا الأخيرة، يعز علينا، قراءنا الأحباء، أن نقول لكم "وداعاً"! ذلك لأن "الفكر المسيحي"، في نظرنا، كانت وستبقى مجلتكم! ويقيننا أنها تبقى كذلك في عهدة "إخوة"

سيحرصون ولا شك أن تكون الناطقة باسمكم، لذا فمن النافل أن نودع أو نستودع! كما تنتفي الحاجة إلى أن نوصيكم أو نوصي بكم!! طالما أن "الفكر المسيحي" لأجلكم نشأت، ومن أجلكم بقيت، وبفضلكم صمدت... وما نحن "وخلفاؤنا" سوى "خدام" الكلمة الحرة الجريئة، ولاسيما حين ندرك أننا خدام كلمة الله "التي لا تُقَيَّد"! ذلك هو فرحنا، وقد اكتمل!

وهكذا نجدنا في قلب الميلاد وفي قلب مضامينه! فليكن ميلاد "الكلمة" المتجسد الذي شاء أن ينصب خيمته في ما بيننا -وسيرتضي أن يكون في ما بيننا كالخادم- نوراً يضيء مسيرة "الفكر المسيحي" لتواصل "خدمتها" في ما بين مسيحيي العراق، بمختلف طوائفهم، ولأعوام مديدة.

وكل عام وأنتم والفكر المسيحي بألف خير!

الموصل في ١ تشرين الثاني ١٩٩٤

تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٩٤

فهرس الافتتاحيات بحسب السنوات

كانت "سلسلة الفكر المسيحي" مع حلقتها الخامسة (١٩٦٨) والسادسة (١٩٦٩-١٩٧٠) قد أدرجت، في كل عدد، افتتاحية قصيرة تناولت حدثًا أو مناسبة كنسية أو قضية راهنة... وبلغ مجموعها ٢٠ افتتاحية للأب بيوس عفاص لم تثبتها في هذا الكتاب.

ومنذ عام ١٩٧١، وخلال ٢٤ عاماً (١٩٧١-١٩٩٤) أحصيت ٢٠٢ افتتاحية، بينها ٤١ افتتاحية للأب جرجس القس موسى (تشرين الثاني ١٩٧٢-كانون الأول ١٩٧٦).

١٩٧١

١. إليكم هذا العدد الجديد	كانون الثاني	١٥
٢. متى نتحد؟	شباط	١٦
٣. سلام... سلام	آذار	١٧
٤. "قام المسيح"	نيسان	١٨
٥. يوم العمال العالمي	أيار	١٩
٦. فلسطين الجريحة	حزيران	٢٠
٧. ذلك القمر جارنا	أيلول	٢١
٨. مجمع الأساقفة	تشرين الأول	٢٢
٩. ما أبشع الحرب!	تشرين الثاني	٢٣
١٠. مولد النور	كانون الأول	٢٤

١٩٧٢

١١. يوم السلام العالمي	كانون الثاني	٢٥
١٢. كنيسة في ازمة!	شباط	٢٦
١٣. وإذا صمتم...	آذار	٢٧
١٤. وتكونون لي شهوداً...	نيسان	٢٨
١٥. يوم الدعوات العالمي	أيار	٢٩
١٦. يوم وسائل الإعلام العالمي	حزيران	٣٠
١٧. إلى أين يسير "التعليم المسيحي"؟	أيلول	٣١
١٨. هل حقاً ذهبت الأخلاق؟	تشرين الأول	٣٢
١٩. ماذا ننتظر بعد؟	تشرين الثاني	٣٣
٢٠. ... إذ لم يكن لهما موضع	كانون الأول	٣٤

١٩٧٣

٢١. مع إطلالة العام الجديد	كانون الثاني	٣٥
٢٢. استراحة المحارب	شباط	٣٦
٢٣. الحادي عشر منه	آذار	٣٧
٢٤. الحياة الجديدة	نيسان	٣٨
٢٥. لماذا؟ (توحيد عيد القيامة)	أيار	٣٩
٢٦. مغتربون في ديارنا!؟	حزيران	٤٠
٢٧. سنة مقدسة للمصالحة	أيلول	٤١
٢٨. أم البيت! (يقظة الكنيسة)	تشرين الأول	٤٢
٢٩. عيد سعيد وفطر مبارك	تشرين الثاني	٤٣
٣٠. رسالة مفتوحة...	كانون الأول	٤٤

١٩٧٤

٢١. الشمعة العاشرة	كانون الثاني	٤٥
٢٢. أقزام وحنين	شباط	٤٦
٢٣. السلام+الثقة=البناء	آذار	٤٧
٢٤. يا أورشليم، يا أورشليم!	نيسان	٤٨
٢٥. مع علبة البسكت!	أيار	٤٩
٢٦. آفاق...	حزيران	٥٠
٢٧. ميزان واحد	أيلول	٥١
٢٨. المسيحي في مجتمعه: لماذا هذا العدد؟ (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٥٢
٢٩. تقويم المحبة ومؤشرات المستقبل	كانون الأول	٥٦

١٩٧٥

٤٠. ١٩٧٥ سنة المرأة	كانون الثاني	٥٧
٤١. الصوم والتحنيط والأقراص المنومة	شباط	٥٨
٤٢. كفانا انقساماً...	آذار	٥٩
٤٣. الديانة المسيحية في خطر (!)	نيسان	٦٠
٤٤. يوم الدعوات	أيار	٦١
٤٥. رسالة مفتوحة إلى حجاج السنة المقدسة	حزيران	٦٢
٤٦. المساواة، التقدم، السلام... (سنة المرأة)	أيلول	٦٣
٤٧. لماذا لا نقرأ...؟ (مقالات للأساقفة)	تشرين الأول	٦٤
٤٨. نحو سنة الفين في دروب الإنجيل	تشرين الثاني	٦٥
٤٩. بحثاً عن الأصالة!	كانون الأول	٦٦

١٩٧٦

٥٠. سلاح السلام غصن زيتون فقط!	كانون الثاني	٦٧
٥١. الوقوف على التل أم النزول إلى المعمعة؟	شباط	٦٨
٥٢. هذا ما نتمناه!	آذار	٦٩
٥٣. أعياد الربيع في أم الربيعين	نيسان	٧٠
٥٤. الحياة بمنطق عقيدتنا	أيار	٧١
٥٥. اطلب العلم ولو في الليل!	حزيران	٧٢
٥٦. كان إنسان... بين حي وميت!	أيلول	٧٣
٥٧. قضايا الجيل الجديد؟ (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٧٤
٥٨. السبت ويسوع والإنسان!	كانون الأول	٧٦

١٩٧٧

٥٩. وهذه سنة أخرى!	كانون الثاني	٧٧
٦٠. "زمرنا لكم فلم ترقصوا"!	شباط	٧٩
٦١. يداً بيد في بناء الثورة	آذار	٨١
٦٢. ما أطيب أن "يعيد" الاخوة معاً!	نيسان	٨٣
٦٣. على هامش يوم العمال	أيار	٨٥
٦٤. الخامس من حزيران	حزيران	٨٧
٦٥. هذا العدد: كنيسة العراق (عدد خاص)	أيلول	٨٩
٦٦. كنيستي أحبها...	تشرين الأول	٩٣
٦٧. للحصول على ٢٠٠٠ مشترك جديد	تشرين الثاني	٩٥
٦٨. من وحي سينودس الأساقفة	كانون الأول	٩٧

١٩٧٨

٦٩. معاً... على الطريق!!	كانون الثاني	١٠٥
٧٠. علامات الأزمنة	شباط	٩٩
٧١. التفاتة كريمة	آذار	١٠١
٧٢. متى يستفيق لبنان؟	نيسان	١٠٣
٧٣. أصحيح أن هناك أزمة؟	أيار	١٠٧
٧٤. من أجل مناقشة جادة...	حزيران	١٠٩
٧٥. مات البابا! (عدد خاص)	أيلول	١١١
٧٦. البابا "الراعي"	تشرين الأول	١١٣
٧٧. في أعقاب "كامب ديفيد"	تشرين الثاني	١١٦
٧٨. رسالة الميلاد	كانون الأول	١١٨

١٩٧٩

٧٩. السنة الخامسة عشرة	كانون الثاني	١٢١
٨٠. من أجل أطفال سعداء!	شباط	١٢٣
٨١. رجال ونساء!	آذار	١٢٥
٨٢. سلام أم استسلام؟	نيسان	١٢٧
٨٣. العامل مستحق أجرته!	أيار	١٢٩
٨٤. فكرة... عساها تلقى صدى!	حزيران	١٣١
٨٥. كهنة... لمن؟ ولماذا؟ (عدد خاص)	آب-أيلول	١٣٣
٨٦. مجلتكم... كيف تريدونها؟	تشرين الأول	١٣٥
٨٧. لو عاد المسيح يوماً...	تشرين الثاني	١٣٨
٨٨. حقوق الإنسان في ضوء الميلاد	كانون الأول	١٤٠

١٩٨٠

٨٩. من عام... إلى عام	كانون الثاني	١٤٣
٩٠. أهي استدارة إلى اليمين؟	شباط	١٤٦
٩١. ومع ذلك أحبها!	آذار	١٤٩
٩٢. مع الرسل في اكتشاف يسوع القيامة	نيسان	١٥٢
٩٣. ... وكان للإعلان صدى!	أيار	١٥٥
٩٤. "أفرقة" الكنيسة الأفريقية!	حزيران-تموز	١٥٨
٩٥. قانون الرعاية الاجتماعية: كرامة الإنسان	آب-أيلول	١٦١
٩٦. أورشليم... مدينة السلام	تشرين الأول	١٦٣
٩٧. إذا أردتم لمجلتكم البقاء...	تشرين الثاني	١٦٥
٩٨. وأنتم من تقولون اني أنا؟ (عدد خاص)	كانون الأول	١٦٨

١٩٨١

٩٩. ... وإلى أمام	كانون الثاني-شباط	١٧٣
١٠٠. هوذا زمان التوبة!	آذار	١٧٥
١٠١. جيل الرفض	نيسان	١٧٧
١٠٢. أحبك يا وطني	أيار	١٧٩
١٠٣. ماذا وراء الاعتداء الصهيوني؟	حزيران-تموز	١٨١
١٠٤. كفانا رياءً!	آب-أيلول	١٨٣
١٠٥. إليكم هذا الكشاف (عدد خاص)	أيلول	١٨٥
١٠٦. في الطريق إلى المدرسة	تشرين الأول	١٩٢
١٠٧. حكاية ما بيننا!	تشرين الثاني	١٩٤
١٠٨. ميلاد السلام	كانون الأول	١٩٧

١٩٨٢

١٠٩. مجلة ملتزمة	كانون الثاني	١٩٩
١١٠. الأصالة	شباط	٢٠٢
١١٠. كنيسة الشباب شباب الكنيسة	آذار	٢٠٥
١١٢. شهود القيامة	نيسان	٢٠٨
١١٣. فلسطين في القلب	أيار	٢١٠
١١٤. من أجل شهادة مسيحية	حزيران-تموز	٢١٢
١١٥. في انتظار مؤتمر القمة السابع	آب-أيلول	٢١٥
١١٦. الكتاب المقدس كلام الحياة (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٢١٨
١١٧. الميلاد... ولادة جديدة	كانون الأول	٢٢٢

١٩٨٣

١١٨. على عتبة العام الجديد	كانون الثاني-شباط	٢٢٥
١١٩. من أجل تثقيف مسيحي جاد	آذار	٢٢٨
١٢٠. كفانا تمزقاً وانقساماً!	نيسان	٢٣٠
١٢١. الحوار من أجل السلام...	أيار	٢٣٢
١٢٢. أحلم بكنيسة...!	حزيران-تموز	٢٣٥
١٢٣. رسالة بولس الرسول الثانية	آب-أيلول	٢٣٨
١٢٤. الأسرة... حب وألفة وعطاء ومسؤوليات (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٢٤١
١٢٥. هل سيولد المسيح هذه السنة؟!	كانون الأول	٢٤٤

١٩٨٤

١٢٦. السنة العشرون	كانون الثاني	٢٤٧
١٢٧. "لو... لولا... لولم..."	شباط	٢٥١
١٢٨. العنف يولد العنف	آذار	٢٥٤
١٢٩. سنة توبة ومصالحة	نيسان-أيار	٢٥٧
١٣٠. بمناسبة عيد الصحافة العراقية: هؤلاء الصحافيون	حزيران-تموز	٢٦٠
١٣١. من وحي المناولة الأولى: كي لا تموت البذرة	آب-أيلول	٢٦٣
١٣٢. الإنسان... هذا المجهول (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٢٦٦
١٣٣. ... وعلى الأرض السلام	كانون الأول	٢٧١

١٩٨٥

١٣٤. لا حرب... لا حرب أبداً!	كانون الثاني	٢٧٣
١٣٥. الوحدة... هل تبقى أمنية وحسب؟	شباط-آذار	٢٧٥
١٣٦. سينودس... عشرون عاماً بعد المجمع	نيسان	٢٧٨
١٣٧. ... لئلا ينطفئ السراج!	أيار	٢٨١
١٣٨. الشباب... طاقة يجب ان تتفجر	حزيران-تموز	٢٨٤
١٣٩. "لا نريد الحرب، ونتمنى لو انتهت غداً"	آب-أيلول	٢٨٧
١٤٠. الشباب... علامة استفهام (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٢٩٠
١٤١. ولد لكم مخلص... هو المسيح الرب	كانون الأول	٢٩٤

١٩٨٦

١٤٢. قدماً إلى أمام	كانون الثاني	٢٩٧
١٤٣. سنة دولية للسلام	شباط	٣٠٠
١٤٤. الحياة أقوى من الموت	آذار-نيسان	٣٠٣

١٤٥. حاجتنا إلى كهنة	أيار	٣٠٦
١٤٦. التعليم المسيحي... مهمة الوالدين	حزيران	٣٠٩
١٤٧. اكليروس وعلمانيون... أم "شعب الله"	آب-أيلول	٣١٢
١٤٨. كنيسة العراق... أي مسار؟ (عدد خاص)	تشرين الأول-تشرين الثاني	٣١٥
١٤٩. سلام، سلام، وسلام!	كانون الأول	٣١٨

١٩٨٧

١٥٠. على عتبة العام الجديد	كانون الثاني	٣٢١
١٥١. مأوى للذين بدون مأوى (عام دولي)	شباط	٣٢٤
١٥٢. ها نحن صاعدون إلى أورشليم	آذار-نيسان	٣٢٦
١٥٣. "نعم" لعطية الحياة	أيار	٣٢٨
١٥٤. وتكونون لي شهوداً	حزيران-تموز	٣٣١
١٥٥. مسؤولياتنا في صنع السلام	آب-أيلول	٣٣٤
١٥٦. العذراء مريم، أم المسيح وأمنا (عدد خاص)	تشرين الأول	٣٣٧
١٥٧. التقدم، الاسم الجديد للسلام	تشرين الثاني	٣٤١
١٥٨. هوذا الرب آتٍ: هللويا!	كانون الأول	٣٤٤

١٩٨٨

١٥٩. للحصول على ٢٠٠٠ مشترك جديد!	كانون الثاني	٣٤٧
١٦٠. العيد... آن لها أن تنتهي!	شباط-آذار	٣٥٠
١٦١. المسيح... حقاً قام	نيسان	٣٥٣
١٦٢. بمناسبة يوم الدعوات: ها أنا ذا يا رب...	أيار	٣٥٦
١٦٣. سأبقى أحبك يا وطني	حزيران-تموز	٣٥٩
١٦٤. طبول الحرب... وأجراس السلام	آب-أيلول	٣٦٢
١٦٥. للدخول في عالم الأطفال (عدد خاص)	تشرين الأول- تشرين الثاني	٣٦٥
١٦٦. ميلاد السلام... انتصار الحب	كانون الأول	٣٦٨

١٩٨٩

١٦٧. السلام... مهمة الجميع	كانون الثاني	٣٧١
١٦٨. صراع بين النور والظلمة	شباط-آذار	٣٧٤
١٦٩. قيامة المسيح... حياة دائمة	نيسان	٣٧٧
١٧٠. الروح يهب حيث يشاء	أيار	٣٨٠
١٧١. ٢٥ عاماً في خدمة كنيسة العراق	حزيران-تموز	٣٨٣
١٧٢. وذهبت الحرب إلى غير رجعة	آب-أيلول	٣٨٧
١٧٣. اليوبيل الفضي: الفكر المسيحي: ربع قرن (عدد خاص)	تشرين الأول- تشرين الثاني	٣٩٠
١٧٤. الميلاد بشرى أمل	كانون الأول	٣٩٦

١٩٩٠

١٧٥. حين تصحو الشعوب وتشرق الحرية	كانون الثاني-شباط	٣٩٩
١٧٦. البيريسترويكا في الكنيسة	آذار	٤٠١
١٧٧. قام المسيح: شهادة للرجاء الذي فينا	نيسان	٤٠٤
١٧٨. الكنيسة والوطن: أمانتان	أيار	٤٠٧
١٧٩. ما يُقال... وما لا يُقال!	حزيران-تموز	٤١٠
١٨٠. تعليم مسيحي أم كرازة إنجيلية	آب-أيلول	٤١٣

١٨١. الحركة المسكونية: مسار لا رجعة فيه (عدد خاص)	تشرين الأول- تشرين الثاني	٤١٦
١٨٢. طوبى لفاعلي السلام	كانون الأول	٤٢٠
١٩٩١		
١٨٣. ... وأنت يا كفرناحوم، ألعلك ارتفعت إلى السماء؟	كانون الثاني-نيسان	٤٢٣
١٨٤. كنت جائعاً فاطعمتموني...	أيار-تموز	٤٢٦
١٨٥. كشاف العقد الثاني	أيلول	٤٢٩
١٨٦. "جلاء"... وأيّ جلاء	آب- تشرين الأول	٤٣٥
١٨٧. ميلاد الشركة والاقتسام	تشرين الثاني-كانون الأول	٤٣٨
١٩٩٢		
١٨٨. إلهنا... إله الحرية	كانون الثاني-شباط	٤٤١
١٨٩. ... وانفتحت أعينهما وعرفاه	آذار-نيسان	٤٤٤
١٩٠. الكنيسة التي أؤمن بها...	أيار-تموز	٤٤٧
١٩١. الاوخارستيا... خبز مكسور للجائعين (عدد خاص)	آب- تشرين الأول	٤٤٩
١٩٢. ميلاد الفقراء	تشرين الثاني-كانون الأول	٤٥٢
١٩٩٣		
١٩٣. لعلّها أحلام اليقظة!	كانون الثاني-آذار	٤٥٥
١٩٤. قيامة، صعود، عنصرة: حقيقة واحدة!	نيسان-حزيران	٤٥٨
١٩٥. حلم في الظهيرة!	تموز-أيلول	٤٦١
١٩٦. ميلاد الرجاء	تشرين الأول-كانون الأول	٤٦٤
١٩٩٤		
١٩٧. آمال وأمنيات لعام ١٩٩٤	كانون الثاني-آذار	٤٦٧
١٩٨. طوبى للذين يؤمنون ولم يروا	نيسان-حزيران	٤٧١
١٩٩. في البحث عن إيمان لعصرنا (عدد خاص)	تموز-تشرين الأول	٤٧٤
٢٠٠. من أجل ديمومة الفكر المسيحي (في الذكرى الثلاثين)	تموز-تشرين الأول	٤٧٧
٢٠١. كشاف رقم ٣ (١٩٩١-١٩٩٤)	تشرين الثاني-كانون الأول	٤٨٠
٢٠٢. مع العدد ٢٠٠ أي منعطف	تشرين الثاني-كانون الأول	٤٨٢

فهرس بحسب الموضوعات

١. شؤون المجلة

إليكم هذا العدد الجديد	كانون الثاني ١٩٧١	١٥
مع اطلالة العام الجديد	كانون الثاني ١٩٧٣	٣٥
رسالة مفتوحة...	كانون الأول ١٩٧٣	٤٤
الشمعة العاشرة	كانون الثاني ١٩٧٤	٤٥
وهذه سنة أخرى!	كانون الثاني ١٩٧٧	٧٧
للحصول على ٢٠٠٠مشترك جديد	تشرين الثاني ١٩٧٧	٩٥
معاً... على الطريق!!	كانون الثاني ١٩٧٨	٩٩
السنة الخامسة عشرة	كانون الثاني ١٩٧٩	١٢١
مجلتكم... كيف تريدونها؟	تشرين الأول ١٩٧٩	١٣٥
من عام... إلى عام	كانون الثاني ١٩٨٠	١٤٣
اذا اردتم لمجلتكم البقاء...	تشرين الثاني ١٩٨٠	١٦٥
إليكم هذا الكشاف (١٩٧١-١٩٨٠)	أيلول ١٩٨١ (عدد خاص)	١٨٥
مجلة ملتزمة	كانون الثاني ١٩٨٢	١٩٩
السنة العشرون	كانون الثاني ١٩٨٤	٢٤٧
قدماً إلى أمام	كانون الثاني ١٩٨٦	٢٩٧
للحصول على ٢٠٠٠ مشترك جديد	كانون الثاني ١٩٨٨	٣٤٧
٢٥ عاماً في خدمة كنيسة العراق	حزيران-تموز ١٩٨٩	٣٨٣
الفكر المسيحي: ربع قرن في خدمة الكلمة	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٩ (عدد خاص)	٣٩٠
كشاف العقد الثاني (١٩٨١-١٩٩٠)	أيلول ١٩٩١ (عدد خاص)	٤٢٩
من أجل ديمومة "الفكر المسيحي"		
(ملزمة اضافية بعنوان: في الذكرى الثلاثين)	تموز-تشرين الأول ١٩٩٤	٤٧٧
كشاف رقم ٣ (١٩٩١-١٩٩٤)	تشرين الثاني-كانون الأول ١٩٩٤	٤٨٠
مع العدد ٣٠٠ أي منعطف؟	تشرين الثاني-كانون الأول ١٩٩٤	٤٨٢

٢. افتتاحيات الأعداد الخاصة

١. لماذا هذا العدد؟ [المسيحي في مجتمعه]	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٧٤	٥٢
٢. الجيل الجديد؟ [قضايا الجيل الجديد]	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٧٦	٧٤
٣. هذا العدد [كنيسة العراق]	أيلول ١٩٧٧	٨٩
٤. مات البابا! [بولس السادس]	أيلول ١٩٧٨	١١١
٥. كهنة... لمن؟ ولماذا؟ [كهنة... لمن؟ ولماذا؟]	أيلول ١٩٧٩	١٣٣
٦. وأنتم من تقولون اني انا؟ [شخصية يسوع المسيح]	كانون الأول ١٩٨٠	١٦٨
٧. إليكم هذا الكشاف [كشاف [١٩٧١-١٩٨٠]]	أيلول ١٩٨١	١٨٥
٨. الكتاب المقدس، كلام الحياة [الكتاب المقدس]	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٢	٢١٨
٩. الأسرة حب والفة وعطاء ومسؤوليات [الأسرة المسيحية]	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٣	٢٤١
١٠. الإنسان... هذا المجهول [الإنسان... على صورته ومثاله]	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٤	٢٦٦

١١. الشباب… علامة استفهام (الشباب… وعي وطموح)	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٥	٢٩٠
١٢. كنيسة العراق… أي مسار؟ (كنيسة العراق، ٢٠عاماً بعد المجمع)	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٦	٣١٥
١٣. العذراء مريم، أم المسيح وامنا / رسالة بابوية ("أم الفادي")	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٧	٣٣٧
١٤. للدخول في عالم الأطفال (الأطفال امل المستقبل)	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٨	٣٦٥
١٥. الفكر المسيحي: ربع قرن! (ربع قرن في خدمة الكلمة)	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٩	٣٩٠
١٦. الحركة المسكونية: مسار لا رجعة فيه (الحركة المسكونية: ٢٥ عاماً بعد المجمع)	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٩٠	٤١٦
١٧. كشاف العقد الثاني (فهارس ١٩٨١-١٩٩٠)	أيلول ١٩٩١	٤٢٩
١٨. الاوخارستيا… خبز مكسور للجائعين (الاوخارستيا… شركة واقتسام)	آب-تشرين الأول ١٩٩٢	٤٤٩
١٩. في البحث عن ايمان لعصرنا (المسيحي والمعاصرة)	تموز-تشرن الأول ١٩٩٤	٤٧٤

٣. أعياد الميلاد

مولد النور	كانون الأول ١٩٧١	٢٤
… إذ لم يكن لهما موضع!	كانون الأول ١٩٧٢	٣٤
رسالة الميلاد	كانون الأول ١٩٧٨	١١٨
حقوق الانسان في ضوء الميلاد	كانون الأول ١٩٧٩	١٤٠
ميلاد السلام	كانون الأول ١٩٨١	١٩٧
الميلاد… ولادة جديدة	كانون الأول ١٩٨٢	٢٢٢
هل سيولد المسيح هذه السنة؟!	كانون الأول ١٩٨٤	٢٤٤
… وعلى الأرض السلام	كانون الأول ١٩٨٤	٢٧١
ولد لكم مخلص… هو المسيح الرب	كانون الأول ١٩٨٥	٢٩٤
هوذا الرب آتٍ… هللويا	كانون الأول ١٩٨٧	٣٤٤
ميلاد السلام… انتصار الحب	كانون الأول ١٩٨٨	٣٦٨
الميلاد بشرى أمل	كانون الأول ١٩٨٩	٣٩٦
ميلاد الشركة والاقتسام	تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩١	٤٣٨
ميلاد الفقراء	تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩٢	٤٥٢
ميلاد الرجاء	تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩٣	٤٦٤

٤. أعياد القيامة

"قام المسيح"	نيسان ١٩٨٠	١٥٢
سلام أم استسلام؟	نيسان ١٩٨٢	٢٠٨
مع الرسل في اكتشاف يسوع القيامة	آذار-نيسان ١٩٨٦	٣٠٣
شهود القيامة	آذار-نيسان ١٩٨٧	٣٢٦
الحياة أقوى من الموت	نيسان ١٩٨٨	٣٥٣
ها نحن صاعدونَ الى اورشليم	نيسان ١٩٨٩	٣٧٧
قام المسيح… حقاً قام	نيسان ١٩٩٠	٤٠٤

قيامة المسيح... حياة دائمة	نيسان ١٩٧١	١٨
قام المسيح: شهادة للرجاء الذي فينا	نيسان ١٩٧٩	١٢٧
... وانفتحت اعينهما وعرفاه	آذار-نيسان ١٩٩٢	٤٤٤
قيامة، صعود، عنصرة: حقيقة واحدة!	نيسان-حزيران ١٩٩٣	٤٥٨
طوبى للذين يؤمنون ولم يروا	نيسان-حزيران ١٩٩٤	٤٧١

٥. مناسبات عالمية

يوم العمال العالمي	أيار ١٩٧١	١٩
يوم السلام العالمي	كانون الثاني ١٩٧٢	٢٥
يوم الدعوات العالمي	أيار ١٩٧٢	٢٩
١٩٧٥: سنة المرأة	كانون الثاني ١٩٧٥	٥٧
يوم الدعوات	أيار ١٩٧٥	٦١
سنة المرأة: المساواة، التقدم، السلام...	أيلول ١٩٧٥	٦٣
على هامش يوم العمال	أيار ١٩٧٧	٨٥
عام الطفل: من اجل أطفال سعداء!	شباط ١٩٧٩	١٢٣
بمناسبة يوم المرأة: رجال ونساء!	آذار ١٩٧٩	١٢٥
بمناسبة يوم العمال: العامل مستحق أجرته	أيار ١٩٧٩	١٢٩
لا حرب... لا حرب ابداً!	كانون الثاني ١٩٨٥	٢٧٣
سنة دولية للسلام	شباط ١٩٨٦	٣٠٠
مأوى للذين بدون مأوى (عام دولي)	شباط ١٩٨٧	٣٢٤

٦. حقوق الإنسان

سلام... سلام	آذار ١٩٧١	١٧
ذلك القمر جارنا!	أيلول ١٩٧١	٢١
ما أبشع الحرب!	تشرين الثاني ١٩٧١	٢٣
يوم السلام العالمي	كانون الثاني ١٩٧٢	٢٥
سلاح السلام غصن زيتون فقط!	كانون الثاني ١٩٧٦	٦٧
سلام أم استسلام؟	نيسان ١٩٧٩	١٢٧
حقوق الانسان في ضوء الميلاد	كانون الأول ١٩٧٩	١٤٠
اورشليم... مدينة السلام	تشرين الأول ١٩٨٠	١٦٣
في انتظار مؤتمر القمة السابع...	آب-أيلول ١٩٨٢	٢١٥
على عتبة العام الجديد	كانون الثاني-شباط ١٩٨٣	٢٢٥
الحوار من أجل السلام	أيار ١٩٨٣	٢٣٢
هل سيولد المسيح هذه السنة؟!	كانون الأول ١٩٨٣	٢٤٤
العنف يولد العنف	آذار ١٩٨٤	٢٥٤
الإنسان... هذا المجهول	تشرين الأول-كانون الأول ١٩٨٤ (عدد خاص)	٢٦٦
لا حرب... لا حرب أبداً!	كانون الثاني ١٩٨٥	٢٧٣
سنة دولية للسلام	شباط ١٩٨٦	٣٠٠
سلام، سلام، سلام!	كانون الأول ١٩٨٦	٣١٨
على عتبة العام الجديد	كانون الثاني ١٩٨٧	٣٢١
مأوى للذين بدون مأوى (عام دولي)	شباط ١٩٨٧	٣٢٤
مسؤولياتنا في صنع السلام	آب-أيلول ١٩٨٧	٣٣٤
التقدم، الاسم الجديد للسلام	تشرين الثاني ١٩٨٧	٣٤١

ميلاد السلام... انتصار الحب	كانون الأول ١٩٨٨	٣٦٨
السلام... مهمة الجميع	كانون الثاني ١٩٨٩	٣٧١
الميلاد، بشرى أمل	كانون الأول ١٩٨٩	٣٩٦
حين تصحو الشعوب وتشرق الحرية	كانون الثاني-شباط ١٩٩٠	٣٩٩
وأنت يا كفرناحوم، ألعلك ارتفعت إلى السماء؟	كانون الثاني-نيسان ١٩٩١	٤٢٣

U. مواقف وطنية

فلسطين الجريحة	حزيران ١٩٧١	٢٠
ماذا ننتظر بعدُ؟	تشرين الثاني ١٩٧٢	٣٣
استراحة المحارب	شباط ١٩٧٣	٣٦
الحادي عشر منه	آذار ١٩٧٣	٣٧
السلام+الثقة=البناء	آذار ١٩٧٤	٤٧
يا اورشليم، يا اورشليم!	نيسان ١٩٧٤	٤٨
آفاق...	حزيران ١٩٧٤	٥٠
ميزان واحد	أيلول ١٩٧٤	٥١
لماذا هذا العدد؟ (المسيحي في مجتمعه)	تشرين الأول-كانون الأول ١٩٧٤ (عدد خاص)	٥٢
الوقوف على التل أم النزول إلى المعمعة؟	شباط ١٩٧٦	٦٨
اطلب العلم ولو في الليل!	حزيران ١٩٧٦	٧٢
كان انسان... بين حي وميت!	أيلول ١٩٧٦	٧٣
يداً بيد لبناء الثورة	آذار ١٩٧٧	٨١
الخامس من حزيران	حزيران ١٩٧٧	٨٧
إلتفاتة كريمة	آذار ١٩٧٨	١٠٣
متى يستفيق لبنان؟	نيسان ١٩٧٨	١٠٥
في اعقاب كامب ديفيد"	تشرين الثاني ١٩٧٨	١١٦
يوم المرأة: رجال ونساء!	آذار ١٩٧٩	١٢٥
سلام ام استسلام؟	نيسان ١٩٧٩	١٢٧
.... وكان للاعلان صدى	أيار ١٩٨٠	١٥٥
قانون الرعاية الاجتماعية: كرامة الانسان	آب-أيلول ١٩٨٠	١٦١
اوشليم... مدينة السلام	تشرين الأول ١٩٨٠	١٦٣
... والى امام	كانون الثاني-شباط ١٩٨١	١٧٣
احبك يا وطني	أيار ١٩٨١	١٧٩
ماذا وراء الاعتداء الصهيوني؟	حزيران-تموز ١٩٨١	١٨١
ميلاد السلام	كانون الأول ١٩٨١	١٩٧
الاصالة	شباط ١٩٨٢	٢٠٢
فلسطين في القلب	أيار ١٩٨٢	٢١٠
في انتظار مؤتمر القمة السابع...	آب-أيلول ١٩٨٢	٢١٥
"لا نريد الحرب، ونتمنى لو انتهت غداً"	آب-أيلول ١٩٨٥	٢٨٧
مسؤولياتنا في صنع السلام	آب-أيلول ١٩٨٧	٣٢٤
سأبقى احبك يا وطني	حزيران-تموز ١٩٨٨	٣٥٩
طبول الحرب... وأجراس السلام	آب-أيلول ١٩٨٨	٣٦٢
وذهبت الحرب إلى غير رجعة	آب-أيلول ١٩٨٩	٣٨٧
الكنيسة والوطن: أمانتان	أيار ١٩٩٠	٤٠٧
طوبى لفاعلي السلام	كانون الأول ١٩٩٠	٤٢٠

وانت ياكفرناحوم، ألعلك ارتفعت الى السماء؟	كانون الثاني-حزيران ١٩٩١	٤٢٣
كنت جائعاً فأطعمتموني...	أيار-تموز ١٩٩١	٤٢٦
آمال وأمنيات لعام ١٩٩٤	كانون الثاني-آذار ١٩٩٤	٤٦٧

٨. الكنيسة الجامعة

مجمع الاساقفة	تشرين الأول ١٩٧١	٢٢
سنة مقدسة للمصالحة	أيلول ١٩٧٣	٤١
نحو سنة الفين في دروب الإنجيل	تشرين الثاني ١٩٧٥	٦٥
من وحي سينودس الاساقفة	كانون الأول ١٩٧٧	٩٧
مات البابا! (بولس السادس)	أيلول ١٩٧٨ (عدد خاص)	١١١
البابا "الراعي" (يوحنا بولس الاول)	تشرين الأول ١٩٧٨	١١٣
أهي استدارة الى اليمين؟	شباط ١٩٨٠	١٤٦
"افرقة" الكنيسة الافريقية!	حزيران-تموز ١٩٨٠	١٥٨
"لو... لولا... لولم..."	شباط ١٩٨٤	٢٥١
سنة توبة ومصالحة	نيسان-أيار ١٩٨٤	٢٥٧
سينودس.... عشرون عاماً بعد المجمع	نيسان ١٩٨٥	٢٧٨
اكليروس وعلمانيون... ام "شعب الله"؟	آب-أيلول ١٩٨٦	٣١٢
سلام، سلام، سلام!	كانون الأول ١٩٨٦	٣١٨
على عتبة العام الجديد	كانون الثاني ١٩٨٧	٣٢١
"نعم" لعطية الحياة	أيار ١٩٨٧	٣٢٨
العذراء مريم، ام المسيح وامنا	تشرين الأول ١٩٨٧ (عدد خاص)	٣٣٧
التقدم، الاسم الجديد للسلام	تشرين الثاني ١٩٨٧	٣٤١
الحركة المسكونية: مسار لا رجعة فيه	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٩٠ (عدد خاص)	٤١٦

٩. كنيسة العراق

ام البيت! (يقظة الكنيسة)	تشرين الأول ١٩٧٣	٤٢
الشمعة العاشرة	كانون الثاني ١٩٧٤	٤٥
افرام وحنين	شباط ١٩٧٤	٤٦
ميزان واحد	أيلول ١٩٧٤	٥١
لماذا لا نقرأ... (مقالات للاساقفة)؟	تشرين الأول ١٩٧٥	٦٤
هذا ما نتمناه!	آذار ١٩٧٦	٦٩
هذا العدد: كنيسة العراق	أيلول ١٩٧٧ (عدد خاص)	٨٩
كنيستي احبها...	تشرين الأول ١٩٧٧	٩٣
علامات الازمنة	شباط ١٩٧٨	١٠١
من أجل مناقشة جادة...	حزيران ١٩٧٨	١٠٩
فكرة... عساها تلقى صدى!	حزيران ١٩٧٩	١٣١
كهنة... لمن؟ ولماذا؟	آب-أيلول ١٩٧٩ (عدد خاص)	١٣٣
ومع ذلك احبها!	آذار ١٩٨٠	١٤٩
هوذا زمان التوبة!	آذار ١٩٨١	١٧٥
الأصالة	شباط ١٩٨٢	٢٠٢

كنيسة الشباب، شباب الكنيسة	آذار ١٩٨٢	٢٠٥
من أجل تثقيف مسيحي جاد	آذار ١٩٨٣	٢٢٨
أحلم بكنيسة...!	حزيران-تموز ١٩٨٢	٢٣٥
رسالة بولس الرسول الثانية	آب-أيلول ١٩٨٣	٢٣٨
... لئلا ينطفئ السراج!	أيار ١٩٨٥	٢٨١
سنة دولية للسلام	شباط ١٩٨٦	٣٠٠
كنيسة العراق أي مسار؟	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٦ (عدد خاص)	٣١٥
البيريسترويكا في الكنيسة	آذار ١٩٩٠	٤٠١
الكنيسة والوطن أمانتان	أيار ١٩٩٠	٤٠٧
تعليم مسيحي ام كرازة انجيلية؟	آب-أيلول ١٩٩٠	٤١٣
طوبى لفاعلي السلام	كانون الأول ١٩٩٠	٤٢٠
"جلاء"... واي جلاء	آب-تشرين الأول ١٩٩١	٤٣٥
الكنيسة التي أؤمن بها...	أيار-تموز ١٩٩٢	٤٤٧
لعلها أحلام اليقظة	كانون الثاني-آذار ١٩٩٣	٤٥٥
حلم في الظهيرة!	تموز-أيلول ١٩٩٣	٤٦١
آمال وأمنيات لعام ١٩٩٤	كانون الثاني-آذار ١٩٩٤	٤٦٧

١٠. قضايا إيمانية وراعوية

يوم السلام العالمي	كانون الثاني ١٩٧٢	٢٥
كنيسة في ازمة!	شباط ١٩٧٢	٢٦
يوم الدعوات العالمي	أيار ١٩٧٢	٢٩
يوم وسائل الاعلام العالمي	حزيران ١٩٧٢	٣٠
إلى أين يسير "التعليم المسيحي"؟	أيلول ١٩٧٢	٣١
لماذا؟ (توحيد عيد القيامة)	أيار ١٩٧٣	٣٩
مغتربون في ديارنا؟!	حزيران ١٩٧٣	٤٠
ام البيت! (يقظة الكنيسة)	تشرين الأول ١٩٧٣	٤٢
المسيحي في مجتمعه: لماذا هذا العدد؟	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٧٤ (عدد خاص)	٥٢
تقويم المحبة ومؤشرات المستقبل	كانون الأول ١٩٧٤	٥٦
الديانة المسيحية في خطر(!)	نيسان ١٩٧٥	٦٠
يوم الدعوات	أيا ١٩٧٥	٦١
"زمرنا لكم فلم ترقصوا"!	شباط ١٩٧٧	٧٩
ما اطيب ان "يعيّد" الاخوة معاً!	نيسان ١٩٧٧	٨٣
هذا العدد: كنيسة العراق	أيلول ١٩٧٧ (عدد خاص)	٨٩
كنيستي أحبها...	تشرين الأول ١٩٧٧	٩٣
من وحي سينودس الاساقفة	كانون الأول ١٩٧٧	٩٧
كهنة... لمن؟ ولماذا؟	أيلول ١٩٧٩ (عدد خاص)	١٣٣
ومع ذلك احبها!	آذار ١٩٨٠	١٤٩
وانتم من تقولون اني انا؟	كانون الأول ١٩٨٠ (عدد خاص)	١٦٨
حكاية ما بيننا!	تشرين الثاني ١٩٨١	١٩٤
كنيسة الشباب، شباب الكنيسة	آذار ١٩٨٢	٢٠٥
الكتاب المقدس كلام الحياة	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٢ (عدد خاص)	٢١٨
من أجل تثقيف مسيحي جاد	آذار ١٩٨٣	٢٢٨

"لو... لولا... لولم..."	شباط ١٩٨٤	٢٥١
هؤلاء الصحافيون (عيد الصحافة العراقية)	حزيران-تموز ١٩٨٤	٢٦٠
كي لا تموت البذرة (من وحي المناولة الاولى)	آب-أيلول ١٩٨٤	٢٦٣
الانسان... هذا المجهول	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٤ (عدد خاص)	٢٦٦
... لئلا ينطفئ السراج!	أيار ١٩٨٥	٢٨١
الشباب... علامة استفهام	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٥ (عدد خاص)	٢٩٠
حاجتنا إلى كهنة	أيار ١٩٨٦	٣٠٦
التعليم المسيحي... مهمة الوالدين	حزيران-تموز ١٩٨٦	٣٠٩
كنيسة العراق اي مسار؟	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٦ (عدد خاص)	٣١٥
وتكونون لي شهوداً	حزيران-تموز ١٩٨٧	٣٣١
قصة العيد... آن لها ان تنتهي!	شباط-آذار ١٩٨٨	٣٥٠
ها انا ذا يا رب... (بمناسبة يوم الدعوات)	أيار ١٩٨٨	٣٥٦
الروح يهب حيث يشاء	أيار ١٩٨٩	٣٨٠
البيريسترويكا في الكنيسة	آذار ١٩٩٠	٤٠١
ما يقال وما لا يقال!	حزيران-تموز ١٩٩٠	٤١٠
تعليم مسيحي ام كرازة انجيلية؟	آب-أيلول ١٩٩٠	٤١٣
"جلاء"... واي جلاء	آب-تشرين الأول ١٩٩١	٤٣٥
إلهنا... إله الحرية	كانون الثاني-شباط ١٩٩٢	٤٤١
الكنيسة التي اؤمن بها...	أيار-تموز ١٩٩٢	٤٤٧
الاوخارستيا... خبز مكسور للجائعين	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٩٢ (عدد خاص)	٤٤٩
لعلها احلام اليقظة	كانون الثاني-آذار ١٩٩٣	٤٥٥
حلم في الظهيرة!	تموز-أيلول ١٩٩٣	٤٦١
في البحث عن إيمان لعصرنا	تموز-تشرين الأول ١٩٩٤ (عدد خاص)	٤٧٤

II. شؤون روحية

وإذا صمتم...	آذار ١٩٧٢	٢٧
وتكونون لي شهوداً...	نيسان ١٩٧٢	٢٨
الحياة الجديدة	نيسان ١٩٧٣	٣٨
مع علبة البسكت!	أيار ١٩٧٤	٤٩
الصوم والتحنيط والاقراص المنومة	شباط ١٩٧٥	٥٨
الحياة بمنطق عقيدتنا	أيار ١٩٧٦	٧١
السبت ويسوع والإنسان!	كانون الأول ١٩٧٦	٧٦
علامات الازمنة	شباط ١٩٧٨	١٠١
فكرة... عساها تلقى صدى!	حزيران ١٩٧٩	١٣١
لو عاد المسيح يوماً...	تشرين الثاني ١٩٧٩	١٣٨
وانتم من تقولون اني انا؟	كانون الأول ١٩٨٠ (عدد خاص)	١٦٨
هوذا زمان التوبة!	آذار ١٩٨١	١٧٥
كفانا رياءً!	آب-أيلول ١٩٨١	١٨٣
من أجل شهادة مسيحية	حزيران-تموز ١٩٨٢	٢١٢
الكتاب المقدس كلام الحياة	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٢ (عدد خاص)	٢١٨
الميلاد... ولادة جديدة	كانون الأول ١٩٨٢	٢٢٢
سنة توبة ومصالحة	نيسان-أيار ١٩٨٤	٢٥٧

ها نحن صاعدون إلى اورشليم	آذار-نيسان ١٩٨٧	٣٢٦
العذراء مريم، أم المسيح وأمنا (رسالة بابوية)	تشرين الأول ١٩٨٧ (عدد خاص)	٣٣٧
صراع بين النور والظلمة	شباط-آذار ١٩٨٩	٣٧٤
الروح يهب حيث يشاء	أيار ١٩٨٩	٣٨٠
كنت جائعاً فأطعمتموني...	أيار-تموز ١٩٩١	٤٢٦
ميلاد الشركة والاقتسام	تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩١	٤٣٨
إلهنا... إله الحرية	كانون الثاني-شباط ١٩٩٢	٤٤١
الاوخارستيا... خبز مكسور للجائعين	آب-تشرين الثاني ١٩٩٢ (عدد خاص)	٤٤٩
ميلاد الفقراء	تشرين الثاني-كانون الأول ١٩٩٢	٤٥٢
ميلاد الرجاء	تشرين الثاني-كانون الأول ١٩٩٣	٤٦٤

١٢. الحركة المسكونية

متى نتحد؟	شباط ١٩٧١	١٦
لماذا؟ (توحيد عيد القيامة)	أيار ١٩٧٢	٣٩
تقويم المحبة ومؤشرات المستقبل	كانون الأول ١٩٧٤	٥٦
كفانا انقساماً...	آذار ١٩٧٥	٥٩
كفانا تمزقاً وانقساماً!	نيسان ١٩٨٣	٢٣٠
الوحدة هل تبقى أمينة وحسب؟	شباط-آذار ١٩٨٥	٢٧٥
قصة العيد... آن لها ان تنتهي!	شباط-آذار ١٩٨٨	٣٥٠
الحركة المسكونية: مسار لا رجعة فيه	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٩٠ (عدد خاص)	٤١٦

١٣. قضايا الأسرة والتربية

هل حقاً ذهبت الأخلاق؟	تشرين الأول ١٩٧٢	٣٢
قضايا الجيل الجديد؟	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٧٦ (عدد خاص)	٧٤
أصحيح أن هناك أزمة؟	أيار ١٩٧٨	١٠٧
من أجل أطفال سعداء!	شباط ١٩٧٩	١٢٣
بمناسبة يوم المرأة: رجال ونساء!	آذار ١٩٧٩	١٢٥
جيل الرفض	نيسان ١٩٨١	١٧٧
في الطريق إلى المدرسة	تشرين الأول ١٩٨١	١٩٢
الأسرة... حب وألفة وعطاء ومسؤوليات	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٣ (عدد خاص)	٢٤١
كي لا تموت البذرة (من وحي المناولة الاولى)	آب-أيلول ١٩٨٤	٢٦٣
الشباب... طاقة يجب ان تتفجر	حزيران-تموز ١٩٨٥	٢٨٤
الشباب... علامة استفهام	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٥ (عدد خاص)	٢٩٠
التعليم المسيحي... مهمة الوالدين	حزيران-تموز ١٩٨٦	٣٠٩
"نعم" لعطية الحياة	أيار ١٩٨٧	٣٢٨
للدخول في عالم الأطفال	تشرين الأول-تشرين الثاني ١٩٨٨ (عدد خاص)	٣٦٥

١٤. نداءات ورسائل مفتوحة

ما أبشع الحرب!	تشرين الثاني ١٩٧١	٢٣
لماذا؟ (توحيد عيد القيامة)	أيار ١٩٧٣	٣٩
ميزان واحد	أيلول ١٩٧٤	٥١
كفانا انقساماً...	آذار ١٩٧٥	٥٩
الديانة المسيحية في خطر(!)	نيسان ١٩٧٥	٦٠
رسالة مفتوحة إلى حجاج السنة المقدسة	حزيران ١٩٧٥	٦٢
سنة المرأة: المساواة، التقدم، السلام...	أيلول ١٩٧٥	٦٣
لماذا لا نقرأ... (مقالات للاساقفة)؟	تشرين الأول ١٩٧٥	٦٤
هذا ما نتمناه!	آذار ١٩٧٦	٦٩
كان إنسان... بين حي وميت!	أيلول ١٩٧٦	٧٣
من أجل أطفال سعداء!	شباط ١٩٧٩	١٢٣
فكرة... عساها تلقى صدى!	حزيران ١٩٧٩	١٣١
من أجل تثقيف مسيحي جاد	آذار ١٩٨٣	٢٢٨
كفانا تمزقاً وانقساماً!	نيسان ١٩٨٣	٢٣٠
أحلم بكنيسة...!	حزيران-تموز ١٩٨٣	٢٣٥
رسالة بولس الرسول الثانية	آب-أيلول ١٩٨٣	٢٣٨
الوحدة... هل تبقى أمنية وحسب؟	شباط-آذار ١٩٨٥	٢٧٥
... لئلا ينطفئ السراج!	أيار ١٩٨٥	٢٨١
مأوى للذين بدون مأوى (عام دولي)	شباط ١٩٨٧	٣٢٤
قصة العيد... آن لها ان تنتهي!	شباط-آذار ١٩٨٨	٣٥٠
السلام... مهمة الجميع	كانون الثاني ١٩٨٩	٣٧١
البيريسترويكا في الكنيسة	آذار ١٩٩٠	٤٠١
الكنيسة والوطن أمانتان	أيار ١٩٩٠	٤٠٧
تعليم مسيحي ام كرازة انجيلية؟	آب-أيلول ١٩٩٠	٤١٣
كنت جائعاً فاطعمتموني...	أيار-تموز ١٩٩١	٤٢٦
"جلاء"... واي جلاء	آب-تشرين الأول ١٩٩١	٤٣٥
ميلاد الشركة والاقتسام	تشرين الثاني-كانون الأول ١٩٩١	٤٣٨
الكنيسة التي اؤمن بها...	أيار-تموز ١٩٩٢	٤٤٧
لعلها أحلام اليقظة	كانون الثاني-آذار ١٩٩٣	٤٥٥
حلم في الظهيرة!	تموز-أيلول ١٩٩٣	٤٦١
آمال وأمنيات لعام ١٩٩٤	كانون الثاني-آذار ١٩٩٤	٤٦٧

١٥. مواضيع متنوعة

عيد سعيد وفطر مبارك	تشرين الثاني ١٩٧٣	٤٣
مع علبة البسكت!	أيار ١٩٧٤	٤٩
بحثاً عن الاصالة!	كانون الأول ١٩٧٥	٦٦
أعياد الربيع في أم الربيعين	نيسان ١٩٧٦	٧٠
إلتفاتة كريمة	آذار ١٩٧٨	١٠٣
هؤلاء الصحافيون (عيد الصحافة العراقية)	حزيران-تموز ١٩٨٤	٢٦٠
على عتبة العام الجديد	كانون الثاني ١٩٨٧	٣٢١

أنجزت دار "بيبليا للنشر"
طبع افتتاحيات الفكر المسيحي
في ٢٥ أيار ٢٠٠٧